سردم العربي

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي- العربي

تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر

السنة الرابعة- العدد الخامس عشر- شتاء ٢٠٠٧

موقع المجلة على الإنترنيت

www.sardam.info

المراسلات

عن طريق مدير التحرير

nawzadaa@yahoo.com

آسيا سيل: 07701420909

سانا تيل: 07301180142

تصميم الغلاف: *قادر ميرخان* ***المصمم المنفذ:*** *جمال حسين*

المشرف على الطبع: *فرهاد رفيق*

- *المقالات تعبر عن آراء الكتاب انفسهم ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة*
- *يخضع ترتيب المواد لإعتبارات فنية*

محتويات العدد

سردم العربي، العدد 15- 2007

دراسات وبحوث

دراسات تاريخية

ملف جليل القيسي

شعر

سردم العربي، العدد 15- 2007

محتويات العدد

قصة

مسرح

حوار

تراث

شخصيات كردية

محطات ثقافية

سبع مجلات تصدرها دار سردم



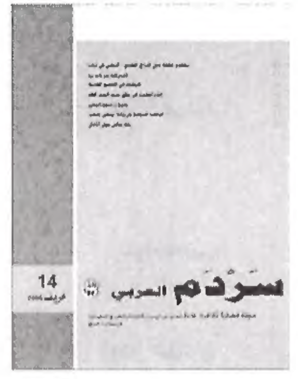
زانستى سردم للعلوم العصرية



سردم للثقافة الاجنبية



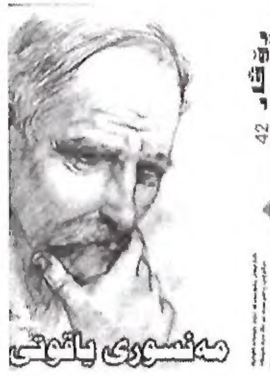
سەردەمى رەخنە للدراسات النقدية



سردم العربي



ئاينده للادب والفن



رۆڤار للاعلام الثقافة الكردية



منداڵى سەردەم للاطفال

حرب الخليج | الرؤية الكوردية

صباح نارام

يتردد في بعض الاوساط المعروفة في الشرق كلام كثير عن (الكرد) وموقفهم من المتغيرات في المنطقة، وهو كلام يتراوح بين تصديق الاقلية بالنوايا الكردية وتشكيك الغالبية بهذه النوايا.

لقد وقع الكرد عبر التاريخ الحديث ضحية العديد من الاتفاقيات الدولية، اتفاقيات ابرمت على حساب ارض كردستان والشعب الكردي دون ان يكون للكرد ممثل فيها والامثلة كثيرة منها على سبيل مثال وليس الحصر (اتفاقيات: آماسي ١٥٥٥, زهاب ١٦٣٩,ارضروم الاولى ١٨٢٣،ارضروم الثانية، بروتوكولات ١٩١٣ ..... الخ) واخرهذه الاتفاقيات والتي لاتزال نتائجها مؤلمة تؤشر (جيو سياسة) المنطقة هي (اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥). وفقا للمنطق المعاصر تم تهميش الكرد في هذه الاتفاقيات وتم ايضا تمزيق اوصال الوطن الكردي وتقسيمه بين جيران لم يفهموا حتى الآ ن المقاييس الدنيا للائحة حقوق الانسان الدولية. هذه الارضية التاريخية للمسألة الكردية فتحت الابواب على جميع الاحتمالات. من احتمالات الرضا بالتعايش مع الفعاليات السلطوية للجيران الجدد الى احتمالات الرفض والتمرد. وبعد الحرب الكونية الاولى لعب تقاطع المصالح الدولية دورا سلبيا في تاكيد معاناة الكرد. فبعد اتفاقية (سيفر) ١٩٢٠ جاءت معاهدة (لوزان) ١٩٢٣ وفيما بعد تأسيس الدولة العراقية وفقا لتطور المصالح البريطانية في المنطقة حيث تم ضرب تفاهمات ١٩٢٢ بين سلطات الاحتلال البريطاني والحكومة العراقية آنذاك عرض الحائط وهي تفاهمات نصت على حقوق الكرد الثقافية (كردستان -

العـراق). وكـرد فعـل لحجـم الانكـار للاسـتحقاقات الكرديـة تفاقمـت حالـة التمـرد والثـورة في صـفوف الشعب الكردي وانـضوت شـرائح عريضة وخاصـة في الريـف الكردسـتاني ومعهـا بعـض نخبـات المـثقفين في المدن تحت لواء حركات (الشيخ محمود بـين ١٩١٨-١٩٣١) والبارزاني بـين (١٩٤٣-١٩٧٥). وهـي حركـات تـصنف في غالبيتها تحت عنـوان (الـرفض للحالـة الراهنـة) وهـي الحالة التي استماتت حكومـات الجوار الكرديـة لغـرض تكريـسها واعتبـار كـل صـوت معـارض (حالـة عمالـة) لهـذه الدولـة الاجنبيـة أو تلـك... وهكـذا بـدأ اعـداد الضحايا لحالة العنف المتواصلة خلال عقود طويلةمن القـرن الماضـي بالازديـاد ومعهـا زادت مأسـاة الانـسان الكردى في المنطقـة ولعبت هـذه المعانـاة المتواصلة دورا مـؤثرا في تحطـيم نـسيج الحيـاة اليوميـة للمـواطنين وايجاد حالة مـن عـدم الاسـتقرار النفـسي والجسدي في وجـدان كـل انـسان سـكن المنطقـة او جوارهـا. حالـة ظهرت مردوداتها خاصة في نتاجات المثقفين وخلقت ضبابية في انتمائية الانسان الكردي، ضبابية اسـتغلتها الفعاليـات الـسلطوية الحاكمـة للتـشكيك في (نوايـا الكـرد) اوفي (انتمـائهم) وضـمن هـذه الـصيغة وقعـت عمليات (الانفـال) الـسيئة الـصيت والقـصف الكيميـائي لمدينة حلبجـة ربيـع عـام ١٩٨٨. عـبر التـاريخ لم يكـن الحق كل الحق في جانب احد مـن الاطـراف المتنازعـة، دومـا كانـت لكـل طـرف منطقـه في النـزاع لكـن الكـرد بفعل حالة الافقار القاسية التي عاشتها كردستان عانوا الاهمال وقلة القدرات في امكانية مخاطبـة الـرأي العـام او الوصول الى العـالم الخـارجي لـذا لم يكـن غريبـا ان يمر قتل الالاف من سكان حلبجة مـن المـدنين واقتيـاد عشرات الالوف عبر عمليات الانفـال الى مـصير مجهـول حتـى الان، لم يكـن غريبـا ان تمـر هـذه الجـرائم مـر الكرام دون ان يحرك شيئا من الضمير العالمي..

كنـا نـسأل: ايـن لائحـة حقـوق الانـسان؟ ونحـن نشاهد عمليات الاجرام تلك..

بلغـت البطالـة نـسبة قياسـية في صـفوف القـوة العاملـة الكردسـتانية وتـوزع الـشباب الكـردي بعـد انتكاسة ثورة عام ١٩٧٥ بين فئتين:

١-فئة هاجرت أو تسعى للهجرة الى خارج الوطن.

٢- فئة بقيت في الوطن تعاني البطالة وشظف العيش.

وفي العقـد الثمـانيني مـع بدايـة حـرب الخلـيج الاولى توزعت قوة العاملة كالاتي:

-فئـة قليلـة تعمـل بـاجور متدنيـة في بعـض المشاريع الحكومية

-فئـة اكثـر عـددا تم سـوقها الى صـفوف الجـيش العراقـي في جبهـات الحـرب او في صـفوف مـا يـسمى بالجيش الشعبى او المهمات الخاصة

-الفئة المتبقية اضطرت الى الصعود الى الجبال للخلاص من نيران الحرب والدمار والانضمام الى صفوف الثورة.

هكـذا بـدأت دائـرة المعانـاة تتـسع في صـفوف الـشعب العراقـي عامـة والكـرد خاصـة،كونهم أدينـوا بالعمالة للاجنبي في حالة الحـرب، وهـي تهمـة سيق المهتمـون بهـا الى سـاحات الاعـدام العلنيـة في الملاعـب والـساحات العامـة... وكـل حالـة اعـدام كانـت تخلـف حالة رعب كبير زاد معها اعداد الفارين الى الجبال والهاربين من الوطن...حقا تحول العراق الى جحيم.

كان هذا الـسياق ضـروريا ليطلـع القـارئ الكـريم علـى الحالـة النفـسية للمـواطن الكـردي خاصـة

والعراقي عامة نهاية الثمانينيات ومطلع التسعينيات من القرن الماضي...

- من من الناس ياترى يفرح بالحرب؟

بعد انتكاسة ثورة ايلول عام ١٩٧٥، كان هناك أستياء عام في صفوف الشباب من البطالة وتعامل السلطات، حتي تمني البعض منهم(حدوث الحرب) عندما اشتد التوتر بين (العراق) و(ايران) مطلع ١٩٨٠. سألت احد رجالات الثورة المتقاعدين وكان معروفا في المنطقة عن احتمالات الحرب فقال:

-أعلم انكم أنتم الشباب بماذا تفكرون!. ولكن ثقوا بأن أية حرب تحدث بين البلدين ستكون لها اثار قاتلة على شعب كردستان. ستتحول (كردستان) الى ساحة حرب.

-لقد صدق الشيخ المقاتل في تكهنه.. فعلا كان الكرد اكثر المتضررين من الحرب الايرانية العراقية السقيمة، حيث ألت النتيجة الي تدمير اكثر من ٤٠٠٠ اربع آلاف قرية كردية أى مجمل البنية التحتية للاقتصاد الكردي وتحولت (المجمعات القسرية) الى سجون جماعية لتكتلات سكانية (البطالة مع المعاناة).. حالة بؤس ويأس غطت الساحة الكردية..

أذن (الحرب) اية حرب.. هي كارثة .. كارثة للشعوب.. وخاصة شعوب الشرق والعراق وتخصيصا كردستان، حيث العنف التاريخي والتخلف الاجتماعي والاقتصادي وحالة الحرمان من ابسط مقومات العيش.. اذ كانت شعوب المنطقة تعاني من الفقر والافقار أصلا فكيف الحال مع كل (حرب) جديدة تشتعل في المنطقة لعوامل تظل الخفية منها أكثر بكثير من المعلنة.. حتى ساد التخوف والخشية صفوف الشعب الكردى خاصة.. نحن لم نصدق اننا تخلصنا أو انتهينا من (الحرب الايرانية) العقيمة.. حتى لاح في الآفق نذر حرب مدمرة اخرى.. حرب غزو الكويت عام ١٩٩١ صبيحة احد الايام مطلع أب ١٩٩٠ اعلنت الحكومة العراقية حالة الحرب، وقالت أن الحكومة الكويتية تشن حربا أقتصاديا على العراق.. وهكذا بدأت عملية اجتياح دولة الكويت واعلنها العراق(المحافظة التاسعة عشر) ودخل الجيش العراقي (الكويت).. وبدأت مع هذا الغزو صفحة جديدة من المأساة في حياة العراقيين.

في حقيقة الآمر، أنه وبعد انتهاء حرب الخليج الاولى في ٨/٨ / ١٩٨٨ بصورة رسمية، لم تتحسن الحالة المعيشية للمواطن الكردى كمالم تتحسن الحالة الانسانية للكرد.. بل بدأت الحكومة حملة منظمة لتغيير التركيبة الاجتماعية للمدن الرئيسية في كردستان.. أضيفت معاناة آخرى الى تفاصيل المعاناة اليومية للمواطنين الكرد.. كانوا يخشون (انتصار) (النخبة الحاكمة) في العراق.. كانت الخشية.. ألى أين يذهب العراق؟ ألى أين يسوق هذا النظام أبناء العراق؟

هل ياترى عادت الغزوات التاريخية وأجتياح حدود الاخرين ورجع التاريخ ألى الوراء؟

تساؤلات مشروعة وقلق كبير كان يسود الاوساط الكردية، نحن نعلم اننا شعب فقير اقتصاديا لانمتلك مقومات التأثير في تفاصيل الواقع أنذاك. اتذكر هنا المقولة الشهيرة للبارزانى مطلع السبعينيات (ليس للكرد من أصدقاء)

حقا لم يكن لنا أصدقاء.. ولم يكن الكرد حلفاء مع أحد عندما نشبت الحرب أو الغزو المدمر.. أما النتائج لتلك الحرب.. فقد فسرتها الامثال الشعبية.

- الله اكبر من السلطان محمود..
- هذه عاقبة التمادي

لقد عانى الكرد كثيرا.. وتحدث الكرد ايضا كثيرا.. عن المعاناة وعن المظلومية وعن الاستحقاقات.. قبل الغزو.. كان العراق قد خرج من حربه مع ايران (في الظاهر) قويا.. وبدا هذا الاستقواء الظاهري جليا في الاعلام العراقي.. الذي كان الكرد فيه قد ألغوا من مفرداته..هذا الاعلام الذي ظل لاخر لحظة من غزو الكويت يذر الرماد في العيون حتى اذا انتهت الحرب هذه المرة وتزعزع معها مركز (الحكم في العراق) تحرك الكرد في كردستان كما تحرك العراقيون في الوسط والجنوب وفي كل مكان..

تغيرت المعايير مع تغير عناصر القوة والتوازن.. فعندما بدأ الاصطفاف العالمي ضد عملية الغزو ووقفت المحافل الدولية وقفة واحدة وتهاوت صورة (العراق القوي)، بدأاصطفاف آخر داخل العراق وبدأت عملية اعادة حسابات القوة والتوازن. كان الكرد اكثر المتضررين من تصرفات الفعاليات السلطوية للنظام وكان من الطبيعي ومن البداهة ان يتحركوا في الاتجاه الصحيح، اتجاه اعادة التوازن، اتجاه البحث عن الاستحقاقات.. فكانت انتفاضة الربيع عام ١٩٩١، صورة معبرة عن تطلعات شرائح عريضة من شعب عانى كل صنوف الانكار لبنود لائحة حقوق الانسان العالمية وعانى أيضا من قساوة الصمت العالمي أزاء الانتهاكات الخطيرة لبنود تلك اللائحة، لذا لاضير من عملية (مراجعة)، للذات ومراجعة للحسابات.. لم يصفق الكرد للحرب أبدا..

ولكنهم لن يستطيعوا الوقوف على الحياد إزاء النتائج الكارثية لحرب لم تكن لهم يد فيها.. نتائج مد مرة تجسدت في صور الحصار الاقتصادي والدولي والنفسي..

اصبحت الرؤية الكردية في ظل المتغيرات الطارئة اثناء وبعد حرب الخليج الثانية تتلاءم مع واقع جديد، واقع افرز عناصر جديدة في الساحة كانت حتى قبيل (عملية الغزو) مجرد حبر على الورق، ومن هذه العناصر:

١. فعالية العامل الدولي
٢. مؤثرات لوائح حقوق الانسان
٣. دور المنظمات الانسانية

وجد الكرد في هذه العناصر، متنفسا جديدا للتعبير عن المساحة التاريخية الكبيرة من المظلومية والاحباط، كما وجدوا فيها مساحة اكبر من الحرية لطرح الامال المشروعة لشرائح عريضة من المجتمع الكردي، ظلت لعقود عديدة من عمر الدولة العراقية أسيرة (القمع القسرى)، ولعقود أيضا كان صوت المصالح الدولية اكبر من صوت المنظمات والمحافل الدولية الساعية في اتجاه (البحث عن الديموقراطية) أو الحد الأدنى من مبادئ حقوق الانسان، بعبارة اخرى أهملت المسميات المشابهة لمبدأ (مونرو) (وعدم التدخل في شؤون الدول) في ظل الانتهاكات الصارخة لأبسط حقوق الانسان من قبل انظمة استباحت القيم. هكذا وجدت آمال الشعوب قنوات عديدة لتطرح نفسها كعناصر التغير ايجابى نحو مجتمعات اكثر قبولا لمبادئ:

-قبول الاخر والتعايش معه
-الانفتاح على مستجدات العصر.
-الايمان في ظل العولمة بالتنوع الاثني والثقافي

رغم كارثة (الحرب) ورغم الويلات التي أتخمت أحشاء المنطقة ورغم المآسي ورغم الذي حصل لم يكن من خيار الشعوب. فأن افرازات الوضع أجبرت القوى الدولية على اعادة النظر في الحسابات والانشغال بعملية مراجعة للذات، فسحت المجال ولو لفترة لتضيق الفجوة بين (الاغنياء) و(الفقراء) في هذا العالم.

ولكن التردد الواضح في مواقف بعض الدول الفاعلة في الساحة الدولية ووقوعها تحت تأثير بعض الانظمة المحلية المتقوقعة على نفسها والتي تجد في المستجدات الدولية خطر داهما، نقول هذا التردد قد يعيق عملية التغير كما يعيق تمتع المكونات المسحوقة في ظل تراكميات الأستبداديات المحلية والمصالح الدولية او حتى اهمالها بالمساحة الجديدة من الحريات

- التعبير
- النهوض
- التفاعل
- الابداع

وهي الحالات الرادفة لعودة الضمير العالمي والبوابة الجديدة للتعامل مع قضايا (الانتهاكات لحقوق الانسان)، مع الوضع الجديد ووضوح الرؤية عند الكرد، بدأ الكرد ومن خلال فعالياته النخبوية التي أكتسبت حق تمثيل الشعب في اعقاب أنتخابات مايس عام ١٩٩٢، نقول بدأ الكرد يساهمون في عملية بناء جديد للمجتمع الكردى وقد شجعوا ورغم قساوة الحصار والضغوطات المتنوعة خلال التسعينيات في التوصل الى:

-تفعيل القطاع الخاص وتحفيزه للمساهمة في اعادة بناء الاقتصاد الكردستاني المدمر.

-استثمار الوضع الجديد لخلق الارضية الملائمة لحياة برلمانية فيها صيغ من التعددية والديموقراطية

-توسيع مساحة الحريات العامة، الصحفية والسياسية والفكرية، تغيير المناهج الدراسية وتضمينها لوائح حقوق الانسان وحقوق الطفل والمراة والتعريف بالمنظمات الانسانية

ليس بامكان احد اليوم الدفاع عن الديكتاتوريات مهما كان نوعها، حيث لعبت تلك الانظمة البائسة اوراقها الباهته، كما لم يعد بأستطاعة أحد اليوم التقهقر الى الوراء، فعجلة الحياة في ظل(النظام العالمي الجديد) رغم ضبابيته تسير نحو الامام..

(هذه الحقيقة) بات اللاعبون في الساحة اليوم يدركونها، أما من يتنكر لعناصر المستجدات فأنه يراهن على حصان خاسر..

من هذا المنطلق اتسعت مساهمة الكرد في مجمل العملية السياسية في العراق في أعقاب سقوط النظام في ٢٠٠٣/٤/٩.. ورغم ان الكرد كغيرهم من العراقيين لم يتمنوا ولو للحظة ان تسيرالامور باتجاه (احتلال العراق)وهو مصطلح يحلو للسلفيين السياسيين تكراره،لان احتلال العراق في ظل النظام البائد كان أمر وأقسى،حيث أصبح كل العراق أرضا وشعبا ملكا خالصا لرئيس النظام كما تردد ذلك في أدبيات البعث، لذا فان اجتياح العراق من قبل قوات أجنبية تحت أي اسم كان، لم يكن لأرادة الكرد،ولا لأي عراقي اخر يد فيه، فالعناصر المتشابكة للاعداد لمسرحية (الغزو) ليست من

عمل الشعب قطعا ولم تكن من نتائج تفكير المعارضة العراقية كما يحلو للبعض ان يفكر بل كان نتيجة أخطاء قاتلة ارتكبها النظام البائد، فاذا كانت الحجة انه نظام عربي فالانظمة العربية كثيرة وان كانت الحجة انه نظام اسلامي فالانظمة الاسلامية أكثر .. ولكن ارتجاج اركان ذلك النظام الاستبدادي وسقوطه المدوي دفع الكرد للمبادرة للانخراط في العملية السياسية أيمانا منهم بأهمية (السلام) للجميع. (السلام) الذي طالما افتقده الكرد، وطالما تمنوه، السلام الذي بات حلما لكل كردي ولكل المواطنين في عموم العرآق، سلام يحقق للكرد التوازن ويمنحهم فرص العيش الكريم. ولأجل استيعاب المستجدات في الساحة العراقية ضحت القيادة الكردية بكم كبير من استقلاليتها فأنطلقت الى (بغداد) لتسهم بفعالية رغم الظروف الصعبة والأمن المتدهور في العملية (السياسية) التي تستهدف وضع الاطر والصياغات للعراق الجديد على أسس الديموقراطية والتعددية والفدرالية، وهي أسس لو ترسخت لاستظل بظلها الجميع ولتجاوز الكل مآسي الماضي وأصبح بالامكان التطلع لغد افضل.. ولكن هذه (العملية السياسية) وبهذا الحجم ظلت هي الآخرى مستهدفة من قبل:

- كل العناصر والفئات التي تضررت من سقوط النظام .

- كل الجهات والقوة الخارجية التي تعتقد في النظام السياسي الجديد في العراق تهديدا لثوابتها.

- التكتلات الارهابية التي وجدت في الساحة العراقية فرصة لتسوية الحسابات مع الامريكان.

- السلفية السياسية فى عقلية بعض التيارات الوطنية التي تجد في (العنف) سبيلا وحيدا لمقارعة (قوات الاحتلال).

وهكذا باتت ولادة العملية السياسية في العراق عسيرا الى جانب التردد الكبير من قبل الفعاليات والمؤسسات العربية التي لم تفعل شيئا غير بعض المبادرات الخجولة. وتقوقع الكثير من النخب السياسية العراقية التقليدية التى لم تتمكن حتى الان من استيعاب متغيرات الساحة الدولية ومفاهيم حقوق الانسان وهى تجتر الماضي وكأن شيئا لم يكن، ولايتردد البعض من هؤلاء في تهديد الكرد بين حين وآخر في تصور خاطئ لمعطيات الاوضاع وهم يعيشون وهم الماضي.

في ظل هذه المعطيات باتت الفعاليات السياسية الكردية أمام خيارين:

الاول- التقوقع على الذات والعمل في الداخل الكردستاني لتوفير المزيد من عناصر الدعم للاستقرار والحياة الاقتصادية المقبولة..

الثاني – خيار المساهمة الفاعلة في العملية السياسية العراقية وقد اختارت القيادة السياسية الخيار الثاني كما اسلفنا رغم صعوبة الموقف، وتشهد المواقف السياسية اليومية للقيادة الكردية على جدية الكرد في الاسهام في بناء (مجتمع جديد)، مجتمع يتخذ الاليات المناسبة للتأقلم مع البيئة الدولية ومتطلبات الانسجام في المجتمع العالمي، بعد عقود من العزلة والانعزال، الذي فرضه النظام السابق من خلال الترويج (للأصالة) ومسميات آخرى كان الهدف منها التستر على مجريات الامور

في الداخل العراقي ورغم ان القيادة السياسية للكرد كانت في فوهة الانتقادات العلنية للعديد من النخب السياسية في الداخل و الخارج، لكنها و من خلال رؤيتها الواقعية للمعطيات الجديدة، لعبت دوراً متميزاً لتمهيد الارضية المناسبة للتحولات الجارية ولتوجيه هذه التحولات الوجيهة التي تخدم:

أولاً:- ترسيخ مفاهيم حقوق الانسان في العراق.

ثانياً:- ترسيخ دعائم نظام سياسي وديموقراطي فيدرالي.

ثالثاً:- الانفتاح على العالم الخارجي و التعامل مع المتغيرات بأيجابية معاصرة.

رابعاً:- فتح صفحة جديدة من التسامح و قبول الاخر و الابتعاد عن كل سلبيات الماضي القريب.

خامساً:- طمأنة الجوار العراقي، بسلمية التوجهات و اهمية العملية السياسية في العراق.

ورغم إن هذه الاهداف ليست سهلة التحقيق في مجتمع ظل و لعقود طويلة من السنين أسير فلسفة ضيقة الافق في التربية و التعليم و محدود الرؤية في مجال الحرية السياسية و الفكرية. لأن التراكمات النفسية و الفكرية خلقت عديدا من الحواجز بين عقلية متوقعة ضمن سلفيات لم تعد ملزمة لشرائح عريضة من المجتمع و بين عقلية متفتحة على متطلبات صارت ملحة لتلك الشرائح..فالعملية السياسية في الرؤيا الكردية المعاصرة هي صراع حضاري يتخذ أدوات:

-الانتخابات

-الحوار و تبادل الافكار

-القبول بالمعطيات الجديدة

-استثمار الاعلام الحر وحرية الاعلام

و لاشك ان الادوات الحضارية هي جانب مهم من (الرؤية الواقعية)في خلق الاطر الفكرية لنظام جديد يتعايش مع افرازات (وضع كارثي) كان نتاج الفعل الديكتاتوري لنظام استبدادي قبل ان يكون لاحد ضلع فيه.

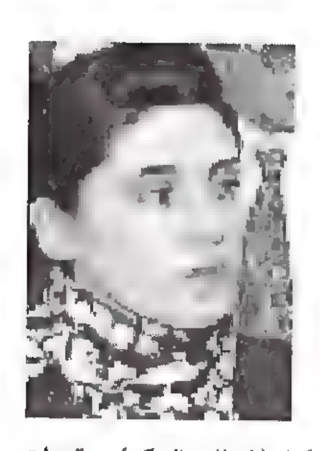
و الجانب المهم في الرؤية الكردية ينسجم مع تطلعات المنظمات الدولية و الانسانية في نبذكل مظاهر.

العنف

التطرف الفكري

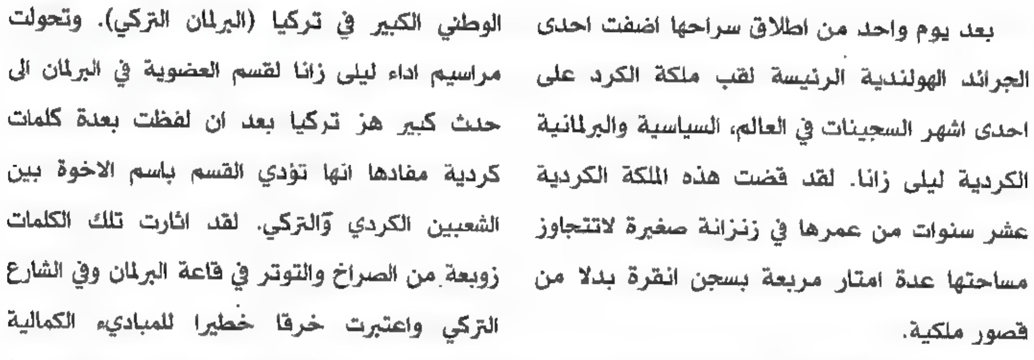
الانعزال

ذالك لأن الذين كانوا ضحايا لتلك المظاهر و عانوا الكثير من افرازات تلك الممارسات القمعية ليسوا على استعداد لقبول اي عملية تقهقرية، الكرد لن يقبلوا بعودة عجلة التطور نحو الخلف لان ذلك ليس في مصلحة احد من افراد المجتمع العراقي، فما كان مبنياً على الباطل باطل، وما افرزته الحرب العالمية الاولى من نتائج و تقسيم البلدان والاوطان لم يكن في مصلحة كثير من الشعوب، كالشعوب العربية و الكردية، لذا شهدت الفترة الماضية سلسلة طويلة من ثورات هذه الشعوب، و هي ثورات دموية خلفت الالاف و المئات من الضحايا إضافة الى مراكز حضرية مدمرة و تدمير النسيج الاجتماعي لهذه المجتمعات، من هنا نجد نحن الكرد عملية التحويل نحو نظام ديمقراطي تعددي فيدرالي عملاً مستساغا و مشروعاً مبررا.



ليلى زانا
نموذج المرأة الثورية الكردية

د. جبار قادر



بعد يوم واحد من اطلاق سراحها اضفت احدى الجرائد الهولندية الرئيسة لقب ملكة الكرد على احدى اشهر السجينات في العالم، السياسية والبرلمانية الكردية ليلى زانا. لقد قضت هذه الملكة الكردية عشر سنوات من عمرها في زنزانة صغيرة لاتتجاوز مساحتها عدة امتار مربعة بسجن انقرة بدلا من قصور ملكية.

لقد قررت محكمة تمييز انقرة اطلاق سراحها مع رفاقها خطيب دجلة، اورهان دوغان وسليم ساداك، بعد اجراء الاصلاحات القانونية التي قام بها البرلمان التركي في سياق المواءمة مع معايير كوبنهاغن التي يتوجب على البلدان التي ترغب في الانضمام الى الاتحاد الاوروبي القيام بها.

لقد فازت ليلى زانا وزملاؤها في انتخابات عام ١٩٩١ ضمن لائحة حزب الشعب الاشتراكي بعضوية المجلس الوطني الكبير في تركيا (البرلمان التركي). وتحولت مراسيم اداء ليلى زانا لقسم العضوية في البرلمان الى حدث كبير هز تركيا بعد ان لفظت بعدة كلمات كردية مفادها انها تؤدي القسم باسم الاخوة بين الشعبين الكردي والتركي. لقد اثارت تلك الكلمات زوبعة من الصراخ والتوتر في قاعة البرلمان وفي الشارع التركي واعتبرت خرقا خطيرا للمباديء الكمالية القائمة على عدم الاعتراف بغير الاتراك ولغتهم في تركيا. واثار تحدي زانا للتابوات التركية حتى ولو كان تحت يافطة الاخوة التركية- التركية، حقد القوى القومية التركية المتطرفة والمؤسسة العسكرية التي كانت تتحكم بمفاصل القرار السياسي في البلاد، وبدأت تبحث عن فرصة للايقاع بها وتلقينها الدرس المطلوب.

حتى الحزب الذي فاز ضمن لائحة الانتخابية، وهو حزب عرف بتبنية لمباديء الاشتراكية

الديمقراطية، لم يستطع مواجهة ضغوط الشارع التركي، لذلك آثرت التراجع عن موقفها والاعتذار من الامة التركية. لقد كان رد فعل ليلى وزملائها الاستقالة من الحزب وتأسيس حزب جديد باسم الحزب الديمقراطي. لم تتخل القوى القوية المتطرفة عن مخططاتها للايقاع بها وبرفاقها، فبعد ان نجحت في نزع الحصانة البرلمانية عنهم جرى القاء القبض عليها وعلى عدد منهم في حديقة المجلس في آذار من عام ١٩٩٤، بينما تمكن رفاقها الآخرون من الهرب من تركيا واللجوء الى البلدان الاوروبية ليواصلوا من هناك نضالهم ضد سياسة القهر القومي التركية.

حكمت محكمة امن الدولة في نفس العام على ليلى ورفاقها بالسجن لمدة ١٥ عاما لكل منهم بتهمة اجراء الاتصال بمنظمة غير قانونية وارهابية على حد تعبير السلطات التركية ويقصد بها حزب العمال الكردستاني.

بقيت ليلى صامدة خلال هذه السنوات العشر الماضية ورفضت كل المحاولات التي جرت لاطلاق سراحها لاسباب صحية تحت ضغط البرلمان الاوروبي ومنظمة العفو الدولية ومنظمات حقوق الانسان العالمية على الحكومة التركية. كانت ليلى تؤكد دوما بأنها وزملائها القي بهم في السجن بسبب قضية قومية عادلة ولن ترضى بالخروج من السجن دون زملاءها ولاسباب صحية رغم تدهور صحتها في سنوات السجن الطويلة. كما ان عذابات سني السجن والبعد عن الاحبة لم تدعها تنكسر وتلجأ الى السكوت والسلبية، بل بقيت نشطة تبعث بالرسائل والمذكرات التي المنظمات الدولية وتطالب بحل عادل للقضية الكردية في تركيا. والاهم من هذا وذاك انها حافظت على روحها الانسانية الشفافة والقيم النبيلة التي آمنت بها ولم تدع الحدق والثأر يعرفان الطريق الى قبلها الكبير، فقد صرحت لحظة اطلاق سراحها بان سنوات السجن لم تغير من قناعاتها بشأن المساواة والسلام والاخوة بين الناس.

قيم رئيس البرلمان الاوروبي مواقف ليلى هذه عاليا اثناء مراسيم استقبالهم لها في البرلمان ومنحها جائزة ساخاروف يوم ١٤ اكتوبر ٢٠٠٤. فقد ذكر بان ليلى زانا كانت تدرك تماما العواقب الخطيرة المترتبة على تعهداتها اثناء الحملة الانتخابية عام ١٩٩١ بالعمل من اجل السلام والتآخي بين شعوب تركيا. واضاف رئيس البرلمان الاوروبي بان ليلى لم تتراجع عن وعودها تلك رغم كل التضحيات الكبيرة التي قدمتها من سنوات عمرها وصحتها.

وكان ترحيب البرلمان الاوروبي بليلى زانا حارا وعبر رئيس البرلمان اثناء دعوته لها الى منصة البرلمان عن سروره واعضاء البرلمان للاستماع اليها بعد طول انتظار. واشار في معرض تقديمه لها الى المحاولات الكثيرة التي قام بها البرلمان الاوروبي خلال السنوات العشر الماضية من اجل اطلاق سراحها منوها بشجاعتها وصمودها خلال تلك الفترة العصيبة من حياتها ورفضها الخروج من السجن لاسباب مرضية فضلا عن مواظبتها على التعبير عن وجهات نظرها ورسائلها العديدة الى العالم الخارجي رغم العراقيل والمعوقات التي كانت توضع في طريقها. واعتبر ان نضالها الطويل ساهم الى حد كبير في تحقيق التحولات الهامة التي شهدتها تركيا خلال الفترة الاخيرة كالغاء

حالة الطوارىء في كردستان والغاء الحظر على استخدام اللغة الكردية. وكان رئيس البرلمان الاوروبي السابق اثناء منح جائزة ساخاروف لليلى زانا عام ١٩٩٥ قد ذكر بان البرلمانيين الاوروبيين يتشوقون الى ذلك اليوم الذي سيرحبون فيه بها في البرلمان الاوروبي.

تعبر مواقف ليلى زانا خلال سني نضالها السياسي عن ارتباط شديد بقضية الشعب الكردي وقضايا المرأة والشعوب المقهورة.

وهذه هي المرة الاولى في تأريخ الكرد وفي تأريخ البرلمان الاوروبي ايضا تدعى فيها شخصية سياسية كردية للحديث الى اعضائه وتسلم جائزة ساخاروف الخاصة بحرية الرأي. لقد كانت كلمة ليلى زانا في البرلمان الاوروبي خطابا عقلانيا معبرا عن نضج سياسي وبعد نظر كبيرين.

لقد ذكرت ليلى الحاضرين بالجملة الكردية التي قالتها على منصة البرلمان التركي عام ١٩٩١ وقالت بانها كانت تهدف من وراء تصرفها ذاك جلب الانظار الى حقيقة وضرورة تعايش الشعوب واللغات والثقافات مع بعضها بهارمونية في اجواء صحية بعيدة عن الكراهية والعنف وانكار الآخر. كما اشارت الى ان السنوات الطويلة التي قضتها في السجن لم تتمكن من كسر عزيمتها ولم تدع الحقد وروح الانتقام تتسرب الى قلبها لانها وعلى حد تعبيرها كانت (تدرك بانه لابد من العيش من اجل الديمقراطية وهذا ما قمت به فعلا). واعتبرت بان منح جائزة ساخاروف هو جائزة لمستقبل افضل لشعوب تركيا ولتشجيع الرأي العام الديمقراطي.

وطالبت ليلى زانا وباصرار بوضع نهاية للحرب والعنف اذ قالت: (اشعر بألم شديد عندما نفقد اعزاءنا في اي مكان من عالمنا وفي وطني قبل اي مكان آخر). كما اكدت بان التجربة المريرة تفيد بان العنف لايولد الا المزيد من العنف ولايمكن ان يساعد على حل اية معضلة. كما لايمكن للسياسات القائمة على القمع والانكار والابادة والصهر القومي الا ان تجلب معها الظلم والفقر والشقاء. واعتبرت ليلى لغة الحوار وحل القضايا عبر الحوار والتعايش السلمي بين الشعوب هي لغة العصر. واكدت ان (لغة مت واقتل يجب ان تزول من حياتنا ويجب ان تحل محلها لغة عش وادعم الآخرين يعيشون). كما اشارت في كلمتها بانها مستعدة للتضحية بالنفس من اجل الشعب والوطن وحياة حرة والديمقراطية للجميع. وطالبت تركيا بايجاد حل عادل للقضية الكردية. واكدت بان التهرب من تسمية القضايا باسمائها الحقيقية لن تفيد احدا بعد اليوم، وقالت بأن الكرد يطالبون بالحل السلمي بقضيتهم في اطار الجمهورية التركية ويلتزمون باحترام الرموز السيادية للدولة التركية. ولكنها انتقدت الحكومة التركية بانها لم تتجاوب مع الرغبة الكردية الخلصة للحوار. وطالبت بضرورة اتخاذ الخطوات التي من شأنها ازالة اسباب العنف والقتل واطلاق سراح السجناء السياسيين وعودة المنفيين الى البلاد وممارسة النشاط السياسي الديمقراطي وفتح المناطق المغلقة امام حرية الرأي والديمقراطية والتعاون المخلص بين الجميع.

من القضايا المهمة التي طالبت بها البرلمانية الكردية السابقة ضرورة وضع دستور جديد يتماشى

بنوده مع المعايير الدولية لحقوق الانسان. لقد اقرت ليلى زانا بأن الحكومة التركية قامت بخطوات عديدة ولكن التطبيق لم يتجاوز العمليات التجميلية والتوقيعية بعد. وتريد ليلى تطبيق معايير كوبنهاغن تطبيقا فعليا من قبل الدولة. كما دعت اوروبا والعالم الى الاعتراف بالحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية لاكثر من ٤٠ مليون كردي في منطقة الشرق الاوسط وادانت اية محالة للاتجار بالقضية الكردية على صعيد العلاقات الدولية.

اعتبرت ليلى عضوية تركيا في الاتحاد الاوروبي بعد حلها للقضية الكردية فرصة تلاقي القيم الديمقراطية للثقافة الغربية مع حضارة بلاد مابين النهرين وتراثها الغني. وسيؤدي تلاقح الاوروبي بضرورة بدء مفاوضات عالمية ديمقراطية جديدة. كما ذكرت البرلمانية الكردية الاتحاد الاوروبي بضرورة بدء مفاوضات العضوية مع تركيا بعد تذكيرها بمسؤولياتها على صعيد الاقضية الكردية.

واخيرا طالبت ليلى زانا انصار السلام في العالم الى اعلان الحرب على الحروب وضرورة تنظيم صفوفهم كي يتحولوا الى مقاتلين من اجل السلام. وطلبت من ابناء وبنات الشعب الكردي التعايش مع بعضهم البعض بسلام مع تبني القيم الديمقراطية والتحرر ووحدة الصف.

لقد ختمت ليلى زانا كلمتها بدعوة شعوب العالم العيش بسلام وصداقة واستعانت بمقولة مشهورة للكاتب الفرنسي الكبير فيكتور هوغو (نشترك جميعا في النظر الى نفس النجوم والسير في نفس الركب على كوكبنا هذا والعيش جميعا تحت نفس السماء).

هكذا خاطبت ملكة الكرد اعضاء البرلمان الاوروبي والراي العام في تركيا والعالم وهي لغة لم تفهمها بعد النخب السياسية والعسكرية الحاكمة في تركيا، بفعد عودتها من رحلتها القت سلطات المطار في اسطنبول القبض على زوجها السياسي الكردي المعروف مهدي زانا والذي قضى بدوره ١٦ عاما في السجون التركية فضلاً عن عشر سنوات كاملة قضاها في المنافي الاوروبية. اضطرت السلطات التركية ان تطلق سراحه في اليوم التالي لان التهم الموجهة اليه اصبحت بحكم الساقطة بعد الاصلاحات القانونية في البلاد.

وكانت عائلة ليلى زانا المكونة منها وزوجها مهدي زانا وابنهما رونايي وابنتهما روكن قد اجتمعت لاول مرة بعد عشر سنوات من الفراق في بروكسل يوم ١١ اكتوبر يوم وصول ليلى زانا وزملائها للمشاركة في مراسيم منح جائزة ساخاروف الى هذه السيدة النحيفة الانيقة والصامدة بوجه واحدة من اكثر الانظمة عنصرية في العالم.

وبعد عودتها الى تركيا باشرت مع عدد زملائها ورفاقها العلم من اجل تأسيس حركة جديدة باسم (حركة المجتمع الديمقراطي). يمكن ان تلعب هذه الحركة دورها في الحياة السياسية الكردية وفي تركيا في المستقبل فيما اذا تبنت النخب السياسية التركية بعضا من الافكار والقيم السائدة في دول الاتحاد الاوروبي الذي ترغب تركيا في الانضمام اليه منذ اربعة عقود، واذا احسنت ليلى وزملاؤها في اختبار

الاساليب والشعارات الصحيحة في النضال من اجل مستقبل افضل لابناء شعبها في تركيا.

تحولت ليلى زانا الى رمز مهم للقضية الكردية وبخاصة في تركيا. وقد يكون هذا من حسن حظ الكرد في تركيا بعد ان قضوا عقودا طويلة ظل القمع والتنكيل. فليلى كانت تمتلك الجاذبية وشيئا من الشعبية لدى المنظمات النسائية ومنظمات حقوق الانسان والاحزاب السياسية المهمة في البرلمان الاوروبي. لقد عملت هذه الاطراف خلال السنوات العشر الماضية الكثير من اجل اطلاق سراحها. كما ان طرحها لقضايا تركيا الاساسية بالطريقة التي وردت في خطابها امام البرلمان الاوروبي يكسبها احترام البرلمانيين الاوروبيين.

ترى ماهي قصة هذه الملكة الكردية وكيف بدأت رحلتها المليئة بالآلام والاحلام؟

اعتقد ان الاشارة الى المحطات الرئيسة في رحلة ليلى زانا الطويلة والمليئة بالعذاب وبقصص الصمود والقيم الانسانية النبيلة، يمكن ان تشكل معينا مهما للنساء في مجتمعاتنا الشرقية وبالاخص في المجتمع الكردي في نضالهن من اجل الحرية وكسر قيود العبودية والانظمة الابوية الجائرة.

عندما ولدت ليلى عام ١٩٦١ في قرية (باحجة) النائية بولاية دياربكر لم يكن يخطر ببال احد بان هذه الطفلة الضعيفة والانمية ستصبح يوما امرأة شهيرة وسجينة رأي تتحدث عنها منظمات عالمية ومشاهير السياسة والفكر في العالم الحر. ولم يكن بامكان سكان القرية ان يتصوروا بانها يمكن ان تصبح مصدرا للمشاكل بالنسبة للاوساط الحاكمة في تركيا.

لايخلو امر رسم صورة اي انسان لايزال يشارك بنشاط في الحياة السياسية او الثقافية او الاجتماعية من مخاطر، لاننا لا نستطيع استباق الاحداث ومعرفة مسار هذه الشخصية في القادم من الايام. من هنا فان حديثنا عنها سيتركز حصرا على تجربة ليلى زانا السابقة ومحاولاتها الحالية ولا يدخل تحليل سيناريوهات المستقبل ضمن اطار هذا المقال. يمكن ان يؤدي تشكيلها لحركة جديدة الى جمع كلمة الكرد في تركيا حول حركة وسطية ترفع شعارات مقبولة وتفرض على تركيا اللجوء الى لغة الحوار والعقل. ويمكن على العكس اي يؤدي الى تشتيت قوى الكرد فيما اذا لم تتخذ القوى السياسية الكردية من القضية القومية هدفها الاسمي وبقيت متمسكة بنظرتها الحزبية الضيقة. اذا اتخذت الامور المسار الاول فان هذه الحركة تستطيع ان تحقق بعض المكاسب المهمة وبخاصة في هذه المرحلة التي لا تدع فيها تركيا فرصة الا وتجاوبت مع مطالب الاتحاد الاوروبي.

واذا تمكنت الحركة الجديدة ان تحرز صفة تمثيل فئة واسعة من المجتمع الكردي فيتركيا فانها ستلعب دورا كبيرا في الحياة السياسية وستمكن الحركة الكردية في تركيا من الخروج من مأزقها الحالي. اما اذا لم تترفع الاحزاب السياسية الكردية عن حزازاتها الحزبية واستمرت على اوضاعها فان الحركة الجديدة لن تكون سوى رقم جديد يضاف الى دست الاحزاب القائمة ويمكن ان تصبح جزءا من المشكلة بدلا من الحل ومصدرا للخلافات وتعميق الازمة السياسية.

منذ ظهورها على مسرح الاحداث في تركيا تسببت ليلى زانا في سلسلة من المشاكل للاوساط التركية الحاكمة. فقد اصبحت رحلة ليلى زانا مصدرا ملهما للمرأة الكردية في عصرنا هذا واخذت المئات بل الآلاف من بنات جنسها يحاولن تقليدها واقتفاء أثرها والاستفادة من رصيدها على طريق بناء مجتمع كردي حر. ومكانة ليلى زانا لا تحددها فقط حقيقة كونها سياسية كردية وسجينة رأي مشهورة ومعروفة على الصعيد العالمي، يمكن ان يكون الاهم من هذا وذاك هو انها ترى ان السبب الرئيس في عذابات المرأة الكردية وتخلف المجتمع الكردي تمكن في حالة القهر والاستبداد السياسي التي تسود البلدان التي تحتل كردستان. كما ان ليلى زانا ورغم تأريخها النضالي الطويل ضد المفاهيم والقيم البالية في المجتمع الكردي تجد نفسها مشدودة الى نضال الشعب الكردي وتربط حريتها كإمرأة مقهورة بحرية مجتمعها وشعبها من نير الاضطهاد والقمع القروسطي هذا الربط العقلاني بين قضايا تحرر المرأة في المجتمع الكردي المتخلف مع الاهداف السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية للحركة التحررية الكردية اعطى ليلى زانا مكانة متميزة في المجتمع الكردي في الوقت الذي فشلت فيه بنات جنسها المنقطعات عن المجتمع الكردي والداعيات الى بعض الافكار الفيمنستية المجردة من كسب اية اوساط نسائية كردية الى جانبهن.

عاشت ليلى زانا شأنها في ذلك شأن بنات جنسها في قرى كردستان النائية محرومة من فرص التطور. يمكن ان يكون الفرق الوحيد بينها وبين الاخريات هو انها لم تكن تنصاع بسهولة لعادات ومفاهيم القرية. فقد رفضت، مثلا، غطاء الرأس رغم ان ذلك كان يعتبر امرا خطيرا في ذلك الوقت في الريف الكردي. ولكنها بعد ان كبرت واصبحت مشهورة سياسيا واجتماعيا لم تتردد في لبس غطاء الرأس لتتمكن من التقرب من نساء كردستان والاستماع الى همومهن وتطلعاتهن.

لقد زوجت ليلى في الرابعة عشر من عمرها باحد اقارب والدها والذي كان يكبرها بعشرين عاما وهو السياسي الكردي المعروف مهدي زانا. رغم انها ثارت ضد القرار الا انها اجبرت في نهاية الامر على الرضوخ لرغبات الاب ورجال العائلة. لم يكن بامكان بنات القرى بل حتى بنات جنسهن في المدن ايضا ان يتمردن على قرارات الرجال في ذلك الوقت. لقد قالت فيما بعد بصدد زواجها هذا بانها لاتحمل عائلتها او زوجها وزر هذه العادات السيئة وانما تحمل النظام الاجتماعي المسؤولة وتناضل بكل امكانياتها من اجل تغيير تلك المفاهيم والقيم البالية.

كان زوجها مهدي زانا منغمسا في النشاط النقابي والسياسي في تركيا وكان عضوا في قيادة حزب العمال التركي والذي كان اول حزب قانوني تركي يعترف بوجود الشعب الكردي في تركيا ويطالب بالكف عن قمعه واضطهاده وبضرورة منحه حقوق المواطنة. انتخب مهدي زانا عام ١٩٧٧ رئيسا لبلدية دياربكر اكبر مدن كردستان تركيا. وكانت تلك اول مرة ينتخب فيها وطني كردي لتسنم وظيفة مهمة

ضد ارادة ورغبة الاوساط الحاكمة في البلاد. لقد كان زواج مهدي من ليلى عاملا رئيسا في انغماسها فيما بعد في النشاط السياسي.

كان الانقلاب العسكري في ١٢ ايلول ١٩٨٠ سببا في تحطيم حياة ليلى ومهدي والآلاف من امثالهم في تركيا. فقد شن الانقلابيون هجمة شرسة على القوى الديمقراطية والكردية واليسارية وكان مهدي من اوائل من وقعوا في قبضة الانقلابيين. كانوا يكنون حقدا عميقا على مهدي وينتظرون اللحظة التي ينتقمون فيها منه. لقد روى مهدي تجربته المليئة بالتعذيب والاذلال في السجون التركية في كتاب صدر عام ١٩٩٥ باللغة الفرنسية وترجم الى الهولندية ١٩٧٧ تحت عنوان (الغرفة رقم ٥، احد عشر عاما في السجون التركية). لقد تحدث مهدي زانا في كتابه وبشجاعة نادرة عن قصص التعذيب والاذلال التي كانت تمارسها سلطات الامن والسجون في تركيا بحق المعتقلين الوطنيين الكرد واليساريين والديمقراطيين الترك.

من خلال كتاب مهدي وسجناء آخرين نرى في تركيا الكمالية، كما في عراق صدام حسين، اناسا لم تعد لهم اية صلة بالانسانية وقيمها، فهم اشبه بكائنات خرافية لاتعرف طعما للحياة دون ممارسة التعذيب والاذلال وسفك الدماء. لااخفيكم ان قراءة الكتاب لوحدها كانت بالنسبة لي تعذيبا روحيا كبيرا فكيف بأولئك الذين جرى بحقهم كل تلك الاعمال الشائنة.

كانت ليلى تبلغ في تلك الايام ١٩ عاما من العمر فقط مع طفل رضيع (رونايي) وحامل بابنتها (روكن) وكانت تنتقل من مدينة الى اخرى مع انتقال زوجها بين السجون. فقد تنقل مهدي بين سجون دياربكر، افيون، آيدن وآق شهر. وفي سنوات الترحال هذه اضطرت لتعلم اللغة التركية التي لم تكن تعرفها حتى ذلك الوقت. كما انها قررت ان تتعلم القراءة والكتابة. لم تلجأ ليلى الى الاهل والاقارب لمساعدتها في مواجهة الحياة القاسية قررت ان تعتمد على نفسها وتواجه مصيرها.

كانت اول امرأة تحصل على الشهادتين الابتدائية والمتوسطة من خلال الدراسة الخارجية ودون الذهاب الى المدرسة. كما انها كانت قررت ان تثقف نفسها من خلال القراءة المستمرة. ومع الزمن والقراءة المستمرة بدأت محاولاتها الاولى للكتابة الى الصحف كما بدأت تتحول شيئا فشيئا الى المتحدثة الرسمية باسم اهالي السجناء السياسيين. وكانت تشارك في نشاطات منظمة حقوق الانسان التي فتحت فرعا لها في دياربكر. نتيجة لتلك النشاطات اصبحت معروفة على صعيد الصحافة من خلال احاديثها الى الصحافة عن اوضاع السجناء السياسيين وعمليات التعذيب التي تمارس بحقهم ومعاناة ذويهم الذين كانوا يتعرضون للاهانات والاذلال اثناء ذهابهم الى مواجهة ابنائهم في السجون التركية وبخاصة سجن دياربكر الذي تحول الى رمز لقسوة النظام التركي.

كانت ليلى تشعر بالرغبة الجارفة للكتابة لكي تعبر عن نفسها، فبدأت تكتب للصحف المحلية وبعد فترة قصيرة اصبحت مديرة لمكتب جريدة (Yeni Uike) في دياربكر.

لقد حصلت ليلى في انتخابات عام ١٩٩١ على اكبر عدد من الاصوات حصل عليها مرشح الى البرلمان التركي، فقد حصلت على (٤٥) الف صوت. وكانت اول امرأة من كردستان تركيا تصل الى ذلك البرلمان. كما انها كانت اول امرأة تتحدث بالكردية من على منصة البرلمان اثارت بعملها هذا غضب العنصريين الترك حتى ان سياسيا تركيا مجربا مثل سليمان ديميريل كان يضرب مقعده كأي طفل غاضب ويصرخ ماهذا، كيف يمكن ان يتحدث احد بغير اللغة التركية في هذا المجلس؟ ونتيجة لتلك الثورة التي اثارتها تلك الكلمات طلب رئيس حزب الشعب الاشتراكي اردال اينونو من ليلى التراجع عن موقفها ولكنها رفضت وقررت مع خطيب دجلة الانسحاب من ذلك الحزب وتشكيل حزب جديد باسم الحزب الديمقراطي. كما انسحب بعد ذلك ١٤ نائبا آخر من حزب اينونو وانضموا الى الحزب الديمقراطي.

لقد وضعت منظومة الدولة السرية ودوائرها المختلفة الكثير من العراقيل امام هؤلاء البرلمانيين وكانوا بدورهم شبابا وطنيين لكن تجربتهم كانت قليلة. في بداية آذار ١٩٩٤ جرى رفع الحصانة عن ليلى ورفاقها ومن ثم جرى القاء القبض على بعضهم وهرب الآخرون الى اوروبا وبذلك انتهت تجربة البرلمانية الوطنية الكردية مع البرلمان التركي. كان الرئيس التركي آنذاك تورغوت اوزال يبحث عن حل للقضية الكردية لانه ادرك ببراغماتيته بانه وبدون وضع نهاية تلك القضية المتأزمة لن تتمكن تركيا من تحقيق اي تطور على الصعد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، الا ان القوى اليمينية المتطرفة والجنرالات قضت على تلك الفرصة ومات اوزال في ظروف غامضة، دخلت تركيا بعده مرحلة مليئة بالصراعات والتوتر والفساد الاداري لاتزال تدفع ثمنها.

حصلت ليلى زانا على الكثير من الجوائز مثل جائزة مؤسسة رافتو للسلام النرويجية ١٩٩٤، جائزة ساخاروف لحرية التعبير للبرلمان الاوروبي ١٩٩٥، جائزة فالدروست لحقوق الانسان الايطالية ١٩٩٦، جائزة آخن لحقوق الانسان الالمانية ١٩٩٦ وفي عام ١٩٩٨ اعتبرت مواطنة شرف لمدينة روما. كما كان اسمها بين الاسماء المرشحة لجائزة نوبل للسلام لمرتين خلال عامي ١٩٩٥ و ١٩٩٨. رشحت ليلى من قبل مجموعة من اعضاء البرلمان النرويجي والاوروبي والكونغرس الامريكي لنيل تلك الجائزة. الا انها لم تمنح هذه الجائزة لحد الآن ربما لاسباب سياسية ومصالح دولية في غير صالح ليلى.

وعلى صعيد آخر وبعد ان ادرك محامو ليلى زانا ورفاقها بانه لايمكن احقاق الحق من خلال المنظومة القضائية التركية، لجأوا الى محكمة حقوق الانسان الاوروبية في عام ١٩٩٥. واصدرت هذه المحكمة بعد سنين من التحقيق حكمها في ١٧ تموز ٢٠٠١ القاضي بان ليلى ورفاقها لم يحاكموا بصورة عادلة لذلك وجبت اعادة محاكمتهم كما غرمت تركيا بمبلغ اربعين الف دولار.

حاولت الحكومة التركية رفض قرار المحكمة الاوروبية ولكنها اضطرت في اطار محاولاتها للحصول على موعد لبدء مفاوضات العضوية للقبول بها. كانت نتيجة المحاكمة مخيبة للآمال اذ قررت محكمة

امن الدولة في انقرة اعادة تأكيد قرار المحكمة السابقة اي السجن لمدة ١٥ عاما. واعتبر القرار ضربة قوية لجهود حكومة حزب العدالة والتنمية حول تطبيق معايير كوبنهاغن. وكان رد فعل لبرلمان الاوروبي والكثير من منظمات حقوق الانسان الدولية غاضبا وقويا ضد قرار المحكمة التركية. وكادت هذه القضية ان تؤدي بمحاولات تركيا للحصول على توصية ايجابية من مفوضية الاتحاد الاوروبي. حاول السلطات التركية ان تتدارك الامور وتنقذ العملية، فلجأت الى محاولة لاطلاق سراح ليلى زانا لاسباب صحية، الا انها رفضت الامر واكدت بانها لن تخرج دون رفاقها ودون دراسة القضية امام المحاكم ووفق الاصول القانونية والاعتراف بالقضية التي اعتقلت من اجلها. وكان موعد اطلاق سراحها هي وخطيب دجلة هو في حزيران ٢٠٠٥ بينما كان من المفروض ان يطلق سراح زميلهما الثالث سليم ساداك في اكتوبر من العام نفسه. اي انهم قضوا الجزء الاكبر من مدة محكوميتهم في السجن.

حاول اردوغان الخروج من هذا المأزق دون اثارة الجنرالات فقام البرلمان التركي على عجل بمجموعة من التغييرات القانونية من بينها الغاء محاكم امن الدولة وتغيير مجموعة من المواد التي كانت تحد من حرية التعبير وغيرها. وبذلك اصبحت الآفاق مفتوحة امام اطلاق سراح ليلى زانا ورفاقها من السجن في حزيران ٢٠٠٤.

اظهرت قضية ليلى زانا حقيقة انه لازال امام تركيا طريق طويل مليء بالصعوبات عليها قطعها قبل ان تصبح جزءا من الاتحاد الاوروبي. كما تظهر في المقابل انه كلما اقتربت تركيا من المعايير الاوروبية كلما ابتعدت عن تراثها القمعي التسلطي.

ولعل من بين مشاكل تركيا الرئيسة تأتي مشكلة الدستور التركي الذي جرى تبنيه في ظل حكم الانقلابيين عام ١٩٨٢. لايمكن لتركيا ان تقترب من المعايير الاوروبية دون سن دستور ديمقراطي جديد يحل محل هذا الدستور الذي يصفه البعض بانه اقرب الى النظام الداخلي لثكنة عسكرية منه الى دستور لدولة ترغب في بناء نظام حر وديموقراطي وتتطلع الى الانضمام الى الاتحاد الاوروبي. الغريب ان ٦٨ مادة من مواد هذا الدستور البالغ عددها ١٦٧ مادة اجريت عليها التعديلات، كما قام البرلمان التركي باجراء تسع اصلاحات قانونية مع اجراء تعديلين كبيرين على الدستور. مع ذلك كله لم يفقد هذا الدستور جوهرة اللاديموقراطي. حازت تركيا اخيرا على تحديد بدء موعد المفاوضات. وسوف تستمر المفاوضات ١٥ وفق التوقعات قبل ان يتقرر شيء بخصوص عضوية تركيا. ستكون المفاوضات صعبة ومعقدة ويمكن تعطيلها في اية لحظة يشعر فيها الاتحاد الاوروبي بان تركيا لاتتجاوب بصورة كاملة مع متطلبات العضوية.

كما ان نتيجة المفاوضات غير معروفة مسبقا، اي ان بدء المفاوضات لايعني بانها ستنتهي حتما بقبول تركيا. وبدأت الدول الاوروبية المختلفة تطرح في الآونة الاخيرة شروطا جديدة على تركيا القبول بها قبل ان يتقرر شيء بشأن موعد بدء المفاوضات. يبدو ان هذه الدول تتعامل من منطلق عدم الثقة

بالنيات التركية في مجال الاصلاحات وتطبيقاتها على الارض.

من الغريب ان تركيا التي تقوم بالتغييرات القانونية تضع بنفسها العراقيل امام تطبيقها. لعل ما يتعلق بالقضية الكردية يمثل نموذجا واضحا لهذا الكلام. فقد رفعت تركيا الحظر على استخدام اللغة الكردية الا انها لم تقرر تدريسها في المدارس والجامعات الرسمية. كما انها تضع العراقيل حتى امام فتح دورات لتعلمها. فقد منعت السلطات فتح دورة للغة الكردية في مدينة باطان بحجة ان عرض ابواب صفوف الدرس كانت ٨٥ سم بدلا من ٩٠ سم. ففي تركيا التي يقال عنها بانه يمكن (ادخال البعير من ثقب الابرة عن الواساطات والرشاوي)، اصبح ضيق عرض ابواب صفوف الدرس ولو بخمسة سنتيمترات امرا لايمكن التساهل بشأنه. كما ان الحديث الكثير بشأن البث الاذاعي والتلفزيوني باللغة الكردية دليل واضح على عدم جدية الحكومة في هذا المجال. فبوجود ست قنوات فضائية كردية وعشرات القنوات المحلية والاذاعات الكردية، تريد تركيا ان توهم الناس بان بث تلفزيوني حكومي باللغة الكردية لمدة نصف ساعة يوميا يشكل تنازلا كبيرا من لدنها لمواطنيها الكرد. كما ان مشكلة الحروف الكردية والاسماء الكردية تشكل قصة اخرى مسلسل محاولات تركيا في الضحك على ذقون الدول الاوروبية.

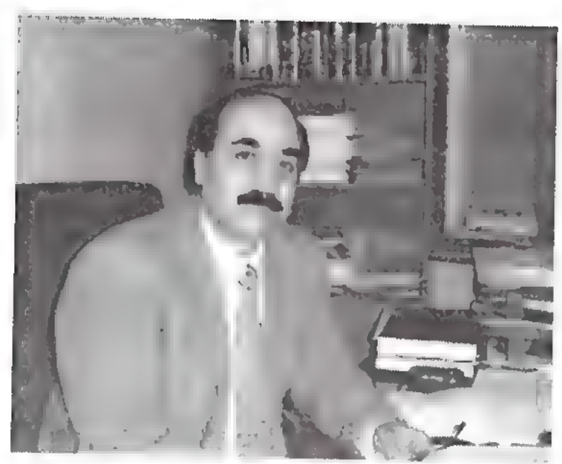
من اصدارات الكتب العربية في دار سردم





مفهوم الرمز وجذوره في اللون الاحمر للعمامة البارزانية

فريد اسسرد



من بين كل القبائل، يعتمر البارزنيون وحدهم عمامة حمراء. يحمل اللون الاحمر مدلولات تتصل بجذور العقائد البارزانية. وقد ظلت هناك فكرة خاطئة، لم تثبت صحتها على الاطلاق، تربط بين شعار الاحمر كشعار للبارزانيين وبين الشيوعية. بيد ان هذا الربط لا اساس له من الصحة على الاطلاق. حتى بين البارزانيين، وعلى وجه الخصوص الشبان منهم، ثمة من يرى ان اختيار العمامة الحمراء يرتبط بمرحلة عودة البارزانيين من المنفى في روسيا في عام ١٩٥٨. على ان هذه الفكرة تطرح عن جهل اكثر مما تطرح كتأييد لتأثير الشيوعية في البارزانيين، وهي لا تستند الى مرتكزات قوية لان البارزانيين اتخذوا العمامة الحمراء شعاراً لهم قبل لجوئهم الى روسيا في عام ١٩٤٧. عليه، فأن خلط الربط بين شعار البارزانيين وشعار الشيوعية لا يحتاج الى ادلة.

ان اول اشارة واضحة الى العمائم الحمراء وردت في عام ١٩٠٩ في قصيدة تمجد معركة قادها الشيخ

عبدالسلام الثاني البارزاني ضد اقطاعيي قبيلة زيبار[1]. مهما يكن، فإن الشعار الاحمر يرتبط في العقائد البارزانية بعقيدة ثورية وبظروف محددة. في عام ١٨٩٥ واجهت مشيخة بارزان اكبر تحالف ضدها تألف من الارستقراطية الاقطاعية لقبيلة زيبار القوية ومشيخة بجيل السورجية ومشيخة نهري بزعامة محمد صديق نهري وبرادوست التي شكلت فيما بعد مشيخة لولان البرادوستية وعدة قبائل اخرى[2]. وقد مارس المتحالفون ضغطاً شديدا على بارزان وتمكنوا لاحقا، بعد سلسلة من المناوشات، من احتلال بارزان نفسها.

كانت المشكلة الكبرى بالنسبة لبارزان انها نشأت في محيط معاد وقد واجهت المشيخة خصما قويا تمثل في الارستقراطية الاقطاعية التي كان يقودها اقطاعيو قبيلة زيبار الاقوياء. لكن استمرار بارزان بالتعلق بالقيم منحها قوة اضافية وجعلها تكسب اغلب المضطهدين من الفلاحين المعدمين الى جانبها. وجعلها ذلك مرهوبة الجانب.

ان انهاء عهد الستر، اي انهاء التقية، بدأ بشكل واضح في عهد الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالسلام الاول. كان الشيخ محمد قد حقق للمشيخة احتراما كبيرا عن طريق القوة. وقد مر اتباعه في عهده بمرحلة انتقالية من التقية، اذ ساءه ان يرى اتباعه يوزعون اخلاصهم بين التكية البارزانية والارستقراطية الزيبارية، واقنعهم انه لا يستوي ان يكون ولاؤهم للتكية مساويا لولائهم لزيبار. وعن طريق المطالبة بأنهاء الخضوع لاقطاعيي زيبار، جعل الشيخ محمد تكية بارزان المركز الوحيد الذي يأخذ منه اتباعه قيمهم الروحية. وكان ذلك في الحقيقة بداية انهاء عهد الستر. ومن هنا يبدأ عصر المكاشفة الذي تصبح فيه بارزان مركزاً وحيداً للقيم.

واصل الشيخ عبدالسلام الثاني رسالة الشيوخ الذين بدأوا الصراع مع ارستقراطيي زيبار. ومن حسن حظه ان جبهة اعدائه سرعان ما اصابها الانشقاق. فبسبب الصراعات الداخلية بين البيوتات الارستقراطية المتنافسة في قبيلة زيبار، مال بعضها الى الشيخ عبدالسلام للتخلص من مشاكل كبرى. وبدت تلك فرصة للقضاء على نفوذ الارستقراطية. وللوصول الى الغاية التي رسمها لنفسه، اباح الشيخ عبدالسلام تحالفه مع جزء من اقطاعيي زيبار ضد الجزء الاكثر شراسة والاكثر نفوذا ومكنه ذلك من تحقيق فوز واضح.

هنا نجد ظروفا ملائمة لخوض كفاح ثوري. فالصراع الطبقي، الذي اساسه هنا اقتصادي، بين الفلاحين المعدمين وبين الارستقراطيين الاقطاعيين مالكي الارض والثروة والسلطة بلغ اوجه. وعزز كفاح الفلاحين العقائد التي كانت تنبثق من بارزان والتي روجت لما معناه انه ليس من حق الاقوياء والاثرياء اضطهاد الفقراء وان من حق المضطهدين الذين تتم سرقة جهدهم ان يثوروا في وجه مضطهديهم. اثارت بارزان منذ عهد الشيخ محمد حركات فلاحية منادية بالانصاف. وبلغت تلك الحركات الفلاحية في عهد عبدالسلام الثاني قمة تنظيمها وقوتها ووقعت صدامات دموية عنيفة بين الفلاحين واقطاعييهم

في قبائل شيروان ومزوري. وثمة اشارات الى حدوث فظائع ارتكبت ضد الاقطاعيين. وتشير حدة تلك الفظائع الى حدة ميل الفلاحين الى استخدام العنف ضد مضطهديهم.

اعطت فلسفة بارزان في حرية الفلاحين المضطهدين دافعا الى التحرك. وفي الوقت الذي اتسمت فيه انتفاضات الفلاحين بسمة تقدمية اجمالا، فإنها ارتبطت في نفس الوقت بميل شديد الى استخدام العنف لانهاء الصراع، وهو ميل اثار غضب الشيخ عبدالسلام[٣] الذي يبدو انه لم يتوقع، رغم تأييده لاستخدام العنف، هذا الميل المتطرف لاستخدام العنف ضد الاقطاعيين من جانب الفلاحين المنتفضين.

ان الميزة الاساسية لحركات الفلاحين تلك هي انها لم تكن تحت قيادة برجوازية، كما هو الشائع في الثورات الديمقراطية، ويعني ذلك بطبيعة الحال ان عدم وجود قيادة مدينية للحركات الثورية الفلاحية حصر الصراع الاساسي على موضوع الاستيلاء على الارض ولم يساهم بشكل ملحوظ في تحويل الانتاج الزراعي الى انتاج بضاعي، اي انه لم يتحول الى انتاج من اجل السوق.

مهما يكن، فإن انعدام وجود قيادة مدينية للحركات الفلاحية لا ينزع عنها صفة الثورية. انتهت الحركات الفلاحية، المدعومة من مشيخة بارزان، ضد ارستقراطيي زيبار بانتصار حاسم على الاقطاعيين. وبتلك الانتصارات اقامت مشيخة بارزان امنها على اساس ضمان اخلاص الفلاحين المتحررين من السلطة الاقطاعية.

كرس الشيخ عبدالسلام مشروعه بمظاهر خارجية. ففي وقت كان فيه اتباعه يزدادون ويحوز فيه على دعم اكبر من الفقراء، اتخذ غطاء الرأس الاحمر شعارا لاتباعه. يرتبط اختيار هذا الرمز بوضع لم تعد فيه مشيخة بارزان مجبرة على اخفاء عقائدها ويعني ذلك انهاء عهد الستر والدخول بوضوح في عهد العلن دون خشية من اية اضطهادات.

يقابل الرمز الاحمر في العقائد البارزانية عادة الختان عند المؤمنين، وبالتحديد عند اليهود والمسيحيين الاوائل والمسلمين. ان الغاية الرئيسة من الختان في الاديان الثلاثة هي التمييز بين المؤمنين وغير المؤمنين مع ملاحظة ان هذه العادة تكتسب في اليهودية بعدا اكبر من مجرد التمييز بين المؤمنين وغير المؤمنين. في اليهودية يرتبط الختان بعهد بين الله (الاله يهوه في العقائد اليهودية) واتباعه من المؤمنين اليهود. تعبر عن ذلك الاية ٤٥ من سفر التكوين بطرحها قول الله مخاطبا النبي ابراهيم (هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك: يختن كل ذكر منكم. فتختنون القلفة من ابدانكم ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم))[٤]. وقد استمر المسيحيون الاوائل على هذه العادة باعتبارها علامة عهد بين الله والمؤمنين المسيحيين حتى ابطلها بولص ضمن تعديلاته على الطقوس المسيحية. وانتقلت العادة من اليهودية الى الاسلام. ورغم ان المسلمين لم يعبأوا كثيرا بكونها علامة عهد بينهم وبين الله مثلما هي الحال في اليهودية، الا انها

باعتبارها علامة تمييز بين المسلم وغير المسلم من وثني العرب لم تفقد مضمونها.

وكما وجد اليهود والمسيحيون الاوائل والمسلمون مناسبا ان تكون لهم تدابير من قبيل عادة الختان للتمييز بينهم وبين غيرهم من غير المؤمنين، وجد الشيخ عبدالسلام ان يتخذ تدابير مناسبة للتمييز بين اتباعه المؤمنين بالعقائد البارزانية وبين غيرهم من غير المؤمنين بتلك العقائد.

مهما يكن من امر، فأن نتائج الختان كأنعكاس لعهد بين الله واليهود في اليهودية والمسيحية الاولى وكعادة مقتبسة من اليهودية للتمييز بين المسلمين وغيرهم في الاسلام، لم تتوقف عند الحدود التي توختها كل عقيدة دينية، بل سارت ابعد من ذلك لاحقا وصارت رمزا وشرطا للطهارة. يعني ذلك ان الرجل المختون اصبح من الناحية الدينية طاهرا، اما غير المختون فصار نجسا. وحسب التوراة فأن الرجل غير المختون نجس ويطلق اسم الاغلف على غير اليهودي وهي تتضمن معنى الرجل غير الطاهر الذي لا يحمل علامة الانتماء الى شعب الله المختار[5]. ويسري نفس الشيء على الاسلام الذي جعل الختان شرطا ظاهريا للتحول الى الاسلام ورمزا للطهارة. ومثلما يكون الرجل الاغلف في اليهودية نجسا، فهو كذلك في الاسلام.

يؤدي رمز الاحمر في العقائد البارزانية نفس المهمة التي يؤديها الختان في اليهودية والاسلام، فهو بالاساس رمز للتمييز بين المؤمنين وغير المؤمنين. وبالتأكيد فأن التمييز الذي يؤديه الختان للتفريق بين جماعتين غير منسجمتين، هو اكثر حدة من التمييز الذي يؤديه رمز الاحمر في العقائد البارزانية للتفريق بين البارزانيين وغير البارزانيين لأن التفريق في اليهودية والمسيحية الاولى والاسلام هو بين مؤمنين في اطار الدين وغير مؤمنين من خارج الاطار الديني، اما التمييز الذي يؤديه رمز الاحمر في العقائد البارزانية فهو بين مؤمنين بالعقائد البارزانية وغير مؤمنين داخل اطار الدين الواحد.

ومثلما افضى الختان في اليهودية والمسيحية الاولى والاسلام الى نتائج ذات طابع اجتماعي وسايكولوجي، فأن اختيار رمز الاحمر في العقائد البارزانية ادى الى نفس النتائج. في كلا المثالين، ادت اداة التمييز بين الجماعة الدينية الواحدة وبين غيرهم الى احساس بالافضلية والتعالي والانتماء الى جماعة راقية ونقية.

بررت التوراة حاجتها الى التمييز بين اليهود وغيرهم من الشعوب بوجود امر رباني يقضي بفرض الختان على اليهود واعتبار ذلك علامة عهد بين الرب وبينهم باعتبار ان اليهود احتكروا العلاقة مع الرب وان الرب يعتبرهم رعاياه الوحيدين. وقدمت المسيحية الاولى نفس التبرير. ورغم ان الاسلام لم يقدم تبريرا واضحا فأن الالتزام بالختان يتضمن التزاما ضمنيا بالمبررات الواردة في التوراة حول الموضوع. اما في العقائد البارزانية فلا تبرير لاتخاذ الاحمر رمزا للتمييز بين البارزانيين وغيرهم. لم تعط المشيخة تفسيرا لضرورة التمييز بين اتباعها وغيرهم لكنها رأت ضرورة ذلك التمييز بدون ادنى شك. والامر المؤكد هنا هو ان اختيار

رمز الاحمر له جذوره التاريخية التي ترتبط حتما بالعقائد التي يؤمن بها البارزانيون.

ان الامعان في تاريخ النصف الاول من القرن الهجري الاول يوضح ان الاحمر لا يرمز الى شيء محدد مرتبط بالعقيدة. لكنه في عدة امثلة واقعية يرتبط بالحرب وبخمسة من الشخصيات الاسلامية: سماك بن خراشة المعروف بأبي دجانة الانصاري من بني ساعدة وخالد بن الوليد والفضل بن ابي سفيان وزياد بن ابي سفيان بن الحرث وعمهما حمزة.

لا يرتبط ابو دجانة بأية رؤية فكرية ولا يستدل من سيرة حياته الا كونه واحدا من المحاربين الاشداء ضد الوثنية ومن المؤمنين ايمانا لا يتزعزع بالاسلام. وهو مدين للنبي محمد بذكر اسمه في سجل الابطال اذ حاز على مباركته من بين ابطال اكفاء وحصل على سيف من النبي شخصياً وعد ان لا يضرب به مسلماً وان يضرب به الوثنيين حتى ينحني. ولم يكن حصول ابو دجانة على سيف من النبي مكسبا هينا وتعني مكافأته بالسيف انه كان يستحق ذلك التكريم وان النبي توسم فيه القدرة على رفع رأس الاسلام لأنه تجسدت فيه صفة كان الاسلام بأمس الحاجة اليها: العقيدة الراسخة والاصرار على مناهضة الوثنية حتى تدميرها بالكامل. والتغلب على سيرة ابي دجانة ايمانه بالقوة لترسيخ البنيات الايديولوجية للاسلام. وتذكر المصادر التي تؤرخ لسيرة النبي محمد ان ابا دجانة كان يتعصب بعصابة حمراء عندما كان يعزم على الحرب[٦].

في الامثلة الاخرى يبتعد اللون الاحمر عن الاشارة الى الكفاح ضد الوثنية ويرتبط اكثر برؤية عسكرية ترمي الى ضمان التوسع الاسلامي. هنا تقترن الامثلة بالحرب بين المسلمين والبيزنطيين في سوريا الجنوبية، وهي الحرب التي عدها المسلمون مقدسة لانها تساهم في نشر دينهم خارج الصحراء. لا تعطي المصادر انطباعا بان المسلمين استخدموا اللون الاحمر كرمز عام لتجسيد كفاحهم ضد البيزنطيين لكنه برز بشكل فردي كرمز غير محدد المعالم. ان رواية الواقدي التي تشير الى ان خالد بن الوليد حمل بعصابة حمراء على الجنود البيزنطيين لا تقرن العصابة الحمراء بأية مدلولات خاصة[٧]. وخالد بن الوليد واحد من المع القادة العسكريين المسلمين وقد دفعت حنكته العسكرية النبي محمد الى تسميته بسيف الله المسلول. بيد ان استخدام العصابة الحمراء ربما يكون عادة شائعة في الحروب في تلك الفترة لأسباب لا نجد انفسنا مطلعين على تفاصيلها بدقة ويدعم ذلك ان الواقدي يذكر ثلاثة قادة عسكرين اخرين وهم كل من الفضل بن ابي سفيان وزياد بن ابي سفيان بن الحرث وعمهما حمزة كانوا يعصبون رؤوسهم بعصابة حمراء خلال الحرب ضد البيزنطيين[٨].

عند الشيعة يتداخل اللونان الاسود والاحمر ليكتسب كل منهما قيمة الرمز الادبية. يتضمن الاسود اشارة الى مأساة الائمة الثلاثة الاساسيين الاوائل والى تجربة مؤلمة مليئة بالاضطهاد والمطاردة والتصفيات. ورغم ان العباسيين سبقوا الشيعة في اتخاذ الاسود شعارا لهم، الا ان ذلك لا يتضمن نفس المعاني التي يتضمنها شعار السواد الشيعي. ومن المرجح ان الاسود صار دلالة على الشيعة في وقت

متأخر، قد يكون بعد اختفاء العباسيين من المسرح السياسي او على الاقل بعد تضعضع نفوذهم السياسي. ومهما يكن من امر، فأن الشيعة نظرا لتكرار تجاربهم المريرة، نظروا بسوداوية شديدة الى التاريخ ولم يلتزموا الا في عصور متأخرة بمنح اتباعهم املا في مستقبل اكثر اشراقا.

وعلى العكس من الاسود الذي يعبر عن سوداوية مقيتة، يتضمن الاحمر محتوى ميثولوجيا مفعما بالامل في ايجاد عالم اكثر مساواة واكثر عدلا، كما انه فوق هذا يتضمن قيمة لا حدود لها لروح الاصرار على الوصول الى الاهداف المحددة. ورغم ان كلا الشعارين يعبران عن الاحساس الا ان الفرق يكمن في تعبير كل منهما عن احساس مختلف اذ تطغى على الاول السوداوية وعلى الثاني تفاؤلية مشوبة بالاصرار والحيوية.

لا تعير الميثولوجيا الشيعية، التي تكمن مهمتها في دفع الاتباع الى الايمان بحتمية النصر النهائي مهما طال الزمن، اية اهمية للشعار الحقيقي والاساسي للشيعة وهو السواد. ان اهتمامها يتركز بشكل خاص على اللون الاحمر. وفي مناسبتين على الاقل يتضمن الاحمر في الميثولوجيا الشيعية معنى الكفاح ضد الذين تسببوا بمواقفهم في اثارة الشكوك في صحة اسلامهم.

هكذا، فأنه في معركة صفين وهي المعركة التي جرت في عام ٦٥٧ بين جيش علي الامام الشيعي الاول وجيش معاوية بن ابي سفيان زعيم الارستقراطية المكية قرب الشاطيء الايمن لنهر الفرات، اضفت الميثولوجيا الشيعية قيمة رمزية للعصابة الحمراء اللون التي تعصب بها اتباع الامام علي. ان جوهر الفكرة في العصابة الحمراء يكمن في ان الذين تعصبوا بها مثلوا اعلى درجات السمو الاخلاقي والنقاء العقائدي وان منافسيهم في جيش معاوية لم يكن فقط فهمهم السطحي وسعيهم وراء المكاسب المادية وحبهم للمال والسلطة هو الذي حط من قدرهم، انما اضافة الى ذلك فأن وقوفهم كأعداء للامام علي وعدم الاعتراف بشرعية سلطته جردهم من كل القيم والشروط الواجب توفرها في المسلم.

وعزز قوة هذه الفكرة في الميثولوجيا الشيعية ان صفين لم تنته بمنتصر ومهزوم وان النتيجة التي آلت اليها الاحداث لاحقا اسفرت عن هزيمة المباديء السامية امام جبروت الشر.

ان هذا التصور بكل تداعياته وتفاصيله ونتائجه تكرر بعد اقل من ربع قرن في معركة كربلاء. وكما ان معركة كربلاء صارت من الناحية العملية امتدادا لمعركة صفين وكما ان طرفي النزاع اورثا احقادهما لابنائهم، حرصت الميثولوجيا الشيعية على جعل كل القيم والاشارات في معركة صفين تنتقل الى معركة كربلاء. في عام ٦٨٠ وجد الحسين، الامام الشيعي الثالث وممثل النقاء العقائدي بعد ابيه الامام علي، ان ارثه الاسري يحثه على القيام بنشاط سياسي يعيد لأسرته حقها في انتزاع السلطة من يزيد الخليفة الاموي الثاني. ودفعته التقارير التي وصلت اليه من الكوفة الى جمع اتباعه والتوجه الى العراق لقيادة تمرد مسلح ضد الدولة، لكنه عندما وصل الى هناك ادرك انه لم يعد بأمكانه التباهي بأخلاص اتباعه العراقيين. وفي

سهل كربلاء واجه جيش عبيد الله بن زياد، والي الامويين على الكوفة، ورغم ادراكه ان ميزان القوى ليس لصالحه فأنه لاسباب تتعلق بقيمه القبلية وعقيدته الثورية، آثر المواجهة على الانسحاب. وانتهت المعركة الى كارثة وابيدت قوات الحسين عن بكرة ابيها.

وكما في صفين كذلك في كربلاء اضفت الميثولوجيا الشيعية بعداً رمزيا على العصابة الحمراء. هنا، تعصب الحسين واتباعه بعصابة حمراء وواجهوا بشجاعة نادرة نفس قوة الشر التي واجهها الامام علي قبل حوالي ربع قرن في صفين. ان المواجهة هنا، كما في صفين، مواجهة بين طرفين يلتزم احدهما بالحق والنقاء العقائدي بينما يلتزم الاخر بتمثيل عالم الشرور المادية. وبلغت الميثولوجيا الشيعية في سرد تفاصيل مقتل الحسين قمتها خلال العهد البويهي عندما تحولت ذكرى الفاجعة الى مراسيم وطقوس خاصة[9] ساهمت بتذكير الاجيال الشيعية بأن مهمتها في الحياة تتركز في الاقتصاص من قتلة الحسين مهما كان الثمن.

في المراحل اللاحقة طورت الميثولوجيا الشيعية مفاهيمها وبعد ان استقر التشيع بفرعيه الاثني العشري والاسماعيلي على تبني نظرية الامام المهدي، اقامت الميثولوجيا الشيعية بنيتها على اساس ايجاد علاقة متينة بين التاريخ المأساوي للشيعة وبين ظهور المهدي في وقت غير معلوم ليعيد للعالم طهارته المفقودة. وفي تلك الميثولوجيا يحقق المهدي للشيعة ما عجزوا عن تحقيقه في الماضي. والدور الذي يلعبه المهدي هو دور المنتقم. ويبدو ذلك واضحا في طروحات النجفي الذي يجعل المهدي يدخل الكوفة ويهدم مساجدها الاربعة[10]. وخلال سردها لظهور المهدي، تعيد الميثولوجيا الشيعية استخدام نفس الرموز والاشارات التي استخدمتها في معركتي صفين وكربلاء. وبموجب ذلك يصبح هناك عامل مشترك بين علي، الامام الشيعي الاول، وبين الحسين، الامام الشيعي الثالث، وبين المهدي، الامام الشيعي الثاني عشر في عقائد الشيعة الاثني عشرية. ويتمثل ذلك العامل المشترك في العصابة الحمراء. وبطريقة لا تخلو من دراماتيكية يسرد النجفي عن الباقر، الامام الشيعي الخامس، ان المهدي سيظهر في خراسان يقود اثني عشر الف فارس معتمرا عصابة حمراء[11].

هنا نجد ان رمز العصابة الحمراء يختلف من فترة لاخرى. لقد حفلت الحقبة التي سبقت معركة صفين بالفوضى وعدم وجود اجماع على شرعية الامام علي. وترمز العصابات الحمراء في صفين الى الطرف الذي يمثل الطهارة الثورية والنقاء الايديولوجي. ومهما كان الرمز هنا مشبعا بالصوفية فأنه يتضمن كذلك استناده الى قدر معين من القوة التي تتطلبها عملية ادارة الصراع. اما في كربلاء، فأن العصابة الحمراء وان كانت ترمز الى الجانب الذي يمثل الطهارة الثورية الا انها تبدو رمزاً لقتال يائس اكثر من كونه رمزاً للاقدام الثوري. لكن هذا الرمز ككل الرموز التي تتحول الى رموز مقدسة بعد موت اصحابها، صار في الميثولوجيا الشيعية اشارة الى الاصرار على العقيدة وعدم الاستسلام، وبذلك حولت الميثولوجيا هزيمة الحسين الى نصر اسطوري

لأن الحسين الذي قتل في المعركة تحول الى بطل خالد عبر العصور ورمز مجرد للثورية والطهارة. هنا تتحول الهزيمة الى نصر والمقتول الى مقاوم للفناء. اما عند النجفي، فأن العصابة الحمراء تكتسب اهمية اخروية لأنها ترتبط بالمرحلة الاخيرة من استمرار العالم المادي، وهو يحدثنا عن ((كنز)) في قرية طالقان وعن ظهور المهدي وهو متعصب عصابة حمراء. وهذا الظهور الفجائي للمهدي يرمز الى المرحلة التي ينتصر فيها الحق على الباطل لأن المهدي هاديه اعادة الطهارة الى عالم فقد تلك الطهارة منذ زمن طويل ومعاقبة الاناس الذين تسببوا في نشر الظلم وقيادة اتباعه الى حيث يليق بهم.

لكن الميثولوجيا الشيعية تضطر بعد النجفي الى استعارة تعابيره للاشارة الى اشخاص سيظهرون بعد ذلك بقرون ليخدموا القضية الاساسية للشيعة. هكذا نجد ان نوعا من تبادل الادوار يظهر وانه في ((روضات الجنان)) ينقل خوانسارى نبوءة عن الامام علي لا تختلف في مضمونها عن النبوءة التي ينقلها النجفي عن الام م الباقر. ويكمن الفرق في ان الشاه اسماعيل الصفوي يحل محل المهدي ويصبح ((الكنز)) لا في طالقان بل في اردبيل وان الشاه اسماعيل يدخل تبريز وعلى راسه عصابة حمراء[١٢]. ان مقارنة بنيات العقائد البارزانية مع بنيات العقائد الواردة في الميثولوجيا الشيعية توضح ان نموذج الشعار الاحمر للبارزانيين اقرب الى نموذجي صفين واسماعيل الصفوي منه الى نموذجي الامام الحسين والمهدي وان النموذجين الاخيرين تنتج عنها مشاعر مرتبكة لأن اولهما انتهى بكارثة وثانيهما لا يتجاوز الاطار العام للاسطورة. اما نموذجا صفين واسماعيل الصفوي فأنهما يمزجان القوة بالعقيدة ويجعلان حرارة الايمان الديني معيارا للاخلاص وحق الحياة.

ان علاقة الكرد مع التشيع علاقة تتسم بشكل عام بالغموض. ورغم ورود اشارات الى اتصالات مبكرة للكرد مع الشيعة الا ان الاطار السياسي لتلك العلاقات غير جلي. وعلى الرغم من طغيان الغموض على علاقات الكرد بالتشيع الا ان الكرد لم يسلموا من التأثير القوي للعقائد الشيعية عليهم وبالاخص العقائد الاسماعيلية. وفي العصور الوسيطة يمكن ان نلاحظ ان اقرب امارتين شيعيتين الى الكرد هما امارتا الموصل ونصيبين. وقد حكم الاولى آل حمدان وحكم الثانية آل المسيب الذي استولوا في العهد البويهي على الموصل وامتد سلطانهم الى حلب[١٣]. وبسبب صلابة البنيات الايديولوجية للشيعة فأن تأثيرها وصل الى الكرد. وقد عززت المكاسب السياسية التي حصل عليها الشيعة في فترات متقطعة من قدرتهم على دمج معتقداتهم المحلية للبيئات الثقافية المختلفة.

تركت الميثولوجيا الشيعية اثرها على تنظيم دور الارادة في نطاق المساعي التي تبذل في سبيل التحرر الاجتماعي. وكما جعلت الميثولوجيا الشيعية الشعار الاحمر رمزا للجانب الذي هاديه ضمان الحقوق وتأكيد نبل المقاصد، فأن هذه الميثولوجيا بجوهرها المثالي انتقلت الى الحركات السياسية التي اعطت للحياة قيمة شمولية عن طريق شرعنة

مواجهة استبداد الدولة. ويتضح ذلك من خلال تمرد بابك الخرمي.

ان اللون الاحمر كشعار للحركة الخرمية يشكل تعبيرا مكثفا عن جوهر الحركة . وقد تمكنت هذه الحركة التي عطلت قدرة الدولة العباسية على التفاخر بكونها تجسيدا لأرادة الله من اخراج مناطق شاسعة من سيطرة الدولة والحط من هيبة خليفة بغداد والتشكيك في شرعيته وقيمه الدينية. ظهرت الحركة الخرمية بقيادة بابك الخرمي في النصف الاول من القرن التاسع الميلادي وهي تشكل في كثير من النواحي حركة فلاحية انتشرت بشكل واسع في اذربيجان واقليم الجبال.

تمثل الخرمية حركة ثورية. وكما ان الحركة البارزانية في زمن الشيخ عبدالسلام الثاني عبرت عن حاجة الفلاحين الاساسية الى العدالة والقيم الروحية، فأن الحركة الخرمية جسدت ذلك بوضوح في الاقاليم التي ظهرت فيها قبل الحركة البارزانية بأكثر من الف سنة، معبرة عن قيم اجتماعية تجسدت بعد ذلك في اوضح صورة في اهداف الحركة البارزانية. وليس من قبيل الصدفة ان يكون للحركتين نفس الشعار المتمثل باللون الاحمر. عرف الخرميون بأسم الحمر في اغلب الاحيان[١٤] ويعطي ذلك انطباعا بأن انصار الحركة جسدوا شعارهم في شكل غطاء للرأس او رايات او قلنسوات او صدريات حمراء. وتعطينا المصادر التاريخية السريانية ادلة قوية على عمق انتشار هذه الحركة بين الكرد اذ تشير الى ان نشاط الخرميين المكثف في عشرينات القرن التاسع الميلادي بلغ الشاطيء الشرقي لنهر دجلة[١٥].

حتى بعد قرون من اخماد الحركة الخرمية يمكن ملاحظة ان عقائدها الثورية توارثتها حركات اخرى بصيغ مختلفة وفي ظروف تختلف عن الظروف التي سادت في القرن التاسع. ان تحليل البنيات العقائدية للحركة القرمطية وهي حركة استمدت معظم افكارها من الحركة الاسماعيلية، يوصلنا الى بقايا تأثير للحركة الخرمية على الحركة القرمطية. ويوضح ذلك ان المؤرخ البغدادي ابن الجوزي الذي ظهر بعد بابك الخرمي بما يقارب الثلاثة قرون، عكس في كتابه ((المنتظم)) ما معناه ان القرمطية ليست سوى امتداد للخرمية وتبرز في كتابه الاشارة الى ان القرامطة، كما الخرمية، عرفوا كذلك بالمحمرة[١٦]، ويتضمن ذلك اضافة الى التسليم بوجود علاقة ايديولوجية قوية بين القرامطة والخرمية، كون القرمطية قد استعارت اسم او شعار الخرمية الاحمر كرمز لعقائدها.

عند طوائف اخرى، وبالتحديد عن طائفة اهل الحق، لا يخرج تقديس اللون الاحمر عن اطار الضرورة. هنا لا يتحول الاحمر الى رمز مطلق، واستخدامه يختلف عن استخدامه كشعار كما عن الخرمية وكوسيلة للتمييز بين الاتباع وغير الاتباع كما عند اتباع الشيخ حيدر والصفويين والبارزانيين او كتعبير عن جبهة الحق كما في الميثولوجيا الشيعية، لكنه قطعا لا يخلو من القيم السامية.

يعتمد اهل الحق على الاحمر لا كشعار ولا كرمز مطلق انما كلقب. وهذا الامر له دلالته الخاصة وهو متناسب تماما مع البنيات العقائدية لاهل الحق. ان اربعة على الاقل من زعماء اهل الحق او قادة

الطوائف التي تقترب في عقائدها من عقائد اهل الحق يتخذون لقب سور (الاحمر). وتتضح اهمية اتخاذ (سور) لقبا مقدسا كونه يمثل عند الشيعة في ميثولوجيتهم وعند عامة الناس لقبا للامام علي[١٧]. ومن بين زعماء اسرة آتش بيطى في طائفة اهل الحق اشتهر سيد مبارك بلقب مفخم هو شاه قرمزي (الاحمر). وابتداءاً من سيد محمد فلاح مشعشع مؤسس الطائفة الدينية المذكورة حتى محمد بيط الثاني، لا نجد غيره يعرف بالاحمر. ورغم انه اكتسب هذا اللقب بسبب لون بشرته الميال الى الحمرة، فأن اتباعه لم ينظروا الى ذلك الا بأعتباره اشارة الى ميزته الروحية التي تجعله تجسيدا لذات الامام علي[١٨] وتعبيراً عن ضرب من القوة الخارقة التي تمثل قوة الحق. يعبّر عن ذلك اشعار وضعها اتباعه في مدحه تتسم باوصاف مفرطة في المبالغة ترى فيه الشخص الذي ((سيسيطر على العالم من البر حتى البحر))[١٩].

وما تزال بين الكاكائيين في منطقة هورامان اسرة عريقة تحمل لقب مير سور (الامير الاحمر) وتنتسب الى سيد محمد مير احمد ابن الشيخ عيسى اخو سلطان سهاك ويتضمن الكتاب المقدس للكاكائية، سرنجام، نصوصا من اشعاره[٢٠]. ويتكرر نفس اللقب عند اسحاق بن محمد بن احمد بن ابان النخعي زعيم الطائفة الاسحاقية العلوية في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي[٢١].

ان الغموض كان الطابع السائد دائما في علاقة الجماعات السرية باللون الاحمر كرمز لعقائدها. وفي القرن الخامس عشر تحولت اللفظة التركية قزلباش التي تعني ذوي الرؤوس الحمر الى اشارة خاصة لجماعة عقائدية على درجة عالية من الانضباط والطاعة والتعصب الديني سعت تحت ضغط الحماس الصوفي الى فرض عقائدها بأقصى درجات القوة على السكان الخاضعين لسلطانها. ويمثل غطاء الرأس الاحمر الذي ارتداه القزلباش اقرب مثال تاريخي الى غطاء الرأس الاحمر الذي اتخذه البارزانيون رمزاً لهم.

ان ملاحظة ان اول ظهور لغطاء الرأس القزلباشي الاحمر كان في مناطق من كردستان الشمالية يكتسب اهمية بالغة. ولا يقلل من قيمة هذه الاهمية ان ظهور غطاء الرأس القزلباشي الاحمر كان بين القبائل التركمانية التي شكلت فيها بينها نظاما من الاتحاد القبلي المتين. لعبت تلك القبائل دورا حاسما في ظهور الدولة الصفوية المتشددة. ان سيرورة ذلك الحدث تمت وفق آلية معقدة للغاية وغير واضحة المعالم. وليست هناك معلومات كافية عن الطريقة التي تحولت فيها تلك القبائل التركمانية الى الاسلام والمرجح ان ذلك التحول لم يكن تحولا كلاسيكياً وانه سبقته ورافقته عقائد لم تكن على صلة قوية بالمفاهيم التقليدية للاسلام.

ومن الواضح ان تلك القبائل التي استقرت في تلك المناطق منذ العهد السلجوقي وقعت تحت تأثير الحركة البابائية التي تزعمها بابا اسحاق الذي يعتقد ان افكاره كانت خليطاً من العقائد الشيعية الاسماعيلية والصوفية. وفي الغالب الاعم فأن افكار بابا اسحاق التي دعت الى انشاء بنيات ايديولوجية

قائمة على اساس المساواة والعدل والنقاء الروحي استقرت بعمق في نفوس السكان من الكرد والتركمان. وتدل سعة المنطقة التي سادتها الحركة البابائية الممتدة من طرطوس حتى آماسيه، على قوة الانتشار الافقي للعقائد البابائية. زعم بابا أسحاق ان اصوله تعود الى منطقة سميساط او شميشاط الواقعة على الجانب الايمن من نهر الفرات[٢٢] وهي منطقة ارتبطت تاريخيا بسوريا وسادت فيها الثقافة اليونانية خلال العهد الروماني لكنها الان جزء من ولاية اورفة في تركيا.

يمكن ملاحظة ان كلمة (بابا) تتجاوز معناها اللغوي. وهذه الكلمة شائعة على نطاق واسع بين الكرد وتعني (الاب). لكن هناك استخدام آخر للكلمة على نطاق اضيق يعطي معنى (المسكين) او (المعدم). وبدمج كلا المعنيين، يمكن الحصول على جانب من الافكار الاجتماعية للحركة البابائية. تؤدي كلمة (بابا) الملاصقة لأسم اسحاق هنا، وظيفة الدلالة على (الزعيم) او (القائد). ويلاحظ ان اللقب يمنح المتلقب سلطة اجتماعية تعزز وظيفته كقائد للجماعة. ان دمج دور الاب على المستوى الإجتماعي مع دور الزعيم على لمستوى الديني او السياسي يعطي الحركة زخما متدفقا ويعزز التزام الانصار بالبرنامج الذي يضعه لهم الزعيم. ان الميل الى فرض الوصاية الابوية (الباترياركية) على المجتمع يستمد قوته بالاساس من النظام العشيري السائد الذي كان يعطي رئيس القبيلة سلطة باترياركية. وهذا الدمج للجانب الاجتماعي من الكلمة بالجانب الديني او السياسي يتطابق مع الدمج الذي أنشأه بابا الفاتيكان خلال القرون الوسطى للجانب الدنيوي بالجانب الديني لوظيفة البابا كزعيم ديني-سياسي للمسيحيين الكاثوليك في العالم.

ان جذور هذه الفكرة موجودة بعمق بين البارزانيين. وحتى عام ١٩٦٩ ظل الشيخ احمد بارزاني يمثل دور الاب على المستوى الاجتماعي ودور الزعيم الديني على المستوى العقائدي. لكن خلفاءه، لأسباب تتعلق بتعارض المصالح بين القيادتين السياسية والدينية، فشلوا في دمج الاجتماعي بالروحي. وقد سعت القيادة السياسية الى توسيع مفهوم (الاب) ليشمل الشعب كله وليس العشيرة فقط. ويتضح ذلك من ملاحظة ان الادبيات السياسية رددت تكراراً وصف ملا مصطفى بارزاني بـ (ابو الكرد). ورغم الاستخدامات الدعائية لذلك التعبير، فأن جذوره ذات صلة بطروحات الحركة البابائية.

يشير المضمون الثاني للكلمة الذي يعطي معنى (مسكين) الى رؤى اجتماعية داخل الحركة قائمة على تعزيز اللحمة الاجتماعية وانشاء اواصر اخوية بين الافراد الذين يعدون مساكين، اي لا يملكون ثروة مادية بل يتشاركون وفق نظام للمشاع في وسائل الانتاج العامة دونما حاجة كبيرة الى تعزيز الدور الاقتصادي للملكية الفردية.

وبين الكرد الايزيديين يحظى لقب بابا بقدر كبير من الاحترام الاجتماعي لكنه يقترن في الغالب بلقب مفخم هو (شيخ) ويتشكل من كليهما لقب مفخم آخر هو بابا شيخ. ومن ملاحظة ان (شيخ) تمثل الطبقة الارقى في سلم النظام الطبقي

الايزيدي، فأن اقتران (بابا) به دون غيره من الالقاب يؤكد مدى اهمية الكلمة في تفخيم الدور الاجتماعي لطبقة الشيوخ.

وعلى نفس المنوال ، يقترن لقب (بابا) عند السادة البرزنجية كذلك بأحترام اجتماعي كبير. وليس مصادفة ان نجد القابا، حتى بين الكرد السنة، تدخل فيها كلمة (بابا) كمكون اساسي مثل بابا شيخ الذي يجسد مضمونا يتسع لدمج الوظيفة الاجتماعية بالوظيفة الدينية. وقياسا على كل هذا، فانه يمكن الربط بين المعنى الذي تجسده كلمة (بابا) حسب مفهومها البابائي مع كلمة (بابان) التي اتخذت لقبا لأسرة ارستقراطية حكمت مناطق شاسعة من كردستان الجنوبية حتى النصف الاول من القرن التاسع عشر خلال العهد العثماني. ويلاحظ ان المصادر التاريخية تشير الى ان كلا من مؤسس الامارة في القرن السادس عشر الامير ثير بوداق ومؤسس اخر سلالة ارستقراطية حاكمة في الامارة فقى احمد اتخذا لقب بابا[٢٣]. ويمكن ان يعني ذلك ان كل الامراء الذين حكموا الامارة اتخذوا نفس اللقب.

ان الجزم بالاصول الكردية لبابا اسحاق صعب للغاية واذا صح انتسابه الى منطقة سميساط فأن الجغرافيا تدعم كونه كرديا الى حد ما. بيد ان هناك اراء ترجع اصوله الى خراسان وترى ان اصول تلميذه، حاجى بكتاش، تعود ايضا الى خراسان[٢٤]. اما اذا كان بابا اسحاق هو نفس سلطان اسحاق الذي نعرفه فأن الشكوك حول اصوله الكردية تتبدد لأن سلطان اسحاق خلف نصوصا يقر فيها بأصوله الكردية[٢٥].

ليس هناك دلائل على مصير بابا اسحاق وليس هناك دليل قوي يثبت صحة الشائعات التي راجت حول مقتله خلال اضطرابات الحركة البابائية. ويؤكد كثيرون بينهم ابن العربي وابن بيبي في كتابه عن تاريخ السلاجقة فرضية مقتله ويرجح اخرون ان يكون فر الى جبال زاكروس. وثمة نظرية جديرة بالتأمل روج لها الدكتور سعيد خان كردستاني ترجح ان يكون سلطان اسحاق، مؤسس جماعة اهل الحق العلوية في جبال زاكروس، وحاجي بكتاش الذي يفترض انه تلميذه، مجرد شخص واحد بزعم انه بعدما فرغ سلطان اسحاق من مهمته في زاكروس اختفى بشكل مريب وظهر فجأة في كردستان الشمالية بأسم حاجي بكتاش[٢٦].

ان التمعن في عقائد الحركة البابائية تثير الاحساس بأن العقائد البارزانية قريبة جداً منها. ظهرت الحركة البابائية كحركة دينية ودعت الى نوع من الاشتراكية البدائية والتآخي الاجتماعي واعتمدت معيارا خاصا لتنظيم العلاقة بين الخالق واتباعه قام على اساس عدم الحاجة الى اداء الفرائض الدينية. بدأت الحركة البابائية كحركة علوية لكن فروعها طورت افكارها حسب البيئات المحلية واتجه بعضها الى التشيع. والعامل الذي اجمعت عليه كل الفروع هو اساسها الصوفي ومبادئها الباطنية.

وورثت البكتاشية الحركة البابائية ودخل محمد بن ابراهيم بن موسى خراسانى التاريخ بأسم حاجى بكتاش وكتلميذ لبابا اسحاق. طور حاجى بكتاش عقائده الصوفية وابتدع طقوسا خاصة

بالدراويش تقاد فيها الشموع وفرض على اتباعه غطاء خاصا للرأس حتى يتميزوا به عن غير المؤمنين بطريقته الصوفية. وساهم في انتشار عقائد الحركة البابائية بين تركمان الاناضول ان عددا من القبائل التركمانية الرحالة، خصوصا شاملو، استعارت من المجاميع الباطنية في حلب وسيواس عقائدها النصيرية-الاسماعيلية وعملت على تطويرها.

تركت الحركة البابائية اثارها على الحركة الصفوية التي ظهرت لاحقا. ومن مظاهر ذلك التأثير غطاء الرأس القزلباشي الاحمر الذي اخذته الحركة الصفوية من الحركة البابائية[٢٧].

رغم ارتباط القزلباش بالصفويين، فأنهم ظهروا اول مرة في كردستان الشمالية بين القبائل التركمانية التي كان يرأسها الشيخ جنيد. تشير القلنسوة المخروطية الحمراء للقزلباش، بالطريقة التي ظهرت عند الصفويين، بشكل اكيد الى التشيع الاثني عشري وكانت تصنع في الغالب من الصوف او الوبر وكانت ذات رأس مدبب وتحتوي على اثني عشر شقاً كتب على كل منها اسم احد الائمة الاثني عشر المعروفين لدي الشيعة الجعفرية.

وقبل ان تتحول القلنسوة الحمراء الى رمز رسمي للدولة، كانت مجرد رمز للدراويش الذين مارسوا مهمة التبشير بعقائدهم. وتجب ملاحظة ان القلنسوة الحمراء لم تكن في البداية معقدة بالشكل الذي ظهر عند الصفويين. وفي الغالب انها لم تكن في البداية تحتوي على شقوق ترمز الى ائمة الشيعة الاثني عشر. وهذا يعني انها من الاضافات اللاحقة.

ليس هناك تاريخ دقيق لظهور القلنسوة الحمراء بيد انه من المرجح انها ظهرت خلال الحركة البابائية ثم لاحقًا في زمن الشيخ جنيد والد السلطان حيدر. ان براعة الشيخ جنيد والسلطان حيدر تكمن في قدرتهما على تشكيل جيش من الدراويش الاوفياء الذي صاروا يعرفون بأصحاب القلنسوات الحمراء. ان عقائد الشيخ جنيد والسلطان حيدر غير واضحة حتى الان لكن عقائدهما في الغالب تمازجت مع عقائد الحركة البابائية مع ميل متزايد نحو العلوية. وهناك اشارات الى ان عقائد السلطان حيدر كانت تتوافق مع عقائد الحركة الجلالية في الاناضول وهي حركة قامت على اساس تقديس الامام علي واعتمدت على طروحات اسماعيلية ونصيرية وبابائية واتخذ دراويشها القلنسوة الحمراء المخروطية علامة لهم[٢٨]. يوضح ذلك انه في ذلك العصر اتخذت مجموعات شتى، يمكن ان تكون كلها فروعا من الحركة البابائية، القلنسوة الحمراء شعارا لها.

عبر القزلباش عن افكارهم بقوة ولعبوا دورا كبيرا في تشكيل الدولة الصفوية. ويشكل تاريخهم رغبة قوية في تقديس الامام علي الى حد تأليهه. ويبدو ان عقائدهم اصابها التغيير. فقد تحولوا لاحقا من الايمان بعقائد تدخل في نطاق تأليه الامام علي وانتفاء الحاجة الى اداء الواجبات الدينية الى الايمان بعقائد ساعدت في التخفيف من الاصرار على تأليه الامام علي ولكن ليس لدرجة انزاله الى رتبة البشر العاديين. هذا التحول خفف من غلواء التأليه لكنه اتجه نحو الترويج لمبدأ الحلول كحل

فلسفي وسط بين التخلي عن تأليه الامام علي وبين تنزيل قدره الى منزلة البشر العاديين. هكذا اعتقدوا بأن الله قد تجسد في الامام علي وان ذلك اعطاه القوة الكافية لاقتلاع باب خيبر حتى يصبح في مقدور المسلمين اقتحام المدينة وابادة اليهود. وثمة مجاميع من بقايا التركمان القزلباش من التي تعود اصولها الى مناطق سيواس وأماسيه وتوقات في تركيا وتعرف بأسم روملو في غرب ايران، تجزم بأن السلطان اسماعيل الصفوي كان التجسيد الالهي للامام علي[٢٩].

استخدم السلطان حيدر تعبيراً جديراً بالتأمل في تسمية القلنسوة الحمراء اذ عرفها بأنها تاج القزلباش[٣٠]. اعطى الاسم المنتخب مزيداً من الهيبة للقلنسوة الحمراء وترك اثرا نفسيا كبيرا على اتباع السلطان حيدر. ادت القلنسوة الحمراء وظيفتها بدقة اذ ميزت بين اتباع السلطان حيدر، وبين غير الاتباع واوحت كذلك بطبيعة المهام التي تقع على عاتق صاحب القلنسوة بأعتباره ثوريا يعمل على نشر عقيدته الصحيحة بالوسائل التي يراها ضرورية.

اتخذ الصفويون القلنسوة الحمراء رمزا للنضال الثوري في سبيل الاهداف المقدسة. ان الظروف والاسباب التي دفعت الصفويين الى اتخاذ القلنسوة الحمراء شعارا لهم غير واضحة بشكل دقيق. وجلي ان الصفويين اعتبروا انفسهم ضمير النقاء الايديولوجي وحراس المبادىء الدينية الامناء ورأوا انفسهم يجسدون المبادىء السامية للتشيع. وقد استطاعوا ان يطوروا بنياتهم الايديولوجية ويتحولوا الى التشيع الجعفري. ومن الجلي انهم اخذوا معهم خلال عملية التحول بعض اثار المرحلة السابقة والتي تجسدت بشكل واضح في القلنسوة الحمراء وورثوا اسم القزلباش.

ان التزام الصفويين بالتأكيد على انتسابهم الى السلطان حيدر مسألة جديرة بالملاحظة. ولاسباغ مزيد من القداسة والهيبة على شعارهم فأنهم اطلقوا عليه اسماً مهيباً هو التاج الحيدري وهو لقب يجمع بين الانتساب الى السلطان حيدر والتاج كرمز للسلطة والقوة. ويرتبط اتخاذ القلنسوة الحمراء كشعار في العهد الصفوي بألتزام الصفويين بالتمييز بين اتباعهم وغيرهم. بالنسبة لجماعة كالصفويين ترى في ذاتها تجسيداً لأرقى انواع السمو الخلقي والديني، تبدو مسألة التمييز بين الاتباع وغيرهم مسألة في غاية الاهمية. ان المفهوم الصفوي للتمييز بين الاتباع وغير الاتباع يتجاوز مجرد التمييز بين الشيعة والسنة وهي مسألة كان الصفويون يعطونها اهمية مبالغ فيها، كما انها في جوهرها محاولة للتمييز بين المؤمنين وغير المؤمنين لان الفكرة السائدة لدى الصفويين هي الفكرة التي وردت في معظم الكتب الشيعية الكلاسيكية المتطرفة والتي جوهرها ان عدم الايمان بكمال التراتبية الشيعية الاثني عشرية وانكار ظهور الامام الثاني عشر من جديد يدخل في باب الكفر. هذه الفكرة وان جاءت متأخرة في التدوين في كتب الشيعة الا انها شكلت العصب الرئيسي في البنية الايديولوجية الصفوية التي قامت اساسا على اخراج غير الشيعة من اطار الاسلام.

بيد انه رغم ذلك ثمة عامل اخر لا يجب اهماله يتعلق بالصراع المحتدم بين الصفويين والعثمانيين وتأثيره على اقتناع الصفويين بضرورة ان يكون لهم شعار يميز اتباعهم عن اتباع العثمانيين.

دل اتخاذ القلنسوة الحمراء شعارا للصفويين على الرغبة في اعطاء الميل الديني مظهرا خارجيا وهو الميل الذي اتخذ فيما بعد طابعا سياسيا بسبب احتدام الصراع بين الصفويين الشيعة والعثمانيين السنة. ان اكثرية الكتاب الايرانيين وبينهم الدكتور جمالي الذي كتب بدقة عن تشكيل الدولة الصفوية يرون ان الصفويين اختاروا القلنسوة الحمراء للتمييز بين الشيعة والسنة، فيما يربط بعض الكتاب الغربيين بين الشعار الصفوي وبين ميل الصفويين الى تمييز الاتراك الايرانيين عن العثمانيين او الشيعة الايرانيين عن السنة العثمانيين، اذ انه مقابل غطاء الرأس العثماني الاخضر المعروف بـ(يشيل باش) اتخذ الصفويون القلنسوة الحمراء شعاراً لهم. ورغم انه من الصعب معرفة تاريخ ظهور غطاء الرأس العثماني الاخضر في اسيا الصغرى الا انه يرجح ان اول ظهور قوي له يعود الى زمن حملة السلطان سليم الاول على شيعة اواسط لاناضول التركمان في بداية القرن السادس عشر[٣١].

وثمة ظاهرة يمكن ملاحظتها عند التدقيق في سجلات الدولة العثمانية تفصح عن ميل العثمانيين الى اعتبار اي استخدام للون الاحمر دليلا على العداء لهم. وضمن هذا الاطار، نلاحظ انه في عصر السلطان سليمان القانوني ان العثمانيين وقد ساءهم انتقال قبائل من التركمان الورساق من طرسوس وادنة الى ايران، دونوا اسماء تلك القبائل في سجلاتهم الرسمية بالحبر الاحمر بأعتبارهم من اعداء الدولة العثمانية الالداء[٣٢].

واعطى الصفويون الاوائل شعارهم ضربا من القداسة. وتحت تأثير العنفوان الديني المفعم الى ابعد الحدود بالتعصب، ادعى الصفويون ان الشيخ حيدر والد الشاه اسماعيل الصفوي جاءه في الحلم من عالم الغيب وامر ان يطلب من اتباعه ارتداء القلنسوة الحمراء التي ترمز الى اخلاص الاتباع اللامتناهي للائمة الاثني عشر[٣٣].

يتكرر مفهوم القداسة عند الصفويين في شكل تبجيل الحركة السياسية التي قادها الشاه اسماعيل الاول والتي انتهت لاحقا الى دمج الدين بالدولة، والمذهب بالسياسة. وكمسعى لتحويل الميثولوجيا الصفوية الى امتداد للميثولوجيا الشيعية، جرى دمج الحقيقة بالاساطير. ويبدو ان مروجي العقائد الصوفية علقوا اهمية كبيرة على تصوير كفاح الصفويين كتعبير عن كفاح الشيعة الاوائل في مسعى لتعزيز صلابة البنيات الايديولوجية التي قامت عليها الحركة الصفوية. ويفسر ذلك، السبب الذي دفع منظري الصفويين الى وصف الشاه اسماعيل الاول بالكنز والى اعتباره هو وكفاحه امتدادا لكفاح وشخصية الامام علي ويتحدد كل هذا في اطار خاص يصور الشاه اسماعيل الاول بأعتباره تجسيداً ميثولوجيا للامام علي وهو يخرج من اردبيل وعلى رأسه عصابة حمراء، تماما كما فعل انصار الامام علي في صفين وانصار الامام الحسين في كربلاء حسب الميثولوجيا الشيعية.

هنا، يدل استخدام العصابة الحمراء على الربط بين الشاه اسماعيل الاول وكفاح الامام علي وابنه الحسين على مدى الحرص على جعل الحركة الصفوية امتداداً لحركة الشيعة الاوائل، لا فقط كحركة ترمي الى مواجهة عالم مليء بالشرور، انما ايضا كحركة تعبر عن كل المظاهر الخارجية لكفاح الشيعة الاوائل، خصوصا في صفين وكربلاء. وتكتسب العصابة الحمراء هنا معنى رمزيا لانها تشير الى الاهداف التي سيرتها الصفويون من كفاح الشيعة الاوائل. وفي الحديث المنسوب الى الامام علي والمنشور في كتاب (روضات الجنات في احوال العلماء والسادات) يقول الامام علي جملة بلغت من الكمال حداً جعلها تسبغ اقصى درجات الشرعية على الحركة الصفوية وزعيمها حيث يقول ((ان لنا بأردبيل كنز واي كنز ليس بذهب ولا فضة لكنه رجل من اولادي يدخل تبريز مع اثني عشر الفا راكبا بغلة شهباء وعلى رأسه عصابة حمراء))[٣٤].

في النهاية، ربما كان من المجدي ان ندرس جذور كلمة (سور) التي تعني الاحمر في اللغة الكردية وكذلك مرادفاتها. تعود جذور هذه الكلمة الى sur في اللغة البهلوية[٣٥] التي تشكل الجذر المشترك لعدة لغات ايرانية بينها الفارسية والكردية. وينطق كرد الشمال الذين ينتمي اليهم البارزانيون هذه الكلمة بشكل sor بينما ينطقها كرد الوسط بشكل sur، في حين نجدها عند كرد الجنوب المتأثرين ثقافيا باللغة الفارسية اكثر من غيرهم بشكل سورخ وهي نفس الطريقة التي ينطق بها الفرس هذه الكلمة. وتبدو طريقة نطق الكلمة عند كرد الشمال والوسط اكثر قربا الى الاصل البهلوي مع فارق في حركتي O و u.

الى جانب sur و sor العريقتين، يستخدم الكرد كلمة (آل) ايضا للدلالة على الاحمر. وتوجد هذه الكلمة في اللغة الفارسية بصيغتى (آل) و (الا) وكلتا الصيغتين تعطيان معنى واحدا هو الاحمر الفاتح. وعلى الاغلب فأن للكلمة بصيغتيها جذورا تعود الى الكلمة البهلوية آروس arus[٣٦]. وبسبب طغيان (سورخ) في الفارسية و(sur) و(sor) في الكردية فقد تضاءل استخدم (آل) في الفارسية والكردية لكن هذه الكلمة عادت الى الفارسية والكردية خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر والنصف الاول من القرن الخامس عشر خلال الحقبة التي سادت فيها قبيلة قره قوينلو التركمانية. ظهرت (آل) في لغة قره قوينلو التركية المغولية بشكل (آلا) وبنفس المعنى القديم للكلمة في اللغتين الفارسية والكردية.

هنا يمكن ملاحظة ان الكرد اعطوا معينين مختلفين لـ (آلا) المأخوذة من التركية المغولية مع الاحتفاظ لانفسهم بأمكانية الدمج بينهما لتشكيل معنى جديد.

كيف الكرد (آلا) التركية المغولية مع حاجاتهم فأستخدموها كما في السابق بشكل (آل) للدلالة على الاحمر. ويتفق اثنان من اكبر قواميس اللغة الكردية على ان (آل) ترمز بشكل خاص الى الاحمر الفاتح ويشير احد القاموسين الى ان الكلمة تستخدم بهذا المعنى عند كرد الشمال[٣٧]. اما (آلا) بشكلها التركي المغولي فقد اعطاها الكرد معنى يختلف عن جوهرها فصارت لا تعني (الاحمر) بل تعني

(الراية). يعني ذلك من حيث الجوهر ان الكلمة انفصلت عن معنييها البهلوي والتركي المغولي وان الكرد اعطوها معنى يقترب من الاشارة الى اللون الاحمر، وما ذلك الا مظهر من مظاهر الحاجة الى كلمة تدمج بين المعنيين. ان سيرورة التحول في المعنى لكلمة (آلا) تتضمن عناصر جديرة بالتأمل لأن الكلمة التي تعطي معنى الاحمر صارت تعني (الراية) ما يعني ان الكلمة عبرت عن حاجة اساسية في الاشارة الى كلمة تتضمن معنى الراية الحمراء.

ترتبط كلمة (آلا) بشكل خاص بقره قوينلو، وهي قبيلة من الاتراك المغول اقامت لها سلطة واسعة في مناطق شاسعة من اذربيجان وكردستان والعراق. وعند الامعان في الاماكن التي شكلت مصايف القره قوينلو في مناطق مثل شمال بحيرة وان نجد انها من حيث التسمية وصفت بالحمراء من قبيل آلا طاق وآلا داغ[٣٨].

اقام القره قوينلو نظاما اجتماعيا يستند الى ثقافة ذات بنيات غامضة. ويجب التأكيد هنا على ان ثقافة قره قوينلو تشكل جزءا اساسيا من الثقافة التي استند اليها الصفويون لاحقا عند تأسيس بنيتهم الايديولوجية. حكم القره قوينلو مناطق شاسعة من كردستان طوال ٩٠ عاما تقريباً وظلت ميولهم الدينية غير واضحة الا انهم في كل الاحوال لم يكونوا من السنة. واذا كان المؤرخون يعدونهم من الشيعة الاثني عشرية فذلك لأنهم تحولوا فيما بعد الى مذهب الشيعة الاثني عشرية واندمجوا بالصفويين على انه من الصعب اعتبار ميولهم الابتدائية ميولا شيعية اثني عشرية بل يمكن عدها خليطا من الميول العلوية القريبة جدا من ميول فرق مثل اهل الحق وساد بينهم الاعتقاد بألوهية الامام علي او تجسد الله في الامام علي بن ابي طالب[٣٩]. وشكل التقديس المفرط لشخصية الامام علي شروطا ملائمة للتحول لاحقا الى التشيع الاثني عشري والتخلي عن المظاهر المفرطة وغير الضرورية للتقديس.

ان تحويل كلمة تعطي معنى اللون الاحمر الى كلمة لاتعطي هذا المعنى وتتخذ معنى جديدا، يستدعي الاستنتاج انه يكون قد شاع بين الكرد، في بعض المناطق على اقل تقدير، استخدام الراية الحمراء رمزا لمعتقد اجتماعي محدد وان اللون الاحمر ظل رمزا لمعتقدات مطورة عن الاسلام الكلاسيكي وممزوجة برؤى فلسفية ونظرات خاصة الى عالمي المادة وما وراء المادة.

المصادر:

[1] يمكن الرجوع الى القصيدة في: بى رش، بارزان وحركة الوعي الكردي ١٨٢٦-١٩١٤، ١٩٨٠، ص ١١٥-١١٦.

[2] المصدر نفسه، ص ٧٤.

[3] بى ر ش، المصدر السابق، ص ١١٦.

[4] الكتاب المقدس، الطبعة العربية، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣، الفصل السابع عشر، الآيات ١٠-١١، ص ٣٠.

[5] سامي الذيب، مؤامرة الصمت ختان الذكور والاناث، دار الاوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، ٢٠٠٣، ص٥٠.

[6] محمد بن سعد بن منيع ابو عبدالله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ص ٥٥٦.

[7] ابو عبدالله بن عمر الواقدي، فتوح الشام، دار الجيل، بيروت، ص ٢١٩.

[8] المصدر السابق، ص ٢٦٥.

[٨] غلامحسين مصاحب، دايرة المعارف فارسي، جلد دوم، بخش اول، مؤسسه انتشارات امير كبير، تهران، ص ٢١٩١.

[10] بهاء الدين علي بن عبدالكريم بن عبدالحميد النجفي، منتخب الاضواء المثيرة، مؤسسة الامام الهادي، قم، ١٤٢٠ هـ، ص ٢٤١.

[١١] نفس المصدر، ص ٣٤٣.

[١٢] خوانساري، روضات الجنات في احوال العلما والسادات، ج١، مكتب اسماعيليان، قم، ١٣٩١ ق، ص ١٠٧.

[١٣] الشيخ محمد حسين المظفري، تاريخ الشيعة، مكتبة بصيرتي، قم، صص ١٠٤-١٠٥.

[١٤] ارشاك بولاديان، الكرد من القرن السابع الى القرن العاشر الميلادي وفق المصادر العربية، ترجمة مجموعة من المترجمين، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٩٥.

[١٥] نفس المصدر، ص ٩٦-٩٦.

[١٦] حسن بزون، القرامطة بين الدين والثورة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ١٩٩٧، ص ١١٨.

[١٧] سياوش دلفاني، تاريخ مشعشعيان (اهل حق)، بحر العلوم، قزوين، ١٣٧٩، ص ٩٨.

[١٨] نفس المصدر، ص ٩٧.

[١٩] نفس المصدر، ص ٩٨.

[٢٠] سەدیق بۆرەكەیی، كاكەییەكانو رێو رچەكەیان وەزارەتی رۆشنبیری، سلێمانی، ٢٠٠١، ل ١٣-١٤.

[٢١] الشيخ جعفر السبحاني، تاريخ الاسماعيلية، دار الاضواء، بيروت، ١٩٩٩، ص ٤١٨.

[٢٢] محمد محمدى، پژوهشى دقيق اهل حق، تاريخچه، عقايد، فقه، مؤسسه فرهنگى وانتشاراتى پاژينه، تهران، ١٣٨٤ ص ٥٠.

[٢٣] دكتۆر عەبدوللا عەلیاوەیی، كوردستان لەسەردەمی دەوڵەتی عوسمانیدا، سەنتەری لێكۆڵینەوەی ستراتیجیی كوردستان، سلێمانی، ٢٠٠٤، ل ٤٦-٤٧.

[24] دكتر مصطفى كامل الشيبي، تشيع وتصوف تا اغاز سدة دوازدهم هجرى، ترجمة على رضا ذكاوتى قراطزلو، مؤسسه انتشارات امير كبير، چاپ سوم، تهران، ١٣٨٠، ص ٢٥١و ٢٥٦.

[٢٥] صديق صفى زاده، دوزه هفتوانه (جزوى از نامه مينوى سرانجام)، كتابخانه طهورى، تهران، ١٣٦١ ش، ص ٧٣.

[٢٦] محمد على سلطانى، سه گفتار تحقيقى در ايين اهل حق، نشر سها، تهران، ١٣٧١، ص ٢٢.

[٢٧] صدر حاج سيد جوادى وبهاء الدين خرمشاهى، دايرة المعارف فارسى، ج٣، سازمان دايره المعارف تشيع، تهران، ١٣٦٨ ش، صص ٩-١٠.

[٢٨] محمد كريم يوسف جمالي، تشكيل دولت صفوي وتعميم مذهب تشيع دوازده امامى بەعنوان تنها مذهب رسمى، مؤسسه انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٧٢ ش، ص ١٥١.

[٢٩] محمد محمدى، پژوهشى دقيق اهل حق، ص ٥٨.

[٣٠] دايرة المعارف فارسى، جلد اول، بخش دوم، ص ٢٥٤٨.

[٣١] محمد كريم يوسف جمالى، تشكيل دولت صفوى، وتعميم مذهب تشيع دوازدة امامى بەعنوان تنها مذهب رسمى، مؤسسه انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٧٢، ص ٨١-٨٢.

[٣٢] نفس المصدر، ص ٩٤.

[٣٣] هاشم حيجازى فەر، شا ئيسماعيلى يەكەمو جەنگى چالدێران، وەرگێرانى كەمال رەشيد شەريف، خانەى وەرگێران، سلێمانى، ٢٠٠٢، ل ٤٢.

[٣٤] محمد على رنجبر، مشعشعيان، ماهيت فكرى-اجتماعى وفرايند تحولات تاريخى، مؤسسه انتشارات آگاه، تهران، ١٣٨٢، ص ٢٠٦-٢٠٧.

[٣٥] دكتر بهرام فرەوشى، فرهنگ فارسى بەپهلوى، چاپ سوم، انتشارت دانشگاه تهران، تهران، ١٣٨١، ص ٢٠٥.

[٣٦] دكتر محمد معين، فرهنط فارسى، جلد اول، مؤسسة انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٨٠، ص ٨٠.

[٣٧] انظر: گيوى موكريانى، فەرهەنگى كوردستان، دەزگاى چاپو بڵاوكردنەوەى ئاراس، هەولێر، ١٩٩٩، ل ١٣.

وكذلك: هەژار، هەنبانە بۆرينە فرهنگ كردى- فارسى، چاپ دوم، انتشارات سروش، تهران، ١٣٧٦، ص ١٠.

[٣٨] دكتر حسين مير جعفرى، تاريخ تحولات سياسى، اجتماعى اقتصادىو فرهنطى ايران در دوره تيموريان وتركمانان، انتشارات دانشگاه اصفهان، ١٣٧٥، ص ٢٩٥.

[٣٩] ميهرداد ئيزەدى، ئاينو تايفە ئاينييەكان لەكوردستاندا، وەرگێڕانى كامەران فەهمى، گۆڤارى سەنتەرى لێكۆڵينەوەى ستراتيجى، ژمارە ٣، ساڵى حەوتەم، ئابى ١٩٩٩، سلێمانى، ل ٧٧.

من اصدارات دار سردم للطباعة والنشر



تجربة القراءة – صفحات نقدية

تأليف: نوزاد احمد اسود



نيتشه ومابعد الحداثة

تأليف: د. محمد كمال

الجذور التأريخية للطقوس الشيعية

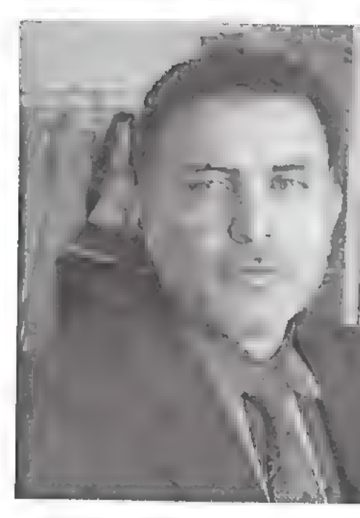
د. فرست مرعي

كلية التربية- جامعة دهوك

المقدمة:

قبل الدخول في الموضوع لابد من تحديد بعض المصطلحات كالشعائر والطقوس، فالشعائر مفردها شعيرة وهي ما ندب الشرع عليه وامر القيام به[1].

وللشعائر اهمية كبيرة في الاسلام من النواحي التعبدية والاجتماعية والاقتصادية، حيث يرتبط بها اهم اركان الاسلام كما في الصلاة والصوم والزكاة والحج الى بيت الله الحرام وقد جعل الاسلام من الشعائر معالم للعبادة والتقوى والاعمال الصالحة كما جاء ذلك في الآية الكريمة "ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب"[2].



اما الطقوس فمفردها طقس، فهي رموز لاتحمل دوما دلالات دينية، وانما تصطبغ بها في اكثر الاحيان، وترتبط غالبا بالعادات والتقاليد والقصص والاساطير، وتختلط بالشعائر الدينية حيث ترتفع الى مستوى العقيدة، كما ان من اهم خصائصها انها تميل الى التكرار والاستمرارية شأنها في ذلك. شأن الشعائر من اجل تكريس ديمومة الطقس واعادته في كل مناسبة كما كانت في الماضي[3].

والطقوس فعاليات واعمال تقلدية لها في الاغلب علاقة بالدين وبالسحر Magic، ويحدد العرف اسبابها، واغراضها والطقوس دائما، مشتقة من حياة

الشعب الذي يمارسها. تعتقد الشعوب البدائية ان اداءها يرضي الآلهة والقوى فوق الطبيعية، وعدمه يسبب غضبهم، ويجلب نقمتهم. وتجري في الطقوس فعاليات مختلفة كالرقص وتقريب القرابين وترديد التراتيل، وتتعلق الطقوس بكثير من فعاليات الانسان الاقتصادية وترتبط بالبناء الاجتماعي لمجتمعه او بيئته، وبما يشعر به من احاسيس، وما يرتد اليه في آمال[4].

وغالبا مايكون اداء الطقوس غير منفصل عما هو مقدس، الذي هو الحافز المسيطر على جميع الشعائر والطقوس، وهو مايولد علاقة جمعية بين الحياة الاجتماعية العادية وبين ماهو مقدس، بمعنى آخر انها احياء التجربة مقدسة التقريب بواسطتها الى العالم المقدس بهدف اعادة التوازن الداخلي للانسان الحائر، المضطرب، المشوش، فهي بهذا طريقة لتهدئة قلق الانسان وشكر له حين يقف حائرا امام تساؤلاته المصيرية التي قد لا تجد لها جوابا شافيا. ومن هنا تكون الطقوس بحسب علم النفس الاجتماعي –طرائق للدفاع- يلجأ اليها الانسان ليتقي المحرم او يخلص منه او يأتي بطقس بديل يعتقد بامكانية تعويض ماقام به من ذنوب، وبهذا تصبح الطقوس ادوات لتطهير النفس من كل التهديدات الوجودية[5].

ومهما تكن الدوافع التي تختفي وراء الطقوس، فهناك ايضا دافع نعني له اثر فعال في توجيه ذمة السلوك واستمرارية الطقوس، وتحديدا في اوقات الكوارث والمحن والازمات الاجتماعية والنفسية، وقد تطرق عالم النفس الاجتماعي ارك فروم Erick Fromm الى الجذور النفسية للطقس الذي هو في نهاية المطاف تعبير رمزي عن الافكار والمشاعر التي تظهر في طريق السلوك ومهما تكن الاسباب دينية ام اجتماعية فهناك اسباب اخرى لاواعية تتداخل معها[6].

والرواية الاخرى المتميزة التي انطلق منها بعض الباحثين تتعلق بكون الطقوس تمثل قناة هامة يلجأ اليها الافراد في ظروف الاستغلال، الكبت الاجتماعي كما هي الحال في اوساط جماعات الاقلية والمنبوذة او المهمشة. ويتم ذلك كما يرى هؤلاء الباحثون بفضل دور هذه الطقوس في رفع الوضع النفسي للافراد فوق مستوى واقع مركزهم الاجتماع الواطي في التركيب في الدول العربية سواء في العراق او لبنان او البحرين او الاجزاء الشرقية من المملكة العربية السعودية. هذا يرجع بنا القهقري الى التأريخ الذي يسبق هذه الحقبة فهذه الدول كانت تابعة للخلافة الاسلامية العثمانية التي حكمت غالبية اجزاء الوطن العربي لاربعة قرون ابتداء من عام ١٥١٦-١٥١٧م والى نهاية الحرب العالمية الاولى ١٩١٧-١٩١٨م فكان الشيعة لايعترفون بهذه الخلافة ولا بالتي سبقتها الراشدين ماعدا خلافة علي بن ابي طالب والامويين والعباسيين والمماليك لذا كانت هذه الدول تعدهم من المعارضين لسياستها، كما كانت تعتبرهم على اقل من اهل القبلة ومن المبتدعة، وقد تفاقم هذا الامر مع بداية ظهور الدولة الصفوية عام ١٥٠٢ وسيطرتها على مقاليد الامور في الهضبة الايرانية وفرضها مذهب الشيعة بالقوة على السكان في ايران والمناطق المتاخمة لها

مثل الاناضول الشرقي واجزاء من افغانستان والعراق. كل ذلك ادى الى حصول تنافس وصراع وحروب بين الدولة العثمانية التي عدت نفسها حامية لمذهب اهل السنة والجماعة والدولة الصفوية حامية للمذهب الشيعي الاثني عشري[8]، لذا اعتبر الشيعة الساكنين في جنوب ووسط العراق وجنوب لبنان وفي البحرين بمثابة عملاء للدولة الصفوية في شتى المجالات العلمية والاقتصادية على اساس التقارب المذهبي، او على اقل تقدير معارضين للسياسة العثمانية، وهذا ما أدى الى عزلتهم والانشغال بامورهم الخاصة، لاسيما في المجالات الدينية- المذهبية والاجتماعية والاقتصادية، فكانوا في عزلة عن سواهم من افراد المجتمع، فسرت فيهم روح الانكماش والشعور بالغبن، الذي طالما حرك مشاعرهم باتجاهات معاكسة اثرت فيما بعد على فئات اخرى في المجتمع عندما سنحت لهم الفرصة بتسلم مقاليد الامور.

اما بخصوص اهل السنة والجماعة فانهم كانوا عماد الدولة العثمانية والمشاركين الاساسيين في تثبيت اركانها خلال حقبة ليست بالقصيرة على اساس التقارب المذهبي، لان الدولة العثمانية كانت تحكم بالمذهب السني مذهب الامام ابي حنيفة النعمان. وبظهور الافكار الجديدة بدات عوامل الضعف والانحلال تدب في اوصال الدولة العثمانية جسدته تطلعات وافكار جمعية الاتحاد والترقي (جون ترك) التي كسبت فئات مختلفة من القوميات في بداية ظهورها وقبل ان تتحول الى النهج القومي (الطوراني) المتطرف.

الدول الشيعية المتعاقبة واستحداث الطقوس

مما لاشك فيه ان الخلاف بين السنة والشيعة في بداية ظهورهم كفكرة وحركة في النصف الثاني من القرن الاول الهجري لم يكن يتجاوز الخلاف السياسي حول احقية ابي بكر الصديق او علي بن ابي طالب ونسله الخلافة من عدمه.

وبقي هذا الخلاف ضمن هذا الاطار طيلة حقبة طويلة تتجاوز القرنين الا ان تمكن العبيديون الذين هم من نسل القداح الايراني من تأسيس الدولة العبيدية (الفاطمية) في شمال افريقيا ومن ثم سيطروا على مصر واجزاء بلاد الشام، في ايامهم ابتكرت طقوس عديدة سنذكرها لاحقا.

في عام ٣٣٤ هـ تمكن البويهيون الديالمة من السيطرة على مقاليد الامور في ايران والعراق وتمكنوا من اخضاع الخلافة العباسية لسطوتهم، وفي زمانهم استحدثت وابتكرت طقوس عديدة اذا اضفنا اليها طقوس العهد العبيدي (الفاطمي) والصفوي القاجاري الذين حكموا بعدهم، لرأينا منظومة متكاملة من الطقوس المصنعة للبنية التنظيمية للتشيع الصفوي على حد تعبير المفكر الايراني علي شريعتي. وعملا بمنهج البحث التأريخي سيتم تقسيم فترة استحداث الطقوس الشيعية الى مراحل تأريخية اربع تبعا لظهور الدول الشيعية المتعاقبة على دست الحكم تبعا للتسلسل التأريخي.

اولا: مستحدثات الطقوس في الدولة العبيدية (الفاطمية)

من ابرز الطقوس التي ابتكرها العبيديون هي:

١-اضافة: حي على خير العمل الى الاذان[٩].

٢-السجود للبشر، فكان الخليفة العبيدي الحاكم بن امره (امر الله) بن المعز بن عبيدالله القداح اول من امر الناس بالسجود له، فاذا ذكر الخطيب اسمه على منبر وجب قيام الناس، واذا كانوا وقوفا خروا سجدا له حتى ليسجد بسجودهم من في السوق من الرعاع[١٠].

٣-الكتابة على المرافق العامة لعن الخلفاء الثلاثة: ابوبكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفاف[١١].

٤-الاحتفال بالمولد النبوي ومولد الائمة الشيعة[١٢].

أ-علي بن ابي طالب

ب-الحسن بن علي بن ابي طالب

ج-الحسين بن علي بن ابي طالب

د-علي بن الحسين (زين العابدين)

هـ-محمد بن علي (الباقر)

و-جعفر بن محمد (الصادق)

ز-اسماعيل بن جعفر

ثانيا: صناعة الطقوس في الدولة البويهية

حكم البويهيون وهم قبائل ديلمية ايرانية تعيش في الجنوب الغربي من بحر قزوين. للفترة من ٣٣٤ لغاية ٤٤٧ هـ، اي اكثر من قرن من الزمن، وصنعوا في عهدهم طقوس عديدة من ابرزها:

١-في سنة ٣٥٢ ـ امر معز الدولة (احمد بن بويه) باغلاق الاسواق في العاشر من شهر محرم والامر بلبس النساء المسوح من الشعر والخروج في الاسواق حاسرات عن وجوههن ناشرات شعورهن يلطمن وجوههن ينحز على الحسين بن علي بن ابي طالب الذي قتل في ١٠ محرم ٦١ هـ[١٣].

٢-في سنة ٣٥٢ هـ امر معز الدولة (احمد بن بويه) باظهار الزينة في الثامن عشر من شهر ذي الحجة وفتح الاسواق ليلا وضرب الدبادب والطبول والبوقات واشعال النيران فرحا بعيد غديرهم[١٤].

٣-في سنة ٣٧٢ هـ تم لاول مرة دفن شخصية كبيرة عند القبر المنسوب الى علي بن ابي طالب في النجف وهو عضد الدولة البويهي، حيث يعد اول ملك دفن هناك[١٥].

ثالثا: صناعة الطقوس في الدولة الصفوية

الصفويون قبائل تركية حكموا الهضبة الايرانية للفترة من ١٥٠٢ لغاية ١٧٢٤م. ومؤسس دولتهم هو اسماعيل بن حيدر بن جنيد بن صفي الدين الاردبيلي الذي تبنى التشيع في ايران رسميا عام ١٥٠٢م وعمل على نشره بشتى الوسائل، شخصيته تجمع النقائض. يقول المستشرق الانكليزي ادوارد براون: "هو من جهة قاسيا متعطشا للدماء الى حد لايكاد يصدق، بينما كان من الجهة الاخرى وسيما ذا اخلاق رقيقة محبوبا من جنوده"[١٦]. كان يعلن انه لايتحرك الا بمقتضى اوامر الائمة لذلك فهو معصوم وليس بينه وبين (المهدي المنتظر) فاصل، ووصف ولايته بانها صادرة من "ختم النبوة وكمال الولاية وزعم انه المقصود بالآية (واذكر في الكتاب اسماعيل..)[١٧].

واوصلوا ظهوره بنبؤة لعلي بن ابي طالب، فكان من الغلاة في علي بن ابي طالب، ثم غلا فيه اصحابه حتى العبادة وسجدوا له.

فعندما سيطر الشاه اسماعيل الصفوي على تبريز واراد فرض التشيع على اهلها بالقوة نصحه

مستشاروه ان لايفعل لان ثلثي سكانها من اهل السنة فاجاب قائلا: "انا مكلف بذلك وان الله والائمة المعصومين معي، واني لا اخاف احدا فاذا وجدت من لناس كلمة اعتراض شهرت سيفي بعون الله فيهم فلا ابقي على احد منهم حيا"[١٨].

واهم الطقوس التي اخترعوها هي:

١-السجود على التربة الحسينية، ومخترع هذا الطقس هو العالم الشيعي (علي بن عبدالعالي الكركي) من اهالي جبل عامل في جنوب لبنان[١٩].

٢-السجود للعبد (اي لاسماعيل الصفوي والملوك من ذريته) وصانع هذا الطقس هو العالم الشيعي (علي بن عبدالعالي الكركي) الذي لقب بـ (مخترع الشيعية)[٢٠].

٣-تغيير اتجاه القبلة في مساجد وجوامع ايران[٢١].

٤-تنظيم الاحتفال بذكرى مقتل الحسين بن علي في بداية السنة الهجرية (شهر محرم) واضافة وتطوير مجالس التعزية، حيث تمت الاستفادة من الطقوس المسيحية التي كانوا يمارسونها في اوروبا تحديدا في ايطاليا حول مايسمى بالآلام التي عانى منها المسيح (عليه السلام) اثناء مايسمى بحادثة صلبه ومعاناته للآلام على الصليب![٢٢].

٥-اضافة: حي على خير العمل، الى الآذان[٢٣].

٦ الاخذ بالشهادة الثالثة (وعلي ولي الله) ويذكر العالم الشيعي (ابن بابويه القمي) ان المفوضة وهم طائفة الشيعة الغلاة زادوا في الآذان (اشهد ان عليا ولي الله- او اشهد ان عليا امير المؤمنين)[٢٤].

٧-ضرورة الدفن في النجف بجنب الامام علي بن ابي طالب[٢٥]

رابعا: صناعة الطقوس في الدولة القاجارية

القاجاريون قبيلة تركية كانت ضمن القبائل التركية السبع التي حكمت الهضبة الايرانية ضمن اطار الدولة الصفوية. وبعد سقوط الصفويين تمكن نادر الافشاري من حكم ايران الى ان قتل عام ١٧٤٧م حيث عمت الاضطرابات ايران الى ان تمكن القاجاريون من حكم ايران للفترة من ١٧٧٩ لغاية ١٩٢٦م. وفي عهدهم اخترعت طقوس اخرى عديدة من ابرزها:

١-تم اختراع لقب اية الله.

٢-تم استحداث اول حسينية تسمى بالحسينية الحيدرية في مدينة الكاظمية في بغداد في عام ١٨٧٦م.

٣-تمت اضافة عبارة (اشهد ان عليا امير المؤمنين) الى الاذان عام ١٨٧٠ بناء على اوامر الشاه القاجاري (ناصر الدين شاه) عند زيارته لمدينة كربلاء حيث طلب من مؤذن الحضرة العباسية باضافة العبارة المذكورة الى الاذان، واصبحت هذه الصيغة متبعة عند الشيعة في جميع انحاء العالم[٢٦].

٤-تمت اضافة زيادات على تنظيم الاحتفال بذكرى مقتل حسين بن علي في ١٠ محرم عن طريق الضرب بالسلاسل الحديدة على الظهر والسكاكين على الرأس. حيث كان للتركمان الآذريين اسهام كبير في هذا الصدد[٢٧].

وبخصوص الكرد الشيعة من الفيليين والشبك والكاكائية والصارلية فانهم يمارسون هذه الطقوس مثل الشيعة في القوميات الاخرى.

وللكرد الشيعة مقابر خاصة بهم في مقبرة وادي السلام في مدينة النجف كذلك لهم رايات وتجمعات

خاصة في عاشوراء تبرز الى الوجود الخصوصية الكردية الشيعية.

الهوامش والمصادر والمراجع:

١-د. فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، القاهرة ١٩٨٠، ص ١٧٦.

٢-سورة الحج الآية ٣٢.

٣-د. ابراهيم الحيدري: تراجيديا كربلاء، دار الساقي لندن ١٩٩٩، ص ٨٣.

٤-د. شاكر مصطفى سليم: قاموس الانثروبولوجيا، الكويت، الطبعة الاولى ١٩٨١، ص ٨٢٤.

٥-نورالدين طوالبة: الدين والطقوس والتغييرات، بيروت ١٩٨٨، ص ٢٤-٤٠.

٦-ابراهيم الحيدري. مرجع سابق، ص ٨٤ نقلا عن العالم الفرنسي ارك فروم.

٧-د. قيس النوري: الاساطير والعام الاجناس، وزارة التعليم والبحث العلمي العراقية، ١٩٨٠، ص ٩٥-٩٦.

٨-د. كامل مصطفى الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، دار الاندلس بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٢، ص ٣٧٢.

٩-ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١ ص ٢٦٦-٢٧٠.

١٠-ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٩-١٠.

١١-ابن الجوزي: المنتظم في تأريخ الملوك، ج ٧ ص ١٥.

١٢-د. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٣٨٢.

١٣-ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١ ص ٢٤٠.

١٤-ابن الاثير: الكامل في التأريخ، ج ٨ ص ٥٤٩

ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١ ص ٢٤٣.

١٥-ابن مسكويه: ج ٢ ص ٢٨١.

١٦-د. علي الوردي: لمحات اجتماعية من تأريخ العراق، ج ١ ص ٥٦.

١٧-سورة مريم الآية ٥٤.

١٨-د. علي الوردي: المرجع السابق، ج ١ ص ٥٧.

١٩-د. كامل مصطفى الشبيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، بيروت دار الاندلس، ص ٢٧٣.

٢٠-المرجع نفسه، ص ٢٧٣.

٢١-محمد البنداري: التشيع بين مفهوم الائمة بالمفهوم الفارسي، دار عمار الاردن، ص ٧٧.

٢٢-د. علي شريعتي: التشيع العلوي والتشيع الصفوي: ترجمة د. ابراهيم شتاد سوفي، ص ١٣٢-١٣٤.

٢٣-ابن بابويه القمي: التوحيد، ص ٢٣٨-٢٤١.

٢٤-ابن بابويه القمي: من لايحضره الفقيه، ص ١٣٣-١٣٤.

٢٥-محمد البنداري: المرجع السابق، ص ٧٧.

٢٦-د. ابراهيم الحيدري: تراجيديا كربلاء، ص ٣٨٤.

٢٧-اسحاق النقاش: شيعة العراق، ص ٨٧..

امارة كلهور من كيخسرو الى عباس قباديان

اول امارة وآخر امارة كردية انتهت في ١٩٥٧م

صلاح مندلاوي

يتحدث باحثون ومؤرخون عن الكيانات السياسية الكردية التي تذكر منذ فجر التأريخ ولحد اغتيال آخر امير لها وهو عباس بن جوانميرخان قباديان وكانت من الناحية



٣-لهجة كلور وتشمل اللور الصغير واللور الكبير ويدعى كلور (كلهور) بالكيانيون نسبة الى گردرز بن كيو احد ملوك بابل ويدعى بـ(كي خسرو) كمال يقول المسند القومي الكردي.

الاجتماعية احدى القبائل الست التي تكون الشعب الكردي وتعدادهم يقدر بالملايين ولهجتهم واحدة وتعتبر الانموذج الثالث للهجات الكردية الثلاث والمقترح دمجها لتوحيد اللغة الكردية.

١-لهجة الكرمانج الاعلى نموذجها البوتانية (البادينية).

٢-لهجة كرمانج السفلى السورانية (لهجة السليمانية).

ئێمه ڕۆڵەی میدیاو کەی خوسرەوین

سەیرکەن خوێناویه ڕابردوومان

الترجمة:

نحن احفاد ميديا وكيخسرو

انظروا ان ماضينا ملطخ بالدماء

جاءت كلمة كلور من لور وتدعى باللور الصغير وكل- لور وتعني اللور الكبير وعندي التسمية تعني (لور) اي الكلأ فكما قريش كانت لهم رحلة الشتاء

والصيف وراء الكلا وكما شمر شمر جربة وشمر طوقة كانت تعتاش بالحيوان فتبحث عن الكلأ كذلك كانت (لور وكل لور) وقد كانوا محتفظين بكيانهم لانهم اعتمدوا السكن في مدن تطوقها الانهار التي تفيض شتاء بمياه الامطار فلا يصلحهم الاعداء وهي رحلة الشتاء ومع اول آذار الربيع يصعدون الى الجبال حيث المراعي المزدهرة فبقوا كوحدة سياسية مندمجة في تألف القت امارتهم الى الخمسين سنة الاخيرة من القرن العشرين ووصلت في بداية القرن العشرين درجة انها طالبت بحكم ايران كلها زمان اميرها داود خان اذ المعروف ان ايران تتكون من اقطاعيات يترأس كل منها امير وحاكم طهران يعتبر امير الامراء عليه يسجل هذا للكلهور قبل ان ندخل في بقية التفاصيل يقول مينورسكي المستشرق الروسي ان ممن نبغ بعد ملك (بابل گودرز بن كيو) شخص آخر يدعى بهمن بن اسفنديار والذي يرد ذكره في ملحمة شرف الدين البدليسي الشرفنامة ج١ ص ٣١٣.

ويظيف محمد امين زكي ان من كلهور رهام الملقب (نەبوخدنوسر) لايكتب لروحه اذ الاصل ان احد اولياء (اليزدانيين) هو (بوخدنوسر) يكتب لروحه وهو ماذكره عبدالرزاق الحسني في كتابه عن الايزيديين (وعندي التسمية الصحيحة هي الايزدانيين) اذ انهم كانوا كذلك الى ان دخل اليهم لاجئا آخر خلفاء الامويين ويدعى العدي ابن مسافر الاموي فوجد الاسم الاقرب الى خليفة الامويين الثاني يزيد فجعل تسميتهم بالشكل الحالي.

ويرد اسم كلهور في الرقوق المكتشفة بفلسطين القديمة في الثورات ولاتزال بقايا مقابر اليهود في لورستان.

اما في العهد الساساني فيسمى الكلهور برعاة الغزلان الذين يوقدون شموع المعابد الزرادشتية.

ويقول جورج كرزن انهم الجزء الاصلي من الشعب الكردي فيها المفاخر القديمة التأريخية القومية للكرد ويؤيد هنري فيلد ذلك ويعتبرهم من القبائل الكردية الست الاصلية (كرج وكرمانج بوتان وسوران لور وكلور) ويؤكد عباس العزاوي في ج٢ في مجلد العراق السياسي ان كلهور القبيلة الاصلية للفيلية.

الخلاصة ان لا باحث ابتداء من المؤرخ الاغريقي هيرودوتس واگزنيفون في كتابه رحلة الالف فارس ان لاذكر ولا بحث للشعب الكردي دون ذكر الكلهور.

وتقسيم الشعب الكرد كما يأتي:

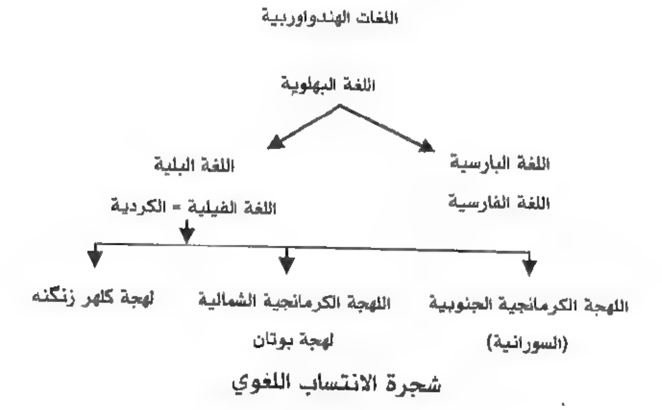
أ/عند هيرودوتس	ب/عند محمد امين زكي	ج/عند البدليس
١-بارتكن	١-كرج	١-الكرمانج العليا
٢-استروخا	٢-كرمانج	٢-الكرمانج السفلى
٣-بودين	٣-بوتان	٣-البوتان
٤-آري زانت	٤-سوران	٤-الكلهور
٥-الموك	٥-كلور	٥-الگوران
٦-بوز	٦-لور	

اماكن معيشة الكلهور في ايران

١-گيلان غـرب ٢-اسلام آباد ٣-ايوان غـرب ٤ سربيل زهاو ٥-نفت شهر ٦-ماهي دشت ٧-برخي ٨-سنجاوي ٩-اسداباد ١٠-هفت جشمة ١١-دزفول ١٢-دينور ١٣ كرماشان ١٤-قصر شيرين ١٥-سومار ١٦-شيروان جردال ١٧-هليلان ١٨-زردلان ١٩-لومار ٢٠-هوسين ٢١-بيستون ٢٢ بختياري ٢٣-خسروي ٢٤بروجرد ٢٥-موسيان ٢٦-ايلام ٢٧-دهلران ٢٨-اركوازي ٢٩-زرنة ٣٠-كارزان ٣١-دالاهو ٣٢-نويسركن ٣٣-كاميران ٣٤-خوران ٣٥-ريثراو ٣٦-هفت گلى.

في العراق

١-هولير ٢-سليماني ٣ كلار ٤-كركوك ٥-خانقين ٦-مندلي ٧-بدره ٨-جصان ٩-جمجمال ١٠-زرباتية ١١ كفري ١٢-شارزور ١٣-حلبجه ١٤-كنعان ١٥-شاربان ١٦-بلدروز ١٧-بغداد.



شجرة الانتساب اللغوي

عشائر كلهور وافخاذها وقد جمعت ٥٨ عشيرة في ايران والعراق ولست بصدد من بتعشروا خارج المنطقة الجغرافية لسكانهم

١-سيه سيه ٢-خزل ٣-ايوان ٤-خالي ٥-سباخوري ٦-جلي ٧-شباني ٨-شيرك ٩-جولك ١٠-داودي ١١-منصوري ١٢-هواسي ١٣-زنكنه ١٤-ماهي دشتي ١٥-كله جوي ١٦-منيستي ١٧-كاكه وندي ١٨-زويدي ١٩-موصلو (موسي) ٢٠-جرموندي ٢١-ناصري ٢٢-رستمان ٢٣-جلوكير ٢٤-عسكري ٢٥-رشيد بور ٢٦-شاهين شوان ٢٧-قلاشاهين ٢٨-هارون آباد ٣٠-درايي ٣١-رضا ٣٢-خلگه ٣٣-رزاق بيگى ٣٤ گلى ٣٥-هن مني ٣٦-بولي ٣٧-شهبازي ٣٨-مافي ٣٩-احمدي ٤٠-فاروقي ٤١-دوستي ٤٢-گيلانى ٤٣-رمزيار ٤٤-فيتول ٤٥-كةجينيل ٤٦-شيرك ٤٧-نفتچى ٤٨-جراخلي ٤٩-قوچمى ٥٠-بورك ٥١-گرگه ٥٢-جاروادار ٥٣-داوديان ٥٤-قباديان ٥٥-بزرگان ٥٦-تيلكو ٥٧-يلو ٥٨-دلو.

وحسب احصاء ١٩٦٥ فان عداد مدينتي كرماشان وايلام بلغ اربعة ملايين نسمة تقابلها في الصفحة الثانية (في العراق) في عام ١٩٦٧ نفوس خانقين ١٥٦٦٠٠ نسمة ونفوس مندلي ٦٤٠٠٠ نسمة وبدرة

وجصان ٣٦٠٠٠ في كل تلك المناطق نسبة كلهور فيها ٥٠-٨٠٪، غير ان مصيبة هذه (الامارة) انه حتى قيادة الكرداتي لاتقبل بان تكون لغة الكتابة غير لهجتي بهدينان وسوران!! ناهيك عن الفرس والعرب.

جغرافية لرستان

وصفها الكاتب الهولندي Harrison بان تلولها في حمرين تشبه ظهور الحيتان والكلونيل Sawyer يصف جبال (رنك) بانها جمال طبيعي اخاذ.

تنحصر امارة لرستان بين خطي عرض ٣٩-٣٤ شمالا وخطي الطول ٤٥-٥٢ شرقا.

تتكون من سلسلة جبال زاكروس الممتد من مدينة كرماشان الى ديزفول جنوب ايران وعلى الغربي في العراق ويضم ايضا البختيارية والكوهكلاوية والماموسانية شرقا.

مساحتها في الجزء الايراني ٩٩٦٠٠ كم[٢] اي نصف مساحة كردستان ايران التي في غالبيتها هضبة طويلة ارتفاعها بين ٢٣٠٠-٢٧٠٠ م فوق سطح البحر وبعض قممها فتلا قمم جبال زردهكو (الجبال الصفراء) الى ٤٠٠٠ م فوق سطح البحر ومنها جبال اشتران وقد سميت افخاذ من قبائل (الگاوانيه) كتب عنوانا لها بالحجم المصرية (الجاوانيون) تأليف العلامة الدكتور مصطفى جواد (والذي كان طه حسين يسميه بالقاموس العربي المتجول) وينسب الدكتور مصطفى مالك (الاشتر) قائد قواد علي بن ابي طالب (ع) اليهم. ولما انتبه الصداميون لذلك اقتلعو تمثال مصطفى جواد من بداية مدينة الخالص قرب بعقوبة وسحلوا الشمال لان مصطفى جواد اظهر انه تابع (للفيلية).

جبال المنطقة جرداء كونها مغطاة بطبقات كلسية لاتخزن المياه ولاتنبع منها ينابيع من كتل الصخور والرمال ربما كان السبب في كونها تغطي بحرا من النفط والذي تم اكتشافه في المنطقة منذ القرن التاسع عشر للميلاد وهي تتكون من المناطق التالية:

أ-القطاع المحصور بين همدان وخانقين.

١-سلسلة (كبيرة كوه) تنگاوران.

٢-سلاسل (كاوه) گيلان ريزهكو.

٣-سلاسل ماهيل- سفيد- هفتاد بهلو.

٤-سلاسل جبال چرمى ويزدان وتافكار.

٥-جبال ملاير.

ب/القطاع الاوسط المحصور بين نهر الگارون وروافده جگاخور.

١-سلاسل مينا، كيو، سفيدكو.

٢-سلاسل كازستان، زرد، رهنك، سالداران، سوز، كالا.

٤-سلاسل اشزان، لازرد، چول، جهان.

ج/القطاع الجنوبي بين نهر دز وروافده جگاخور شمالا وحتى اطراف لورستان الجنوبية.

١-سلسلة كوەسپى، جاش.

٢-سلسلة سلكشت، كوهي سپا.

٣-سلسلة زربه، سفيد، كومو، شارو، دربند.

٤-سلسلة بادمستان، زەردە، بايار، كوتولي دوتر

٥-سلسلة خانەميرزا، دينار، كوتلي بيرەژن.

بقي ان تذكر ان جبال زهنك الخضراء تحتوي على ٢٥٠ نوعا من الورد كما ذكرها Sawyer الهولندي ووصف مناخها بانه غير مؤذ حتى في

تلوجه شتاء مما بسبب ارتفاع حرارة صيفها وهي تتراوح في الامطار بين ٢٠سم-١٠٠سم والحرارة تتراوح بين ١٥° تحت الصفر و ٤٢° فوق الصفر المئوية (النستگريت).

انهارها

١-نهر سي منره (الكرخة) روافده روافده هي ملايد، دناور، مارك.

٢-نهر الگارون منابعة جبال كورهتك وزددن كو روافده كاج، اناك، بازوفت، وخرسين.

٣-نهر دز روافده نورود، ابي رحمت، ابي زالكي.

٤ نهر كردستان (چراخى) منابعه كوهي زرد وكوهي بلند ويمر عند عشائر كوه كلاو.

٥-آبي شيرين من جبل بايار.

المصدر مجلة شمس كردستان العدد ٦٦ سنة ١٩٩٨ د. فؤاد حمه خورشيد

٦-نهر گنگير التي تتفرع الى فرعين گلال التي تمتد الى بدرخ جصان زرباتية.

٧-نهر الون وينبع من جبال زاگروس بفرعين فرع حاجي قره يرتقي الى عهد الساسانيين في العراق.

والثاني درنه وقد شرع عام ١٧٢٩ والقناطر المقامة على النهر مذكورة في معجم البلدان لياقوت الحموي ص ٣٢٩ ج٣.

٨-نهر سيروان فتصبح دوبالي ذات الظلفين وقد بنت الحكومات الايرانية قبل الثورة سدودا على هذه الانهار مما ساعدت على موت الاراضي الزراعية الكردية الجنوبية وزيادة ملوحتها وسببت هجرة الملايين منها.

التاريخ

يرى بعض الكتاب وهو قلة ان لغة كتاب او الواح زرادشت كانت اللغة البهلوية (افيستا) او المرأة كانت تتضمن ٨٣ الف لوح بعد غزوة الاسكندر المقدوني (ذا القرنين) ملك الاغريق اليونان فقد احرق ٧٩ الفا من تلك الالواح وبقيت اربعة الاف لوح صارت اساسا للغة البهلوية ومنها صارت البارسيه والبيليه بعد تغيير الاحرف صارت الفارسية والفيلية اذن فالاحتمال الاكبر ان الاسكندر اخذ تلك الالواح لانه كان يجل العلم والعلماء ولو ان الاستاذ يوسف مجيد زاده في كتابه تاريخ وتمدن عيلام يذهب الى ان (البيلى) لقب ملوك باسم هذه السلالة عاشت في حوالي ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد وعاشت لها ١٢ ملكا في لوحة مستكشفة في (زهاو) تعود الى ٢٨٠٠ ق الميلاد ص ١٨٦ تاريخ الشرق الادنى عن كرد وكردستان لنبسراغوار ذلك التاريخ عبر اللولو والميديين والاشورين والسومريين والاكديين والعيلاميين والبابلين وبجهد متواضع وباللغة العربية لما يتسير من كتب التاريخ ولا يتطلب الجهد الجبار فقد اخرجناكم هذه المرادفات اللغوية التي تؤكد في جميع حالتها انهم كانوا كردا وكان فيهم الكلهور بنسب متفاوته.

طوفان نوح

في ١٨٨٢ عن جورج سمث رائد علماء الاشوريات الانكليز بانه اكتشف من بين رقم مكتبة (اشور بانى بال) الموجود في المتحف البريطاني قصة طوفان مايرد في الانجيل (سفر التكوين ٥°) على شكل قصيدة شعرية تروي ملحمة (كل گاميش) الباحث

عن الخلود فرويت قصة طوفان لرجل يدعى (اوت نابشتم) فقط اقلب الاسم لتقرا بالعربية تراه (نابشت أو) ركب على ظهر الماء ثم حتى بالعربية (نوح) ليس حرفه الاخر بالحاء وانما الهاء فيصبح (نوه) اي الجديد جورج رو ترجمة حسين علوان ص ١٥٨-١٦١.

الان لنذهب الى السومرية سترون ان كلها محصور في التسمية (اور) في حين انها (اور) الغيم في لغتنا وسومار تعني زاغو الافاعي الناحية المقابلة لمندلي لم تسم صدفة بهذا الاسم واليكم اسماء ملوك سومر.

١-اغا كتبت باللاتينية آكا الذي اتذكر كل كاميش بالاستسلام

٢-مسكي اغا، شر المتوسل باله الشرأن لايغويه.

٣-نهمر كار الذي لايموت صنيعه.

٤-گالهبهند (في فلسطين مدينة گاله صارت جالا).

٥-گل اب حتى المترجم حسين علوان يقول انه اليه يعود الماوردي فمنطقة السومريين تسمى (اوروك) والجزء الايراني (اراي ته).

سلالة وملوك السومريين

حيث ظلم كل كاميش اهل (الغيمة الصغيرة) (غوروك) شكوه الى الاله الاعظم (انو) والذي اصدر امرا الى الهتة (اورورد) بخلق ثورة وحشي آخر يعادل (كل كاميش) مرتين كي يستطيع تحديه ولفت انتباهه بعيدا عن بنيات وزوجات المحاربين والشرفاء اللائي لم يكن (كل كاميش) ليتركهم بسلام فخلق (انكي-دو)

تصفه الملحمة الشعرية (وكقصة حي بن يقضان والطرزان) مع الغزال يتغذى العشب مع الضواري يناكب في مناطق السقي مع المخلوقات المحتشدة لسر قلبه في الماء (العراق القديم جورج رو ص ١٦٤-١٧٣).

لذلك يقرر (كل كاميش) البحث عن سر الوجود لدى (نابشت آو) نوح. فيغوص في البحر ليخرج (المرجانة) التي فيها سر الخلود ولما يخرجها يغفو قليلا ليستيقض على ابتلاع افعى للمرجانة التي كانت متانه عن جذور بحرية صقلها الامواج كما تفعل في جذور الاشجار على ضفاف البحار فتصبح مايسمى بالكهرب.

الكاشيون

كان الكاشيون قد استوطنوا الجزء الاوسط من سلسلة جبال زاكروس الذي يسمى الان لورستان جنوب همدان وقد توسع ملكهم ليحكموا بابل ٨٠٠ سنة قبل الميلاد ودام حكمهم ٤٣٣ سنة من ١٥٩٥ ١١٦٢ ترسخ حكمهم على سد ملكهم (آگوم دورم) الملقب بـ(كاكهرايم). ودولتهم كانت تسمى (كار-دويناش) هذه الاسماء لاتحتاج الى ترجمة في الكردية.

والهتهم كانت كاشو شي باك شي مالي شي كامو و دام حكم الكاشيين خمسمئة عام جعلوا الامن والسلام يسود العراق الاوسط واواسط ايران وكانت بقاياهم تمثالي مردوخ وسهربانيشم في المعابد ومن الروتات الاتفاقية بين الكيشيين والاشوريين (بورنة) (بور باس الاول) والثاني بزر اشور الثالث اي بس (الابن) والحدود بينهما كانت سامراء الحالية.

العيلاميون

قادهم في فتح بابل (شترك ناخنتي) ١١٦٨ ق. الميلاد وقائدهم شبلاك انشد قضى على امبراطورية الكاشيين وصل المسلمون الى العراق وبابل صارت

•حلة) والجفل يعيش فيما قبيلة (گاوان) الممتدة الى كرماشان تحدث عنهم باسهاب العلامة مصطفى جواد في كتابه (الگاوانيون) واشار الى ان منهم الكثير من قادة علي بن ابي طالب (ع) فهم مالك الاشتر، قائد قوات المسلمين والذين قيمه عليا (ع) مالك لي كما كنت لرسول الله.

ويذكر مولاه (سعدالدين) مدرس السلطان مراد الرابع ان الكرد عرفهم الرسول من خلال ارسال ملك تركستان لوفد ترأسه (بگدوس) من اعيان الكرد وعظمائهم وكان شديد الرأس جليد القلب بهامة ضخمة فسال الرسول بعد ان تكر الملك التركي (اوغوز خان) وسأل بگدوز عن قومه فقال انه من الكرد فدعا الرسول لهم بالخير فصار لهم الهواء عليلا والارض ينابيع واشجار وثمرة دون ان يزرعها انسان وجبالا فيها بيوت العسل ويرد في الشرفنامه ص ١٥و ١٦ لشرف الدين البدليسي.

امـا اعجوبـة الزمـان ونـادرة الـدوران والاوان وزعيم العشاق المتيمين الـوالهين ورئيس الاوفياء المعذبين المضطهدين (فرهـاد) الـذي قاسى الاهـوال والشدائد في سبيل غرامه وهيامه شيرين التي كان يعشقها في الوقت نفسه (خسرو برويز) من ملوك ايران فقد كان من كرد كلهور والفردوسي الشاعر صاحب الشهنامه يسمي رستم زال برستم كرد ومن الكلهور (بهرام چوبين) الذي كان اسبهالار (قائد الجيش) في عهد هرمز بن انوشيروان.

ويرد في اخبار الدولة العباسية ان مسرور الذي تعادل قوته الخمسين رجلا حارس هارون الرشيد فهو من كلهور وام المعتصم من كلهور (مندلي) والتي كانت حاضرة الاتابكيات التي تتأخم المدينة الى حدود هضبة ايران الى كرماشان لجباية الخراج والزكاة وهكذا ازدهرت مدن خانقين ومندلي وبدرة وجصان وزرباطية.. والتي كانت في الجهة الاقرب الى العاصمة بغداد وهي اصلا كانت كذلك لما كانت العاصمة بغداد ولكن (دي زبون) طسفون وطاق كسرى لابل حتى بغداد كانت تسمية المدينة اي (بستان العدالة)

واصل معكم بدويلات الحسنوية المانوية فكانت أتابكيات وفي الاتابكيات الفضلوية والخور سبرية والشمسية والنادران تونت الامارة امرأة تدى دولت خاتون الى الدخول العثماني الى بغداد ١٥٩٢ فكانت بغداد الخاضعة للحكم الصفوي عصبة عليهم فقاد الكلهور بشهادة واضحة لاتضاح الرؤيا بعد القرون الوسطى الاوروبية التي خرجت على الدنيا وبقي حكم ذوالفقار خان الى ١٦٠٢ حيث اغتاله اخاه ابراهيم علما بان حكم ذو الفقار خان بعد مجيء مراد الرابع العثماني كان يشمل الاضافة الى بغداد المناطق الكلهور الممتدة حتى كرماشان.

بقي ان نذكر ان دولة القزلباش التي امتدت من بيات خلف بدرة الى قزلباش بسعدية الحالية (ذوي الشعور الحمر) قد قضى عليها الكلهور بقيادة (عزيز فتاح بك كلهوري) الذي كان يسكن شهربان فأخذ الغنائم التي حصل عليها من تدمير دويلة القزلباش محملا بالجمال الى استانة السعيدة. فانعم عليه السلطان (زاهد باشا) سيفا وقفطان وفي طريق العودة القي القبض عليه في ماردين من قبل جاوش يحمل الامر المطاع!!

هذه في مذكرات مأمون بك اخو محمد باشا والي بغداد المودع في الخزانة التركية ترجمة شكور مصطفى وجميل روزبياني.

القرن النفطي

اتفقتا المانيا على تحديث الجيش العثماني ومد سكة حديدة تمتد من برلين الى البصرة في عهد فردريك الكبير ورئيس وزرائه بسمارك مجانا ١٨٠٠-١٨٩١ فقابل منها منحها امتياز البحث عن النفط على بعد عشرين كيلومترا يمين ويسار السكة وسمي في وقته خط (B.B.B) بعد التوقيع سأل السلطان عما تعني فقيل له (برلين/ بغداد/ البصرة) ولما وصلت السكة الى بغداد انحرفت باتجاه خانقين فاجتح الباب العالي لعدم اتمام مد السكة الى البصرة فقيل له نحن كنا نعني (برلين/ بيزنطة/ بغداد) وبقي لنا شيئا زائدا من الحديد فجعناه مفيدا بان نوصل الحدود الشرقية للعراق ويأتي منها الزوار في الحقيقة المانيا وصلت كرماشان وعلمت بذلك بريطانيا وفرنسا وهولندا والبرتغال وامريكا فاشتعل التنافس بعد اكتشاف النفط في الكاليفورنيا وتكساس ولأن (الزفت) كان يخرج تلقائيا في نفط شهر وكانت اساس (سهام گرگرى الميدية) التي ايضا استعملها صلاح الدين الايوبي في عهد المنجنيق الافرنجي التي كانت وسيلة مدمرة للقلاع المحيطة بالمدن الاسلامية وكان الالمان استمالوا عشيرة (سنگاو) الكاكية التي اعجبها المشروبات العجية السكرة التي جلبها الالمان في حين ان قادة كلهور كانوا على الاقل في النخبة واعني من الغاية فعجبهم الاحترام الانكليزي لقيادات كلهور مثلا ان جريدة (تێگەیشتنی راستی) التي كانت تصدر في بغداد بين ١٩١٧-١٩٢١ قالت في عنوان كبير اهلا بالاجل سليمان خان كلهر وهو يعبر الاراضي الخاضعة للسلطة الانكليزية لزيارة كربلاء والنجف والكاظمية وقد انتهت الحرب العالمية الاولى واحدى غنائم الخلفاء من الجيش الالماني هي (فاركوبنين) من القطار المتوجه الى الشرق كانت محملة بنقود سكت حديثا كي تكون اساس منطقة (مسوبوتاميا) كلهر اذ انها اصلا كانت منطقة حكومة فدرالية زمن سيطرة الاغريق (البوتانيين) الذين لاتزال اثارهم في مغارة شيرين وفرهاد ١٢ كم من كرماشان (٨٥ سنة قبل الميلاد) حيث كانت نفوس خانقين عشرين الفا واسمها (درنة) الممتدة الى كرماشان وسنوات في بحث بفصول كاملة عن روسيا في كرميان وبريطانيا في كرميان والمانيا في كرميان وحملات العثمانيين تجلب حتى مع السلطان العثماني واعتنيا اشد الاعتناء بلكهور والذين وصلوا الى المنافسة على الشاهنشاهية اذ ان الكرد في مناطق كردستان الاخرى في افضل الاحوال يطلبون الحكم الذاتي لكن كلهور كان يطالب بعرش ايران خاصة عندما ضعفت السلالة القاجارية في ادارة حكم ايران فسعى الكلهور لاحتلال عرش الطاووس في ٢١ شباط ١٩٢١ اثر انقلاب (حوت) كذلك ورد في المجلد الثاني من القاموس السياسي العراقي ان علي مرادخان (امير لور) كان احد التسعة المرشحين لملكية العراق ترشح عن كلهور داود خان لعرش ايران على اعتبارات كل رئيس امارة هو امير وامير طهران هو امير الامراء (شاهنشاه).

ففي حين كانت الثورات الكردية في بقية ارجاء كردستان مثل ثورات البدرخانية الثلاث منذ ١٨١٨ ثم امراء بدليس وعبدالله النهري وسمكو اغا الشكاك وثورة البارزانين والزيباريين والاكري داغ وسعيد بيران والملك الشيخ محمود الحفيد كانت طلباتهم ان يحكم مناطق كردستان كردا من قومهم يفقهون قولهم نرى ان الكلهور قد طالبوا بعرش ايران وحتى (اللور) فقد كان علي حسين خان احد المرشحين التسعة لملكية العراق في ١٩٢١ وهذا مايرد في المجلد الثاني للقاموس السياسي العراقي تأليف عبدالرزاق اسود.

ويحضرني ان (شايسوار) د. ارام ونحن طلبة كان يقول لماذا نحن نطالب بحكم كردستان فلماذا لانطالب بحكم العراق او ايران!!!

لنتصور ان رضا خان والد محمد رضا خان اشتهر بمدفعه (المكسيم) في قمع ثورة كلهور وعاش في كرماشان الى ان وصل رتبة (سەرهنك) عقيد (ولذلك كان محمد رضا حين يسال عن الكرد فيقول باسما انا كردي!!!) ونقل رضا خان الى منطقة حراسات السفارات في طهران وقام بانقلابه بمباركة انكليزية، اذ حتى بكر صدقي حين اراد عام ١٩٣٦ ان ينال رضا الانكليز ارسل اخاه (برقي بك) لوأد ثورة الشيخ احمد البارزاني فقتله الشاب مصطفى البارزاني فالانكليز كرهوا الكرد بسبب اساسي انهم اصحاب النفط المحسودين وانهم احفاد صلاح الدين الايوبي الذي اسر رجارد قلب الاسد اثناء الحروب الصيبة في ١١٨٧م وان الالمان قد شكلوا لجنة اتحاد الاسلام بقيادة الكلهور في كرماشان بقيادة خالو قربان وان اباب العالي العثماني زمن انور باشا قد اتصلوا بالكلهور لتحريكهم في الثورة الدستورية ١٩٠٥-١٩١١.

المصدر ابراهيم فخراني عن ميرزا گلك سردار جنگل تهران ص ٨٩-١٠١.

تم وصل الروس الى كرماشان اذ قامت فيها كلهور حكومة (بقيادة نظام السلطنة) انهاها الهجوم الروسي وكان الالمان قد اقاموا في المنطقة ومندوبهم شولتز برتبة كابتن كان في ١٩١٦ علاقة مع العشيرة المجاورة (سنكاويين) ماتوا بسبب زلزال ابتلعت قراهم الانشقاق الارضي وقبل ذلك تمكنت الناس من كسر الهجوم الروسي بحيث تحول بقايا جندهم الى قطاع طرق في سلب من تطريقهم للاسحاب وكان بين الانكليز والروس اتفاق سري في اذار ١٩١٥ بشأن تقسيم منطقة كلهور بعد ان ارسل الالمان بعثة عسكرية خاصة الى افغانستان واخرى الى بلدجستان لدعم القنصل الالماني في بوشهر (فاسموس) الذي كان يدعى باللورانس الالماني فاقلقت نشاطاته الانكليز بشكل جدي خاصة وانه كان يركز في جهوده على منطقة كلهور فسجعوا ثورة (الجنكلين) المحتمين بالغابات كان يرسل الى سليمان بن داود خان انور باشا سلطان العثمانيين سيفا مرصعا بالجواهر!! ذلك ان النفط قد ثبت استكشافه وتقرر ان تكون الحصص كالاتي بالنسبة لنفط خانقين ٤٧,٥٪ الى بنك تركيا الوطني ٢٥,٥٪ الى البنك الالماني ٥٪ الى گولبوگيان الارمني الوسيط بين الطرفين هذه هي حصتنا ولهذا فقد دارت بين الاعوام ١٩٠١-١٩١٣ مفاوضات بين مندوبي بريطانيا وايران

وروسيا وتركيا لتحديد حاجز بين منطقة جنوب الهضبة الايرانية بايطاق اذ تاكد وجود النفط فيها فتقرر جعل (حمرين) حاجزا بين العثمانيين والقاجاريين في ١٩١٣ صارت الحدود نفطخانة ونفط شاه الحدود نهر الوند مع المجرى نزولا من ملتقاه بحدود گيلان غرب ويستمر في سيره الى اب بخشان وفق الخط المتفق عليه مع محمود شوكت باشا والتي تتثبت على خريطة في السفارة الروسية في تركيا عام ١٩١٣ وعلى قومسيون الحدودان يضع اتفاقية خاصة لتوزيع مياه گنگير (سومار) مابين الفرقاء ذوي الشأن فبنوا من اموال النفط العائدة الى كلهور سدا على النهر سمي بكنجان جم لقطع المياه عن مندلي وخانقين.

ولما انتهت الحرب العالمية الاولى انهارت الدولتان العثمانية والقاجارية ولكن بقي الانكليز شركاء للحكومتين التي صنعتها في طهران وبغداد فكانت الشركات الانكليزية في الجهتين لحين ثورة مصدق عام ١٩٥١ اذا مم الحصة الانكليزية واطلق سراح آخر رئيس عشيرة لكلهور عباس قباديان فانتخب نائبا عن المنطقة فما ان عادت الامور الى الانكليز الاوقد اغتيل عباس قباديان ١٩٥٧ في باريس على طريقة الملك غازي (قتل وصدم بعمود كهرباء) هذا الرجل كان آخر امراء كلهور وقد استفاق الرجل ليوصي بان يدفن في النجف الاشرف وقد توضح في ذلك امران:

١-انه لم يكن سكرنا كي يصدم العمود كما في حالة الملك غازي وانه كان رجلا متدينا بحيث اوصى بان يدفن في النجف.

٢-اراد ان لا تتمادى الحمومة الايرانية بان تعمل له جنازة رسمية وكأنها لم تشترك في قتله.

وبموته بدأت مرحلة مجهولة من التنكيل والتشريد في كرد كلهور وقد ابعدوا في ايران الى قم وقزوين وسيستان وكرمان شمال خراسان تايباد في افغانستان وخوزستان وفارس ولرستان وگيلان شرق ومازندران وگرگران وقد جلب مكانهم التركمان والصفوية حتى منذ زمن القاجاريين.

اما في الصفحة العراقية فلسنا بحاجة الى تفاصيل اكثر خاصة ولما اسلفنا فان الدولة الفارسية تابعت اماتة المدن الكردية الكلهرية بقطع المياه عنهم منذ ١٩٢٨ ببناء سدود على الانهار التي تسقي بساتين خانقين ومندلي وبدرة وجسان وزرباتيه وجلولاء وجولك (السعدية) حتى ان الحكومة الفارسية لم تقبل آنذاك ببناء سد علي گلال مندلي (الذي ينفذ اليوم) برعاية الاتحاد الوطني الكردستاني.

كانت كل تلك المجربات تتم بموافقة دولية اذ لم تكف نفسها حتى الاعراب عن رفض القوانين الدولية لمثل هذه الاساليب في قطع المياه عن الدولة التالية كل ذلك كي لايصبح الكرد اصحاب الارض اصحاب النفط في نفط شهر ونفطخانة واحتمالات النفط في كلار ومندلي وبدرة نعم فالهجمة لم تكن على الشعب وانما على الارض اذ ان اهالي المدن هذه صاروا تجارا في السوق الرئيسة في بغداد ولكن كانت الهجمة ان تفرغ هذه الاراضي من الكرد كي لايكونوا مالكين لكل ابار النفط هذه وطبعا كما يقول باسيل نكيتين الروسي ان كلهور كلمة مرادفة للثورة ولم

تستسلم ابدا للدولتين العثمانية والصفوية وحتى القاجارية والشاهنشاهية فلم تكن الحكومة تجرؤ على البقاء في ارضهم الا عام ١٩٦٧ حيث نسف مخفر الشرطة الذي بني عند كلهور رغم انهم الذين بقوا في الارض كانوا يأكلون الـ (كزگه) الخبز المعمول من الذرة ومن الحقائق الاخرى التي فاتني ذكرها اشتراك كلهور في ثورة الشيخ محمود اذ ان قلعة بلنگان قرب قرية زلم في هورامان هي قلعة كلهرية ايضا وفي قوائم شهداء حاشية الشيخ محمود العديد من الاسماء الكلهرية.

وخلاصة بحثي تتركز على ان الكرد كانت لهم كيانات سياسية وانهم كانوا عماد كل التسميات التي عرفت في تأريخ المنطقة من الميدية والكيشية والاشورية والبابلية والسومرية وركزت على امارة بقيت قائمة لثلاثة الاف سنة تطابقت المصالح الدولية مع هدمها بسبب اختلافهم على توزيع ارض كردستان لا لانهم عنصريون وانما لان كل الاستكشافات النفطية كانت تؤكد وجود النفط تحت اقدام الكرد سواء في صفحة ايران ام صفحة العراق وحتى في سوريا واذربيجان غير ان الاقدار ارتأت ان لاتكون للدولة الشمالية لكردستان اية حصة فلذلك تمسكت بالكرد لانهم اصحاب الارض التي تحوي المياه الوفيرة التي تريد بها ان تجعلها مقايضة مع النفط فيصبح (النفط- مقابل الماء). وشعبنا فقط اريد ان يفهم بجميع لهجاته بان جوف ارضهم هو السبب في كل الكوارث التي صبت عليهم.

واليوم الارادة الدولية تريد ان تضمن مستقبلها للمائة عام المقبلة بوصول امدادات النفط وهي نفسها تساعد في انماء القدرة الكردية كي تكون محتفظة بهويتها القومية ونحن اليوم بعشرات الالاف من المثقفين بكل اللغات المعروفة في الدنيا سنجد لنا مكانا بين اعلام الشعوب المتحررة من الظلم اذ اننا لازلنا اكبر امة (٤٠ مليونا) ليست لنا حقوق ولا كيان.

المصادر

١-ايل كلهر درگزر تاريخ سجاد باقري

٢-العشائر العراقية عباس العزاوي ص ٢٠٧-٢١٠.

٣-محمد امين زكي خلاصة تأريخ كرد وكردستان.

مجلة "هاوار" تنتقد المجلات العصرية

محمد حمو

هذا العام يمر اربعة وسبعون عاما على صدور العدد الاول من مجلة هاوار، حيث صدرت هاوار على يدي الامير جلادت عالي بدرخان في المنفى، اذ صدر العدد الاول منها في دمشق العام ١٩٣٢.

عندما يتمعن المرء او المتتبع في الاعداد الصادرة من هاوار، يستطيع بحسه الوطني والقومي ان يجعل من كل حرف او كلمة من هاوار شاهدا، وواقعا لينتقد كل هذه المجلات والدوريات العصرية الصادرة راهنا، في مجال الحس الوطني والقومي.

هاوار كان نقدا لكل ماهو ماض ولكنها لم تستقرىء انها لاحقا ستنتقد المستقبل ايضا، اتت هاوار كنتيجة للانتكاسات الكردية المتلاحقة، والانتفاضات الكوردية التي اخمدت بالنيران. وبالنتيجة كانت صرخة لايقاظ الشعور القومي لدى الكرد، هنا نتساءل لماذا كانت هاوار نتيجة انكسار الثورات والانتفاضات الكوردية؟ لانه كانت لدى الكرد قناعة بان مع انهيار الامبراطورية العثمانية ستصبح للكرد دولة، لكن للاسف مع انهيار الامبراطورية العثمانية اضحت كردستان الخاضعة للسيطرة العثمانية ثلاثة اجزاء مقسمة على دول مجاورة بابرام اتفاقية سايكس بيكو في العام ١٩٦١ بين الانكليز والفرنسيين.

تقسمت كوردستان بين تركيا الجديدة وسوريا والعراق، وابرام تلك الاتفاقية كان بمثابة الانتكاسة الكبرى بالنسبة للكرد، بعدها اصبح الكرد اصحاب الانتكاسات المتلاحقة، ولاسيما بعد انهيار ثورة الشيخ محمود الحفيد في جنوب كردستان العام ١٩٢٣، وابرام اتفاقية لوزان، ومن ثم انهيار ثورة الشيخ سعيد بيران في شمال كردستان العام ١٩٢٥، وانهيار ثورة آكري التي اندلعت بالتعاون مع جمعية خويبون بقيادة احسان نوري باشا في العام ١٩٣٠.

كان الامير جلادت عالي بدرخان احد قادة خويبون النشطين حيث تعلم من انتكاسة ثورة آكري كيف يضع اصبعه على الجرح الكردي، ويتعلم رسم خارطة جديدة، بعد التأكد من ان الجهل وعدم المعرفة هما وراء الانتكاسات الكردية المتلاحقة.

ففي ثورة أكري اتخذت جمعية خويبون قرارا بان يذهب الامير جلادت بدرخان مع ثلة من المثقفين الكرد الى وجهاء العشائر الكردية ليحثهم على مؤازرة الثورة، لكن مع الاسف اصطدموا بآثار سلبية من قبل رؤساء العشائر ولم يستطيعوا بالنهاية الحصول على تلك المؤازرة المرجوة من قبل وجهاء العشائر، نتيجة للجهل المسيطر على الحالة الكردية آنذاك، حيث كان الاعداء يقنعونهم بالامور الدينية وان الدين اكثر احقية من الشؤون القومية، مما ابعد العشائر عن قوميتها.

او ان ادراك الامير جلادت بدرخان للمشكلة الكردية في انها تتمثل في الجهل وعدم المعرفة، اراد الغوص في ايجاد علاج ناجح لتلك المصيبة الملمة بالكرد، وبالمحصلة كان العمل على نشر الثقافة بين عامة الشعب، ومن ثم اهمل الامير جلادت بدرخان العمل السياسي لصالح العمل الثقافي ونشره، وكانت اولى الخطوات نشر مجلة هاوار وسلسلة من الكتب ومن ثم مجلة روناهي.

هاوار كانت عملية ثقافية وقومية بحتة. وهي بحسب شعارها ونهجها، عرفها الامير جلادت في العدد الاول بتأريخ ١٩٣٢/٥/١٥ بما يأتي "هاوار هي صوت المعرفة، والمعرفة هي معرفة الذات، ومعرفة الذات تفتح لنا طريق الخلاص، وكل من يعرف نفسه، يستطيع ان يعرف نفسه ايضا، لذلك اللغة هي الشرط الاول للوجود".

الامير جلادت بدرخان بعد سيرته السياسية، وصل الى قناعة انه لا يعرف نفسه ولا يستطيع ان يعرف نفسه للآخرين ومعرفة الذات هي معرفة اللغة، الثقافة، التأريخ وجغرافيا الوطن، لذلك توصل الى تلك المقومات هي معرفة الذات بغية تعريفها، وقد كتب في العدد الاول من هاوار "هاوار قبل كل شيء ستعرف وجود لغتنا، واللغة شرط الوجود الاول، وتهتم هاوار بكل ماينتظره الكردي، فقط بعيدا عن السياسة، وتترك هاوار السياسة للمجتمع الكردي، ونحن سنعمل على المعرفة والفن".

عمل الامير جلادت بدرخان على ان تكون مجلته مجلة المعرفة، لينتقد من خلالها الماضي المهزوم، لان ذلك الماضي افتقر الى المعرفة، لذلك اضحت هاوار بالمحصلة ارادة ومعرفة الذات وايقاظ الشعور القومي لدى الكرد، وهي بالتالي تحمل قناعتنا ايضا بشعارها وبآرائها.

تحت مسمى اهداف ومرامي هاوار نشرت في العدد الاول منها هذه البنود باللغتين العربية والكردية:

-نشر الابجدية الكردية بين الكرد وتعليمها، تصنيف اللغة الكردية، ونشرها رويدا رويدا بين عموم الشعب الكردي، ونشرها على شكل كتيبات.

-تجميع اللهجات الكردية، ومقارنة اللغة الكردية باللغات الآرية الاخرى، والبحث في مدلول بنية اللغة الكردية، وتأريخها واسلوب نهضتها وتطورها.

-تجميع القصص، الاساطير، الملاحم والاغاني الكردية ونشرها.

-تصنيف ونشر الدواوين الكردية، ونشر سير الشعراء والمبدعين المختارين.

-تصنيف الرقصات والاغاني الكردية وتدوينها.

-الاهتمام بالتأريخ والآركولوجيا الكردية لعموم كردستان، وتدوين تاريخ العشائر القديمة بعد وابان الامير شرف.

تلك البنود بمثابة نهج تكللت بالظفر في الاعداد الصادرة من مجلة هاوار والتي بلغت تعدادها ٥٧ عددا، وهنا سنحاول التركيز على البندين الاولين نشر الابجدية الكردية الجديدة بين عموم الشعب الكردي حسب الفونتيك والاحرف الصوتية، وهذه بلاشك من ابداعات مجلة هاوار التي نشرت لاول مرة الابجدية الكردية بالاحرف اللاتينية.

ربما يتخيل المرء ان الامير جلادت بدرخان قد وضع الابجدية اللاتينية تحت تأثير اللغة التركية، لكن بحسب الامير جلادت" فان الامير بدرخان قد فكر بالابجدية اللاتينية قبل ان تتحول اللغة التركية من الاحرف العربية الى اللاتينية".

ان الامير جلادت بدرخان في العام ١٩١٩ تيقن بالابجدية بعد حادث بسيط جرى معه، حيث في العام ١٩١٩ قبل مؤتمر سيفر الذي عقد في العام ١٩٢٠ تشكلت لجنة من اعضاء جمعية التعالي الكردستاني والتحالف الذي تأسس آنذاك، بغية تجمع الآراء حول الشعب الكردي (هل هم مع استقلال كردستان ام لا) ليقدموها الى مؤتمر سيفر، وتلك اللجنة تألفت من خمسة اعضاء نشطين هم الامير جلادت بدرخان، اكرم جميل، كاميران عالي بدرخان، فائق توفيق، ومن التحالف ميجر نويل، ولان ميجر نويل كان يتقن الكردية، ذهب الاثنان هذا الاخير والامير جلادت بدرخان الى عامة الناس بغية استطلاع آرائهم في مهمتهم الموكلة اليهم، واوان عودتهما ليلا كل يوم الى الفندق، كان الميجر نويل يدون ملاحظاته بالاحرف اللاتينية، اما الامير جلادت بدرخان فكان يدون ملاحظاته بالاحرف العربية، وعند قراءتها كان الامير يلاقي صعوبة في تلفظها، اما الميجر نويل فكان يقرؤها بكل سهولة ويسر، عندها سأله الامير "قراءتي لتدوينك اسهل بكثير لي "آنذاك يقول له نويل" لان الغتكم من اللغات الهندواوروبية لذلك ان الاحرف اللاتينية تناسب لغتكم اكثر من الابجدية العربية". (العدد ١٤ من هاوار).

اوانئذ بدأ الامير جلادت بدرخان العمل على وضع الابجدية اللاتينية، ويؤكد بدرخان انه عمل على الابجدية اللاتينية منذ العام ١٩١٩.

اهتم الامير بدرخان كثيرا بالابجدية اللاتينية، وعمل على الفونيتيك الكردي والاحرف الصوتية حيث عول عليها كثيرا ايضا، حيث يقول في العدد ٢٧ من مجلة هاوار في الصفحة ٦ تحت عنوان ثلاثة تواريخ لهاوار هذا اليوم في حياة الكرد والمجتمع الكردي يوم تأريخي، وفي هذا اليوم الكرد اصبحوا صاحب ابجدية مستقلة، وتخلصوا من ابجديات غيرهم، وهذه الابجدية علم من اعلام استقلال وجودنا، سابقا كانت الاعلام الغريبة ترفرف على قلاعنا، وفي هذا اليوم تم تنزيل واتلاف تلك الاعلام ورفعوا علمهم وتخلصوا من عقدة التأثير، واستظلوا بظلالهم، واستقلوا بارضهم".

وقد عول الامير جلادت بدرخان على ثلة من المتنورين في هذا المضمار منهم: الدكتور كاميران بدرخان، توفيق وهبي في العراق، علي سيدو كوراني

في الاردن، وايضا شاكر فتاح، وقد كتب الامير مقالا كرد على شاكر فتاح ونشره في احد اعداد هاوار تحت عنوان "حول توحيد اللغة الكردية" يقول فيها "ما كتبه (أكسي سداي هاوار) وهو الاسم المستعار لشاكر فتاح، يستحق الثناء ولا تعلو عليها كلمات، وكما اكدنا مرارا وحدة اللغة هي وحدة الشعب الكردي، وتوحيد اللغة بعد الخطوة الاولى في توحيد الاحرف، نعم نعلم ان اللغوي المعروف والاكرم الاستاذ توفيق وهبي قد وضع هو الآخر ابجدية لاتينية، وقد التقينا في دمشق، وقارننا الابجديتين معا، وكان هناك فارق بينهما، وقد قررنا مباشرة توحيد الابجديتين ونشرها على وجه السرعة، عندها قال لي صديقي العزيز والكريم، عليكم ان تعملوا على ابجديتكم انتم، ثم سافر الى العراق.. كتبت له مرارا، لكنه لم يجب عني، ومؤخرا عرفت ان كتاباتي لم تصله، لذلك تأخر صدور مجلة هاوار، حيث صدرت في ايار العام ١٩٣٢، وكنت قد حصلت على ترخيصها في السادس والعشرين من تشرين الاول العام ١٩٣١.

كتب المثقف الكردي المقيم في عمان علي سيدو كوراني صاحب (القاموس الكردي- العربي) وكتاب (من آميدية الى عمان) مقالة في العدد التاسع من مجلة هاوار تحت عنوان (انا وهاوار) مدح فيها مجلة هاوار كثيرا واثنى على الابجدية اللاتينية جاء فيها:

"مثل الآن، قبل صدور مجلة هاوار كانت معلمتي بالكردية هي جدتي، آنئذ كنت اكتب كلماتي بالأحرف العربية، لكن كلما كنت اتمعن فيما اكتبه كنت اخطيء فيه، لم اكن انطقها شفاها مثلما هي، لذا تركت الاحرف العربية ووضعت لنفسي ابجدية لاتينية. وبدأت اقرأ بالنطق الصحيح منذ الابجدية اللاتينية، وعندما صدرت هاوار قارنت بين ابجديتي وابجدية مجلة هاوار، ووجدت ان الابجديتين متقاربتان، وتلك المقاربة اسعدتني كثيرا.

السنة الفائتة زرت كردستان العراق، وفي بغداد التقيت بتوفيق وهبي بك، وكان منشغلا على ابجدية كردية، ولكن قبله كان قد نشر ابجدية هاوار وكلنا سار على دربها، وفي السليمانية في اجتماع علمي تعرفت على مجموعة من الشباب العارف، اكدوا جميعهم ان الابجدية اللاتينية هي التي تناسب لغتنا ولا ابجدية اخرى".

لان الابجدية اللاتينية قد وضعت حسب منهج علمي، فقد لاقت قبولا لدى الجميع، ومجلة هوار هي الاولى والوحيدة التي لاقت قبولا في عموم كردستان، وخارجها، تلك المجلة التي استقطبت اقلاما كردية كثيرة من داخل كردستان ومن المنافي ايضا، وفي العدد العاشر من هاوار تبينت عضوية هاوار، حيث كتب على المانفيستو "داخل الوطن (١٠) فلس، داخل ايران والعراق وبلاد القفقاس (١٥٠) فلسا" وهذا يبين مدى انتشار هاوار آنذاك، ومنها انطلقت كمدرسة شعبية قومية بين عموم الشعب الكردي.

كل المثقفين الكرد كتبوا وتعلموا من صفحات مجلة هاوار، وكتابها تعلموا منها الابجدية اللاتينية، امثال "قدري جان، جكرخوين، مصطفى بوطي، د. نافذ، رفيق حلمي، صبحي دياربكري، عثمان صبري، قدري جميل باشا، والكثيرين غيرهم، وتلك الابجدية

التي نشرت في هاوار هي الان ابجدية رسمية بين اغلبية الشعب الكردي على اختلاف مشاربهم، والكثير من المؤسسات الاعلامية الكردية تستخدمها كالقنوات الفضائية الكردية جميعها، وهي في تطور مستمر بين المؤسسات الثقافية الكردية، وهذا دليل على نجاح الابجدية التي وضعها الامير جلادت بدرخان.

النقطة الثانية: تجميع اللهجات الكردية، ومقارنة اللغة الكردية باللغات الآرية الاخرى.

كما لاحظنا فان مجلة هاوار احتضنت الكثير من الاقلام، ونشرت تحت تأثير واثرت في الكثير من الدوريات الكردية، مثل "دياري كردستان" لصاحب قران زاده، في العام ١٩٢٥، "روناك" لمحمد شيت مصطفى في العام ١٩٢٥، ومجلة كلاويز لعلاء الدين سجادي في العام ١٩٣٩ بالاضافة الى مجلة كلاويز للاستاذ ابراهيم احمد التي صدرت في العام ١٩٣٩ ومجلة بيشكوتن "لمحمد بريفكاني ويونس الصباغ في العام ١٩٥٨، فقد اصدر الامير جلادت بدرخان مجلته تحت تاثير الفكر القومي الكردي، وكان كل هدفه تفعيل المعرفة القومية لدى الشعب الكردي ونشر الثقافة والوعي الكرديين، والى يومنا هذا فان كل الدوريات التي تصدر في هذا المضمار لاتستطيع اجتياز حدود محليتها سواء بمضمونها او بلهجتها المحلية المفرطة، ومن هذا المنطلق اصبحت مجلة هاوار مجلة قومية بامتياز، ارخت لمرحلة مهمة من تأريخ الشعب الكردي، وخلقت ثقافة خاصة، هي ثقافة هاوار اذا جاز التعبير، فقد كتب على صفحاتها كل من المثقفين الكرد من امثال: توفيق وهبي، رفيق حلمي، عبدالخالق اسيري، بهمن زرادشت، هيمن موكرياني، فائق بيكس، فرج حامد، بوزان شاهين بك، طاهر فؤاد، مصطفى مللي، فوزي مصطفى شاهين، مصطفى ماكسي، ملا علي، اسماعيل حبش، شاكر فتاح، لاجي حتي. د. كاميران بدرخان، نورالدين ظاظا، احمد نامي، علي سيدو كوراني، د. نافذ، ومن جميع اجزاء كردستان والكرد على اختلاف اقاماتهم.

كم اتمنى ان ارى صحيفة او دورية تصدر وتحتضن كل اقلام الاجزاء الاخرى، وهناك الكثير من الدوريات التي تصدرها مؤسسات ضخمة، لكنها لم تستطع اجتياز حدود محليتها، فالتي تصدر في السليمانية هنا في كردستان العراق لا تقرأ في محافظة دهوك، والعكس صحيح ايضا، وهذه عائدة للتفكير الضيق الناجم عن المحلية المفرطة، وخضوع المثقف للسياسي بانتمائه الهش، ومرجعا تظل مجلة هاوار، التي اجتازت كل تلك السلبيات واستطاعت ان تؤسس ثقافة تكون مرجعيتها ابجدية موحدة وفكر موحد هو الفكر الثقافي الكردي النير، وهنا ننشر رسالة وجهها الامير جلادت بدرخان الى شباب الكرد في كردستان العراق "الى الشباب الكرد في العراق، لماذا لايكتب الشباب مثل السابق المقالات والقصائد لمجلة هاوار، منذ أن منعت الحكومة العراقية هاوار من دخول اسواقها، سحب شباب الكرد ايضا اياديهم من هاوار، لكننا سنظل ننشر هاوار، لانهم يعرفون اهداف هاوار، وهي ايجاد لغة رسالة الى شباب "بشدر" باسم مزده "الى شباب بشدر، تعلمون ان هدف هاوار الاساس تطوير وعلو شان اللغة الكردية- وتوحيد اللهجتين". من مجلة هاوار العدد ٢٤.

كتب الكثير من المتنورين الكرد الى مجلة هاوار رسائل التبريك، يهنئونها على مواصلة رسالتها وهي

توحيد اللهجات الكردية في لغة واحدة، ومن اولئك المتنورين: شاكر فتاح، هفند صوري، حامد فرج، وهذا مقطع من كتابة شاكر فتاح تحت عنوان (عكسي سداي هاوار) يقول فيها "املي ان هاوار العزيزة تستمر لمدة مناسبة على هذا المنوال في تطوير اللغة المشتركة، ومن ثم تأسيسها، فنحن لانضطر الى استعمال كلمات اجنبية في لغتنا". هاوار ع ١٠.

وهذا مقطع من تهنئة حامد فرج، ولتهنئة فرج اهميات ثلاث:

"اخي الاكبر والعزيز الامير جلادت، بعد التحية، منذ مدة انتظر لمعان كلاويز كردستان، الى ان رأيت هاوار ونورت لي كل الدروب التي كنت انتظرها، باسم ابن كردي بار اهنيء هاوار، ورجائي ان تهتموا كما كنتم بتوحيد اللهجات الكردية من اجل فائدة جميع الكرد". هاوار العدد ٣ تاريخ ١٩٣٣/٦/١٥.

وفي نفس العدد يجيب الامير جلادت بدرخان عن رسالة التهنئة التي بعثها حامد فرج وهذا مقطع من نص الجواب "لم يستطع احد ان يرسل تهنئة اكبر قدرا من تهنئة حامد فرج، اهدائه لاتشترى هكذا، ولا نحصلها بالتمنيات، تهنئة قيمة نابعة من ارادة حامد وكرديته وولدت مع ولادته، يطلب منا ان نعمل على توحيد اللهجات الكردية، ونحن نريد تعرف بعض مقتطفات من تهنئة حامد فرج وهي:

١-المادة الابداعية الاولى التي وصلت الى مجلة هاوار كانت من العراق.

٢-اول مادة نشرت في مجلة هوار كانت باللهجة الكرمانجية.

٣-تهنئة حامد شاهدة على ان مجلة هاوار توزع على نطاق واسع.

٤-تهنئة حامد اصبحت جسرا بين مجلة هاوار ومثقفي الشمال والجنوب في كردستان.

٥-العدد الاول من هاوار صدر في ايار العام ١٩٣٢، وتهنئة حامد نشرت في العدد الثالث في الخامس عشر من حزيران العام ١٩٣٢، وبين العدد الاول والثالث مدة شهر واحد، لان هاوار كانت نصف شهرية، وبسبب البريد المتواضع آنذاك، ينبرى لنا سؤال واحد هو كيف ان مجلة هاوار خلال شهر واحد تصدر من دمشق وتصل الى مدينة السليمانية ومن ثم تصل تهنئة حامد الى دمشق.

لاشك ان تهنئة حامد اول رسالة تصل الى هاوار، ونشرت خلال شهر واحد، وكانت اولى مادة لحامد تنشر على صفحات هاوار، العددان الاولان من هاوار صدرتا باللهجة الكرمانجية في العدد الرابع نشرت قصيدة لحاجي قادري كويي، ومقالة لهفندي صوري، وفي العدد الخامس نشرنا قصائد لفائق بيكس وكوران.

بعدها اصبحت المواد تنشر نصفا بنصف بين اللهجتين، ومجلة هاوار الى العدد ٢٣ صدرت بالابجديتين معا العربية واللاتينية، ومن العدد الرابع والعشرين الى العدد السابع والخمسين نشرت باللاتينية فقط.

مع اصدار الامير جلادت بدرخان لمجلة هاوار تمت عملية تطوير اللغة الكردية باللاتينية، واليوم باعتزاز نستطيع القول ان صاحب هاوار هو امير الثقافة الكردية بلا منازع.

مكيافيللي: "واقعي"
من عصر النهضة الاوروبية

الدكتور انور محمد فرج
جامعة السليمانية- العلوم السياسية

ظل اسم مكيافيللي لأكثر من أربعمئة سنة موضعا للسخرية، واللاأخلاقية والوحشية في السياسية، وكثيرا ما اختصر اسمه الأول إلى "نيك العجوز" وهو اللقب الشعبي للشيطان. وقد أطلق عليه "شريك الشيطان في الجريمة"، أو "الفيلسوف الذي يحمل المصباح للشيطان"[1]. وعلى العكس من ذلك، يذهب "جان جاك روسو" إلى أن كتاب "الأمير" يعد كتابا للديمقراطيين، لأن هذا الكتاب يكشف عن سياسة الطغاة وأساليبهم للناس ليتخذوا لأنفسهم الحيطة منها، وإذا كان قد أعطى دروسا للملوك فقد أعطي للشعوب دروسا أعظم، ومن ثم فكتابه هو كتاب الديمقراطيين[2]. إذن من هو مكيافيللي؟

هو سياسي إيطالي ولد وعاش في مدينة فلورنسا منشأ حركة النهضة في إيطاليا، درس في شبابه العلوم الكلاسيكية واللغة اللاتينية، وعاصر مرحلة تحولات سياسية وفكرية كان أهمها الصراع بين القوى الاجتماعية الجديدة من جانب، وبقايا الإقطاع والكنيسة الكاثوليكية القوية في روما من جانب آخر، علاوة على تعرض فلورنسا للغزو الفرنسي مرتين. وقد عمل في سلك الخدمة العامة إلى أن أصبح سفيرا للجمهورية، لكن هزيمة هذا النظام في صراعه مع بابا روما، واستعادة أسرة آل ميديتشي للسلطة، أدت به إلى السجن بتهمة التآمر. ثم انتقل إلى الريف بعد الإفراج عنه ليكتب حصيلة تجربته السياسية في كتبه الهامة، (الأمير) و(المطارحات) و(تاريخ فلورنسا) و(فن الحرب)[3].

قد تعلم مكيافيللي الكثير من الدروس من هذا الجو إذ تعلم من عصر النهضة الثورة على التقاليد والأفكار القديمة. وتعلم من تجربة "سافونا رولا" وسقوطه أن الوعظ والإرشاد لا يصلحان في بناء الدولة، وإنه لا يمكن الدفاع عن الدول عن طريق الكلمات وحدها. وزادت هذه التجربة من نفوره، للديانة المسيحية وما تقدمه من قيم أخلاقية "ضعيفة" لا تصلح لبناء الدولة الذي في رأيه يعتمد على السيف[٤].

المطلب الأول
منهجه في التفكير وأسلوبه في التحليل

هناك أربعة عوامل تعتبر الأكثر تأثيرا في فكره وهي؛ سخطه من انقسام إيطاليا إلى إمارات متصارعة، ومعارضة الكنيسة للوحدة القومية، وانتهاز إسبانيا وفرنسا ظروف ضعف إيطاليا وتفكيكها لغزوها، واكتشافه لأهمية القوة في فرض التحولات السياسية، وقد انعكست هذه التأثيرات على مفاهيمه السياسية[٥]. إلا أن خلق مكيافيللي والمعنى الحقيقي لفلسفته كان من ألغاز التاريخ الحديث. فقد مُثل على أنه ساخر تماما، ووطني استبد به التحمس، وقومي متحمس، وسياسي، وديمقراطي عن اقتناع وإيمان، وساع دون وازع من ضمير وراء عطف المستبدين. لعل في كل هذه الآراء مع ما بينها من تناقض، عنصرا من الحقيقة؛ الشيء الذي ليس صحيحا على وجه التأكيد، أن أيا منها يعطي صورة كاملة إما لمكيافيللي أو لفكره[٦].

يمكن القول بأن المنهج الذي اتبعه هو إيراد عدة شواهد مأخوذة من التاريخ ومن أحداث عصره لتأييد قضية معينة تتناول شروط النجاح السياسي. وبعد ذلك يبحث عن شواهد أخرى يبدو أنها تناقض هذه القضية أو القاعدة؛ ثم يفحص هذه الشواهد السلبية ليتبين هل هي شواهد نفي حقا، أو هي تبدو كذلك بسبب تغير الظروف واختلافها[٧]. ومن الممكن بشكل عام أن نقسم مساهمة مكيافيللي كواقعي من عصره الى نقطتين:

أولا: اتخاذه الواقعية التاريخية كمنهج للتفكير: أولى الكلمات التي تبادر إلى الذهن حين يذكر أحدهم الواقعية السياسة اللاأخلاقية هي "الميكيافيللية Machiavellianism"، لأن الواقعية مسترخية في قلب النظرية السياسية لميكيافيللي[٨]. لذلك يعتبر ميكيافيللي قطبا من أقطاب الواقعية السياسية[٩].

بالمقارنة مع الكتاب الإنسانيين في عصره تنكر للإلهيات كما تنكر للوراثيات والمثالية، لأن الاتجاه السياسي لتفكيره كان واقعيا محضا. ولعل من أهم ما يجب تأكيده في البحث عن منهجه هو الاتجاه العقلاني الواقعي التي تمثل طريقة أرسطو من قبل. وتبدو أهمية هذه الواقعية رغم كونها ليست مستحدثة من خلال معرفة أن الفكر السياسي قد ظل في العصور الوسطى مصطبغا بصبغة دينية بعد انتشار المسيحية، وذلك تحت تأثير الكنيسة[١٠]. ومن هنا تأتي أهمية ذكر إن النشأة الحديثة لعلم السياسة أتت في ظل نهضة إيطاليا، وكان ميكيافيللي الرائد الأول لهذه النشأة. ولذلك يسميه البعض أب علم السياسة الحديث. ويقارن "موريس دوفرجيه" بينه وبين أرسطو بالقول: "لقد وجد أرسطو العنصر الأول في علم السياسة، وهو استعمال منهج الملاحظة،

وأوجد ميكيافيللي العنصر الثاني، وهو المنهج الموضوعي المتجرد من الاهتمامات الخلقية"[11].

لم يستعن ميكيافيللي في مهمته تلك بالاستناد الى المنطق أو العقل وحده، وإنما بالخبرة الطويلة بالأشياء الحديثة والقراءة المتصلة عن الحضارات القديمة[12]. من هنا كان ميكيافيللي تاريخيا في بحوثه؛ وهو من أصحاب النظرية القائلة "بأن التاريخ هو المدرسة الحقة لدراسة النظريات السياسية"[13]. وانطلاقا من كل ذلك يطلق على مساهمات ميكيافيللي اسم "الواقعية التاريخية Historical Realism"[14].

ثانيا: التركيز على الواقع في التحليل: كان الوضع في أيام ميكيافيللي كثير الشبه، بالعالم الهيليني الذي عاش فيه ثيوسيديدس[15]. إلا أن ميكيافيللي لم يصغ أمثلته من التاريخ اليوناني، بل ركز على تاريخ الجمهورية الرومانية وبعض الأمراء الأوروبيين القريبين من عصره، وبينما قدم ثيوسيديدس التفسير من خلال الوصف المركز للسياق التاريخي، وحاول استخراج الدروس والعبر العامة، وجاءت المساهمة الأبرز لميكيافيللي في العمق التاريخي والوقوف على البدايات والنهايات الديناميكية في تحليل "حالة الحرب state of war"، ويحاول أن يخبرنا كيف يساهم السياسيون في بناء الدولة وكيف تمتد الدول وتنحسر[16]. ولا يتطرق ميكيافيللي في كتاباته إلى أساس الملك ولا إلى شرعيته بل يصف كيف تدور عجلة السياسة[17]. وكان أول مفكر غربي يجعل من مفهوم الصراع محورا مركزيا للحركة السياسية[18]. ويعد أول محلل سياسي حديث للقوة، وقد حاول أن يقدم صورة واضحة للقوة وكيفية استخدامها من قبل الحكام.

هكذا يكون أول من عالج السياسة العملية وأحل دراسة الوقائع وتحليلها محل مناقشة النصوص والإدلاء بالبراهين التي لم تدعمها خبرة سابقة[19]. وقد حسب إنه يستخلص القواعد التقنية لغزو السلطة وممارستها، أي هنا القوانين المطابقة لطبيعة الأشياء حين تحدث عن (تأسيس جمهورية، الحفاظ على دولة، حكم مملكة، تنظيم جيش، قيادة حرب، نشر العدالة، زيادة السلطة)، وهذه القوانين تصدر عن وجود بعض الوقائع مثل (طبيعة الإنسان، طبيعة المجتمعات الإنسانية، طبيعة الأهواء، طبيعة العنف والسمة الضرورية للعلاقات التي تربط بعضها ببعض)، وكل سياسي لا يطبق هذه القوانين ولا يرضخ لهذه الضرورة، آيل عمله إلى الإخفاق لا محالة[20].

من هنا فإن منهج ميكيافيللي لا ينتمي إلى منهج العلم التجريبي بمدلوله المعاصر، ذلك بأن منهج العلم التجريبي يبدأ من الواقع لينتهي إلى "تفسيره"، بينما يبدأ ميكيافيللي من الواقع ليستهدف تصوير قواعد عملية في خدمة "فن الحكم"، وجملة القول إن ميكيافيللي قد بدأ واقعيا، لا لكي ينتهي علميا، وإنما لكي ينتهي إلى تقديم أصول "فن السياسة" لا "علم السياسة"[21]. وفي هذا المعنى يقول: "ولكن لما كان من قصدي أن أكتب شيئا يستفيد منه من يفهمون، فإني أرى أن من الأفضل أن أمضي إلى حقائق الموضوع بدلا من تناول خيالاته، لا سيما وأن كثيرين تخيلوا جمهوريات

وإمارات لم يكن لها وجود في عالم الحقيقة، وأن الطريقة التي نحيا فيها، تختلف كثيرا عن الطريقة التي يجب أن نعيش فيها، وأن الذي يتنكر لما يقع سعيا منه وراء ما يجب أن يقع، إنما يتعلم ما يؤدي إلى دماره بدلا مما يؤدي إلى الحفاظ عليه"[٢٢].

المطلب الثاني

صنع السياسة .

كيف يواجه الأمير الطبيعة البشرية وحالة الحرب

وراء كل ما كتبه ميكيافيللي في السياسة يقف الافتراض بأن الطبيعة البشرية تتصف بالثبات وعدم التغير، وهي مطبوعة بالأنانية، والتردد ونكران الجميل. وهذا الافتراض يظهر بوضوح عبر رغبة الأفراد بتأمين الأمن والضرورات الحياتية لهم، وكذلك رغبة الحكام بالحكم وزيادة سلطتهم ونفوذهم[٢٣]. وذلك لأن البشر يمتازون بطبيعتهم بالتعطش للحصول على كل شيء، والعجز عن بلوغ كل شيء، ورغبة الامتلاك تفوق دائما القدرة على الحصول.. والبعض يرغبون في الحصول على المزيد، وآخرون يخشون من فقدان أو تناقص ما بين أيديهم[٢٤].

يمكن تلخيص أهم صفات الإنسان حسب رؤيته في: إنه مخلوق ذو شهوات لا تشبع ومطامع لا تقف عند حد، وإن أولى شهواته هي الرغبة في المحافظة على ذاته، وهو قصير النظر ويحكم غالبا وفقا للمكافأة العاجلة، وهو مولع بالتقليد والمحاكاة وصلابة الطبع، حتى أن أنماط السلوك التي استقرت عن طريق التقليد والمحاكاة لا يمكن تغييرها إلا في نطاق معين[٢٥]. ويرى بأن الإنسان واحد في كل زمان ومكان، وإنه تأثر في الماضي، ويتأثر في الحاضر، وسوف يتأثر في المستقبل بنفس البواعث والدوافع، وإنه تعود على حل المشاكل بنفس الوسائل[٢٦]. من هنا يرى بأن الناس دائما هم في حالة نزاع وتنافس تهدد بالفوضى السافرة إذا لم تكبح جماحها القوة الكامنة وراء القانون، في حين إن قوة الحاكم مبنية على نفس كون الفوضى وشيكة الوقوع وعلى حقيقة أن الأمن لا يكون في حيز الإمكان إلا إذا كان الحكم قويا. وباختصار، فالناس تخاف من الأقوياء وتزدري الضعفاء، هذا هو القانون الذي أوضحه، وبنى عليه فلسفته في الحكم والاجتماع والسياسة[٢٧].

أدرك نقطة مهمة وهي أن التغيير السياسي عملية مستمرة، لذلك فإنه ينصح قادة الدول بإحكام حدودهم، وعدم الثقة بالآخرين دوما، ويمكن وصف ما قدمه بـ"معرفة حدود الحالة **situation-bound knowledge**" والتي يجب توفرها دائما لمواجهة المستجدات[٢٨]. وقدم قواعد السلوك السياسي في ظروف محددة، بل إنه قدم الوصفات الضرورية لهذا السلوك، ومن آرائه: كيف نبقي على بلاد فتحناها؟ كيف نقيم حكومة حرة في دولة فاسدة؟ كيف نتصرف مع الأعيان والعامة؟ كيف نعاقب ونثيب في الجمهورية؟ كيف نؤسس جمهورية؟ وحدد أيضا القواعد العامة لكل سلوك سياسي في أنه على السياسة أن تتصرف دوما كما لو أن البشر كانوا على الدوام خبثاء وأشرارا[٢٩].

انطلاقا من كل ذلك يمكن تلخيص أهم الصفات التي حددها ميكيافيللي للأمير الذي يواجه هذه

الطبيعة البشرية من الداخل وحالة الحرب من الخارج، فالأمير يجب أن يكون واقعيا لا يفكر إلا في ميدان الواقع انطلاقا من أن انتصار الأقوى هو الظاهرة الأساسية الجلية في التاريخ[٣٠]. يقول ميكيافيللي: "وهنا يقوم السؤال عما إذا كان من الأفضل أن تكون محبوبا أكثر من أن تكون مهابا. أو أن يخافك الناس أكثر من أن يحبوك. ويتلخص الرد على هذا السؤال في أن من الواجب أن يخافك الناس وأن يحبوك، ولكن لما كان من العسير أن تجمع بين الأمرين فإن من الأفضل أن يخافوك على أن يحبوك". ويضيف "إن الناس يحبون تبعا لأهوائهم وإرادتهم الخاصة، لكنهم يخافون وفقا لأهواء الأمير وإرادته. والأمير العاقل هو الذي يعتمد على ما يقع تحت سلطانه لا تحت سلطان الآخرين"[٣١].

لعل براعته تتضح عند معالجته للسياسة الخارجية، فقد أودع أفكاره وخلاصة تجاربه في الميدان الدبلوماسي، والدبلوماسية عنده ليست سوى كلمة رقيقة تخفي خلفها شريعة الغاب في الميدان الدولي[٣٢]. يقول ميكيافيللي في ذلك: "وعليك أن تدرك أن ثمة سبيلين للقتال، أحدهما بواسطة القانون والآخر عن طريق القوة، ويلجأ البشر إلى السبيل الأول أما الحيوانات فتلجأ إلى السبيل الثاني. ولكن لما كانت الطريقة الأولى غير كافية لتحقيق الأهداف عادة، فإن على الإنسان أن يلجأ تبعا لذلك إلى الطريقة الثانية. ومن الضروري للأمير أن يعرف استخدام الطريقتين معا". ويضيف "وعلى الأمير الذي يجد نفسه مرغما على تعلم طريقة عمل الحيوان، أن يقلد الثعلب والأسد معا، إذ أن الأسد لا يستطيع حماية نفسه من الشراك، والثعلب لا يتمكن من الدفاع عن نفسه أمام الذئاب. ولذا يتحتم عليه أن يكون ثعلبا ليميز الفخاخ وأسدا ليرهب الذئاب"[٣٣].

تتوقف قدرة الحاكم على الاحتفاظ بالسلطة على إتقان فن الحرب والتدريب والاستعداد الدائم لها حتى في أوقات السلم، والفرضية الأساسية التي اشتهر بها ميكيافيللي هي أن الخبرة في فن الحرب هي أكثر أهمية من أي شيء آخر للدولة، وذلك لاعتقاده الراسخ بأن "صوت القانون" يتبع "صوت السلاح"[٣٤]. يقول ميكيافيللي في ذلك:

"على الأمير أن لا يستهدف شيئا غير الحرب وتنظيمها وطرقها... إذ أن الحرب، هي الفن الوحيد الذي يحتاج إليه كل من يتولى القيادة"[٣٥]. وعلى الأمير الذي يبحث عن القوة أن يرسخ لديه نزعة الحرب لا نزعة السلام. يقول في ذلك: "وهكذا أثبتت الأيام أن الأنبياء المسلحين قد احتلوا وانتصروا، بينما فشل الأنبياء غير المسلحين"[٣٦].

يعتقد بأن الأمراء يبحثون عن الحرب والغزو العسكري على الرغم من كل المخاطر، لسببين: الأول هو من أجل تثبيت المحافظة على الثروة المكتسبة التي تهب الفضيلة، والثاني هو من أجل حماية دولهم من السلب وأطماع الآخرين[٣٧]. ويذهب إلى أن السعي إلى السيادة الخارجية تغذيه صيانة الحرية في الداخل لأنه ما لم تكن مستعدا للهجوم، فسوف تكون عرضة لأن يهاجمك العدو[٣٨]. والقوة العسكرية والتهديد بها هما ضمان الاستقرار الداخلي "إن الأمير الذي لا يعتمد على قواته الخاصة لا يشعر

بالطمأنينة والسلام.. وقد أقر الحكماء دائما بأنه ليس هناك أضعف من الإنسان الذي يعتمد في قوته على قوة الآخرين". ويضيف: "ولما كانت المقارنة معدومة بين الإنسان المسلح وبين غير المسلح، فليس من المعقول أن نفترض أن المسلح، يستطيع بمحض إرادته، أن يخضع لغير المسلح، أو أن الأعزل سيكون أمينا بين أتباعه المسلحين"[٣٩].

المطلب الثالث

أولوية السياسة والدولة على الأخلاق والدين

يعد ميكيافيللي من رواد الكتاب لعصر النهضة في الابتعاد عن أسلوب ما يجب أن يكون عليه الحال، والتركيز على ما هو كائن فعلا. يقول "فرانسيس بيكون": "نحن مدينون بالفضل لميكيافيللي وآخرين لأنهم كتبوا ما يفعله الناس لا ما ينبغي عليهم أن يفعلوه"[٤٠]. ويقول ميكيافيللي في ترسيخ هذا النهج "إن التعمق في درس الأمور، يؤدي إلى العثور على أن بعض الأشياء التي تبدو فضائل، تؤدي إذا اتبعت إلى دمار الإنسان. بينما هناك أشياء أخرى تبدو كرذائل ولكنها تؤدي إلى زيادة ما يشعر به الإنسان من طمأنينة والسعادة"[٤١].

ومن الأفضل تناول السياسة والأخلاق، والدين والدولة في نقطتين منفصلتين:

أولا: أولوية السياسة على الأخلاق:

إن أوضح صفة ملكها ميكيافيللي هي أنه كان يكتب بصورة متكاملة تقريبا عن أساليب الحكم، وتكاد التدابير السياسية والعسكرية أن تكون الأشياء الوحيدة التي يهتم بها، وهو يفصلها فصلا تاما عن الاعتبارات الدينية والأخلاقية والاجتماعية. فالغرض الأساسي من السياسة برأيه هو المحافظة على القوة السياسية نفسها وزيادتها، والمعيار الذي يحكم به هو النجاح في تحقيق ذلك دون الأخذ بعين الاعتبار إن كانت تلك السياسة قاسية أو غادرة أو غير جائزة شرعا)[٤٢].

انطلاقا من ذلك فإن السياسة هي فن عقلاني في مبادئه، يستقبل في حساباته المركزة على القواعد المنسقة، كل المعطيات التي هي في متناول التجربة، وإنه يزري بكل نقاش حول القيم وحول المثل[٤٣]. والغاية العليا من السياسة، في نظره، هي المصلحة العامة والأمن والرفاهية للجماعة، وليست تلك الغايات الأخلاقية التي يصورها المفكرون السياسيون السابقون[٤٤]. إذن وكما يقول "دانتج **Dunning**": "لقد فصل ميكيافيللي علم السياسة عن علم الأخلاق، فلم يؤمن بأن السياسة تتشكل من مذهب أخلاقي، ولا تصب ذاتها في دائرة القيم الأخلاقية، بل رأى على العكس من ذلك أن الأخلاق تتشكل طبقا للسياسة"[٤٥]. والأمر عنده يتعلق بلا جدال بإقرار "أولوية السياسة" كبديل عن "أولوية الأخلاق" التقليدية[٤٦].

هناك من يرى بضرورة التمييز في رؤية ميكيافيللي للأخلاق؛ بين الأخلاق الدينية والعرفية الذي يتعلق بمسألة خلاص الفرد أو "اخلاق الأهداف المطلقة" من جهة، وبين أخلاق التزامات الحاكم والذي يحتم عليه القيام بأي عمل لحفظ الأمن والمصلحة القومية أو "أخلاق المسؤولية"[٤٧]. ولكن وكما يقول "جاك ماريتان **J.. Maritain**": "إن مسؤولية ميكيافيللي التاريخية تكمن في كونه قبل

الواقع السياسي، واقع اللاأخلاقية السياسية واعتبره قاعدة عامة، ودافع عنه بهذه الصفة وفي كونه قد أعلن أن المجد السياسي هو بجوهره سياسة لا أخلاقية حيث تنسجم طبيعتها وغايتها الأصلية"[٤٨].

ثانيا: أولوية الدولة على الدين:

إن الموضوع المركزي الذي تنصب عليه دراسات ميكيافيللي هو الدولة، وبالنسبة له فإن المحافظة على بقاء الدولة وحكم الأمير هي الهدف الأسمى لأية سياسة. وكان تركيزه الأساسي على الدولة الجمهورية والبحث عن أسباب استقرارها، وفي رأيه فإن أفضل بناء داخلي للدولة هو محاولة تقوية ذاتها بحيث تستطيع الوقوف ضد أي هجوم مفترس عليها[٤٩].

إذا كان ميكيافيللي وفي كتاب الأمير قد تحدث عن فضائل رئيس الدولة، وقدم النصيحة إلى القادة لضمان الدولة، فإنه في كتاب "المطارحات" يقدم النصيحة للمواطنين من أجل بناء دولة حرة، ويوضح فضائل الشعب ومزايا القوانين والتربية والدين، بحيث لم تعد الدولة متقمصة في شخصية رئيسها البشري، بل في تعاليمها ونظمها[٥٠]. ولكن كان موقفه واحدا في كتابيه من حيث فصل السياسة عن الأخلاق والدين. وذلك أن تحرر السلطة الزمنية من السلطة الكنسية من شأنها أن تحرر السياسة من الدين. وحيث إن الدين لا ينفصل عن الأخلاق فقد دعا إلى تحرر السياسة من الدين والأخلاق معا[٥١].

هناك اختلاف في موقفه حول كل من الدين والكنيسة، بحيث ينظر إلى الدين كشيء لابد منه لبناء أية دولة، يقول: "لا دليل أصدق على انحطاط اي بلد من البلاد من رؤية العبادة السماوية فيها موضع الإهمال وعدم الاكتراث"[٥٢]. ومن السهل التنبؤ بأنه يهتم بالدين من زاوية الدولة وصيانتها وعظمتها قبل كل شيء. لأن الدين كخادم للدولة يعتبر شرطة فريدة من نوعها في الدولة... لهذا فإنه لواجب مقدس على كل الحكام، سواء كانوا استبداديين أم دستوريين أن يحافظوا على أسس الدين القومي باعتباره ضمانا للاتحاد والأخلاق الحسنة[٥٣]. ولكن كان يعتقد بأن فساد السياسة يرجع بالدرجة الأولى إلى تدخل الكنيسة ورجال الدين في مجريات الأمور السياسية. يقول: "إن إيطاليا خسرت بتأثير المثل السيئ الذي يقدمه بلاط روما كل إجلال للدين .. وهكذا فإن أول ما ندين به نحن الإيطاليين للكنيسة ورجالها هو إننا صرنا ملحدين ومعوجين". ويضيف بأن "الكنيسة هي التي جزأت إيطاليا ومازالت تحافظ على تجزئتها"[٥٤].

الهوامش:

١- باتريك كيري، أوسكار زاريت: ميكيافيللي، ت: د. إمام عبد الفتاح إمام (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢)، ص ٧.

٢-د. محمد علي العويني: العلوم السياسية: دراسة في الأصول والنظريات والتطبيق (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٨)، ص ١٣٠.

٣-د. محمـد محمـود ربيـع، د. إسماعيـل صـبري مقلد: موسوعة العلوم السياسية، (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٩١)، ص ٣٦٤.

٤-د. إمام عبد الفتاح إمام: الأخلاق والسياسة: دراسة في فلسفة الحكم (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١)، ص ٢٥٠.

٥-د. محمـد محمـود ربيـع، د. إسماعيـل صـبري مقلد: موسوعة العلوم السياسية، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

٦-جورج سباين: تطور الفكر السياسي، ج/٣، ت: راشد البراوي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١)، ص٤٨٩.

٧-د. عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤)، ص ٤٦٤.

8-Jack Donnelly: Realism and International Relations, Op. Cit., P. 24.

٩-د. إبراهيم الحاج: الواقعية السياسية، مرجع سابق، ص ٣١.

١٠-د. عبد الجبار عبد مصطفى: الفكر السياسي الوسيط والحديث (بغداد: وزارة التعليم العالي،١٩٨٣) ص ٥٠.

١١-د. حسن صعب: علم السياسة، مرجع سابق، ص ٩٤.

١٢-مارسيل ميرل: سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مرجع سابق، ص ٣٣.

١٣-د. مصطفى الخشاب: النظريات والمذاهب السياسية (القاهرة: لجنة البيان العربي، ١٩٥٨)، ص ١٣٧.

14-John Baylis, Steve Smith (editors): The Globalization of World Politics, (Oxford: Oxford University Press, 2001), P. 108.

15-Paul R. Viotti, Mark V. Kauppi: International Relations Theory, Op. Cit., P. 36.

16-Michael W. Doyle: Ways of War and Peace, Op. Cit., P. 94-95.

١٧-د. عبد الوهاب الكيالي (محرر): موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج/٦، ص ٣٠٦.

١٨-د. أحمد فؤاد رسلان: نظرية الصراع الدولي: دراسة تطور الأسرة الدولية المعاصرة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦)، ص ٣٢.

١٩-د. محمد طه بدوي: أمهات الأفكار السياسية الحديثة (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨)، ص ٢٤.

٢٠-ريمون بولان: الأخلاق والسياسة، ت: د.عادل العوا (دمشق: دار طلاس، ١٩٩٢)، ص ٢٢٧.

٢١-د. محمد طه بدوي: النظرية السياسية، مرجع سابق، ص ٢٧٤.

٢٢-نيقولو ميكيافيللي: الأمير، ت: خيري حماد، ط/١٩، (ليبيا: الدار الجماهيرية، ١٩٩١)،ص ١٣٥.

٢٣-د. مهدي محفوظ: إتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٩٩٠)، ص ٢٤.

٢٤-غاستون بوتول: فن السياسة: نصوص مختارة، ت: أحمد عبد الكريم (دمشق: دار الأهالي، ١٩٩٨)، ص ٨٥-٨٦.

٢٥-د. عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص ٤٦٤.

٢٦-د. علي عبد المعطي محمد: فلسفة السياسة بين الفكرين الإسلامي والغربي (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨)، ص ١٠١.

٢٧-د. لويس عوض: ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية (القاهرة: مركز الأهرام للنشر، ١٩٨٧)، ص ٩٠.

28-John Baylis, Steve Smith (editors): The Globalization.., Op. Cit., P.147.

٢٩-ريمون بولان: الأخلاق والسياسة، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

٣٠-د. عبد الجبار عبد مصطفى: الفكر السياسي الوسيط والحديث، مرجع سابق، ص ٥٤.

٣١-نيقولو ميكيافيللي: الأمير، مرجع سابق، ص١٤٣-١٤٤، ص ١٤٦.

٣٢-د. إبراهيم دسوقي، د. عبد العزيز الغنام: تاريخ الفكرالسياسي (بيروت: دار النجاح،١٩٧٣)، ص ١٨٢.

٣٣-نيقولو ميكيافيللي: الأمير، مرجع سابق، ص ١٤٧، ص ١٤٨.

34-G. R. Berridge, Machiavelli: Human Nature, Good Faith and Diplomacy, Review of International Studies, 27, 2001, P. 543.

٣٥ نيقولو ميكيافيللي: الأمير، مرجع سابق، ص ١٤٧، ص ١٣١.

٣٦-المرجع نفسه، ص ٨٢.

37-Michael W. Doyle: Ways of War and Peace, Op. Cit., P. 96.

٣٨-باتريك كيري، أوسكار زاريت: ميكيافيللي، مرجع سابق، ص ١١٢.

٣٩-نيقولو ميكيافيللي: الأمير، مرجع سابق، ص ١٣١، ص ١٣٢.

٤٠-باتريك كيري، أوسكار زاريت: ميكيافيللي، مرجع سابق، ص ٩.

٤١-نيقولو ميكيافيللي: الأمير، مرجع سابق، ص ١٣٧.

٤٢-د. مهدي محفوظ: اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، مرجع سابق، ص ٢٣.

٤٣-جان توشار وآخرون: تاريخ الفكر السياسي، ت: د. علي مقلد (بيروت: الدار العالمية، ١٩٨٣)، ص ٢٠٤.

٤٤-د. عبدالرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص ٤٦٤.

٤٥-د. علي عبد المعطي محمد: فلسفة السياسة، مرجع سابق، ص ١٠٣.

٤٦-جان جاك شوفاليه: تاريخ الفكر السياسي، ت: د. محمد عرب صاصيلا، ط/٣ (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٩٥)، ص ٢٤٥.

47-Paul R. Viotti, Mark V. Kauppi: International Relations Theory, Op. Cit., P. 37.

٤٨-د. ملحم قربان: قضايا الفكر السياسي: القوة، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

49-G. R. Berridge, Machiavelli: Human Nature, Op. Cit., P. 542.

٥٠-محمد مختار الزقزوقي: نيقولو ميكيافيللي (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠)، ص ٤٩.

٥١-د. ثروت بدوي: النظم السياسية، ج/١ (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦١)، ص ١١٣.

٥٢-نيقولو ميكيافيللي: المطارحات، ت: خيري حماد (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣)، ص ٢٦٥.

٥٣-جان جاك شوفاليه: تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق، ص ٢٤١-٢٤٢.

٥٤-نيقولو ميكيافيللي: المطارحات، مرجع سبق، ص ٢٦٨.

من ملوك بني ايوب الأمجد بهرام شاه ملك بعلبك وشاعرها

(٥٧٨-٦٢٧هـ = ١١٨٢-٧٢٣٠ م)

د. محمد علي الصويركي-عمان

الملك الأمجد (ملك الدين)، أبو المظفر، بهرام شاه بن فرخشاه (فرخ شاه) بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي الكردي(١). لم تذكر المصادر تاريخ ولادته. لكنه تملك بعلبك سنة ٥٧٨هـ. وكان يافعاً صبياً لم تنزع عنه التعاويذ، وبذلك تكون ولادته قريبة من سنة ٥٦٠ هـ،وقد نشأ الأمجد بكنف والده في دمشق وبعلبك.

وقد تربى على الأدب والشعر والفروسية، ولما تملك بعلبك سنة ٥٧٨ هـ /١١٨٢م بذل طاقاته فجعلها مملكة مستقلة، فاتخذ الوزارة والأمراء والأطباء، وشارك في تثبيت دعائم السلطنة الأيوبية. وفرضت نشاطاته منذ البداية احترام المدينة وتقديرها على يد صلاح الدين نفسه. فكان إذا قصد حمص أو عاد من دمشق مرّ ببعلبك، لكنه كان يخيم على مرج (عدنوس) في سهل المدينة، ويزور برفقة كبار قواده الملك الأمجد، ويعرض معه شؤون الملك (٢). واستطاع أن يبعد عن بعلبك غارات الصليبيين، بل جعلها مستحيلة.لأن تلك الغارات تكررت في عهد نجم الدين أيوب، واستمرت في عهد ولاية ابن المقدم نائب صلاح الدين، اختفت في أيام الأمجد. ولم تذكر كتب التاريخ اي غارة.

بلاط الأمجد:

ثلاث وخمسون سنة قضاها الأمجد في بعلبك (٣). حقبة مكنته من خدمة الأدب والعلم، ولما كان الأمجد شاعراً حول قصره في المدينة إلى بلاط يرتاده الشعراء والفقهاء والكتاب والأطباء... بدأت حياته الشعرية أيام والده الذي وفر له المربين والأساتذة الكبار. من أستاذته العالم والفقيه واللغوي والشاعر تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي (٤). كان أبو اليمن من خواص فرخشاه، ورافقه في رحلاته إلى مصر والشام، وانقطع إليه في بعلبك ومدحه، وتخرج عليه الأمجد في اللغة والشعر والحديث، وعنه أخذ بعض الفقهاء البعلبكيين (٥)، وتردد الأمجد على زاوية الشيخ عبد الله اليونيني المتوفي سنة ٦١٧هـ. وكان فقيهاً متصوفاً، يرشد الأمجد ويعظه،،ويغلظ له القول إن ظلم أو حاد عن الحق.

ولم يؤثر عن الأمجد انه لبس منه الخرقة تبركاً، مثلما فعل بعض الملوك الأيوبيين، ثم تخرج الأمجد في الشعر على والده، لان فرخشاه كان شاعرا رقيق المعاني (٦).

وكان مهذب الدين أبو الحسن علي ابن النقاش الحلبي أول من اتصل بالأمجد ومدحه(٧)، لأن ابن النقاش توفي سنة ٥٧٤هـ(٨)، أي قبل أن يتولى الأمجد ملك بعلبك. وهذا يؤكد احتفاء الأمجد بالشعر منذ سن مبكرة.

أما الذين عاشوا في بلاط الأمجد فأشهرهم تاج الدين أبو اليمن الذي كان يتنقل بين بعلبك واليمن، وكان يقضي الشتاء في سفح قاسيون يدرس ويتزهد. ومن هناك كان يشتاق إلى جلسات الأدب، وحلقات الشعر والسمر في بلاط الأمجد. حتى تمنى أبو اليمن لو هادنه الدهر، وقضى أيامه في كنف ملك كثرت عطاياه، وقضى نحبه في إفناء قصر غلب عليه عبق الشعر، لنقرأ هذه المقطوعة وقد أرسلها تاج الدين أبو اليمن من دمشق إلى الملك الأمجد، ونشتم منها علاقة حميمة بين الأستاذ وتلميذه:

لا تضجرنكم كتبي إذا كثرت
فان شوقي أضعاف الذي فيها
والله لو ملكت كفي مهادنة
من الليالي التي تحظى يحاكيها
لما تصرم في غير داركم
عمر ولا متّ إلا في نواحيها
عدوا احتمالكم حين أضجركم
من الصلات التي منكم أرجيها

فأجابه الأمجد:

إنا لتتحفنا بالشوق كتبكم
وان بعدتم فان الشوق يدانيها
فكيف نضجر منها وهي مذهبة
من وحشة الشوق لوعات نعانيها
وإن ذكرتم لنا فيها اشتياقكم
فعدنا منكم أضعاف ما فيها
سلوا نسيم الصَبا يهدي تحياتنا
إليكم فهو يدري كيف يهديها(٩)

وطلباً لجوائز الأمجد قصده الشاعر ابن عنين وامتدحه، وخصه برائية جميلة، أفرغ فيها شاعريته، فمنحها الزخم والقوة، والصور الجديدة، وهذه من رائيته في الأمجد:

عجبت للطيف يا لمياء حين سرى

نحوي، وما جال في عيني لذيذ كرى

وليلة مثل موج البحر بت بهـــا

أكابد المزعجين الخوف والخطرا

حتى وردت بآمالي إلى مـــلك

لو رام ردّا الماضي أمسه قـــدرا

فأصبح الدهر مما كان أسلفـــه

إلي في سالف الأيام، معتـــذرا

ملك أرانا علياً في شجاعتـــه

وعلمه، وأرانا عدله عمـــرا

من آل أيوب أغنتنا عوارفـــه

في كالح الجدب أن نستنزل المـطرا

تكاد تخفي النجوم الزهر أنفسها

خوفاً ويشرق بهرام إذا ذكـــرا

ابن عنين رواية الأمجد:

لما تخيرني أروي قصـــائده

مضيت قدما، وخلفت الرواة ورا

فاعجب لبحر غدا في رأس شاهقه

من العواصم طام يقذف الدررا

لو قام بعض رواة الشعر ينشـده

يوما بأرض أزال أخجل الحـيرا

كم قمت في مجلس السادات أنشده

فلم يكن لحسود في عـلاه ميرا

عجبت من معشر كيف أدعوا سفها

من بعد ما سمعوا انهم شـــعرا

لولا التقى قلت لا شيء يعاد لـــه

أستغفر الله إلى "النمل والشعرا"(١٠)

أنا الذي سار في الدنيا لـــه مثل:

"أهديت من سفه تمراً إلى هجرا"(١١)

ومن المؤرخين الذين ترددوا إلى بلاط الأمجد سبط ابن الجوزي،صاحب مرآة الزمان الذي أقر بذلك قائلا:"كان الأمجد جواداً ممدحاً وقد مدحه خلق كثير وجزاهم الجوائز السنية... وكان صديقي. وكنت إذا صعدت جبال لبنان للزيارة اجتاز بعلبك يجلس إلي"(١٢).

أما عن شاعريته فيعد الأمجد أشعر بني أيوب(١٣)، له ديوان مخطوط بخط جميل في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم(٧١٧٥)، وتضم نسخة الظاهرية أربعاً وأربعين قصيدة، وخمس مقطوعات أطولها قصيدة ممية بلغت سبعين بيتاً ومطلعهما:

هو الدمع أضحى بالغرام يترجمُ

وقد كان فيك الظنُ قبلُ يرجمُ(١٤)

وقد جاء في مقدمة ديوانه: " بسم الله الرحمن الرحيم. بك اعتصم بما يُصمُ أو يصم يا الله، مما وجد ونسب للسلطان الملك الأمجد مجد الدنيا والدين،صاحب بعلبك - أبي المظفر بهرام شاه، ابن الملك المنصور فرخشاه... مما نظمه في النسيب والتغـزل والحمـاس في مـدة أولـه في شـهر رمضان،المعظم قدره،أحد شهور سنة أربع وستماية". وإذا ألقينا نظرة متعمقة في الديوان نكشف عن اتجاهين لونا قصائده: الصحراء، والغزل:

لقد شفة الوجد فعانى وبكى، وتألم وشكا العذال، وأزعجه الفراق ولم يختر بعلبك مسرحا لغزله، بل انطلق إلى الصحراء حيث الدمن والأطلال والريح، والغزلان والناقة والظليم..فمواطن محبوبته تقمصت مواطن محبوبات الشعراء يغذ السير إلى برقة ثهمد:

دع العيس ترفل في الفدفد

عجـــالا إلى برقة ثهمد

وتجول بين الحجاز ونجد وتهامة، وذكر أماكن كثيرة مثل سلع والمأزمين، ورامة، ولعلع، والجناب... (١٥) هذه الأماكن ما زراها الشاعر، لكنه عرفها في مخزون ثقافته. ويبدو أثر الثقافة واضحاً في مطلع قصائده لأنه وقف على الأطلال ووصف النؤي والأوتاد والاثافي. ولاحق عمل الرياح والأمطار في محو معالمها، ولست ادري لماذا شغلته البروق والرعود والغمام، وكأنها اصابيغ لا بد في تلوين كل القصائد والنماذج متوفرة:

ماذا تسائل من نؤي وأوتاد

ومن رسوم محاها الرائح الغاد

معاهد دراستها كل غاديـــة

وكل اوطف داني المزن مرعاد(١٦)

أما مجال الغزل فان القصائد تترجم حبا دفينا في قلب الشاعر (لعله واقع، لكن الأخبار سكتت عنه). ومع كثرة أسماء المحبوبات: ليلى، زينب، سعدى، سعاد، رباب، فصفاتهم متشابهة: الشعر ليل، والقوام قنا، والثغر برق، والخدّ ورد... وكلهن واحدة في التصرف تعد وتخلف الوعد، تهجر وتصد، الحاظهن تسدد إلى قلب الشاعر سهاماً قاتله.

هذه التحديات أوجدت دورا للعذل حتى فلسف اللوم ومد يده إلى بيت أبي نواس:

دع عنك لومي فان اللوم إغراء

وداوني بالتي كانت هي الداء(١٧)

أخذ المعنى وردده في جملة قصائد، فقال:

اخالوا سامع العذل ينقص لوعتي؟

وما اللوم في الأهواء إلا يزيدها

واتخذ حديث العذال مطلعاً لبعض قصائده، فطافت مطالع عذبة تشكو وتعتب وتستنجد بالأخلاء(١٨):

يمينا لقد بالغت يا خلُّ في العـــذل

وما هـــــكذا فعل الاخلاء بالخل

إذا أنت لم تسعد خليك في الهوى

فذره لقد أمسى عن العذل في الشغل

فلا تحسبن العذل يذهب وحـــده

فلومك بالمحبوب يغري ولا يسـلي

إن معظم قصائده الغزلية بليلة بندى الدموع المسفوحة عن فراق حبيب ظالم ما تعلم إلا الصدود. شكاه الشاعر إلى أصدقائه فتخلى عنه الأصدقاء، فاعتصم بالشاكية إلى الظالم نفسه بلا جدوى، فلا بالدموع ذرفها لتغسل كآبة غلفت قلبه (١٩).

كما عرف ديوان الأمجد الفخر والحماسة، لكنه لم يفخر بحسبه بل بالشجاعة والشاعرية:

فقد قلد عمر بن أبي ربيعة في تحدياته لأقارب محبوبته. زارها ودونها أبطال يثيرون النقع وينسجون الغبار عرينا يحتمون فيه. أبطال أحرار. تصدى لهم الأمجد دامي الظفر يحمي الذمار، ويصونون الأعراض، مجرّب بالحروب هذه كل المعنى البطولية التي ذكرها في شعره، لقد ربطها بالغزل، وهدف منها إلى إظهار براعته ورجولته أمام المحبوب فقط. وهذا يثير تساؤلات: ترى لماذا لم يصف المعارك التي خاضها فعلياً ضد الفرنج؟ فهو لم يذكرها إطلاقا في ديوانه. ولم يتحدث عن مهاجمة

الحصون، ونسي منازلة الأعداء، واغفل فتح الثغور. وفخر بشعره، ولم يفخر بسيفه.

لقد أحس الأمجد بموهبته الشعرية. فاتخذها مجالاً لفخره. وكان اعتداده باختراع المعاني. وسطوة الكلمة، وتفرد القصائد، ادعى أنه سبق إلى اختراع بعض المعاني وكتشف الصور حتى حسده أنداده من الشعراء:

ولكن خسئت على قواف

سبقت بها، وقد جدّ الرّهانُ(٢٠)

ولشعره سطوة تجذب العشاق وسحرهم، وتهز الحساد، وتشمل الركبان، والأمجد نفسه أنس إلى شعره في وحشته وتسلى عن أحزانه(٢١):

فليس لي موئل أن شفني وله

إلا ترنم أغزالي واشعاري

إذا تناشدها الركبان أتملهـم

لفظ لابرع نظام ونثـــار

فمن يساجلني فيـه وأين له

منها عذوبة إيرادي وإصداري

ومثلها اخذ بهرام شاه معنى المتنبي:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي

إذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

وقال:

قصائد ما فاه الرواة بشبهها

قديما ولم يفتح بمثل لها فم

وهذا البيت لبهرام شاه حقق شمولية ومغالاة مقبولتين لان الرواة يختارون عيون الشعر للإنشاد. وفي الشطر الثاني اعتمد الفعل المضارع ليغطي حكمه المستقبل. لكن أداة الجزم (لم) خففت من الغلو وخسرت من الامتداد.

أما موقع الأمجد بين التقليد والإبداع، فأن ثقافته وتطلعات عصره إلى أمجاد الماضي واعتماده دواوين السلف أمور فرضت عليه منهجاً ضيقاً. فوقف على الأطلال، وبكى، ووصف الناقة والصحراء. وقلد ذو الرمة في وصف الناقة، وذكر الحبيبة والبكاء. وتطلع إلى عمر بن أبي ربيعة، وجميل بثينة وكثير عزة في غزله. وأخذ من المتنبي اعتداده بشعره.

وكانت لديه القدرة على اخذ الصورة والابتعاد بها عن الأصل. ولا نعدم في ديوان الأمجد بعض الصورة الموحية التي حققت جدة وطرافة:

فله في كتب الحب:

إلى حي كتمت هواي فيه

إذا الأهواء دنسها العلان(٢٢)

وله صور في تعريف الوجد وتفصيل أسبابه، والصراع مع جيش الحب. ومن طرائفه قوله في أحد مماليكه وقد اقبل من جهة المغرب راكباً فرساً أشهباً:

أقبل من اعشقه راكبــــاً

من جانب الغرب على أشهب

فقلت سبحانك يا ذا العــلا

أشرقت الشمس من المـغرب(٢٣)

وخلاصة القول، بأن شعر الأمجد اتسم بحسن السبك، لكن معانيه أتت تقليدية. ولم تكن موهبته الشعرية مجددة مع انه كان غنياً تخلص من تكلف المديح فهو يعطي ولا يأخذ. وقد وهب مداحيه أموالاً طائلة. بيدا انه عاش ثقافته المخزونة، وظل يدور في فلك السلف، سأل الأطلال،وبللها بدموعه. وشفه وجد الدمن، ومن المآخذ على شعره،إذ لا نقع في ديوانه على

قصيدة في أطلال بعلبك. ولم تهزه روعة البناء ودقة النقش فنيا... هزته حربيا فحصنها، أما شعريا فنأت عن مخليته، وأفلتت من أفكاره. ومرة ثانية يظهر فراغ في ديوانه. كنت احسبني اعثر على وصف الرياض والحدائق والمياه التي تصل بها حصاها، والثمار الضاحكة على أغصانها وخصوصا المشمش الذي أكثر من وصفة شعراء دمشق في عصره الأمجد. لم أجد صورة واضحة لهذه المشاهدة واستعاض عنها بذكر الصحراء والدمن. مع أن اصل موطنة ـ في جبال الأكراد ـ لا يمت بصلة إلى الحجاز.

وهناك خلل ثالث في ديوانه هو فقدان اللون الملحمي وذكر المعارك الحربية التي خاض بعضها بشجاعة ضد الصلبيين. لكنه وثب عنها إلى فخر مصطنع في مهاجمة أقرباء حبيبته كلما زارها.

ونهاية الكلام فان الثقافة التي تلقاها سيرته نحو التقليد، وما استطاع أن يتخلص من سطوة هذه الثقافة(٢٤).

الهوامش:

١-ديوان ابن عنين:٥٦

٢-الفتح القدسي:٢١٨

٣-أقام الأمجد في بعلبك ثلاث وخمسون سنة، وتملكها تسعاً وأربعين سنة.

٤-هو أبو اليمن زيد بن الحسين البغدادي(٥٢٠-٦١٣هـ) انتهت إليه القراءات والروايات، مرآة الزمان:٣٧٧/٨).

٥-مشيخة محيي الدين اليونيني. مخطوط، ورقة:١٤

٦-الروضتين:٣٤/٢

٧-مرآة الزمان:٤٤/٨

٨-طبقات الأطباء:٦٣٥

٩-مرآة الزمان:٤٤٢/٨، ابن شاكر الكتب: فوات الوفيات:٢٢٧/١

١٠-النمل والشعراء سورتان من سور القران الكريم.

١١-ديوان ابن عنين:٥٥-٥٨

١٢-مرآة الزمان:٤٤١/٨

١٣-طبقات الأطباء:٧٥٠

١٤-شفاء القلوب:١٤، تاريخ أبي الفداء:١٤٦/٣

١٥-ديوان الأمجد المخطوط:ورقة ٣٥

١٦-المرجع نفسه:٢٨

١٧-ديوان أبو نواس:١٢١

١٨-ديوان الأمجد المخطوط:ورقة ١٤

١٩-المرجع نفسه:ورقة١٣،١١،٢٣

٢٠-المرجع نفسه:ورقة ١٨

٢١-المرجع نفسه: ورقة ٢٢

٢٢-المرجع نفسه:ورقة ١٧

٢٣-نفسه:٤٨

٢٤-حسن نصر الله: تاريخ بعلبك، بيروت، مؤسسة الوفاء، ج٢، ١٩٨٤، ٧٥-٨٧

القبائل الكردية في العصر العباسي انتشارها وتوزيعها جغرافياً

د. فرست مرعي

كانت القبيلة وتفرعاتها المختلفة هي النمط السائد عند الكرد منذ ظهورهم وحتى العصر العباسي، وظلت مستمرة في بعض الجهات من المنطقة الكردية إلى أيامنا هذه.

وكانت التنظيمات الإدارية التي قادت ورافقت المجتمع الكردي في مسيرته التاريخية عبارة عن تنظيمات قبلية واتحادات عشائرية تستند الى أسس ثقافية (وحدة اللغة) وإقليمية (جغرافية)، أي بعبارة أخرى لها وحدة سياسية وليست نسبية[١]، فلما تعتمد على النسب والأصل المشترك الذي يلاحظ في القبيلة العربية.

وعلى هذا الأساس يمكن القول بان القبيلة الكردية هي قبيلة أرض وليست قبيلة نسب، وهي أقرب في أصلها إلى (قرية) تتجول في مواطن صيفية وأخرى شتوية[٢]، ويتجلى هذا واضحاً في إشارة ابن حوقل إلى حركة القبيلة الكردية بقوله: ((ينتجعون في الشتاء والصيف المراعي والمصائف والمشاتي إلا القليل فهم على حدود الصرود[٣]، فأما أهل الجروم[٤] فلا يزلون ولا يتنقلون بل يترددون فيما لهم من النواحي..))[٥].

ويعد ابن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) أول بلداني مسلم ذكر مناطق تمركز الكورد في إقليم فارس وحددها بأربعة مناطق (زموم)[٦]، حيث يقول بهذا الصدد: ((زموم الكورد بفارس وهي أربعة زموم وتفسير الزموم محال الكورد فمنها زم الحسن بن جيلويه يسمى البازنجان من شيراز على أربعة عشر فرسخاً (٨٤كم)، وزم أردام بن جواناه من شيراز على ستة وعشرين فرسخاً (١٥٦كم)؛ وزم القاسم بن شهربراز يسمى الكوريان من شيراز على ستة وعشرين فرسخاً (١٥٦كم)، وزم الحسن بن صالح يسمى السوران من شيراز على سبع فراسخ[٧] (٤٢كم)).

أما الاصطخري فقد ذكر خمسة زموم للكورد بإقليم فارس بزيادة زم واحد عما ذكره سلفه ابن خرداذبة، إضافةً إلى تقسيم هذه الزموم إلى وحدات أصغر، وكيفية استيفاء الخراج، حيث يقول بهذا الصدد: ((وأما رمومها فإن لك رم منها مدناً وقرى مجتمعة قد ضمن خراج كل ناحية منها رئيس من الكورد وألزموا إقامة رجال لبندرقة[8] القوافل وحفظ الطرق ونوائب السلطان إذا عرضت وهي كالممالك))[9]، ثم يشير إلى الزموم مع اختلاف في أسمائها وحدودها قائلاً: ((فأما رم جيلويه المعروف بالرميجان فإن مكانه في الناحية التي تلي أصبهان وهي تأخذ طرفاً من كورة اصطخر وطرفاً من كورة سابور وطرفاً من كورة أرجان فحد منه ينتهي إلى البيضاء وحد منه ينتهي إلى حدود أصبهان وحد منه ينتهي إلى حدود خوزستان وحد منه ينتهي إلى ناحية سابور وكل ما وقع في هذه المدن والقرى فمن هذا الرم، وسجاحهم[10] في عمل أصبهان البازنجان وهم صنف من البازنجان الذين هم برم شهريار وليس من هؤلاء البازنجان أحد في عمل فارس إلا أن لهم بها قرى وضياعاً كثيرة، وأما رم الديوان المعروف للحسين ابن صالح وهو من كورة سابور فإن حداً منه يلي أردشير خره وثلاثة حدود يحيط بها كورة سابور وكل ما كان من المدن والقرى في أضعافها فهي منها، وأما رم اللوالجان لأحمد بن الليث وهو في كورة أردشير خرة فحد منه يلي البحر ويحيط بثلاثة حدود له كورة أردشيرخره وما وقع في أضعافه من القرى والمدن فهو منه، وأما رم الكاريان فإن حداً منه إلى سيف بني الصفار وحداً منه إلى رم البازنجان وحداً منه إلى حدود كرمان وحدا منه إلى أردشيرخره وهي كلها في أردشيرخره))[11].

ويعتقد الباحث أن سبب زيادة رم واحدة في مصنف الاصطخري ربما يعود إلى الفترة الزمنية الطويلة ما بين تصنيف ابن خرداذبة لمصنفه المسالك والممالك في (٢٥٠هـ/٨٦٤م)[12]، وبين كتابة الاصطخري لمؤلفه مسالك الممالك في ٣٤٠هـ/٩٥١م)[13]، وهذه المدة الطويلة أحدثت دون شك تغيرات اجتماعية واقتصادية بل وحتى سياسية في بنية المجتمع القبلي الكردي في إقليم فارس، من حيث زيادة عدد أفراد هذه القبائل، إضافةً إلى حدوث تغيرات جغرافية في مناطق نقل هذه القبائل بين المناطق الباردة (الصرود) في فصلي الربيع والصيف، والمناطق الحارة (الجروم) في فصلي الخريف والشتاء، تبعاً للمستجدات السياسية والعسكرية في هذا الإقليم المضطرب[14].

أما بالنسبة للقبائل الكردية ومناطق انتشارها وتوزيعها جغرافياً إضافةً إلى عددها وأسمائها فيكاد يكون المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) البلداني والمؤرخ الأول الذي تطرق إلى هذه الناحية حيث ذكر أسماء ست عشرة قبيلة كردية هم: (البازنجان والشوهجان والشاذنجان والنشاورة البوذيكان واللورية والجوزقان والجاوانية والباريسان والجلالية والمستكان والجابارقة والجروغان والكيكان والماحردان والهذبانية وغيرهم..)[15].

وبخصوص أماكن انتشار هذه القبائل جغرافياً فقد أشار إليها المسعودي مرتين الأولى: في مصنفه (التنبيه والإشراف)[16] ولكن بصورة غير متجانسة،

حيث خصص أقاليم كثيرة تقع بعضها ضمن نطاق المنطقة الكردية، والأخرى خارجها ((... ممن بزمام فارس وكرمان وسجستان وخراسان وأصبهان وأرض الجبال من الماهات: ماه الكوفة، وماه البصرة، وماه سبذان والأيغارين وهما البرج وكرج أبي دلف وهمذان وشهرزور ودراباذ والصامغان وأذربيجان، وأرمينية وآران والبيلقان والباب والأبواب، ومن الجزيرة والشام والثغور))[١٧].

أما الثانية: فقد ذكرها في مؤلفه الآخر (مروج الذهب)[١٨] بتحديد أقرب إلى الدقة العلمية، مع اختلاف في أسماء بعض القبائل، ربما يرجع إلى تصحيفات أثناء نقل النصوص، إضافة إلى وجود قبيلة تحت اسم اليعقوبية[١٩] لم ترد في المصنف الأول (التنبيه)[٢٠] ووجود قبيلتين باسم النشاوردة والجوروقان لم تذكرا في مصنفه الآخر (المروج)[٢١] مع وجود اختلافات في أسماء بعض القبائل بين مصنفي المسعودي، مثل الهذبانية في (التنبيه)[٢٢] والهلبانية في (المروج)[٢٣]، اللرية في (التنبيه)[٢٤]، واللزبة في (المروج)[٢٥]، الجلالية في (التنبيه)[٢٦] والخالية في (المروج)[٢٧] ويعتقد الباحث بأن هذه الاختلافات مجرد تصحيفات جاءت إثر نقل النساخ لهذه المخطوطات، إضافة إلى صعوبة كتابة بعض هذه الألفاظ غير المفهومة أصلاً، وصعوبة كتابتها على أيدي الكتاب المتمرسين باللغة العربية آنذاك، فضلاً أن المسعودي كتب المروج مرتين آخرهما قبيل وفاته.

أما بالنسبة لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) المتأخر زمنياً عن سلفه المسعودي، فقد تطرق إلى أكثر من عشر قبائل كردية، وحدد أماكن توزيعها الجغرافي بصورة مغايرة عما فعله المسعودي، فهو يذكر مثلاً اسم منطقة أو مدينة ثم يذكر اسم القبيلة الساكنة في ربوعها، فقبائل الجلالية، والباسيان، والحكمية، والسولية، مناطق انتشارها تقع في أطراف شهرزور[٢٨]، أما قبائل البشنوية والبختية فأن ديارها تقع في منطقة زوزان[٢٩]، ولها عدة قلاع، ((فمن قلاع البشنوية قلعة برقة وقلعة بشير، وللبختية قلعة جرذقيل، وهي أجل قلعة لهم: وهي كرسي ملكهم، وآتيل وعلوس...))[٣٠]، أما قبيلة الجورقان[٣١]، فتعيش في منطقة همدان، فيما تتركز قبيلة الداسنية في الجبال الواقعة شمال مدينة الموصل[٣٢]، فيما تنتشر قبيلة الهكارية في الإقليم الذي سمي باسمها[٣٣]، أما قبيلة اللر فتقع مساكنهم في إقليم اللر[٣٤]، الذي انقسم بعد ذلك التاريخ إلى قسمين: اللر الكبير واللر الصغير[٣٥]، وهكذا بالنسبة لقبيلة البلاشجان التي تقع في إقليم أذربيجان وذكرها لأول مرة البلاذري[٣٦] وعنه نقلها ياقوت الحموي[٣٧].

أما المقريزي[٣٨] فقد ذكر اسم إحدى وعشرين قبيلة كردية منهم: ((الكورانية، بنو كوران، والهذبانية والبشنوية، والشاهنجانية، والسرجلية، واليزولية، والمهرانية، والزرزارية، والكيكانية، والجاك، واللو، والدنبلية، والروادية، والديسنية، والهكارية، والحميدية، والوركجية، والمروانية، والجلالية، والشنبكية، والجوبي..)).

ويعد القلقشندي[٣٩] عشرين طائفة (قبيلة) من الكورد، يتفق في معظمها مع المصدرين السابقين

ياقوت الحموي والمقريزي، موضحاً مناطق كل من هذه القبائل وعدد مقاتليها، مشيراً إلى من كان لها زعيم يدير شؤنها، كما يعدد قبائل أخرى من الكورد الذين تفرقوا بعد اجتماع ويذكر خمساً وعشرين موضعاً آخر تقطنها القبائل الكردية التي اتخذت من القلاع مراكز لها.

ومن جانب آخر فقد كانت للكرد تجمعات كبيرة وقبائل كثيرة في إقليم فارس الخارج عن نطاق المناطق الكردية، أشار إليها الاصطخري ذاكراً أسماء ثلاثة وثلاثين حياً من أحيائهم (ربما كانت أفخاذ وبطون للقبائل الكردية الرئيسية)، وعنه نقل كل من ابن حوقل[٤٠]، والمقدسي[٤١]، مع اختلاف بسيط من حيث الترتيب، وهذه الأحياء هي: ((الكرمانية والرامانية ومدثر وحي محمد بن بشر والبقيلية والبندادمرية وحي محمد بن إسحاق والصباحية والإسحاقية والأذركانية والشهركية والطمادهنية والزيادية والشهرونية والبندادكية والخسروية والزنجية والصفرية والشهيارية والمهركية والمباركية والاشتامهرية والشاهونية والفراتية والسلمونية والصيرية والازدادختية والبرازدختية والمطلبية والمالية والشاهاكانية والكجتية والجليلية..))[٤٢].

ويبدو للباحث أن الاصطخري أشار إلى أحياء أخرى للكورد ولكنه لم يذكرها بأسمائها ((فهؤلاء الذين حضرني ذكرهم من أسماء هذه الأحياء ولا يتهيأ تقصيهم إلا من ديوان الصدقات...))[٤٣]، وحول عدد هذه الأحياء يذكر ((.. وهم فيما يقال يزويدون على مائة حي وإنما حضرني نيف وثلاثون حياً))[٤٤].

والنتيجة التي يستخلصها الباحث بعد دراسة الروايات المتعلقة بأسماء القبائل الكردية ومناطق انتشارها، إن الغالبية العظمى من هذه القبائل كانت تتمركز في إقليم فارس، إذن.. ماذا حل الدهر بهذه القبائل الكثيرة والتجمعات الكبيرة للكورد (الزموم)؟، علماً بأن هذا الإقليم كانت تسوده على الأعم الغالب الصبغة الفارسية[٤٥]، ولماذا لم يصبح هذا الإقليم جزءاً من المنطقة التي أطلق عليها فيما بعد مصطلح كردستان؟.

وللإجابة على هذه الأسئلة لابد من الرجوع إلى مرويات البلدانيين المتأخرين زمنياً، فابن البلخي[٤٦] أشار إلى أن كورد الزموم الخمسة في إقليم فارس قد أبيدوا على بكرة أبيهم أثناء الفتوحات الإسلامية وما أعقبها في بلاد فارس من ثورات وحروب، فلم ينج من هذه العشائر والزموم إلا عشيرة آلاك[٤٧] التي اعتنقت الإسلام، أما كورد أصفهان فقد نقلهم أخيراً عضد الدولة البويهي إلى إقليم فارس[٤٨].

ويبدو للباحث أن رأي ابن البلخي ربما يكون مقتبساً من الرواية التي ينقلها ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) بقوله: ((.. ولي الحجاج محمد بن القاسم بن محمد الحكم الثقفي قتال الكورد بفارس فأباده منهم ثم ولاه السند..))[٤٩].

والملاحظ أن شيخ الربوة الأنصاري يؤكد ما سبق أن قاله ابن قتيبة حول انتهاء الوجود الكردي في إقليم فارس ولكن من خلال تعليل آخر، يقول بهذا الصدد: ((... وكان فيها ما يزيد على مائة ألف بيت تشملهم إثنان وثلاثون حياً، يخرج من الحي ألف فارس إلى مائة فارس إلى ما دون ذلك أبادتهم

سيوف التتار بما حكم به عليهم مولج الليل في النهار))[٥٠].

ولكن مع هذا فقد ذكر المستوفي اسم قبيلة كردية تدعى شبانكاره تسكن الإقليم الذي يتوسط مقاطعات فارس وكرمان وبحر فارس (الخليج العربي)، وأن معقل هذه القبيلة مدينة إيك[٥١]، وجاء ابن البلخي ليؤكد بأن لهذه القبيلة خمسة بطون وهي: الإسماعيلية، الرومانية، والكرزوية، المسعودية، والشكانية)[٥٢].

ويرى الباحث أن هناك تشابهاً بين اثنين من أسماء بطون قبيلة شبانكاره التي ذكرها ابن البلخي، وما أورده كل من الاصطخري وابن حوقل والمقدسي عند تعرضهم لذكر القبائل الكردية في إقليم فارس وهي: (الرامانية) و(الشاهاكانية)[٥٣]. وهذا ما يدلل على استحالة انقراض جميع القبائل الكردية في إقليم فارس، وإنما اختلطت مع قبائل فارسية حيث تفرست بمرور الزمن، أو انتقلت إلى مناطق اللر الكردية الواقعة إلى الشمال الغربي من إقليم فارس بين مدينتي تستر وأصفهان[٥٤].

ومما يؤكد وضوحاً ما ذكره القلقشندي عند تعريفه الشبانكاره كإحدى أقسام الكرد بقوله: ((..شبانكاره وهم أحسن من اللر طريقاً وآمن فريقاً ومنهم رعاية الزمام، وتمسك من الشريعة المطهرة ولهم بأس وشجاعة ولأمرائهم سمع وطاعة..))[٥٥].

ومن جانب آخر هناك ظاهرة لافتة للنظر عند دراسة تاريخ القبائل الكردية تساعد الباحث على إماطة اللثام عن التغيير الحاصل في أسماء هذه القبائل بين الذين أرخوا لها في فترة إلى أخرى، فعند دراسة المؤرخ الكردي شرفخان البدليسي (ت ١٠١٧هـ/١٦٠٨م) لهذه القبائل نلاحظ وجود أسماء أخرى بعيدة كل البعد عن أسمائها التي دونها رواد الجغرافية الأوائل، وقد استمرت هذه الظاهرة إلى العصور العثمانية المتأخرة، ويعتقد الباحث أن الكثير من العشائر الكردية قد اتحدت حول عشيرة قوية وغنية واستمدت منها اسمها[٥٦]، أو أن أحد الزعماء الأقوياء الذي ينتسب إلى قبيلة أخرى استطاع بدهائه ونفوذه أن يجمع عدداً من القبائل أو العشائر تحت سلطته، مما أدى في نهاية الأمر إلى أن يكون اسمه هو ما يتسمى به هذا الاتحاد القبلي وهذا يبدو جلياً في روايات الاصطخري وابن حوقل والمقدسي ((مدثر وحي محمد بن بشر وحي محمد بن إسحاق والإسحاقية والمطلبية..))[٥٧]، إضافة إلى ظاهرة أخرى يذكرها البدليسي وهي أن قبيلته تحدت في يوم واحد فلذلك سميت روزكي (بالزاء الفارسية) ومعناها باللغة الكردية يوماً ما[٥٨]، أو أنها تمكنت من فتح معاقلها بعد أن كان الأعداء قد سيطروا عليها، وصادف هذا النصر يوم السبت فلذلك سموا أنفسهم بعائلة شنبو أي يوم السبت في اللغة الكردية، وبقيت هذه التسمية طاغية على أسم العائلة ومن ثم أصبح مرادفاً لاسم القبيلة[٥٩].

ولكن مهما يكن من أمر فإن القبائل الكردية التي ستدخل مجال بحثنا عددها قليل نسبة إلى الأعداد الكبيرة التي ذكرتها المصادر، ومن هذه القبائل هي: البرزيكان والعيشانية والشاذنجان التي تقطن إقليم الجبال الغربي الذي يقع في المنطقة الغربية من إيران الملاصقة للحدود العراقية وهذه تمكنت من تأسيس الإمارتين الحسنوية والعنازية.

أما القبائل الأخرى كالحميدية والحاريختية والبشنوية التي كانت مناطق سكناها يتركز في إقليم الجزيرة شمال وشرق الموصل، فقد تمكنت من تأسيس الإمارة المروانية فيما كان لقبائل أخرى دور في تأسيس إمارات وكيانات سياسية ليست مجال بحثنا.

الهوامش:

(١) خصباك، شاكر: العراق الشمالي دراسة في نواحيه الطبيعية والبشرية، بغداد، مطبعة شفيق، الطبعة الأولى، ١٩٧٣، ص١٧٥.

(٢) العزاوي: عباس المحامي: عشائر العراق، الكردية، بغداد، مطبعة المعارف، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ص٢٧.

(٣) الصرود: مفردها صر يقصد بها المناطق الباردة، أنظر: هەژار: فرهنك كردي-فارسي (باللغة الكردية)، ص٤٠٦.

(٤) الجروم: مفردها جرم أو كرم (بالكاف الفارسية) وتعني المناطق الحارة. أنظر كيو موكرياني: فەرهەنگی مەهاباد (باللغة الكردية)، ص٥١٠.

(٥) ابن حوقل: صورة كتاب الأرض، ص٢٤٠.

(٦) زموم: جمع زم ويحدد شارح كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة معنى زم بالنواحي عند أهل فارس، المخاليف عند أهل اليمن، الأجناد عند أهل دمشق، الرساتيق عند أهل الجبال، الطساسيج عند أهل الأحواز. أنظر ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٥١، الهامش ١؛ بينما ذكر لسترنج أن معنى زم بالكردية (القبيلة)، وأصح وجه لكتابتها (زومة) أنظر لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٠١، الهامش ٧؛ وقد وردت هذه اللفظة بصيغة رم عند الاصطخري وتابعه ياقوت ثم المؤرخ الكردي محمد أمين زكي. أنظر: الاصطخري أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي: مسالك الممالك، ليدن مطبعة بريل، ١٩٦٧م، ص١١٣؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ٢٢٦؛ زكي: خلاصة تاريخية، ص٣٥٧؛ ويعتقد الباحث أن الكلمة مصحفة وأن الصحيح لكتابة لفظ زم هي زومة وتعني في اللغة الكردية مصيف القبيلة أو حلة من الخيم. أنظر الكوراني، علي سيدو: المعجم الحديث كردي-عربي (باللغة الكردية)، ص٦٦٦؛ كيو: فەرهەنگی مەهاباد، ص٣٣٢.

(٧) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ٤٧؛ ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ٢٠٣-٢٠٤؛ شيخ الربوة: كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ٢٤٠.

(٨) لبندرقة: تصحيف والصحيح لبذرقة القوافل أي لخارفها وحفظها، أنظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ١١١٨.

(٩) الاصطخري: مسالك الممالك، ص١١٣.

(١٠) سجاحهم: كلمة غير ذات معنى وربما هي تصحيف لفظة متآخمهم، أنظر ابن حوقل: صورة كتاب الأرض، ص٢٣٩.

(١١) الاصطخري: مسالك الممالك، ١١٣-١١٤؛ ابن حوقل: صورة كتاب الأرض، ٢٣٩-٢٤٠؛ المقدسي: احسن التقاسيم، ٢٣٩-٢٤٠، وهو المصنف الوحيد الذي يحدد بدقة المنطقة الفاصلة في إقليم فارس بين

المناطق الحارة (الجروم) والمنطقة الباردة (الصرود)؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢٢٦/٤.

(١٢) لسترنج: بلدان الخلافة، ١٢، ولقد وقع الدكتور نجيب أسكندر في الخطأ عندما عد مصنف الاصطخري (مسالك الممالك) الأساس الذي استقى منه بقية البلدانيين المسلمين معلوماتهم، أنظر أسكندر، فايز نجيب: الحياة الاقتصادية في أرمينيا إبان الفتح الإسلامي، دار الفكر الجامعي، الأسكندرية، ص٧٥.

(١٣) المصدر نفسه، ١٢.

(١٤) كان هذا الإقليم يتعرض إلى حالات عدم الاستقرار تبعاً للاضطرابات التي تحدث في مركز الخلافة العباسية نتيجة تدخل الأتراك، ومن ثم ظهرت دويلات فارسية شبه مستقلة، إضافة إلى ظهور حركات الزنج والقرامطة، وقد آل مصير الإقليم في نهاية الأمر إلى وقوعه تحت سلالة ديلمية (البويهيين) الذين اتخذوا مركزاً للانطلاق والتوسع فيما بعد. أنظر بهذا الصدد: منيمنة، حسن: تاريخ الدولة البويهية، الدار الجامعية، ١٩٨٧، ص١٨١، ١٨٢.

(١٥) التنبيه والإشراف، ٩٤.

(١٦) المصدر نفسه، ٩٤.

(١٧) التنبيه والإشراف، ٩٤.

(١٨) المسعودي: مروج الذهب، ١٠١/٢.

(١٩) المسعودي: التنبيه والإشراف، ٩٤.

(٢٠) المصدر نفسه، ٩٤.

(٢١) المسعودي: مروج الذهب، ١٠١/٢.

(٢٢) المسعودي: التنبيه والإشراف، ٩٤.

(٢٣) المسعودي: مروج الذهب، ١٠١/٢.

(٢٤) المسعودي: التنبيه والإشراف، ٩٤.

(٢٥) المسعودي: مروج الذهب، ١٠١/٢.

(٢٦) المسعودي: التنبيه والإشراف، ٩٤.

(٢٧) المسعودي: مروج الذهب، ١٠١/٢.

(٢٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣٧٥/٣.

(٢٩) المصدر نفسه، ١٥٨/٣.

(٣٠) المصدر نفسه، ١٥٨/٣.

(٣١) المصدر نفسه، ١٨٤/٢؛ ومما يجدر ذكره أن كثيرا من الباحثين الكرد وقعوا في الخطأ عندما اعتبروا قبيلة جورقان مجرد تصحيف وردت عند البلدانيين المسلمين والصحيح كوران (بالكاف الفارسية) أوكەوركان، أنظر رۆژبەیانی، محمد جميل: حلوان وحكامها في التاريخ، ترجمة كمال غمبار، مجلة كاروان، العدد ٤٧ آب ١٩٨٦، ص١٢٤؛ زرار، صديق توفيق: الزعماء وأصحاب القلاع الكرد في بلاد هكاري، مجلة متين، العدد ٤٥ تشرين الأول ١٩٩٥، ق١، ص١٠٧؛ وللتثبت من أن اسم قبيلة الجورقان التي ذكرها المسعودي في كتابيه (التنبيه والإشراف) و(مروج الذهب) ينبغي الرجوع إلى ما دونه ياقوت الحموي في تعريفه لمدينة همدان حيث هناك القول الفصل. أنظر ياقوت: معجم البلدان، ١٨٤/٢.

(٣٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤٣٢/٢.

(٣٣) المصدر نفسه، ٤٠٣/٥، ٤٠٨.

(٣٤) المصدر نفسه، ١٦/٥.

(٣٥) مەردوخ: مێژووی کورد وکوردستان (باللغة العربية)، ١٦٨؛ نيكيتين، باسيل: الكورد، قدم له لويس ماسينيون، بيروت، دار الروائع، (د. ت)، ص٣٥.

(٣٦) البلاذري: فتوح البلدان، ٣٠٦، حيث وردت عنده بصيغة البلاسان؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٨٥/٣.

(٣٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١٣٩/١.

(٣٨) المقريزي: السلوك، ج١،ق١، ص٤.

(٣٩) القلقشندي: أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٤، ص٣٠٦.

(٤٠) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ٢٤٠.

(٤١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ٢٣٩.

(٤٢) الاصطخري: مسالك الممالك، ١١٤، ١١٥.

(٤٣) المصدر نفسه، ١١٥.

(٤٤) المصدر نفسه، ١١٥؛ ابن حوقل: صورة كتاب الأرض، ٢٤٠؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر، ٢٤٠.

(٤٥) جاء ذكر القبائل الفارسية لأول مرة في حملات الملك الآشوري شليمنصر الثالث (٥٨٥-٨٢٤ ق.م) على مناطق الهضبة الإيرانية وجبال زاكروس عام ٨٤٤ ق.م أنظر بهذا الصدد بيرنيا: تاريخ إيران القديم، ص٥٨، ٧٠؛ طه باقر: تاريخ إيران القديم، ٣٧، ٣٨.

(٤٦) ابن البلخي: بلداني، فارسي، ألف كتاب فارسنامه (الرسالة الفارسية) سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م في عهد السلطان أبي الشجاع محمد بن ملكشاه السلجوقي، وطبع بكمبردج سنة ١٣٢٩هـ/١٩٢١م. زكي: خلاصة تاريخية، ٢٥٨.

(٤٧) ابن البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل: فارسنامه، بسعي واهتمام لسترنج نيكلسون، مطبعة دار الفنون، كمبردج ١٣٣٩هـ/١٩٢١م، ١٦٨؛ ويذكر باحث آخر هذه الرواية بصيغة أخرى: ((أن شخصاً اسمه علك بقي من هؤلاء الكرد ودخل في الإسلام ولا تزال عائلته موجودة في إقليم فارس..)) البدليسي: الشرفنامه، ١٤ هامش ١، بقلم المراجع يحيى الخشاب، وفي اعتقاد الباحث أن الاختلاف بين الصيغتين ناتج من الترجمة من الفارسية إلى العربية فحسب.

(٤٨) ابن البلخي: فارسنامه، ١٦٨.

(٤٩) الدينوري، ابن قتيبة: عيون الأخبار، شرحه وطبعه وعلق عليه وقدم له يوسف علي طويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١، ص٣٣٢.

(٥٠) شيخ الربوة: نخبة الدهر، ٢٤٠.

(٥١) إيك: أو إيج بلدة كثيرة البساتين والخيرات في أقصى بلاد فارس وهي كوردة دارا بجرد أهل فارس يسمونها إيك. أنظر: ياقوت: معجم البلدان، ٢٨٧/١.

(٥٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة شبانكاره، ١٥٤/١٣-١٥٥.

(٥٣) الاصطخري: مسالك الممالك، ١١٤-١١٥؛ ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ٢٤٠؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ٢٣٩.

(٥٤) أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل: تقويم البلدان، اعتنى بطبعه رتيومدرس، باريس (د. ت)، ٣١٣

(٥٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣٠٦/٤.

(٥٦) نوري إسماعيل: مشروع كتابة جديدة للتاريخ الكردي، مجلة أجراس، بيروت، العدد الثاني، صيف ١٩٩٤، ص٣٦.

(٥٧) الاصطخري: مسالك الممالك، ١١٤-١١٥؛ ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ٢٤٠؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ٢٣٩.

(٥٨) البدليسي: الشرفنامه، ٣٨٦.

(٥٩) المصدر نفسه، ١٢٨، ١٢٩.

جمچمال اقليم آثاري

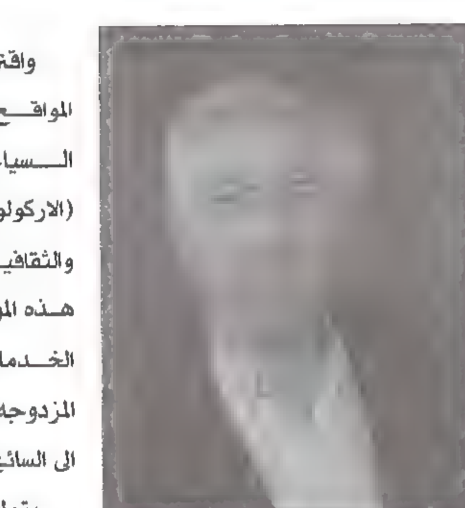
جمعة عبدالله

نتيجة سياحاتي وتجوالي في المواقع الآثارية بعموم البلاد اكتشفت ان المواقع الآثارية تعطي مساحات كبيرة في العراق بعضها قد اصبح معروفا وظاهرا للعيان والقسم الاكبر طي النسيان.

ان المكتشف للمواقع بالبلاد حوالي خمسمائة موقع اثري من مجموع خمسين الف تقريبا (حسب علي غير منقب).

وهي منتشرة في المناطق الجبلية والكهوف والاراضي السهوبية (المتموجه) والسهلية.

وبالنظر لقدم الآثار في اقليم كردستان اختصر بحثي وطروحاتي للاقليم.. وبالنظر لاهمية المواقع تأريخيا ارى تفعيل (المرشد الى مواطن الآثار والحضارة) مع اضافات ان تطلب ذلك لما لاهمية الحضارية كدليل.



واقتراحي تأهيل قسم في المواقع الآثارية ذات الجذب السياحي للفائدة العلمية (الاركولوجية- الانتروبولوجية) والثقافية والحضارية علما ان هذه المواقع تفتقر الى ابسط الخدمات السياحية وللفائدة المزدوجه لسكان المنطقة بالاضافة الى السائح والزائر والمنقب.

يتطلب ذلك مشاركة الجهات ذات الاختصاص الاول الاعلام بوسائله المختلفة عن طريق طروحاته باهمية السياحة والاثار، وصناعة السياحة من طرق ودلالات لتسهيل ممهة الباحث، بالاضافة الى دائرة السياحة، الري، الغابات، تاريخنا التراثي غني بالكنور الموروثة.

من لا تراث له لا اصالة له

موقع جمچمال فريد ومتميز كونه من اقدم المواقع الاثرية في التأريخ والمعروف من قبل علماء

الاثار والمنقبين من البعثات الاجنبية، خلال عقود القرن الماضي.

لعثورهم على ادوات بداية اول انسان في التأريخ استطاع ان يدجن الحيوان والحبوب.. والاستقرار. والابراز اهمية منطقة (جمچمال) عن طريق فكرة اقامة مهرجان سنوي في هذا الموقع الحضاري لما سيكون له امر في احياء تاريخنا القديم.

الرصافي.. روسو.. الاعلام

في الوقت نفسه نتمنى ان يقام نصب تذكاري لشاعر من شعرائنا (قيثارة الدهر) ينتسب بصلة الى عشيرة المساة (جباري) والمعروف باسم معروف عبدالغني الجباري الكركوكلي الرصافي.

اقتراحي باضافة للمرشد السياحي على شكل محاور كالآتي:

محور حمرين/ كركوك(٢) يشمل المواقع الاثارية الآتية:

خورماتو- مطاره- مغارة- على سراي (الكاكئية) كل عبدالعزيز (تازه) كركوك: اصل التسمية من كركر، كذلك باباكركر يعني اللهب بالكردية ومن اسماء كركوك التأريخية/ نوزي/ ارافا، ارابخا كرخاسلوفا/ كاسور/ كرخيتو. والتل في مفرق كركوك الحالية.

محور كركوك: جمچمال

كهف (بالي كورا) على بعد ٢٠ ميلا من جمچمال.

كريم شهر: يقع هذا الاثر على نحو ٦ اميال شرقي جمچمال.

(تأريخ اثنى عشر الف سنة).

قرية (جرمو) موقع بارز في المنطقة في هذا الموقع بداية ظهور الزراعة وتدجين الحيوان (في العصر الحجري الحديث)..

ثبت ان الناس الذين عاشوا في ذلك الوطن الطبيعي ان اهتدوا الى انتاج قوتهم بالتدجين بعد ان كانوا يحصلون عليه بالجمع والصيد.

جرمو: اولى القرى الفلاحية في العالم

تقع جرمو قرب جمچمال بنحو ١١ كم شرقا و٢٥كم شرق كركوك على الوادي المسمي (چم كورا) احد روافد نهر العظيم، يرتفع عن مستوى سطح البحر ٢٥٠٠ قدم.

كريم شهر/ يلي في التأريخ زمن قرية "زاوي چمم"

يقع هذا التل الاثري بنحو ٦ اميال شرقي جمچمال، وهو موقع اثري مكشوف (اي ليس في كهف او مغارة). تشغل مساحة ٨٠٠٠م^{2} زمن يعود الى فترة ماضي الدور الحجري الوسيط.

محور جمچمال/ كهف شانيدر:

"زاوي چمم" اقدم قرية من نوعها يرجع عهدها الى العصر الحجري الوسيط وظهرت فيها بداية الانتقال الى طور انتاج القوت بالزراعة وتدجين الحيوان، وقد اعتبرت اقدم مستوطن قروي في شمال العراق واول قرية من نوعها في العالم.

محور جمچمال/ اربيل- محور اربيل/ دشت مرير

منحوتات ال / بخمة.

محور اربيل/ باستورة (اقنيه اروائيه) نوع من الكهاريز من الزاب- سيح نهر خاص- الى المدينة.

محور دهوك/ نينوى

تل اثري في القوش (القشتي) ريان هرمز.

في مدخل مدينة دهوك وفي اعالي الجبال (منحوتات معلثايا) حولت الى (مالطا) وهي كوندين في المدينة (قرية).

(روائع الاعمال الهيدروليكية(٢)

الكهريز او نفق المياه الجوفية/ ٧٠٠ ق. م

قناة بافيان- عبارة جروان- قناة سنحاريب

الفكره: ايصال الماء الى عاصمة الملك سنحاريب (خسرو اباد) وهي العاصمة الثالثة (بعد الشرقاط وكالح ونينوى) الواقعه على ضفاف دجلة بحاجة الى مياه مرتفعة لارواء الاراضي الزراعية، مكان قديما نهر _ الخوص) نهر يجف صيفا، على ضوئها نفذ سنحاريب هذا المشروع جلب سنجاريب الماء من نهر (الكرمل) وهو رافد الخازر يرفد الزاب الكبير (وكوليلا٩ تصغير كومل جرت عندها المعركة بين داريوس والاسكندر المقدوني. والمشروع يبدأ في سريافيان (عند قرية بافيان) بطول ٨٠ كم بطن منه ٥٠ كم (اي قناة اصطناعية) وهي قناة مرصوفه بكتل من حجر الكلس.

سميت قناة سنحاريب. استغرف انشاءه ١٣ سنة.

وانشأ لها عبارات (اي قناطر) لعبور الوديان والنهيرات اكبرها عبارة جروان التي مازالت آثارها قائمة في قرية جرواند.

وهي مبينة بزهاء مليوني قطعة حجرية مهندقة، بطول ٣٠٠ متر على هيئة مكعبات ضلعها ١,٥ م، وارتفاع جدرانها الجامبية ١,٥ م بسمك ٢,٥م. والعبارة مرفوع على ١٤ دعاقة ويبلغ اقصى ارتفاع لها ١٥م. وتستمر قناة سنحاريب الى قرب تل قوينجق (المنتقب من قبل عالم الاثارملون) ليصب في دجلة. ويعد مشروع سنحاريب/ اول مشروع لاسالة الماء الى المدن.

واول مشروع حجري في التاريخ

الا يستحق هذا المشروع ان يؤهل ويقام على ضفا فيه المهرجانات والمنتديات لمختلف الفنون الاداب، بالاضافة الى الخدمات الضرورية، علما ان بقاياه هي الشلالات الحالية.

محور دهوك/ زاخو

الزعفران/ بقايا تل اثري

هذا باختصار قسم من المواقع الاثرية ذات الجذب السياحي منها تحول انسان قبل التأريخ (المتوحش النبيل) الى الآلة –الوسيلة- (بداية الحضارة).

اهملت هذه المواقع التأريخية والدعوة ضرورية الى الاخصائيين من اركولوجيين وانثروبولوجيين عبر وسائل الاعلام المختلفة للاهتمام والنشر والتوعية، عن طريق تشكيل لجان لتهيئة المخططات للنهوض بالمواقع والابراز الشكل الحضاري التي تستحقها.

(٢)حمرين: لها اسماء حسب مرورها بالمواقع المختلفة، وهي ذراع في زاكروس في خانقين تسمى (دراوشكه) وفي مناطق اللور- على الغربي (بشتكوة). تعني خلف الجبل (من بشت) وهي على شكل قوس من غرب نهر الخابور الى بشتكو، في الخابور تسمى السلسلة (بارما) بتسمية ياقوت (بارما- دراوشكه شتكو) سلسلة حمرين.

خورمــاتو: لهــا اسمــاء منهــا خيرمتــى (مــن الخور)(خاينجار (خان القار) خورشينو (المشرق).

لـدى سيطرة الميـديين عليها بنـور قلعـة تـسمى (دز) تعـني بالآريـه قلعـة، صـارت دزخورشـيتو اي (قلعة الشمس) ويسمونها الاهالي حاليا (قلاي كاور) بالكردية.

محور خورماتو/ قلعة شيروانه على ضفة (سي، روان) سيروان، ديالى

محور كلار/ خوماتو/ الاثر التأريخي بيكولي من (بي، كولي)

خورماتو= المشتق من كلمتين خور اي الخوريين، ومـاتو الـتي تعـني المدينـة بالاكديـة فيكـون مدينـة الخوريين، وكفري المجاورة من اسمائها (لاخيرتو) من الخور ايضا.

الخابور- كما في جمبور اي الوادي الـين (اب بـور) المـاء الخـابط والتـسمية اليونانيـة خـابوراس (هـم يضيفون حرف السين لنهاية الاسم كما في داريوس.

(٣)الهيـدروليك والمـصطلحات التاليـة (علاقـة بمناسـيب الميـاه: الهيـدرولوجي (الميـاه الجوفيـة) الهيدروجيولوجي (المياه السطحية) المياه الهيردوليك (ناسـب الميـاه- حـسب مؤشـراتهم) اي العمليـة في التحكم بالمياه (من خزن- تصريف-قنوات-كري) هـذا كـان تفكـير الانـسان القـديم الاسـتراتيجي تم بعـدا ستقراره ومعاناته للسيطرة.

المصادر:

١-مقدمة/ في تأريخ الحضارات القديم/ طه باقر.

٢ آفاق عربية/ د. جميل الملائكة.

٣-خارطـة مـشروع سـنحاريب الاروائيـة/ عبـارة جروان

٤-خارطـة كركـوك الاثاريـة (جمـجمال-كفـري خورماتو).



منطقة هەورامان

دراسة اجتماعية انتروبولوجية

تأليف

عزت فتاح حمه صالح

من منشورات

مركز كوردستان للدراسات الاستراتيجية

سليمانية- ٢٠٠٦

ملف جليل القيسي



ولد جليل القيسي عام ١٩٣٧ في كركوك من اب عربي وام كردية، فهو قاص مبدع ومعروف على مستوى الادب العربي كله، وهو كاتب مسرحي كبير له مكانته المرموقة في ساحة المسرح العراقي والعربي، كان احد اعضاء (جماعة كركوك) الادبية التي تأسست في ستينيات القرن العشرين في كركوك، حيث كان لها دور بارز في تجسيد وتفعيل الحركة الثقافية فيها، وتضم الجماعة ادباء من الكرد والتركمان والعرب والكلدوآشوريين، صدر له ثمانية كتب من قصص ونصوص مسرحية كالآتي:

صهيل المارة حول العالم ١٩٦٨، جيفارا عاد افتحوا الابواب ١٩٧١، زليخة البعد يقترب ١٩٧٣، في زورق واحد ١٩٨٥، ومضات من خلال موشور الذاكرة ١٩٩٠، مسرحيات ١٩٧٩، وداعا ايها الشعراء ١٩٨٨، مملكة الانعكاسات الضوئية ١٩٩٦، اضافة الى عشرات القصص والمسرحيات المنشورة في الصحف والمجلات العراقية والعربية والكردستانية وكان صديقا مقربا لمعظم ادباء الكرد ولمجلتنا حيث رفدنا بالكثير من قصصه.

توفي في كركوك اثر مرض عضال بتأريخ ٢٠٠٦/٧/٢٧.

الصامد في عزلته وفقره

شيركو بيكه‌س

لقد فقدنا انسانا رائعا واديبا مبدعا.. كان "جليل القيسي" من اصدقائي المقربين وكذلك كان صديقا وفيا للشعب الكردي وقضيته..



كانت علاقتنا منذ اواخر السبعينيات قد توطدت واستمرت الى اخر ايامه. لقد اتصلت به وتحدثت معه بالتلفون قبل وفاته بيوم واحد. كان صوته واهنا جدا وقال بان صحته تدهورت كثيرا.. ان من عرف جليل القيسي عن قرب يعرف بانه كان انسانا هادئا جدا ومثقفا وصامدا في عزلته وفقره ولم يترك مدينته كركوك ابدا في احلك الايام وكانت له علاقات حميمة مع كثير من الادباء والشعراء الكرد وكان له حضور دائم في جميع المهرجانات والمناسبات الادبية التي تعقد في كردستان.. كان يكتب مذكراته الى آخر ايامه..

وبرغم المرض استمر فيها حيث اخبرني السيد عباس وهو زوج ابنته وكان مرافقا له في سفرته الاخيرة الى انقرة للمعالجة "بانه كان يكتب يوميا مذكراته على فراش المرض "لقد كتبت بعد وفاته مقطعا من قصيدة باللغة الكردية وهذه ترجمتها:

كما هو ريش حمامة بيضاء في الريح
كان "جليل" ابسط منه وانعم
كان غارقا في ماء الكتاب دوما
وخياله اجمل من ضياء القمر
سمفونية من مطر الحب تنهمر
قصته طويلة القامة.. جائع ومتعب
وحظه عاش
كحظ كركوك!



محيي الدين زەنگەنە ينعي جليل القيسي

بقلب يفطره الاسى، وبعيون تنز دماءوبروح يفتتها الوجع، انعى الى مبدعي العراق ومبدعي العالم في كل مكان، المبدع الالمعي سيد القصة والمسرح في العراق "جليل القيسي"، احد ألمع "جماعة كركوك" الذين رفدوا الحياة الثقافية والفكرية في العراق — منذ اواسط الستينيات — بأسمى ايات الفن الخلاق والادب الانساني والفكر التقدمي الوضاء ... وشقوا بأقلامهم الرصينة الصادقة طريق الابداع في الصخور وبين الادغال، وشتلوا فيها كل ما هو جميل ونافع يمنح الانسان قوة الحقيقة والحق والجمال ويزحزح ظلمات الطغاة التي تسعى الى اطفاء النور.

لقد غدر به الموت -الغادر دائما- بعد مرض عضال لم يمهله طويلا ليلة ٢٨/٢٧ تموز وهو في قمة عطائه وخصبه وتواصله في إثراء الحياة الفكرية والادبية في العراق، بروائع أعماله منذ مايقارب نصف قرن من الزمان.

انعى اليكم، أيها الاحبة، صديقا وأخا كبيرا ورفيق عمر تجاوز الخمسين عاما... وإنسانا نادر المثال لايجود الدهر الشحيح بأمثاله إلا بعد أحقاب وأحقاب وبعد مخاضات عسيرة وأليمة.

بغياب القيسي الكبير، الذي ليس بوسعي وأنا تحت وطأة الألم وبين أنياب الوجع سوى أن أقول ان القصة في العراق لن تكون كما كانت بوجوده، وان المسرح لايبقى مثل ما كان... بل ان الحياة برمتها لاتعود كما كانت... فان خللا مريعا قد اصاب كل شيء وان فراغا كبيرا قد حل على الاقل بالنسبة الي.

٢٠٠٦/٨/٨

Zangana68@yahoo.com

جليل القيسي.. رجل من حرير

رؤوف بيكه‌رد

لا اتذكر متى تعرفت لاول مرة وجها لوجه بهذا الانسان، لا اذكر اللقاء الاول ولا السفر الاخير معه. هناك علاقات ولقــاءات ووقــائع واحداث تشبه الى حد ما حالة النشوة، النشوة بمعنى لحظات الانقطاع عن الزمن والبقاء في وحدة انعزالية واشراقية، فتحس بوجودك من خلال حريتك فقط. في هذه اللحظات تتحول المسافات الى كأس من لهيب الخمر لمائدة الندماء، او شعلة من نور تتقد في وجود النساك والزهاد في خلوتهم مع الرب. هذه الحالة ملتفة بضباب ابيض كالثلج. فيختفي الاصدقاء من العيون الفضولية التي تخترق الجدار. ولن تفوح في جلساتهم رائحة هؤلاء الذين ينتابهم الاغتراب حتى من ارقى عطور باريس. حالة مصالحة نسبية مع الذات لخنق



الوحش الكاسر فيها والالتجاء الى الضياع الذي يلتفك بهاجس الحب كيفما كان لونه او هويته.

يقول جليل قيسي في رسالة بتأريخ ٢٠٠٣/٧/١٠

".. معذرة لقصر رسالتي، لانني حزين من حيث لا ادري لماذا؟ اي قدر صعب ان تكون كاتبا.. ترى لماذا اخترنا وسط العديد من المهن مهنة دحرجة صخرة سيزيف؟ والى متى نبقى مع هذه الصخرة؟ الناس في كل مكان، في دنيا مهنهم يتساءلون مع انفسهم سواء بجد او بهزل، ماذا تقول النجوم يا طالعي؟ هل اصعد درجات عالية من الثراء أو الوظيفة؟ إلا نحن نتسول الوقت على طريقة كازانتزاكيس كما تفضلت في رسالتك لكي نكتب ونقرأ فقط، نهتاج هياج المجانين وسط فقرنا عندما نعثر على كتاب رائع، او عندما نكتب عملا

تشعرنا مجسات حدسنا انه رائع. قال اليوت ذات مرة: "اي غفران بعد كل تلك المعرفة!" لا غفران لقد حرقنا قواربنا وسط البحر، لاننا كما يقول راجو الرائع: متطوعون لاكتشاف الضياء الالهي".

لقد حرقنا الزوارق واحترقنا معها ايضا، لانه الاختيار بكل عبثه ولاجدواه. هذه الصخرة هي الملاذ الاخير الذي نشعر من خلال دحرجتها بالامان والطمأنينة وراحة النفس. هي اللذة الفريدة التي لايشعر بها غير العشاق الفقراء الذين يحترقون كالعنقاء ليصبحوا رمادا ومن ثمة الى شعلة وتبقى الجدلية بعنفوانها الازلي.

لقد كتبت في رسالتي الى جليل حول مايتمناه كازانتراكيس في اواخر حياته مانصه ".. عزيزي جليل، يقول كازانتزاكيس: "صار الوقت في نظري هو الخير الاسمى، عندما ارى البشر يتنزهون، يتسكعون، او يبددون وقتهم في نقاشات عقيمة، تنتابني رغبة في مد يدي في زوايا الشوارع كالمتسول:

-صدقة لله يا محسنين، تصدقوا علي بقليل من الوقت الذي تضيعونه، ساعة، ساعتين، ماتريدون.."

وفي رسالة اخرى بتأريخ ٢٠٠٣/١٠/٢٥ كتب جليل:

"حبيبي رؤوف، اعود مرة اخرى للكتابة لك، وقد لفني فجأة اعصار الحنين لكم، ولك انت بالذات، يقال ان الكثير من الحب يأس.. ماذا يفعل الانسان المتوحد، المدمن لوحدته، انني يارؤوف وحيد منذ ان دخلت عالم الادب. واستمرأت وحدتي، لكن هذا لايعني انني لا اصاب احيانا بيأس جنائزي حزين، واشعر رغما عني ان خطوط هاتف دماغي تتعطل بحيث لا استطيع باستثناءات نادرة ان اتذكر اي شيء.. ثمة ايام اتذكرك مرات، بل اتذكركم جميعا، وتلمع في ذهني شظايا براقة من اللوحات، انطبعت في لاوعيي، ويغمرني الم وفرح بهيجان، يرن في آذاني احيانا صوتك الحاني وانت تردد اسمي لاكثر من مرة بجرس ناعم: جليل.. جليل.. جوني، احوالك. شيركو المبدع على صواب عندما يقول في قصيدة له: باللون اعرف هل ان نغمة صوتك حزينة ام سعيدة. بيكرد الحبيب. مثلما لدى الطيور غريزة صنع الاعشاش، هكذا نحن الكتاب لدينا خليط غريب ومعقد من الرغبة لا للكتابة والقراءة حسب، بل للعواطف الحارة والمشاعر الفوارة. ولنفائس الحدوس وعبث لاهث لافكار فوضوية والبحث عن اللذة الحزينة والمأساوية، والتركيز الروحي لاستعادة ذكريات حزينة ونكبات روحية مثخنة بالعتمة. رؤوف الحبيب، معذرة لغوغائية مشاعري، او لست انت الاخر مثلي احيانا؟ حتما، هكذا نحن نعاني من عقد شبيهة بتعقيد اللغة الباروكية".

ان جليل القيسي كأي كاتب اصيل ووفي لكلمته، كانت كتاباته الادبية نسخة حقيقية من حياته. تمور في داخله صنوف القهر واستلابات العالم، يشبه في علاقاته وسلوكه اليومي قصيدة رائعة. زاخر بالحب للانسان، عاشق، متواضع وناعم كالحرير، يعيش للحظة التي يشعر بوجوده هو. مليء بالاحلام وحسرات ايروسية، يناضل من اجل تحقيق عالم خيالي وهو الاعرف بان هذا ليس الا سرابا ولا يجني من ورائه الا الضياع، ولكن البحث عن هذا السراب وهذا الضياع قد اصبح غاية في نفسه وكأنه يتلذذ بصيد المعجزات. وعندما يسكر جليل تشتعل ارهاصاته لينتعش اكثر ويترنم بأغان عراقية أصيلة ولاسيما

الاغاني القديمة السائدة في كركوك من التركمانية والكردية. كان يحب الليالي الحمراء وخصوصا مع الذين يختارهم هو ويتحمل الاتعاب للقائهم.

ان مجالسة جليل تشبه قراءة كتاب، انه يعرف شخوص الروايات العالمية باوصافهم وافكارهم، يتحدث عن كاتب مسرحي مبدع او ممثل قدير سواء على المستوى العربي أو العالمي بمعرفته الرائعة، يعشق بتهوفن وموزارت، يقرأ الروايات بنهم. في السنوات الاخيرة عندما اصبح الحصول على الكتب النادرة صعبا في العراق. وفي زياراته المتكررة للسليمانية يختار ما يعجبه من الكتب من مكتبتي الخاصة في البيت ليرجعها في فترة قصيرة جدا ويطلب المزيد.

جليل.. هو تلك الفراشة التي لاتستطيع لمسها حتى لاتتساقط جناحاها. لم يكن لأحد عداء، يحاذر ان يخدش شخصا أو إسما بغير حق. لايحب اقلام المداحين الرخيصة من الكتاب المرتزقة لنظام البعث، ويرفض تكريم السلطة له. فعندما كانت حالته المادية في ذلك الوقت متدهورة ويعيش على راتب تقاعدي ضئيل جدا. يرفض إغراءات وزارة الثقافة العراقية في طبع جميع انتاجاته او تعيينه في مناصب عدة. كان يفضل الفقر مع الحب وهما متلازمان. لايخاف من الموت اولا يفكر فيه ابدا لانه على معرفة حقيقية بهذا المصير، وهو السؤال الاول والاخير ولايترك مكانا لسؤال آخر. ويحمل في جنباته آلاما عظيمة لانه رجل عظيم.

عندما يتحدث عن زياراته الى السليمانية لحضور مهرجان كلاويز الثقافي السنوي، يجد نفسه سعيدا بين اصدقائه واقرانه الادباء. فيقول في احدى رسائله:

(.. ولانني بسبب عزلتي الصماء، سيما طوال هذه السنة بسبب الاوضاع الخطيرة في مدينتي التي فجرتها برابرة القاعدة وايتام صدام. لفتني كآبة لزجة وحزن ناري. منذ الليلة الاولى في السليمانية ابها العزيز تلاشت كآبتي كما يتلاشى الضباب امام الشمس".

كان جليل يحب مدينته كركوك (ارابخا) كحبه لولده الوحيد، يذكر في ترانيمه واغانيه المفاجئة اسماء محلاتها وعوالمها ولاسيما محلة قلعة.. يقف كثيرا في قصصه على تأريخ المدينة وتطورها وسكانها الاصلاء.

كانت في عيني جليل خفايا من الصمت المدهش لايحس بها الا من كان قريبا منه قربا روحيا. احيانا تتلون نظراته بالحلم والالم لتتحدث للقلب فقط. واحيانا اخرى. وفي مواقفه المبدئية تصبح عيون الصقر وهو في الذرى.

ان الموت مع وجهه المقيت يخلف وراءه في بعض الاحيان فخرا يقدر عليه. ففي زيارة الموت الاخيرة لانسان مبدع مثل جليل الذي فاضت انسانيته جمالا، خاف الموت ان يخدش هذا الكمال وتختل المعادلة، فمد يده خجلا اعترافا بهذه الحقيقة. وفي طرفة عين، وبهدوء ارتعاشة جناح فراشة، ينفذ عمله ليخلد هذا الانسان الذي بقي له كثير كي يموت مثل انسان اعتيادي، لهذا نقول لبعض الموتى (أحسن عملا في موته) كما نقول للآخرين (وا اسفاه) وهؤلاءهم حاملو الروح الخالدة التي لها حضور دائم في شعورنا وضميرنا، لاستعادة شمس ذكرياتهم التي تمطرنا دائما بالاشراقات والوهج والحب ودماثة الخلق النبيل.

٢٠٠٦/٧/٢٩

*نشرت الكلمة اصلا باللغة الكردية

صهيل المارة حول العالم

- غياب جليل القيسي-

د. عبدالله ابراهيم

-١-

بوفاة القاص جليل القيسي مساء الخميس ٢٠٠٦/٧/٢٧م تكون قد تلاشت آخر المحفزات الكبرى لذكرياتي الأدبية في كركوك، وبقاء القيسي إلى النهاية في مدينته - فضلاً عن موهبته اللامعة جعله أديبها الأول في النصف الثاني من القرن العشرين، وارتبطا ببعض على نحو يمثل ارتباط محمد خضير بالبصرة، فقد تفرقت جماعة كركوك الأولى، ثم الثانية، ولم يبق سواه ومجموعة من الأدباء لم يستأثروا بالاهتمام المطلوب بسبب الظروف العامة التي مر بها العراق خلال العقدين الأخيرين، وحيثما تذكر كركوك في أي سياق ثقافي، يحضر اسم جليل القيسي، بوصفه أهم شخصية أدبية فيها، ومعلوم أن كتاباته في العقدين الأخيرين كرست، تقريباً، كلها لكركوك.



تعرفت إلى جليل القيسي مباشرة في شتاء ١٩٧٧حينما كان موظفاً في إحدى دوائر شركة النفط، وقد زرته في مكتبه، ووجدته في غرفة صغيرة جداً جوار المدخل، وكنت قرأت مجموعته القصصية «صهيل المارة حول العالم» التي استعرت منها عنوان هذه المقالة اشارة إلى أنه هو نفسه أحد الذين مروا بالعالم، وثم مجموعته الأخرى «زليخة.. البعد يقترب» ومجموعته المسرحية، غيفارا عاد افتحوا الأبواب، وفيما بعد نشرت أعماله الأخرى، وتوالت لقاءاتنا، واحتفظ

برأيي له عن قصة كتبتها آنذاك، وأودعتها لديه، فأعادها إلي بعد أسبوع، وكتب الملاحظة الآتية المؤرخة في ١٩٧٧/٤/١٧م في تقييم أي عمل فني، أي مجاملة، أو أي محاولة إعطاء قيمة زائفة، أو منافقة هو خيانة، وسخف، هذه ليست قصة، وإنما محاولة متواضعة جداً في كيفية تعلم كتابة القصة.. القصة فن صعب.. وبغية تعلم أصول كتابتها، واستيعاب فنها، تحتاج إلى الكثير من القراءة، والتأني، والتأمل، والمعاناة، وثراء روحي، وعزلة أحيانا، وهجرة المقاهي.. الكتابة بصوت أعلى من صوت سقوط الشلالات، الكتابة من أجل تحوير العالم واغتصابه، واكتشافه من جديد يحتاج إلى تضحية طويلة.. وعبر التضحية الطويلة تثبت الموهبة الأصيلة.. وأخذت بنصيحته، ولم أنشر أية قصة إلى ما بعد تخرجي في الجامعة.

توثقت علاقتي بالقيسي طوال الثمانينيات، وكانت تتخللها نقاشات ساخنة، وخلافات رأي، وقد قرأت كل الأعمال الأدبية للقيسي القصصية والمسرحية، بما فيها رواية قصيرة مخطوطة، وأكاد أقول بأنني لم اترك له عملاً دون أن أطلع عليه إلى أن غادرت العراق في أول التسعينيات، كما كتبت عنه أكثر من مرة، وتحدثت عنه طويلاً، وبالاجمال غرقت في عوالمه الرمزية والفنطازية التي لا يشاركه فيها أحد في الأدب العربي الحديث، وحينما عدت إلى العراق في صيف ٢٠٠٤ في زيارة سريعة، كان أول من زرته في بيته، وقد فوجئت به شيخا غير الذي عرفته من قبل، وقد ألمت به الأمراض التي أتت عليه، وأستعيد الآن بعضاً من لقاءات وأسفار مشتركة جرت في منتصف ثمانينيات القرن الماضي.

-٢-

في أول نهار يوم ١٩٨٦/٨/١٨م اتجهنا بسيارتي إلى السليمانية، القيسي، وعواد علي، وأنا، لمشاهدة مسرحية "الغوريلا" لـ "أوجين أونيل" حضرنا العرض، وتجولنا في ضواحي المدينة.

وذهبنا إلى مصيف «سرجنار» وهو أحد مصائف المدينة، وقد امتلأت التلال المواجهة للمصيف بجماعات ممن أعفوا من الخدمة العسكرية، وسجلوا في أفواج «الفرسان» يتقاضون رواتب مجزية، ولا يقومون بأي عمل، اشترت الدولة صمتهم القومي الكردي، وهي في نزاع دائم مع السلطة المركزية، تقتحمها جماعات من «البيشمركة» ليلاً لضرب قوى الأمن والجيش، سمعنا إطلاق نار متقطع، عده الكورد أمراً طبيعياً، وبقينا حتى الفجر في شقة أحد الأصدقاء نناقش القضية الكردية وملابساتها في ضحى اليوم التالي تجولنا في أحد أسواق البضائع المهربة، ويسمى تندرا سوق «الخميني» الذي ظهر في قاع المدينة للمهربات الإيرانية رخيصة الثمن عبر الحدود.

ودعانا للغداء ثري كردي يدعي «بوسكاني» قادنا إلى معامل للأحذية يملكها، وأهدانا أزواجا منها، فحرنا في حملها معنا، ولم يكن من الممكن ردها إليه، كان مشهداً غريباً إذ تقدمنا القيسي يحمل زوج الأحذية بيديه، فأودعناها صندوق السيارة، أخبرنا أنه كان يعمل في صقل الأعمدة الكونكريتية في شارع الرشيد في العهد الملكي، ويحلم في أن يكون شيوعيا، وحينما يتظاهر الشيوعيون ينزل من السقالة، ويتقدمهم عسى أن تلقي الشرطة القبض عليه

ليعترف به مناضلاً، فيدخل الحزب، لكن أحد ضباط الشرطة يعرفه جيداً، ويرفض اعتقاله، يتوسل إليه "بوسكاني" أن يفعل، فيجيبه "لن اعتقلك، ولن أجعل منك بطلاً" في طريق عودتنا من معمل الأحذية مر بنا إلى منزله الفخم المجاور لمقر حزب البعث، قال «تصوروا أقدم لهم يوميا رشى ليحموني من المتمردين، وأقدم، أيضا، للمتمردين خلسة رشى ليعتبروني مخلصاً للقضية، وأحياناً أدفع للاثنين في اليوم نفسه"، كان رجلاً طويلا يريد أن يعيش في ظل التنازع المرير على الشرعية في منطقة كردستان، دعانا للغداء مع جماعة من المثقفين، الذين عبروا عن رفضهم للسلطة المركزية.

حينما تشعب حديثنا، وأثمر عن سجال دهمنا حشد من المسلحين، فضاق بهم المكان، فمدت لنا مائدة إلى نهاية الجدار، لفت انتباهي شاب ملتح، جلس قبالتي، يرتدي زياً عسكرياً، ويعلق مسدساً ضخما في وسطه، وجهه عريض، ولحيته طويلة مشعثة، ويقلد "غيفارا" في حركاته وسكناته، وذلك جذب القيسي إليه، فخيل إلي أنه إحدى شخصيات مئة عام من العزلة. تحدث بالكردية، وحينما علم بأنني لا أعرف منها سوى ألفاظ متناثرة، أمر الجميع أن يتحدثوا بالعربية.

عرفنا بنفسه على أنه مستشار لأحد أفواج «الفرسان» وأردف «يعني جحشاً فكل متعاون مع السلطة يعرف، آنذاك، بـ"جاش: أي "جحش" واصل سرد حكايته الشخصية، فإذا به قاص تمرد على العائلة ذات الخلفيات الدينية والعشائرية، وفي ظل الفوضى التي تمر بها كردستان، شكل فوجا من قبيلته، وأعلن نفسه قائداً له، يتلقى من الدولة شهرياً خمسين ألف دينار، نصفها يأخذه له، ويصرف النصف على أتباعه، ويمضي وقته سهراً، فالفرسان، شأنهم شأن "بوسكاني" يساندون الكورد سراً، ويدعون قمعهم أمام السلطة، وغادرنا في نحو الرابعة إلى كركوك.

-٣

في إحدى أماسي يوم الخميس في نهاية تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٦ هاتفني القيسي، وأخبرني بوصول محيي الدين زنكنه من ديالي، فسهرنا إلى منتصف الليل في نادي الفنانين.

وفي طريق عودتنا قررنا السفر إلى مدينة السليمانية، فوصلناها في العاشرة من صباح اليوم التالي، كان الجو بارداً، لكن الشمس مشرقة، والشوارع مزدحمة، تجولنا صحبة الأصدقاء الكورد في أطراف المدينة، أفول الشمس أضفى على السليمانية ملمس الحزن والشجن، ودعينا ليلاً إلى أحد النوادي الاجتماعية في السليمانية، وأدخلنا إلى غرفة جميلة، شاركنا فيها خمسة من المثقفين الكورد، منهم القاص رؤوف بيكرد، بدأنا الحديث عن الأدب الكردي، ثم الأدب في أميركا اللاتينية، وانزلقنا إلى الماركسية التي تستهوي القيسي وزنكنه، فجأة أنقذنا القيسي الذي كان أكثرنا حماسا في المساجلة، حينما ترتم بـ «الخوريات» التركمانية، وهي رباعيات غنائية تعتمد الجناس، ولها في الثقافة التركمانية مكانة "المقام" في الغناء العربي في العراق، شهق، وتضرع، وهو يقفي، ويوري، ويتوجع، ويئن فشحنت الجلسة بلذة الخلود، والمتعة الباهرة، فالتقط

بيكرد نهاية إحدى "الخوريات" وعلا صوته بأغان فارسية عميقة القرار، فسرح بنا ربوع إيران، نخبط ضالين في فيافي العرفان كمريدين ودراويش، وقد همنا في لذة الإصغاء، وأسرفنا في الأنين.

ذهلت للجو الغنائي الذي محا السجال الفارغ، فتمايلنا معاً أخوة في المتعة منذ بدء الخليقة.

انعقد أمرنا حول بيكرد الذي انسجم مع نفسه في التلذذ بعمق الآهات، والترجيعات، وصدى الأنات التي يصدرها صوته الساحر، ورنين الرغبة الجارفة في أعماقه للذوبان في ألحان فارسية انبثقت لتوها في وسط عالمنا، واقتحمت نفسي وعقلي، ودفعت إلى الوراء بأحاسيس الحرب التي كانت تقف حائلاً دون معرفتي بالتراث العريق، فسقطت في هوة الندم، وتأنيب الضمير، وضبطت نفسي متلبساً بالخطيئة، فقد أعمت الحرب، وأيدلوجيا العداء، بصيرتي عن تلمس الغذوبة الجوانية الغامرة عند أقرب الجيران، وأوثقهم صلة بي، وبثقافتي، طاف ملمح شفاف من الشعور بالخديعة والعار في رأسي، وظلت الألحان تحفر في أعماقي لعقد ونصف، وحينما دعيت إلى طهران في ربيع ٢٠٠٤ عدت محملاً بأسطوانات ممغنطة زرعت في نفسي متعة لا تقدر بثمن، فقد سرى مفعول تلك الأمسية في رأسي كالترياق، كأنني برفقة زرادشت، ولم أخمن إن كان ترياق شفاء أم هلاك.

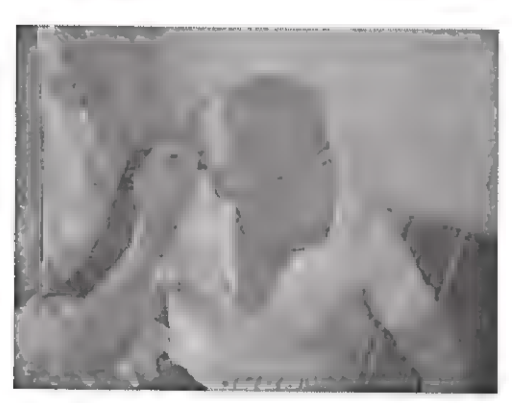
غادرنا السليمانية في العاشرة، ووصلنا كركوك مرهقين ظهراً، نمت حتى الرابعة إلى أن أيقظني هاتف من القيسي يدعوني فيه إلى بيته، فالتم شملنا كحواريين في كهف صغير، تحدثنا عن الفن التشكيلي، ونحن نستعرض لوحات غوغان، وفان كوخ، وغويا، واستمعنا لموزارات، وسيد درويش، ثم عبدالوهاب، وأخيراً اسمهان، وفي العاشرة تفجر نقاش ثقافي، في تلك الأيام رفضت وزارة الثقافة العراقية نشر كتابين للقيسي وزنكنه، فكانا متذمرين، فهما من كبار الكتاب، لكنهما نأيا بنفسيهما عن المشاركة في الثقافة السائدة، فبدا صوتهما ناشزا وسط جلبة رديئة هذا الموضوع أفضى بنا إلى الحديث عن أزمة الثقافة العراقية قال جليل «انظروا إلى الفرق في سعر أسطوانة الموسيقى بين بغداد وموسكو تعرفون الفرق بيننا وبينهم، في موسكو يباع كتاب بوشكين بروبل فحسب، فيما نحن ندفع الدنانير بكتب تافهة، أهذه ثقافة؟ وحينما ترنم عبدالوهاب بأغاني الأربعينيات، صمتنا فجأة وذاب الحماس، وانحسرت التهم، وانبثقت روح التآخي الحميم، فقبلنا بعضنا، وخرجت مغادرا إلى منزلي تتكسر تحت عجلات السيارة طبقة الجليد الرقيقة على الإسفلت.

واتفقنا جليل، ومحمود جنداري، وعواد علي، وانا، ثم التحق بنا حسن مطلك (الذي أعدم بعد ذلك) أن يلتئم شملنا، مرة واحدة في الأسبوع، في نادي «عرفة» أحد، واتفق أن نسمي ذلك "لقاء الثلاثاء" وفي يوم ١٩٨٦/١٢/١٦ انعقد اللقاء الأول في النادي، ناقشنا فيه رواية جنداري «الحافات» نشرتها مجلة «الأقلام» في الجلسة الأولى لمست تنافسا جوانيا واضحاً بين جنداري والقيسي، من ناحيتي وجدت اللقاء مختبراً أدبيا يجعلنا وسط تجارب أدبية ناضجة، وفي تماس ثقافي مع الآخرين، التأم لقاء الثلاثاء الثاني، وبدل أن نبدأ الحديث عن الأدب،

شرع القيسي يصف الأمراض التي يعانيها، وهي كثيرة، أولها الضغط، والتقط جنداري الخيط فكشف عن أزمته القلبية، وعملية القلب التي أجراها في مستشفى "ابن البيطار" بعد هذه المقدمة القاتمة، وجدنا الفرصة للانتقال إلى الأدب.

بدأ القيسي بأن أكد أن ما نكتبه عواد وإلا يشكل ملمحاً خاصاً، والخيارات امامنا كثيرة، ومفتوحة، فإذا لم نجد مواهبنا في القصة فيمكن العثور عليها في مجالات أخرى، وتوقف للحظة، ثم نظر إلينا، وأكد أن مواهبنا القصصية مشكوك فيها، وإنه ليس علينا تغيير طريقة الكتابة القصصية فقط، بل ينبغي تغيير مصير هذا التوجه، ففي كتاباتي النقدية القليلة المنشورة، وآرائي الشفوية، تظهر ملامح نقدية - كنت اعد أطروحة الماجستير - فيما يمكن أن يكون عواد أحد نقاد المسرح في العراق الذين يرتكزون على تجربة أكاديمية، وجدت جليلاً صادقاً في حديثه، وما راودني شك في أنه ينطلق من سوء قراءة أو سوء نية، واثبتت السنوات اللاحقة صحة ما شدد عليه في تلك الجلسة، أما جنداري فراح يفند رأي سلفه، فجزم بأن ما كتبناه يبشر بمواهب جادة في كتابة القصة، وعلى الرغم من أن تجاربنا مازالت في بدايتها، ولم تقدم نفسها بصورتها النهائية، لكن من المرجح أن تكون متميزة إذا خلصنا للكتابة القصصية، وراعينا أمرها بصدق، وحثنا على تبني الجرأة في التعبير، وعدم الانثناء بإزاء أي صعاب تظهر أمامنا، فالكتابة نوع من المغامرة الدائمة، وصدق حدس القيسي فيما بعد.

وانتهت سهرتنا بأن طفنا في المدينة كالعادة كأننا رهبان في حاضرة الفاتيكان نتبرك بمدينتنا

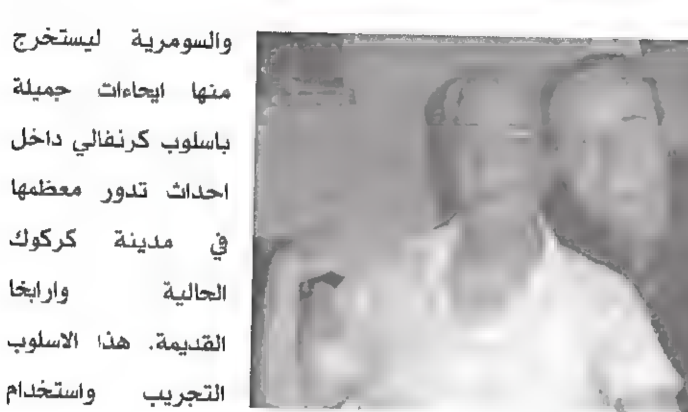


وقلعتها العريقة، اغرقنا القيسي بنكاته وهو كائن ليلي بامتياز، وقبل أن نصل جنوب المدينة حيث يسكنا، عدت ثانية إلى وسط المدينة للتشرب بمزيد من المتع، فيما يفوز جليل بالغناء عكس حالته النهارية المنزوية والخائفة. درنا في الطرقات المثلجة، فيما تتأوه أسمهان بصوتها العذب، وتتفجر نكاته وسط هرج أليف ممتع، استنفذنا قوانا بعد ساعة، فاتفقنا الا نلتقي الأسبوع القادم، بل سنمضي في المكان نفسه حفلة رأس السنة ليلة الأربعاء التي تليها، وفي تلك السهرة الممتعة، انطلق القيسي، وزوجته الأرمنية «أردميس» في رقصة «تانغو» مع بدء أول نغمة موسيقية تنكرت اردميس آخر ما طبع في ذاكرتي، فقد كنت اتهيأ لمغادرة كركوك إلى بغداد نهائياً، كثير من الكتاب ارتبطوا على نحو تام بمدنهم، واقتران جليل القيسي بكركوك، واقترانها به، أمر لا سبيل إلى فكه، إنما الأخذ به كحقيقة لا بد منها، فقد سلخت منه كركوك نصف قرن من الحب والكتابة، وظفر منها الاحتفاء به بوصفه كاتبها الأول.

الحلم والاسطورة في قصة "حجر المعشوق للاميرة شاشا" للقاص جليل القيسي

نوزاد احمد اسود

بدأ جليل القيسي في مجموعته الاولى "صهيل المارة حول العالم" باسلوب واقعي ممزوج بنوع من الفنطازيا الجميلة وبايحاءات كانت حديثة بل ابداعية بالنسبة للضف الثاني من ستينيات القصة العراقية. استمر القاص في مجموعته الثانية "زليخة.. البعد يقترب" على نفس المنوال بتجريبيته المعهودة والمتخطية حيث تجاوزت تقاليد القصة العراقية، اما في مجموعة "في زورق واحد" فاستخدم ايحاءات واضحة ومثيرة، وفي مجموعته الاخيرة "مملكة الانعكاسات الضوئية نجده يلوج في عوالم الاساطير البابلية



والسومرية ليستخرج منها ايحاءات جميلة باسلوب كرنفالي داخل احداث تدور معظمها في مدينة كركوك الحالية وارابخا القديمة. هذا الاسلوب التجريب واستخدام التناص الاسطوري يجعلنا نطلق على عدد كبير من قصصه الاخيرة قصصا كرنفالية، ومن خلال ثقافته الموسوعية التي يوظفها في قصصه ومسرحياته، يمكن ان نسميها "القصة المثقفة".

اما قصته هذه التي تحت ايدينا وتحمل عنوان "الحجر المعشوق للاميرة شاشا" ونشرها سنة ٢٠٠٢ في مجلة (الاقلام)، فتندرج ضمن نفس الاسلوب

والرؤى والتقنية التي استخدمها في مجموعته داخل احداث ممزوجة بالخيال والواقع، وهي ميزة جليل القيسي في جل تناصاته الاخيرة، اذ يلتجيء الى الخيال للتعبير عن الواقع.

استهل القاص هذه القصة استهلالا اقتحاميا: "اصبت بدهشة شديدة وانا انظر الى المدينة الثاوية بهدوء طفل في قلب الليل.." ان الوقوف في قلب الليل وبدهشة شديدة في المدينة، توحي الى حالتين متناقضتين في ان لدى المتلقي، الحالة الاولى هي احتمال حدوث حدث سريع مما يجعل المتلقي يتلهف في متابعة القصة، والحالة الثانية هي احتمال الولوج في حدث تحيطه الغبطة لان "المدينة ثاوية بهدوء طفل" حيث المرونة والبراءة.

يرتبط هذا الاستهلال بالمتن حيث يشدنا الى قراءتها بتعمق وبتشويق كبيرين، يتبين خلال قراءة القصة ان الراوي/ البطل وهو القاص جليل القيسي نفسه، على موعد مع الاميرة شاشا كي يفي بوعد كان قد قطعه للميرة بان يجلب لها حجر المعشوق، ثم يلتقيان ويتعانقان ويتبادلان القبل، ثم اخذا يعيشان بجسديهما وعبر حوار مفتوح ومطول بينهما، وهو سمة من سمات قصص جليل القيسي بحيث ان معظم قصصه مليئة بالحوار الذي هو نصر مهم من عناصر القصة والمسرحية. ان الاستخدام المكثر للحوار في قصص القيسي يجعلنا نشعر اثناء قراءة قصصة كأننا نقرأ مسرحية حيث بامكان اي مخرج مسرحي تحويل قصته على خشبة المسرح.

تلتقي هذه القصة لجليل القيسي مع عالم الفنطازيا والاسطورة والحلم في طبيعة تقنية المتسمة بالغرائبية والغموض /الوضع وبتداخل الامكنة (اربخا- لكش) والازمنة (الزمن الحاضر+ الماضي السحيق) اذ يواجه البطل الراوي عالم الرؤيا والاحلام ويقع في اسر فتاة يعجز عن الخلاص من سطرتها، ثم يقدم باعطائها حجر المعشوق. لكنها وبعد جولة في المدينة مع جليل تدرك انه يحمل احجارا اخرى كحجر لزبرجد وحجر العقيق، وحينما يعودان الى القصر اكتشف ان لديه حجرا آخر وهو (حجر الجمشت) كان قد جلبه للأميرة باندا مما يثير غضب الاميرة شاشا وتتركه لينهالوا عليه رجالها بالجلد من غير شفقة. اخيرا يعدد الراوي/ البطل جليل الى مدينته آربخا حيث يصفها بالمدينة الحبيبة حينا وبمنفاه الازلي حنيا آخر، لكنه يتجه صوب النقاء.

كثيرا مايهتم جليل القيسي في معظم قصصه — وفي هذه القصة ايضا- ومن خلال ايحاءات غامضة جميلة، بالجانب النفسي للشخوص حيث نلمح وعيا كبيرا بعالم الحلم من الناحية النفسية وحسب نظرية فرويد، مضيفا اليه مدلولات رمزية اكدتها مدرسة التحليل النفسي الفرويدي.

في هذه القصة —وفي مقصص اخرى- نجد ان القاص/ الراوي يلتقي في خيله مع اجمل الفتيات في العوالم الاخرى في الازمان السحيقة اذ يمارس معهن الحب في رؤياه الخلاقة مما يدل على رغبته الشديدة في اشباع نزواته وغرائزه حيث تركمت انواع الكبت النفسي والحرمان والحسرات. لكننا نفاجئ في هذه القصة ان عقابا نزل عليه من جراء لهاثه وراء مزواته حيث مخلوقات هذا العالم كما تبدو في شكل

الاميرة شاشا تسعى من اجل انزال اقسى العقوبات بالبطل والنسيل منه بشتى الوان التعذيب الجسدي والنفسي لانه اراد اللقاء مع اميرتين وجلب لكلتيهما حجرا كريما.

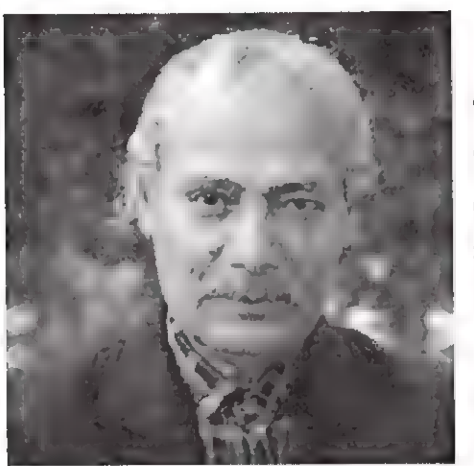
ان توظيف الحلم في هذه القصة لهو تعبير عن نزوع الشخصية القصصية الى الانعتاق من كبته الآسر، يتوسل القاص هنا بالمخيلة لبناء عالمه القصصي وخلق اجواء غرائبية وفضاء فنطازي يقترب كثيرا من معطيات عالم الحلم من ظلال تصدير شخصياته في تجريدها الزماني والمكاني، لكن ثمة زمكانا بديلا في عالم الاسطورة (والمكان هنا هو مدينة لكش).

من الواضح ان هذه القصة تدار في فضاء اسطوري معبرة عن الخروج من مدينة آريخا والدخول في مدينة لكش والالتقاء بالاميرة شاشا ومن ثم العودة الى آريخا للمرة الثانية. حاول جليل القيسي في هذه القصة وفي عدد كبير من قصصه الاخرى خلق طقس اسطوري يتحول في اجواء حلمية معتمدا على الحوار والحلم، استعمل القاص في هذه القصة وعبر مجالات السرد التقليدية، مقتربا اسطوريا/ حلميا حيث ينتقل من زمن الواقع الى زمن الاسطورة، بل حتى في عنوانه للقصة استخدم المفردة الاسطورية التي تعكس بدورها الوظيفة الاشارية، ان حجر المعشوق اشارة الى وله القاص/ الراوي/ البطل للاميرة شاشا المبتغاة. بشكل العنوان في هذه القصة كيانلا سرديا -كما تقول كريستيفا- ووحدة داخلية مرتبطة بالمتن بشكل مباشر، اي ان العنوان يوحي الى المتن بصورة مباشرة.



جليل القيسي في ذاكرة المدينة الادبية

فاروق مصطفى



في القرن المنصرم، وتحديدا في عقدة الخمسين، انتشرت مقاه صغيرة في الفروع المؤدبة الى شارع الاوقاف قلب كركوك النابض هاتيك الايام هذه المقاهي يؤمها شبان يمتلؤون حماسا ويتدفقون احلاما، عيونهم تشتعل بقناديل الحركة وقلوبهم تلتهب باشواق السفر ورؤاهم تعانق الافاق النائية عطو جدران المقاهي بكتاباتهم الجنونية والتي تدور كلها حول الاسفار وزينوها باسماء المدن والبلدان: باريس، برلين، امريكا، فرنسا، السويد والشبان اولاء يعملون ان يعيشوا اضواء السينما فهي في تلكم السنين تسلبتهم وعزاؤهم، يعيدون عبرها خلق عوالمهم على هواهم، ويجدون في الاشرطة السينمائية نبيذهم السحري وقوتهم العذب، وبالفعل قام واحد من هؤلاء بالرحيل الى "هوليود" واصاب بعض النجاح هناك فأصبح هذا الشاب رمزا للمغامرة والرحيل حتى التخوم الواقعة وراء المحيطات وبعد ذلك تبعه فتيان مغامرون آخرون شدوا الرحال الى "برلين" وبعضهم رحل الى معانقة اضواء "القاهرة" لكنهم آبوا دون ان يطرق الحظ ابوابهم ويحققوا حلمهم الذهبي في الوقوف امام الاضواء. ومن هذه الارضية المصطرمة باحلام السينما وخيالاتها القى "جليل القيسي" نفسه في اتون رحلة بعيدة الى الولايات المتحدة لمانقة اضواء العالم الجديد كان ذلك عام ١٩٥٨ وامضى هناك مايقارب السنة ولكي الرحلة لم تحقق ماكان يصبو اليه القلب.

عندما حثني الشاعر الكركوكي الحميم "سركون بولص" عن جليل القيسي عام ١٩٦٤ وانا في معرض سؤالي عن الوجوه الادبية التي تتجايل في المشهد الشاعر "جان دمو" تعرفته في مقهى "النصر" المدورة مع القاص "يوسف الحيدري" وغدونا نحتفي

بحضور بعضنا البعض فتقويمنا وتذوقنا لما نقرأ ونكتب يفجر فينا ينابيع الاستزادة من قراءتنا وكتاباتنا، التي شغفت بالجديد والغريب وفانتازيا التجريب ونحن نحترق بشمس الستينيات، العقد الساحر الذي تميز بتمرد جيله على البنى القديمة وكذلك بدعوته الى تحديث الادب ودفعه نحو فضاءات واراض تخالف المعهود وتخرج على المألوف.

ثم اقبل صحبي في "جماعة كركوك" فكانت مجايلتي لهم بمثابة قطرات المطر التي تنتظرها الارض البوار، لقد ارتوت روحي بالينابيع التي كانت تتدفق من كلماتهم القادمة من اعماقهم والمطعمة بحرائق احلامهم، واطراف النهار محاطين باصدقائنا الكتب تضرب اقدامنا حافات الارصفة نحرق في الشمس وهي تغزل لنا اشعتها الى ومن شارع الى آخر ومن مقهى الى ثان نتنازل قصاصات الاوراق التي حبرناها بقصائدنا وخيول الشوق تعدو بنا فوق براري قلوبنا العطشى الى عناق المجهول، واما آناء الليل فنأوي الى بيت احد الاصحاب كثيرا الى منزل القاص "جليل القيسي" فتبدأ القراءات الليلية، عندذاك تنكشف لنا عوالم من الاثارة والغموض كأننا عثرنا على مفاتيح فراديس غير مرئية، وهل هناك الفة اجمل من دفء العلاقات الانسانية ومودة القراءات التي تمد موائد الفكر وتسيل انبذة القلب.

في هذه الفترة واعني مابين عامي ١٩٦٤-١٩٦٨ كان الراحل قد ابعد عن وظيفة في دائرة المنتجات النفطية وشغل مكان اخيه في محل لصياغة الذهب في السوق العصرية، وغدا المحل مقصد كل ادباء ومثقفي المدينة وحتى ادباء بغداد الذين يترددون على كركوك لابد من مورهم بهذه الواحة الوطفاء و"جليل" دائم الاحتفاء بضيوفه، بصغي الموسقة تتكسو في مسمعيه واحادثيه تنساب معه وكأنها "كركوك" وجسورها وتلولها وقورياتها توحدت فيها تمشي معك تدور كارياحها التي تمسح بحوائط القلعة، وانت تصلي وتبتهل، لتحترق الساعات حتى تعود من جديد الى لقاء الصحب ومعانقة قراءاتهم وارتشاف احاديثهم حتى الثمالة الاخيرة.

اعود الى رحلة صديقنا الامريكية هذه الرحلة التي انقلبت مغامرة معلمة عند صحبنا في جماعة كركوك وكثيرا ماحدثنا الراحل عن تفاصيلها، ارتياده البحر المتوسط، وعبوره موانئه المختلفة ثم عبوره الاوقيانوس والباخرة النشوى في ذاك الازرقاق المترامي والممتد في هاتيك الصحاري المائية واخيرا يجد انقى الكركوكي نفسه وعيدا في مدينة "شيكاغو" هائما بين ظلال ناطحاتها والبشر يدبون في شوارعها بالالوف لم نكن نمل ابدا من سروده لهذه المغامرة التي عذت تؤجج احلامنا وتمنحها اقواتها الجوانية ومقولة "بودلير" تتكسر على زجاجات مخيلاتنا "وانت تعلمين هذا المرض المحموم الذي يمتلكنا في تعاستنا الباردة هذا الحنين الى ان نعرف بلادا مجهولة" لقد استحال السفر لازمة من لوازم معيشة الاصحاب فهو في احاديثهم صباح مساء، يقول شتاينبك : "ان هناك اناسا ولدوا رحالين عندما تمتلكهم رياح الاضطراب فليس امامهم الا ان يسافروا" كانت في نفوس الاصدقاء اجراس ترن تدعوهم الى ارتياد اراض جديدة والتي طالما رقصوا على سهولها في مخيلاتهم وهم يعانقونها في قراءاتهم

التي لا تنتهي، ومن هنا طفقوا يتسربون من كركوك واحدا اثر آخر، لقد اله رحيل احبابه، دخل قصصه وحوارياته منتظرا اياهم ان يهبطوا احد الايام مدينتهم ليجدوا الثمل بعشق كركوك، كما هبط عليه احد الايام كبير الالهة "مكردوخ" مع موافقه الاله "انكي" وهو يتجول عند ضفاف نهر "الخاصة" انظر قصته "مملكة الانعكاسات الضوئية" ظل منتظرا الصحب وهم اصدقاء الشباب والذين هاجروا ورحلوا الى اصقاع المنفى واخيرا تصله قصيدة الشاعر الكركوكي "مؤيد الراوي" المعنونة بـ "جليل القيسي/ حارس المدينة" وتجعل هذه المطولة الشعرية الرائعة "جليلا" هو الذي رأى "وهو الذي يتحرك عبر اجزاعنا واجزاع المدينة.

يقول الشاعر مؤيد:

رايت

مالم نر

في محجريك عينان من عقيق

ابصرتنا، نرحل بريح خفيفة تضرب قلوعنا

آمين الهدشة، نحمل جمر ماسيأتي

وانت بنفس الحريق الذي شب

مكثت سفينة تبحر من الماضي

تنتظر لها ماء الطوفان

خطت يراعة المنشي "جليل" طوال عقود اربعة ونيف فيضا زاخرا من المدونات والمرويات، تبقى قصة راسخة في زاوية من زوايا ذاكرتي المضنكة، وقد قرأها لي شخصيا وثيمتها تدور حول شخص يحاول الهرب الى بلاد فارس عبر شط العرب، وقد استقل قاربا، يحزف في المياه ومازلت اصغي الى مجذافه واصوات ارتطامه بالمياه وقد خيم السكون وعسكر الظلام ولايدري الى اين تمضي به الدنيا، وانا لا اعلم اذا وصل الى طينة ام تخاذل في الطريق الا ان هذه المروية استعوتني ومازلت اكن لها الاعجاب وكأنني الساعة بصر القارب وهو يشق المياه نحو مقصد غامض مجهول وكم تمنيت ان ينزل السارد هذه المدونة احد متون مجامعه الاربع واظن انه نساها وربما لم يجدها في غفوان النضوج فركنها احد ادراجه.

ابصر خطوات "جليل القيسي" وهي تتموسق على السفلت شوارع كركوك العطشى الى ثمل ابنائها وعشاقها وابصره فوق القلعة ينشر كلماته خفاقة كاشرعة بيضاء وهي تهبط من سفوحها الاليفة الى امواه "الخاصة" تتوحد معها لتسقى اشجار التوت وكرومها الظمأى ثم تعلو مع الحان "القوريات" لتهوم في فضاءات المدينة، تلقي في سلالنا الخزب وتملأ افئدتنا باهلة الود ثم يفيض حبك لكركوك كنهرها الوفي عندما يلطم الربيع ضفتيه بامطاره السمراء، ان هذا العشق الشاغف للمدينة لن يسقط من ذاكرتها وانما سيدوم معها يمنحها الالفة الجميلة والسلام المؤزر مادامت الكرة الارضية مستمرة في دورانها السرمدي..

أيام جارحة مع جليل القيسي

آزاد أحمد-مانشستر



اعيش كعهدك بي
اتنزه متأملا
استقل القطار والسفينة وحيدا، بلا تذاكر
اتبضع من دون مساومة
وليلا في البيت مسترخ على سريري
(حبذا لو إستطعت أن أفتح النافذة،
حينما اشعر بالملل)
آه ...وبي رغبة بين الفينة والأخرى
ان احك راسي، اقطف وردة، أصافح يدا.

قصيدة "رسالة من صديق ميت "للشاعر التركي اوكتاي رفعت

كنت أراقبه كل يوم .كان يخرج من منزله الواقع في الحي الواسطي في الخامسة مساء، ليكمل مشيته المعتادة على طول "طريق بغداد "حتى إعدادية صناعة كركوك، ثم يعود أدراجه، أو يجلس عند أصدقاء له من أصحاب محلات التركمان ممن هم أكبر منه سنا ولا صلة لهم بالأدب .كنت أخاله أحد آلهة سومر أو بابل أو آشور وقد جاء إلى عصرنا هذا ليكتب لنا عن زمنه الجميل ومملكته ذات الانعكاسات الضوئية .كنت مغرما بادبه، كما كنت مغرما بجماعة كركوك .غالبا ما كنت أتردد على محلة جوقور، حيث منزل فاضل العزاوي، وعلى كنيسة الأب يوسف سعيد في شارع المحطة،ومحلات نورالدين)شقيق صلاح فائق (في شارع الجمهورية ... هكذا بدأت أتعقب جليل القيسي خلسة كجاسوس

وبطريقة غبية أحيانا ومثيرة للضحك كما في الأفلام الأميركية الرخيصة، كنت أقف إلى جانب الطريق متظاهرا بقراءة صحيفة أو بانتظار الحافلة، وعندما يصل عندي كان يرمقني بنظرة عابرة دون أن يلحظ إعجابي الكبير به .لم أجرؤ أن أذهب إليه لأعرفه بنفسي، كي لا أفسد عليه مشيته، أو ربما لعدم معرفتي بردود فعله سيما وإنه كان يعاني من عزلة رهيبة .ولأني كنت أنا الآخر خجولا بعض الشيء ولم أعرف من أين أبدأ معه، لذا طلبت من صديقي الشاعر قاسم آق بايراق ليعرفني عليه .ما إن إلتقيت به حتى بدأت بالحديث عن قصصه ومسرحياته ومقابلاته وعن جماعة كركوك،ألقى علي جليل نظرة طويلة قائلا، إنك أرشيفي.!

أحببته لأنه بدأ يكتب نمطا جديدا من القصة لم نألفه من قبل :الإله مردوخ يأتي من عصر السومريين إلى بيت جليل القيسي في كركوك ويدعوه إلى مدينة بابل القديمة لحضورإحتفالات الايكيتو، أو رأس السنة البابلية ...جليل القيسي يسمع طرقا على الباب، ينهض ليفتحها فإذا به وجها لوجه مع دوستويفسكي، قائلا لجليل أعرف إنك تحبني كثيرا،لهذا أتيك بنفسي إحتراما لمشاعرك الحارة لي ...جليل القيسي بشخصه يقتحم بيت جروشنكا بطلة رواية الأخوة كارامازوف ويتنبأ لشخصيات الرواية ولخالقه بالعمر المديد ويخبرهم بأن الأب زوسيما لم يمت بل هو الآخر كباقي شخصيات الرواية سيبقى يعيش ردحا طويلا من الزمن ...قبل أن ينتهي جليل القيسي من قراءة واية "الأبله "يسمع صوتا ينادي عليه فإذا به فجأة وجها لوجه أمام الأمير مشكين بطل الرواية ...يجد جليل نفسه في مدينة "تنر "القديمة في يوم تقديم النذور السائلة ويتعرف على فتاة تدعى تريفه قادمة من مدينة في الشمال تدعى "شيشروم) "حاليا رانيا في كردستان العراق ...(يذهب جليل إلى الأهوار ليكتب بحثا عنها فإذا به يرى نيدابة، آلهة الهور والقصب، وقد تم إبعادها من قبل كبير الآلهة وألغي منصبها على ألوهية الأهوار لأن لم يعد هناك قصب والحكمة ماتت .يقع جليل في حبها ولكن ما النفع؟ هي آلهة وهو إنسان...

أحببته لأنه قلب مفهوم الهوية الإثنية رأسا على عقب، ومثل مزيجا متداخلا من جميع الأعراق :فهو من أب عربي وأم كردية، وتزوج من إمرأة أرمنية، وسكن محلة تركمانية، في مدينة يعيش فيها جميع الأعراق من الكرد والتركمان والعرب والكلدو آشوريين والأرمن والصابئة المندائيين واليزيديين واليهود)حتى منتصف القرن الماضي .(وكان يتحدث جميع لغات كركوك ويعتبر جميعها لغاته الأم من دون أن يفضل لغة على أخرى، كما هو حال معظم أبناء المدينة .فإن كشطت جلد أي كركوكي أصيل ستجد تحته إثنيات وأعراق ومذاهب مختلفة ومتداخلة .هكذا نحن أبناء كركوك الحقيقيين ننتمي إلى جميع الأطياف ونتحدث جميع لغات كركوك .لا غرابة أن أهل السليمانية

يدعوننا بـ"سى موجه كه"، أي ذوو الموجات الثلاث، نسبة إلى اللغات العربية والكردية والتركمانية التي يتحدث بها معظم أبناء المدينة والتي تعتبر جميعها لغات رسمية في كركوك .إن ما

يجعل عربيا كجليل القيسي وكرديا مثلي أن يتحدثا باللغة التركمانية لا يعود إلى أن الشخص الذي عرفهما ببعضهما هو تركماني فحسب، بل هو إعادة مفهوم الهوية القومية هذه .هذه الصفة يمتاز بها معظم أدباء جماعة كركوك، كفاضل العزاوي ومؤيد الراوي وأنور الغساني وزهدي الداوودي وقحطان الهرمزي ومحيي الدين زنكنه ويوسف الحيدري والأب يوسف سعيد وصلاح فائق، حاملين أفكارا ومفاهيم جديدة عن القومية واللغة والأدب تعكس تركيبهم الاثني وتنوعم الثقافي .يقول أنور الغساني في رسالة له إلى نصرت مردان والمنشورة في العدد الثالث من مجلة سومر " :2006انتقلنا وعمري 4 سنوات من "قلعة صالح "إلى كركوك التي نشأت فيها وهي مدينتي وموطني .والدي من كركوك تركماني/تركي .في البيت كان يقول أن جده أحمد كان باشا في الجيش العثماني، وأن جده السابع اسمه أصلان .كل أقاربنا من ناحية والدي تركمان في كركوك .كثير منهم لا يتكلم العربية على الاطلاق . ثقافة والدي كانت مزيجة من العربية والتركية .في البيت كنا نتكلم العربية فقط لأن والدتي لم تكن تتكلم التركمانة-.وهكذا نشأنا وأصبحت لي لغة أم عربية ولغة تركمانية، محيطنا، أقربائنا، أصدقاءنا..الخ وهكذا أصبحت لي هوية عربية وهوية تركمانية."

ويقول في رسالة الكترونية لي باللغة الانكليزية ": بإمكاني أن أعرف هويتي كعربي وكردي وتركماني وأخرى كثيرة."

هذه الأفكار السحرية هي التي جعلتني أتابع باهتمام بالغ كل ما يكتبه جليل القيسي وجماعته . كنت لا أتوقف عن طرح الأسئلة عليه حول جماعة كركوك، وهو الآخر لا يمل الحديث عن أصدقائه القدماء، والمدينة، IPC Training Centre وعن البدايات؛ تعلم الإنكليزية في مركز التدريب المهني التابع لشركة نفط العراق كتب أولى مسرحياته باللغة الإنكليزية، اقنعه أنور الغساني بالكتابة باللغة العربية، رغم أنه كان يعاني من صعوبات في اللغة العربية .يقول جليل-إنه حينما كان في أميركا، كان يكتب رسائل إلى أهله بلغة عربية ركيكة خالطا فيها العامية بالفصحى، مما كانت تثير ضحك أهله .أما عن سفره إلى أميركا، يقول فاضل العزاوي في مقال نشره في مجلة المدى عن "أصدقاء السوء، جماعة كركوك "ومن ثم ضمه إلى كتابه "الروح الحية – جيل الستينيات في العراق "إن جليل القيسي "كان قد قصد أميركا ليدرس التمثيل فاضطر إلى العمل كعامل مصعد في أحد الفنادق لمدة تسعة شهور، ثم استبد به الحنين إلى الوطن فعاد إلى كركوك، متخليا عن حلمه في أن يصبح نجما في هوليوود ."ولكن كلام فاضل العزاوي هذا أثار حفيظة جليل القيسي، الذي برر هو الآخر سفره إلى أميركا بغية دراسة المسرح وليس ليصبح ممثلا في هوليوود .قد يكون فاضل على صواب .لم لا؟ فجليل يمتلك جميع مؤهلات النجومية من الوسامة وطول القامة وإجادة اللغة الانكليزية بطلاقة، فضلا عن إنه كثير الشبه بالممثل الأميركي كلارك كيبل نجم فيلم "ذهب مع الريح " الذي حصد تسع جوائز أوسكارعام 1939.

كان يروي لي عن سركون بولص وكتاباته

الغرائبية والحديثة من القصص والقصائد التي لم تكن تناسب سنه الصغيرة في ذلك الحين، واصفا إياه بالشاب الوسيم الذي كان كثير الشبه بالممثل الأمريكي كريكوري بيك .وعن بداياته وكيفية تعلمه اللغة الانكليزية قال إن شقيقه أنوربولص الذي كان يعمل في شركة النفط يجلب له روايات الجيب الانكليزية Pocket Bookالتي كان العاملون الأجانب من الانكليز يتركونها بعد قراءتها، لينكب سركون على قراءتها بنهم .كان جليل مغرما بشكل أخص بقصيدته "إعدام صقر "، قائلا عنها "إنها قصيدة تبكي ."مرة أراني ألبوم صوره :صلاح فائق مرتديا الزي الكردي ...سركون بولص في بيت جليل عام 1986، وهي المرة الوحيدة التي عاد فيها سركون إلى كركوك، والتقى بجان وجليل .وحينما كان جان دمو في كركوك، رافقته مرة إلى بيت جليل القيسي، لا لشيء سوى لأشبع فضولي وأرى ماذا يحدث عندما يلتقي اثنان من جماعة كركوك؟ وقد شرع جليل في السنوات الأخيرة بكتابة مذكراته عنهم ولكن الموت لم يمهله الانتهاء منها.

ذات مرة ذهب جليل إلى سوق السمك في منطقة أحمد آغا ليشتري سمكا، فاجأه بائع السمك الكردي باطلاعه الواسع على قصصه ومسرحياته، مناديا إياه "ماموستا جليل"، أي "أستاذ جليل ."ظل جليل يذكرلنا هذه الحادثة بفرح كبير .ولم يكن بائع السمك هذا سوى صديقنا المثقف صباح محمود الذي زج به النظام البعثي في السجن وهو في السنة الأخيرة من دراسته الجامعية بسبب نشاطه السياسي المعارض، ولم تقبله الجامعة بعد إطلاق سراحه، فاضطر إلى مزاولة بيع السمك.

الآن وقد رحل عنا جليل القيسي، ومن قبله يوسف الحيدري وجان دمو، أقول إنني محظوظ عشت في زمنهم، وحظيت بلقاء وصداقة بعض منهم، ومازلت أتطلع للالتقاء بالآخرين.

الآن وقد أصبحت جماعة كركوك علما من أعلام المدينة كقلعتها الخالدة، كنارها الأزلية، أما آن الأوان لكي تفكر السلطات المحلية في كركوك بنصب تماثيل لهم، أو تسمية شوارع المدينة بأسمائهم؟

*عنوان المقال مأخوذ من عبارة لجليل القيسي واصفا فيها الإنجيل بالنثر الجارح

Azadaswad@yahoo.co.uk

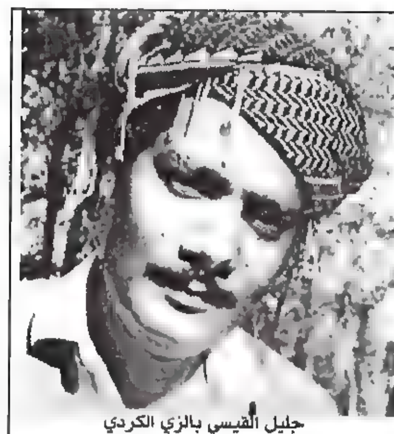
بوستر اخير لجليل القيسي

نشأت المنداوي

لكم يحتاج المرء من خلايا مزيته لصقل بقايا ذهن مشوش كي يستعيد كل الإحداث والمرويات عن شخص كان قرب شغاف القلب ومات ؟

ولكم الزمن المثقوب ملعون وهو يحاصرك في زواياه الميتة ماطرا عليك لثغة النسيان وأنت تريد الإفلات حتى تشعل النار في الرماد لكن دون جدوى ؟ فللمرء ارض وللذاكرة فضاء وما بينهما امتد إنسان وانا بين الزمان والمكان اقف شاهدا بلا أوراق فياله من امتحان ؟

(جليل القيسي)ذلك المتربع دوما على قلعة الأدب و الزهد والانتماء غاب وانا في غرفتي اجتر ما ترسب في البال من صور مضغوطة ورسوم مضببة امدها ببطء لعلها تسعفني في إلقاء تحية وداع على نعش ابن مدينتي البار الغافي قرب شعلة (بابا كركر) وهما امام العين صنوان يتحدان في الافق لأبعد فضاء ولاينطفئان.



جليل القيسي بالزي الكردي
من ارشيف الفنان التشكيلي صدرالدين امين

يبدأ زمان أول مرة أراه فيها إلى نهاية الستينيات، كان الأكبر من بين اخوته الأربع (جبار وإبراهيم وحسين) وكان لدخول (جبار) السجن لخمس سنين بتهمة سياسية سبب لمجيء (جليل) سوق العصري حيث انيطت له إدارة محل (جبار) فكان وهو القادم توا من بلد الناطحات يلج المحل بأناقته المعهودة متأبطا بضعة كتب وروايات و اغلفة لمجلات أجنبية وبعض إصدارات مجله (المختار) وينزوي في صوفية القراءة والتأمل.

كانت رائحة أمريكا في ذلك الوقت علامة انبهار ودهشة نتداولها همسا بين شفاهنا نحن الجالسون على رصيف العوز و غرف المنوعات. وعلى ما اذكر ففي أحد الأيام استعصى على آخي التفاهم مع أشخاص أجانب أرادوا شراء بعض المصوغات الذهبية فرجاني ان استدعي (جليل) لمعالجة الامر وتخليصنا من تلك الورطة وحينما أنهى(جليل)

حديثة مع الأجانب وبعد انصرافهم راح يشرح لنا بفلسفة لاتخلو من أدب منمق مما قال لهم ثم تعرج الى مقارنه الحياة بين أمريكا والعراق وبطريقة أستاذ فصيح راح يسبغ علينا اراءه في الدنيا ونظريته حول العالم والدين وكنا نستقبل ما يتفوهه بشفاه فاغرة وعيون مشدودة كطلاب يقفون امام أستاذهم.

تركت تلك اللقطة ميزانا شفافا من ابهة وتقدير لذلك الذي يمتلك مفاتيح ممغنطة ومنطق حذق ويجلس الان قربنا وهو لايدري إننا ندري.

مرة وفي كازينو بابل في شارع الجمهورية بكركوك كنت و الشاعر التركماني (فاضل ناصر) ذو الوجه البشوش نتحادث عن ملائكة (جليل القيسي) واشراقاته على القصة العراقية فهمس (فاضل) في أذني إن (جليل القيسي) سره انه بصدد إخراج مجموعة قصصية بركانية الهوى متمردة الانتساب وأضاف ستكون قنبلة الموسم وصرخة احتجاج عنوانها (التراشق بالقناني الفارغة) دونها على الواح من غسق وجنون وحناء تتضمن أورام وبقعا طينية خبأها تحت مخدته الوردية كانت تتناسل بسرية وكتمان بين زوايا غرفته النصف مضاءة وبين وعيه وان وجود هامش من العطر السياسي المتلون دفعه لان يخرجها الان علنا.

توقف الزمن برهة بيننا رغم الحذر النابت على الارصفة في ذلك الوقت وعلت فوق الرفوف حسابات البوصلة السياسية المرتبكة لكني اعتبرت الامر سبق صحفي اودعته صدري ورحت اتابع حركة الكتب واصدارات الدور بشغف لعلي أفوز بتلك القناني أو بعض رذاذها .

لم انس المجموعة المغامرة يوما رغم الغربة التي اختنتني بعيدا ومنها سألت الشاعر (فاضل العزاوي) ابن المدينه واحد (جماعة كركوك) الأدبية ذات يوم في أمسية ثقافية بديترويت عن سر هذه المجموعة القصصية وماذا عن أمرها ؟ نظرني مليا ثم رد هامسا:

ـ أنا مثلك انتظر

وبقيت كذالك بالانتظار رغم إن الأمور جاءت عكس ما اشتهي إذ مر زمان طويل مات فيها (جليل) وسافر (فاضل ناصر) من الوطن ملتحفا بعباءة (كركوكلي) ليقيم في أحضان البرد والعلب الخشبية مهربا بضع قصائد وتراتيل دينية وهو الوديع في الجلسةوالاصغاء بينما تركني (فاضل العزاوي) في صخب القاعة و سط المحتفلين بالمهرجان الثقافي أراقب بخار سؤالي وهو يمتزج مع دخان السكائر المتصاعد وذهب إلى منفاه متوشحا بالمطر المجنون ملتحفا معطفه الشتوي ومعتمرا قبعته الأنيقة وبقيت أنا امام السؤال تلميذا لايعرف أبجدية الحوار مع الآخرين إلا في الظلمة.

لكم كنت أتمنى إن اسأل (جليل) كي يزيح عني ثقل السر وأنام بلا قلق أو توجس لكن لا(الفاضلين) في الأدب أماطا اللثام عنها ولاانا القابع في ديترويت وجدت ضالتي فمنذ ان ابرقني الاستاذ (نوزاد احمد) حول مقالتي في جريدته قائلا إن(جليل القيسي) في طريقة الان لتركيا يحمل مرضا لااظن علاجه هينا ايقنت إن سر المجموعة سيدفن في القبر.

لقد تركني (جليل) في المنفى دون إجابة وبقيت انا أتراشق بقنانيه الفارغة بينما ذهب هو بعيدا هناك حيث الله يكون.

القديس جليل القيسي وطوق النجاة من الكلام

محمد خضر محمود- كركوك

قديس من مدينة خرافية لم يتبق منها سوى اطلال متناثرة وطوائف متناحرة من اجل لاشيء. هو مسكون بالصمت الازلي منذ ان تم القاء القبض على رفات غيفارا. لكن الغضب المزمن كان يطارد اعصابه



جليل القيسي مع عائلته

المدينة كان يراها مضيئة رغم ان الظلام كان يغلق الاماني قبل الستائر. كل مساء كان يبحث عن وجوه الاصدقاء التي غرست في النار الازلية وكان يرسل الحلم الى من اضاعهم غبار الغربة وعتمة الاغتراب

المتهالكة كاعصار مدمر دمرت صحارى كريات الدم التي كانت تتعانق مع كل ثقب تحدثه رصاصة قادمة من كل الجهات. تجده يجرجر اطراف المدينة المدمرة (ارابخا) نحو ازقة العتم التي هاجرتها الارصفة-ورحل العشاق منذ نصف قرن تاركين العذارى يطرقن ابواب العنوسة. ومن هناك من وراء الابواب الخشبية الموصدة يأتيك صوت ضيفين يحملان اغنية كركوكية تحمل طوائف الوحدة العراقية المتعبة بالجوع والعطش والفقر والحصار وحروب مستمرة اكلت الكثير من عشاق الحياة الذين كانوا يبحثون عن زمن آخر للاخصاب. شبابيك

التي كان قد شربها يوما حتى الثمالة. وعاد من هناك فارسا كان يطارد طواحين الهواء ليطحن تراب (كرخينا) التي بادلها قبلات اللقاء قرب اطلال الكاتدرائية وهو يتشفع بالابكار السبع ليتشفعن له عند النبي دانيال (عليه السلام) وتؤازره ارواح العذارى وآلاف الجنيات حاملات اناشيد (ارانجا). ومنذ ذلك الحين اصبح القديس (جليل القيسي) منشدا لكل التراتيل والحكايات والقصص التي لحنها من كلمات الغزل التي لاتموت في مدينتنا. فمن اجل (زليخة) حلم بوطن تعطره البساتين فوق اسنة النخيل لتكون رماحا عند الغطس. وطن فيه

حـضارات وآثـار وشـلالات مـن الالـواح والاشـعار والروايات تهطل على ابنائها كرذاذ المطر. يحمل معه كل من يصب العالم الجديد (في زورق واحد) ليجول بهم اما تجثو على قمم ثلجية ويبحث لهم هناك عن حياة بينها لهم في اعماق نهر (الخاصة) الغاضب على كل شيء في هذا الكون لانه يحمل في اعناقه كل دروس النقاء والصفاء الذي سبب له جفافا مزمنا. والقديس (جليل) كما هو تمتلكه انتظارات اللقاء في غربة الانتظار. فالحزن طابع ازلي يفنينا كل ساعة في الليـل والنهـار. فـالحرب وحـشة والحصار وحـش فكيف برجل ولد قبل الحرب العالمية الثانية. وعاش حروبا وانتكاسات وحصارا ملعونا وسجنا افنى فيه بضع من شبابه واحتلالا قتله. حتى اصبحت كل وجـوه النـاس رصاصـية مـن كثـرة مـا رأت المـوت اليـومي مرميـا بالرصـاص. ولم يبـق في صـحارى الجفاف سوى قلم يقطر دما مع كل حرف. على ضفاف نهرنا الجاف كانت تجتمع سلطات الافكار التي تعشش بين الاسطر. لتحرق كل فكر انساني وتكتم انفـاس الآراء الحـرة حرصـا علـى قـصائد (الكهـات) وتراتيلهم التي ازدهرت في زمن مـا وانتـشرت عبادة الاوثان والقبور زمنا وحـاول القيـسي ان يبحث عـن (مملكة الانعكاسات الضوئية) الـتي عانـت مـن وبـاء القحـط المـزمن معانـاة لم تعانيهـا ايـة امـم. وكـان يتشبث بصنوف الفكر ليكون طوق نجاة من الكلام لان الـصمت ايـضا اصـبح جريمـة يتـشبث بهـا الوثنيون. لقد حـاول مـرات عدة الخروج مـن نفق المتاهة بان يلوذ بالرومانسية المغلفة بالسياسة التي تحمـل رعبـا يـستفز القلـوب ويبعـث الـرؤوس نحـو

النحـر لتتـدحرج كالحجـارة وهـي تلفـظ مأزقهـا الانساني الذي شل لسانه ودفع بها الى اعلى مراتب السمو وهي الحياة ليكشف عن ضحايا عصر الغرائب الـذي اجلس الانـسان الـصادق مرعوبـا فاقـدا النطق مـن عـودة المـثقفين مـع صـراخ (صـهيل المارة حـول العالم) فكل منـا اليـوم قاتـل ومقتـول والكـل يبحـث لنفسه عـن الاعـذار وعـدم المـسؤولية عـن الـضحايا وآلاف المحكومين الذين طبق عليهم قانون القتـل. ان الغدر والقتل من وراء الظهر هو مايسمى (الاغتيـال) وهـو حيـاة عـصابات وطاردات تجابـه كـل الـشخوص الـتي يحركهـا علـى رقعـة الـشطرنج لتخـدم احـداث درامـا مرعبـة عـن كـل بـريء يتعـذب في ذاكـرة الاحـداث الـتي تهشمت علـى جلمـود الـضحايا الـتي انجبتها الاساليب الجهنمية الـتي طالـت كـل الاحـرار. واديب ملتزم ولد وكان الادب نبتة عنيدة جاءت من خفايـا الفكـر لتحمـل لـه مـع الايـام امـالا لمـشاعر انـسانية لـسنين عـدة تحـاول ان تنقـل العلاقـات البشرية من مرض الوهم والوحـدة كي يكون طوق امان للبشر قبل ان تسجل اسماءهم في عالم الوفيـات الجهـل المـزمن. ولما كانـت كركوك بقلعتها وتأريخها واسمائهـا هـي المـسؤولة الاولى عـن تكـوين الاحـداث القـصصية والمـسرحية في صـفحات ذاكـرة (القيـسي) الـذي امكـن فيـه القـول ان علتـه الاساسـية والمـسبب الاكبر لكل امراضه المزمنة هي (ارابخا) الـتي شـجنت شـرايين القلـب المتـيم بهـا. وتـسببت هـذه المدينـة لعـشاقها بهـذه الامـراض ومنهـا الاصابات الوعائيـة الدماغيـة والقرحـات والغـدد وامراضـا تحـدث اختلاطات خطيرة في موازين قلوب عشاقها الـذين

ينتظرون جلطة مفاجئة تقتل من ينساها كما نسينا الكثير من الاسماء وكان اول من قال (وداعا ايها الشعراء..) في عالم كل شيء يتوقف على العلاج اليومي من احضار ارواح الخالدين في الفكر والادب صيفا وشتاء. وطبعا لا علاج لمرض عشاق مدينة الذهب الاسود حيث لن تفيدهم عمليات صب الرصاص السائل البارد او المقلي على رؤوس الاشهاد. او اعطائهم عشبة نجاة للعلاج من جفاف القول لان على كل عاشق ان يتمرض ويعيش دورات امراض الفصول ليجرع خلالها ملاعق الزقوم ليسجل اسمه كأحد العشاق الخالدين في هذه المدينة. ويحمل معه عشبة الاقحوان لتنقذه من تشمع الكبد وامراض السرطان التي زادت في المدينة واغتالت الكثير ومنهم القيسي ولكن لكل شيء هنا حياة وعلاجا ووقاية ووفاة. حاول القديس جليل القيسي ان يصنع من قصصه ومسرحياته نباتا اقحوانيا ذا خصائص مختلفة كي ينشط خلايا القلب ويمنع بحبه تشمع الكبد النازف في المدينة. نحن ازيز ادمان الحب الذي جرف كل ضحاياه من انفاق الاوعية ليجد حياة مرنة. بعد ان تفجرت البوابة الحجرية على لحد القيسي والتي اغلقت كل منافذ الحياة ثم يفتت هذه البوابة بكلمة واحدة في قصة او مسرحية انه السلام ورمز التسامح الذي كان يمثله القديس الذي كان قد سير الجبال الى مجموعة حصا لاسماك الزينة او لبيت يأوي عائلة عراقية. فقد تجد بيتا فيه كل معالم الحب والأمان والطمأنينة والسلام لغد افضل ومستقبل اجمل واروع في مدينة الخلود التي كان وما زال حيا وميتا يحلم القديس ببنائها في الغد حقيقة وليس في الحلم للارتقاء به الى اعلى درجات الايمان ومن ثم سوف يكون اداة خير ومحبة بين الناس. لم تكن فحوى تلك المقدمة المتواضعة الا الشعور العميق في داخل الفؤاد والوجدان الى انسان ذا احساس مرهف تجاه الانسانية بعد ان حالفني الحظ مرتين.. مرة في مرحلة ماقبل اللقاء به (صاحب المقالة) ومرة في مرحلة مابعد اللقاء وذلك من خلال مواقف انسانية نادرة ومما جعله ان يحتل مكانة خاصة ومتميزة في التطور والارتقاء الانساني وهذا الذي لمسته عند الاديب الكبير والانسان المحب للسلام والاخاء والمحبة (جليل القيسي) الانسان الذي نكن له كل التقدير والاعجاب. القول لان على كل عاشق ان يمرض ويعيش دورات امراض الفصول ليصرع خلالها ملاعق الزقوم ليسجل اسمه كأحد العشاق الخالدين في هذه المدينة. ويحمل معه عشبة الاقحوان لتنقذه من تشمع الكبد وامراض السرطان التي زادت في المدينة ولكن لكل شيء هنا حياة وعلاج ووقاية حاول القديس (جليل القيسي) ان يصنع من قصصه ومسرحياته نباتا اقحوانيا ا خصائص مختلفة كي ينشط خلايا القلب ويمنع بحبه تشمع الكبد النازف.

نحن ازيز ادمان الحب الذي جرفت كل ضحاياه من انفاق الاوعي ليجد حياة مرنه. بعد ان تفجرت البوابة الحجرية التي اغلقت كل منافذ الحياة ولفتت هذه البوابة بكلمة واحدة في قصة او مسرحية انه السلام الذي سير الجبال الى مجموعة صحى لاسماك الزينة او لبيت يأوي عراقية. فقد تجد بيتا فيه كل معالم الحب والامان والطمأنينة

والسلام لغد افضل ومستقبل اجمل واروع لمدينة الخلود التي مازال (جليل القيسي) يحلم ببنائها في الغد حقيقة وليس في الحلم.

نجينسكي ساعة زاوجه بالرب

جليل القيسي اديب وقاص من كركوك له العديد من المجاميع القصصية والمسرحية بدأها بمجموعته المسرحية (غيفارا عاد- افتحوا الابواب) والتي تضمنت خمس مسرحيات قصيرة مثلت مسيرة ونضج هذا الكتاب، وهنا سنحاول ان نقارن وندرس في هذه الاسطر القليلة مسرحية (نجينسكي ساعة زواجه بالرب) حيث يقول:

منطلقا نجينسكي (قتلهم جميعا ماتوا وهم يضحكون) ثم يصرخ في وجه حبيبته وزوجته رومولا (اتعرفين ماذا فعل العسكري عندما رأهم يضحكون؟) لتسكت رومولا امامه فاغرة فاها لتعرف ماحدث فيقول لها نجينسكي بكل برود (ان العسكري اطلق على نفسه رصاصة وسقط الى جانبه، لكن وجهه كان مقطبا) لقد استوحى كاتبنا (جليل القيسي) حياة وقصة هذا الراقص في هذه المسرحية التي نشرت مع مجموعة عام ١٩٧٢ ولابد لنا ان نذكر العروض العظيمة التي قدمها (نجينسكي) في باريس عام ١٩١٣ التي كانت متجاوزة لعصرها ولكن المشكلة ان الجمهور رفض هذه الرقصات الخلاقة فاستفز (نجينسكي) وثارت هواجسه وانتابه احساس بانه قد انتهى فنيا. من هنا استخلص (جليل القيسي) هذه المعاناة ليضعنا امام واقع الامر الذي جعل من (نجينسكي) بان يتخطى مديره الفني الذي عاش معه الشذوذ وجمهوره في تلك الحقبة.

ورغم احساسه بانه متطابق مع اندفاعاته الداخلية في الرقص فان الخوف ظل يرافقه خاصة وان (دياغيليف) قد مارس ساديته وشذوذه على (نجينسكي) وعندما احس بان راقصه قد بدأ يحلق بعيدا عن احضانه ابتدأ في التخطيط لاسناد ادوار البطولة في الرقص الى راقص اصغر من (نجينسكي) بدا يرافقه.

وقد كان (نجينسكي) لا يحتمل العيش بعيدا عن دائرة الضوء والشهرة وعاش فترة من الخوف من المستقبل وكان دائم القلق من الفشل وتعقدت علاقاته مع (دياغيليف) وبدا يعيش حياة الحيل مع هواجس الذات في الجحيم لولا تلك النقطة التي علمته الثورة وهي حبيبته رومولا، التي تركت من اجله حياة الارستقراطية للعيش معه بكل حرية وتتحمل كل جنونه وشذوذه لان القلب قد اصبح بين احضان (نجينسكي). وقد بدأت معه كمتدربة على الرقص كي تستطيع ان تراقبه وان تكون قريبة منه لانها كانت قد قررت مع نفسها ان تنتشل هذا الراقص وتنقذه من احزانه التي الهبت كل من حوله واكتشفت المعاناة التي كان يحياها بعلاقته الشاذة مع (دياغيليف) ولم تستطع ان تكتشف قلقه النفسي وافكاره المعذبة الا عند سفر الفرقة الراقصة الى امريكا اللاتينية وغياب (دياغيليف) لتخترق كل الاسوار وتصل شغاف قلب وقلق وخوف الراقص الذي كان قد يئس حتى من رجولته وتقدم للزواج منها ليكون زواجهما سببا رئيسيا او السبب الذي تمناه (دياغيليف) لكي يطرده من الفرقة. فقد كان من الاشخاص الذين

لايعتمدون المنفعة في علاقته مع الراقص بقدر ماكان يرى ويفهم ان العلاقة معه هي امتلاك وتحقيق لشيء مثالي ونموذجي قد بناه في ذهنه عن الرقص والراقص.

هذه الاسباب جعلت من احزانه ومخاوفه تتفاقم وتزيد من عذاباته ورغم كرهها لواقعه مع (دياغيليف) الا ان رامـوالا تدوس على كرامتها وتسحقها عنوة وتضع عواطفها الصادقة في نيران حبها (بنجينسكي) لذا تعمل بشتى الطرق وكل السبل على اعادة العلاقة الشاذة بين (نجينسكي ودياغيليف) لانها تحاول ان تقدم كل ما يسعد نجينسكيي لانها وهي حبيبته تعرف ان الرقص هو حريته وهو الهواء الذي يتنفسه ويعيش من اجله ورغم كل المحاولات والتنازلات التي تقدمها الا ان العلاقة بين نجينسكي ودياغيليف تنتهي بالفشل اذ يحمل دياغيليف هرواته ليحطم تمثاله او مخلوقة نجينسكي وهكذا يرتكن نجينسكي في زاوية مظلمة مع الوحدة والتوتر الذي يحياه من اجل رومولا المرأة الحبيبة والرقص الذي يحلق ولكن تنتهي حياته الى الجنون الذي اسقطه في عشقه لكن رومولا هذه الوفية، العاشقة من اجله قد تركت كل شيء منذ احبته وستظل ترعاه وتحبه وتحمل حبها معه لاكثر من نصف قرن الى ان رحل في بداية الخمسينات عن هذا العالم وكانت هي الوحيدة التي تزوره في المصح العقلي وتحمل له في كل مرة حبا اكبر من جميع ما تحمله هذه المخلوقات لهذا الراقص الذي حلق عاليا ولكنه سقط مجنونا ومات حالما بليلة راقصة او ليجد له منفذا مع كاتبنا (جليل القيسي) في ساعة رقصه مع الحياة ومع الملائكة وذلك من خلال (نجينسكي ساعة زواجه بالرب) ويذكر ان رومولا قد كتبت قصة حياة الراقص نجينسكي في نهاية الستينات وقد استند جليل القيسي في مسرحيته الى هذه المذكرات، كما قدمت هذه المسرحية عدة مرات في العراق وقد اخرجها لاول مرة الفنان الاستاذ سامي عبدالحميد، كما اخرجها حسين المصري.

ولابد لنا ان لاننسى ان قصة حياته واعترافاته لحبيبته وزوجته رومولا قد تحولت الى الكثير من الافلام السينمائية والمسرحيات العالمية.

المصادر: نجينسكي ساعة زواجه بالرب- تاليف: جليل القيسي- بيروت- ١٩٧٢

جليل القيسي والبحث عن الليدي مكبث

يقف جليل القيسي فريدا في القمة بين كتاب المسرح في كركوك مسقط رأسه ومكان وجوده ويكاد الكاتب الوحيد الذي تبلورت اعماله لتصل مسرحنا من كركوك الى العالم مواصلا رحلته مع الفكر العالي وقد مشى على خطواته الشاعر (رعد مطشر).. والكاتب قاسم حميد فنجان ويذكر ان القيسي قد بدأ رحلته مع المسرح والكتابة قبل نصف قرن وما زال يواصل الكتابة حتى الآن وتناول في مسرحياته الكثير من القضايا المتنوعة المحلية والعربية والعالمية، واصدر عدة كتب ومجاميع مسرحية، وقد استطاع ان يخلق جيلا من كتاب المسرح المعاصرين الذين يعتبرونه المثل المسرحي الاعلى الذي شيده في كركوك ونحاول هنا ان نستضيف احدث نصوص الكاتب المسرحي والاديب

القاص (جليل القيسي) والتي لايمكن لاي كان ان يفصل بين الرؤية الموضوعية او الفلسفية بحيث اننا برغم كل المحاولات في ان نستخلص من مجموعة اعماله فلسفته الخاصة التي تكون على الدوام متعددة الجوانب وذات معان ودلالات مختلفة وليست ذات فكرة واحدة محددة المعالم كما في المسرحيات التي نقرأها لكتاب آخرين. فجوهر عملية الخلق عند مؤلفنا هي التصوير العميق للمعنى الفكري ولا التقرير الكتابي ويحاول جليل القيسي دائما الباس الفكرة ثوبا خارجيا من اجل خلق العقدة والحبكة المسرحية والصراع الداخلي محاولا خلق عالم فني متكامل الرؤية في المنجز المسرحي له قوانينه التي تحكم كل مايدور في الحياة فالقدر هو احساس كاتبنا بواسطته يخلق معادلة مسرحية تامة الحسابات نبدأ بثورة في نفوسنا يولد بعدها الصورة التي يحاول نقلها من خلال النص الذي يربط بالمجتمع والفرد محاولا حل ازمة الصراع الازلي التي يحقق من خلالها الفرد ذاته كانسان في هذا العالم. هذا مانحاول ان نصل اليه وفسره في هذه الاسطر بحديثنا عن احدى او اخر مسرحيات كاتبنا ونتمنى ان نكون قد استطعنا ان نضع بعض النقاط على الحروف مع الفتاة التي اوجدها جليل القيسي لتلعب لعبة الليدي ماكبيث هنا في عز الشباب ذات ثورة متفتحة نحو مسرح راسخ وهي فراشة سالمة تعيش حياة التناقض وتحاول من ادراك طبيعتها ان تصل الى ما تبعثه بعزمها المتواصل والتصميم على هدم كل الاسرار والجدران البالية التي حققت في رواسب عصر الزيف الفني محاولة الوصول الى التلاؤم مع المنجز المسرحي ذي القيم الفنية الحقيقة التي تتلاءم مع طموحها كاتبنا في المكان الذي يلائم وتتصارع معه في (محاولة التعرف على الليدي ماكبث) وفي هذه المسرحية راينا صورا قديمة جديدة تحيلنا منذ النظرة الاولى الى تتبع الاتجاهات الاساسية في مسرحنا الحديث الذي كان ارتبط بحياته ولكل عصر حديث مع اختلاف التجارب التي يطرحها من خلال الثورية الهادئة التي وجدت لها صوتا من خلال الفتاة التي دخلت في حبكة الموضوع دون رقة بل جاءت وهي ساقطة على عوامل الهدم في المسرح الكلاسيكي وشكسبير وشخوصه قائلة للمخرج (جئت لالعب دور الليدي ماكبث) وعندما تجد المخرج رجلا ساذجا هش الثقافة ولا يعرف شيئا عما تحمله المسرحية من افكار او ما تحمله الكلمات من دلالات رمزية في ماكبث فانها تصرخ في وجهه قائلة: (انت لن تفهم معنى تجريد الحياة من معنى) ثم تضيف (لا يمكنني للحظة واحدة ان اتصور انك تستطيع وبقوة قاسية ان تفهم (الليدي ماكبث) وبعد ان ضاع المخرج في دوامة حديث هذه الفتاة التي اصبحت بمثابة (ليدي ماكبث) بكل ما تحمله الشخصية من قوة وجرأة وهذه المسرحية التي كتبها (جليل القيسي) تعبر عن ثورته ضد المسرح التجاري وقد استهوته شخصية (الليدي ماكبث) في مسرحية (ماكبث) للكاتب الكبير (وليم شكسبير) ليكتب لنا نصا يحمل اخر اعماله وهي مسرحية (البحث عن الليدي ماكبث).



جليل القيسي.. انسانا

آمنة محمود

في اجتماع اقامته احدى المنظمات وكان الحضور من النخبة وفي محدود، انحرف مسار الحديث الى المسرح، وبما اننا كنا نتحدث عن المسرح فلا بد ان يكون المحور هو الرائد جليل القيسي، وتساءلت احدى الحاضرات عن الاسم، فكان الجواب كيف تعيشين في كركوك دون ان تعرفي من هو جليل القيسي، فأجابت معتذرة انها ليست من المدينة.

نقطن المدينة، بغض النظر عن التسميات والقوميات، المدينة التي تضيؤها النار الازلية وتتوجها القلعة الشامخة فان لها كبيرا للملائكة والنموذج الحقيقي والمصغر لها، من اب عربي وام كردية لايعرف احدهما لغة الاخر فتحدثا التركمانية، ومتزوج من السيدة آتميس مربية الاجيال ارمنية الاصل. انه الرجل المدينة. يعشق اصدقاءه القدماء سركون بولص، فاضل العزاوي، جان دمو واسماء كثيرة بقية وفية له حتى بعد رحليهم الى الخارج. وعلى الرغم من كونه مسرحيا وقاصا رائدا مبدعا لا نبالغ ان سميناه عراب الاجيال، فانه متذوق دقيق للشعر، وهو لا يسمي احدا شاعرا الا ان يكون قد ابدع في ذلك، لايجامل في اراءه الخاصة في الادب، اهمله النقد على حد تعبير قمة اخرى من قمم الادب العراقي وهي المبدعة لطيفة الدليمي. اعتزل المسرح واجاب في حوار معه عن المسرح (لا عودة) لكننا بعد الزوال نحلم ونتجرأ في ذلك بصدور ولو مسرحية واحدة تعيد للمسرح جليله الردوخي المتمكن من ادواته بابداع رائع التسامي في اضاءة تلك الظلمة.

جليل القيسي هائل الروح عظيم النفس، وانا شخصيا لم اتحدث معه مرة الا وانا احاول اخفاء ارتعادي من رهبة التحدث اليه رغم تواضعه الرقيق. وهو ايضا ممتلىء بالافكار والآراء على المستويات الفنية والسياسية، مستمع جيد للموسيقى وعاشق لعبد الوهاب. جليل القيسي عرابنا الكبير لا تحده سطور ولا تفيه كتب حقه انه اروع من ان يقال عنه رائع، وهو بحق مفخرة المدينة والوطن باجمعه، تحية كبيرة للمبدع الكبير في عبوره الناجح اللجة التي جرفت الكثيرين واغرقت المواجهين تحية لخروجه سليما منها. تحية للمواطن الابدي.

مات اسطورة كركوك

محمد الحمداني

اخيرا مات ابا القصة والمسرح الكركوكي مات مسرعا بعد ان كان يمشي الهويني في ازقة كركوك التي تعرفه ويعرفها لم يمهله المرض كثيرا بل ان رحلته ورحيله لم يتجاوزا شهرا واحد.



سيدي العزيز نحن في بلاد تكرم السيئين وتكره الصادق والوطني فكيق اذا كان ذلك الانسان هو جليل القيسي الذي عرفته الكرة الارضية واصبحت اعماله نقاطا مضيئة في العالم فاذا ذكر القيسي ذكرت كركوك التي لم يتركها منذ اربعين عاما. وحين تركها للعلاج لم يقتله المرض مثلما قتله حب الوطن.

سيدي الاديب كنت وحيدا تنزوي حيث تكتب بعيدا عن مهاترات الادب والادباء لانك اكبر من تلك المشاكل الصغيرة. فما يشغلك كان اكبر وكنت الوحيد الباقي من جماعة كركوك الذين مزقتهم الحياة بين عواصم الدنيا والتحقت اخيرا بيوسف الحيدري وجان دمو لتروي لهم ما حدث ويحدث من حروب طائفية وقتل على الهوية في بلاد وادي الرافدين.

لم اسمع او اقرأ انك التقيت مسؤولا في الزمن الماضي ولا الحاضر. ولم تكن من الذين يبحثون عن الكراسي في اي زمان لان كل الكراسي كانت عبارة عن اوثان يعبدها اصحابها وستعبد اهلها ورأيت ورأينا ماحدث ويحدث لكراسي الدم الموزعة بين المرتزقة والاميين حسب الدين والمذهب والقومية في بلد كان يسمى العراق

كثير منا كان يعرف علة القيسى وشخصناه منذ زمن الا الاطباء لا ادري اهو جهل سبهم ام انهم لايعرفون لانهم لم يشخصوا المرض الا بعد ان استفحل عليه وتمكن منه يوم لايفيد المرض الخبيث الا الاستئصال وارسل الى تركيا على نفقة حكومة اقليم كردستان وبدعم من وزير الثقافة

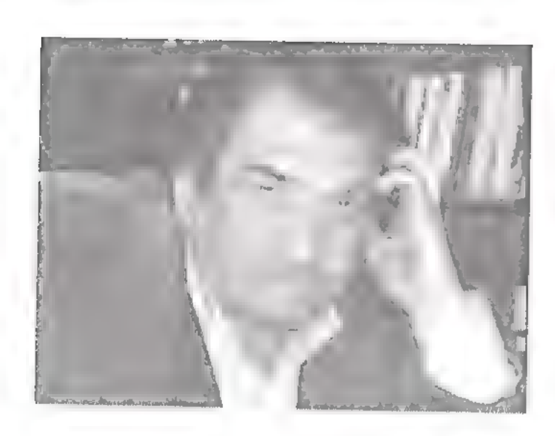
فلك الدين كاكي والشاعر شيركو بيكس وفي تركيا كتب نهاية اسطورة القصة العراقية.

الذين كانوا يمشون في الجنازة قلة من الاهل والجيران والاصدقاء ولم يعلم بموته الكثير منا. اما في اليوم الاول لعزائه فكانوا ايضا قلة.

لله درك ابا اسامة اعدت قصة السياب الآن على الملأ. فنحن قوم يحترمون الراقصة والفنان الامي حين يموت فنطبل ونزمر وننسى الاساطير التي سيرويها التاريخ عن حياة ورحيل اسطورة كركوك والعراق القيسي الذي ولد عام ١٩٢٧ ومات ٢٠٠٦.

اتمنى ان يطلق اسم القيسي على احدى مدارس كركوك واتمنى ان يطلق اسمه على احد شوارع كركوك المهمة وباسمي وباسم ادباء وفناني كركوك ادعو المنظمات الانسانية الى فتح باب التبرع لاقامة تمثال للراحل القيسي يوضع امام المكتبة المركزية ولا نطلب من حكومة كركوك اي شيء لانها تقتل الادب والفن والفنانين والدعوة مفتوحة لكل ابناء كركوك العزيزة.





مقاطع من:
(سبعون نافذة متجولة)

شيركو بيكه س
ترجمة: نوزاد أحمد أسود

(١)

اليوم وفي هذه المدينة، اليوم
ثمة غيمة فتاة
رمت بنفسها، قبل هطولها،
من فوق شرفة خضراء!
اه...لقد اغلقوا السماء بوجهها!
رأوها تجلت كوردة ختمية بيضاء.
وفي الاسفل ذبلت وتناثرت
أصبحت اوراق الزهور الحمراء
على الشارع وتحت أقدام المارة!

(٢)

قال الثلج:
أكتب، بوضوح، كما أنا!
وفي الذوبان كن مثلي
وأسبر الاغوار عميقا
لتصنع الانهار والبحار
كما أنا!

(٣)

كانت ليلة وضاءة فضية
انقطعت قلادتها على حين غرة
كنا نبحث، جميعا،
من تحت المناضد
عن خرزها المتناثرة
أما أنا فكنت ابحث
عن تلك الخرزة التي
كنت أراها كل مرة
نائمة فيما بين نهديها!

(٤)

ذات مرة

وفي درب دفتر أشعاري

التقت احدى قصائدي السياسية

بأخرى غزلية،

كنتُ ارى الاولى

حين تتحدث يخرج من فمها اللهيب

أما الثانية فيخرج من فمها

ضوء شهر عسلي!

(٥)

في هذه الليلة المصابيح كلها مُشتعلة

لكن منزلي لم يزل مظلماً

لم لا تعودين...لمَ؟

في هذه الليلة جميع المصابيح مُطفأة

لكن منزلي مازال مضيئا

ترى هل انك عائدة؟

(٦)

لو لم ار كل هذه المتاهات

لما استحلت طريقا كهذه.

لو لم اعرف هذه الظلمات

لما استحلت مصباحا قط،

لكن الطريق والمصباح

يتجسدان الان في عينيك!

٧)

حينما كنت هناك

كانت كلماتي تطوف بأبصارها

أمام نافذة الشعر هنا.

يسألون عزلتي: متى ستعود؟

الان وانتِ هنا

قد مالت زهور "امستردام"

صوب الشرق

يسألون من بائع الورود وسلة الازهار وسور الحدائق:

متى ستعود؟

أنت عطرة وناعمة ومحبوبة

لأنك تجولين بين القصائد والورود!

(٨)

من كثرة التفكير بليمونك

اخذت ليمونتي من فوق المنضدة

حملتها معي للبيت

حينما اردت تقشيرها، زعقت

وحينما اردت الاحتفاظ بها للذكرى

أكشرَت وجهها وغضبت

أما حينما لمستها

شممتها وقبلتها

ومسدتها بروية

بدأت تضحك ملء غرفتي!

(٩)

كانت هديتك ربطة عنق

حين أربطها

واذا ماصادف أن ازعجتك

وأغضبتك اثناء الحديث

فانك تبقين ساكنة صامتة

لكن ربطة العنق هذه

بدلا من يديك

تتشنج وتكاد تخنقني!

(١٠)

رأسك قيثارة

برفق ألمس شعرك

يغدو كل شعرة في يديّ وتراً

والوتر يمسي خيوط الالحان

تعزفها أناملي بروية!

(١١)

حتى الزوبعة

تكتب القصائد

أحيانا تكتب سهولا بأكملها

لكن حينما تبدأ بقراءتها

تعميك الغبار

وتغطيك الحشائش والتراب!

(١٢)

يكاد بداية خريف

أن يلج جسدي.

وبداية ربيع

لايفارق روحي أبداً.

انهما معاً

بسمة تتناثر هنا

وألم يفتح ثغره هناك.

انني الان موسم خارج المواسم،

انني الان قصيدة

يدوّنني الشفق والغروب معا!

(١٣)

في "القرنة"

حينما تلتقيان كل يوم

تلتفت دجلة الى الفرات

او تقول فرات لدجلة:

كنا نهرين، أصبحنا ثلاثا

أطولنا وأوسعنا

هو ذلك النهر الذي

يتدفق من أجساد هؤلاء الناس!

(١٤)

ثمة ميدان

ومنارة

ودكان ،

في الميدان يقف الرصافي لوحده

ولم يعُد الى بيته بعدُ ،

وفي خاصرة المنارة

تظهر رقبة يمامة خائفة ،

وثمة فقط دكان واحد

مفتوح الدرابزن

كُتب فوقه بخط كبير وردي:

"بياع التوابيت"!

(١٥)

كانت شجرة هرمة، نائمة

هبت ريح فهزّت الشجرة

وأيقظتها هامسة في أذنها:

الى متى تقدرين

على ان تأوي عاشقين هاربين؟

انني أعرفك

انت تلك الشجرة التي

قطعوا يدك اليمنى

عقابا على عشقك ساقية

قالت الشجرة بعد برهة تامل

فليأتيان
والا ماذا افعل بفجوة الغرفة الدافئة
في احشائي؟
انها جديرة للعشاق،
فليبقيا فيها
الى أن ينجبا وليداً، ثمرة عشقهما!

(١٦)

في النهار
ارتديت "زرقة السماء"
ابتسمت لي السماء،
حينما حلّ الليل
وهبني القمر قصائد زرقاء.
لبست خضرة الصنوبر
أمست الجنائن حبيبات
بدأن تقبلاني قبلا خضراء وحمراء،
وحينما كسوت "سواد الانفال"
تحولت السماء الى ضباب قاتم
والقمر سقط في كرميان
شجرة الصنوبر بدأت تنتحب
والبساتين غدت ارامل!

(١٧)

تباهى الفيل بقوته
أقلع بخرطومه شجرة من الجذور،
تفاخر الاسد بمخالبه وبراثنه
انقض على غزالة،
ولكن جاء طير بعدهما لاقوة له ولا مخالب
حمل بمنقاره بذرة
زرعها عند الشجرة المغتالة
وبدأ يغني للحظات
اغنية حزينة
من اجل الغزالة
دون ان يتباهى
أو يتفاخر بطيبته أبداً!

(١٨)

لقد تعرفت على الخريف لاول مر
عن طريق نسمة.
وتعرفت على العزلة
عن طريق الخريف،
وعن طريق العزلة تعرفت على الغ بة
عن طريق الغربة تعرفت على الع ق،
وعن طريق العشق
حظيت بملاقاة الشعر!

(١٩)

حينما تسمع الحديقة
حفيف الاوراق المتساقطة تحتها
تبدأ حينئذ تدمدم
وتسرد ربيع الذكريات
وهي محدّبة!

(٢٠)

في هذا الشرق
حاولت جاهدا ان أضع
كلمتي "الحرية" و "المرأة"
فوق كرسيين بجوار البعض
أمام احدى المرايا، لكن دون جدو.
ففي كل مرة
كانت كلمة "المجتمع"

يأتي بشاربه الكثيف

متأبطا سجادة الصلاة

جالس بدل "المرأة" على الكرسي!

(٢١)

انها امرأة

في هيئة كمنجة سوداء

حين أراها من بعيد

استحيلُ أنامل قصيدة نحيفة

أعزف نوطات عشق مرتجل،

وحنكي وسادة غيمة

لقامة أحزانها،

أعزفها حتى غروبها،

انني ريح عازف

وهي اوتار المطر

التي تهطل مدرارا!

(٢٢)

حين اسمع "كذبة"

أبتغي أن اصم أذني على الدوام.

وحين يموت عزيز

أصبح ضريرا وأبكم رغما عني.

وأمام "الحقيقة"

عليّ ان أنحني

وأسجد لجلالها!

الايام التي أصبح فيها أبكما، لاتحصى.

والايام التي اصبح ضريرا وأصم

ليست بقليلة.

أما الايام التي أسجد فيها

فهي جد نادرة!

(٢٣)

شجرة الصفصاف امرأة،

ركلها رجل من الوراء،

شدَّ الرجل شعرها،

ركب الرجل عنقها،

لذلك تراها منحنية الظهر!

(٢٤)

هوت زهرة مطاردة

داخل دائرة اللهيب،

ذبلت ولم يسمحوا لها

ان تصل عشيقها

لكنها تركت وراءها

قطرة معطرة

في روح ذكراها

لعشقها الموؤد!

(٢٥)

ترى ما هو حبك؟

لاأعرف عنه شيئا سوى انه

بؤبؤتين اضافيتين

وأذنين وساعدين أخريين.

لكنه لايوجد في سويدائي

قلبان أبداً !

(٢٦)

خلال الياف ورقة خضراء

أرى الغابات جميعها،

من بين قطرة ماء

أرى الانهار جلّها،

وفي حفنة تراب صغيرة

أرى الارض كلها،

وفي عينيك انت

أرى السماء برمتها!

(٣٨)

لكي أفند الغضينة

لا املك شيئا في الوقت الحاضر

سوى الشعر

اجعله درب التسامح والمحبة.

كي اتصدى صدأ لحظات اليأس

لا أملك شيئا الان

عدا الموسيقى

أجعله جناحا للامال والحبور.

ولكي اسد طريق عمري المنحدر

لا أملك شيئا وسط هذا الخريف

الا الطفولة

لأستعيدها

واجعلها حلما ابديا

وسحرا ابديا!

(٤١)

سلة من الاغاني والفراشات

كومة من الاحزان وضوء القمر

سرب من القبلات الخائفة

غرفة مليئة بالانتقاد..

وضعت كل هذه أمام هذا الزمن

منح الزمن بدوره

السلة للاطفال

والثانية للنساء

والثالثة للعشاق

والرابعة للساسة!



(٨٨) ابتسامة الرمان لشفاه حلبجة

ڕۆژ هەڵبجەیی

ت: د. ازاد عبدالواحد كريم

لقد جاؤوا ، وبزوايا أنفاس (الريح) تسلقوا

وأطفؤا الساعة من ثوانيها

وجعلوا كل نعومة ضحك الغيوم عقيما

و فصلوا قامة القمر بمخاديد الليالي الحالكة

و مسحوا خيالات الشمس

من مصادر الضياء و سواقي الشفق

لقد جاؤوا ، و أفلجوا

سنابل الرحم الدافق في حفر أرواحهم

و علقوا (ألف) الصياح النواحل

بمعاليق شواربهم

و في نخب غرائز سلوكهم المنحطة شربوه

و في شرنقة الرمل و قناعة الهستيريا

و في الجهة الاخرى من أدغال العرعر

المحروقة تعرعروا

هم كانوا غرباء بنسل ناصية ال(ضتوك)

و في آفات الانفال ۰۰۰هموا

كانوا غرباء بقطف خفايا

مناجاة فراشة خريفية

غرباء بباقة ضياء من شتلات الشمع

غرباء بالعشق الحر لسنديانة الصيف

و قدح الغسق في مستهل الليل

غرباء بسطري ليلة ، داخل حقيبة

و بميال شفاه شجرة العنب

هم ، كانوا عميانا برؤية

سلة ممتلئة بشخير الفاكهة

كانوا طرشى بجدال ثلة

من خيالات عطش الامطار
ايه ٠٠ حلبجة ، ماذا رؤوا هم و ماذا يعرفون ؟!
غير مكياج الانفال و أرشيف القتل
و عندما قتلوك ، لم يفكروا بحكمة أنين رضيع
كان الشراب يسبح فيها من مناجاة قاتم
عندما قتلوك، لم يفكروا بسنديانة الزهرة
التي كانت تشعل يديها و أناملها بالأوراق
و ضحكة بلبل ترقد في رحمها
عندما قتلوك، لم يفهموا من منطق شباك
كان قلبه ممتلأ بمعرفة الله
و يكحل مرآه بضوء القمر
عندما قتلوك، لم يفهموا معارف شجرة السرور
والخيال الحبلى بمطالعة
السواقي و نشوة الطيران
التي كانت تأذن في محراب غصنها و أوراقها
عندما قتلوك.. لم ينصتوا
لنبضات تلك الأضواء التي
كان الغصن المدمن بحب حمضي
يغسل نفسه فيها
عندما قتلوك ..لم يمهلوا شيئا في خرابته
لينفض التعب عن نفسها !!
أوحتى يتمشى غصن في شروخها..!!
عندما قتلوك..ماذا كانوا يعرفون؟!!
من الخطة اليومية للبلاب،
عندما كان يتسلق الجدران
و يملؤها بشذرات الرقص
وكانت صحراء الايحاء تستيقظ من سباتها
هم..يرجع أصلهم الى عفريت غريب
و الى أقاصي جذور الصحراء..هموا
هم.. مرضى و منكسرين بحروف علة حلبجة
و لكي يطيبوا في حلبجة ،
فعلوا ما شاؤوا..هموا
و حلبجة.. تعودت على كتم شكاواها الخضر
و..بتوبيخ أحمر كانت تقول:
عندما تترجم خيانة دخان شفتي الفانوس
ب(٨٨)بارقة التوصيات،لن اصبح حلبجة ثانية
عندما يلقون بنغمات الحمائم الى لوحة العدم
ب(٨٨)رفرفة الفردوس لن أصبح حلبجة ثانية
عندما يقيسون عشق ينبوع بمشية البخار
ب(٨٨)قطرات ممي آلان لن أصبح حلبجة ثانية
عندما يدفنون بؤبؤة التغريد بنمنمات خائسة
ب(٨٨)قلادات الدرر و الجواهر
لن أصبح حلبجة ثانية
عندما يملؤون اكتاف
شجرة البلوط بنجوم الجراح
ب(٨٨) قمة قمم الليالي لن أصبح حلبجة ثانية
عندما ينكجون نسائم
جيش الورود من خرابات الخريف
ب(٨٨)من الأقداح الملونة بلون الورد
لن أصبح حلبجة ثانية
عندما يملؤون خطوات الشعر
بمفارق منطق المقص
ب(٨٨)قوس قزح الأسئلة
لن أصبح حلبجة ثانية
عندما تنام منارة مسجد
على أكتاف حمال الغدر

ب(٨٨) خانقاه أحزان مولوي

لن أصبح حلبجة ثانية

عندما يخدش أطياف حبو كناري

رضيع في ظل البرابرة

ب(٨٨) أناشيد (ئەی ڕەقیب) لـ(دلّدار)

لن اصبح حلبجة ثانية

عندما يستنسخون بكارة ليلك بفجر الفتوحات

بـ(٨٨) مشاعل (زكية ئالكان)

لن أصبح حلبجة ثانية

عندما يرحلون لحن القبج الى مشقة الصحراء

بـ(٨٨) أطياف مشايخ (شنروى)

لن أصبح حلبجة ثانية

قالت لنا حلبجة

أنظروا الى كل نسل الموت الذي ألتف حولي

ولكني سأرجع الى عشق الحياة

وأتنكر لقوافل القدر،

ولبالوعات جذور الكلب،

و شهادة النكسات...

ولكن ، اللعنة على ذكريات الثمانية و الثمانين!

سنة ثمانية و ثمانون ، سنة كفر (البسطال)

والصياح المحترق على فوطة الجبال..

وقمع ضياء القمر في أحزمة الوديان...

وانين العشب في ثياب السهل...

ومرارة الرطوبة في ثديات الينابيع

سنة ثمانية و ثمانون: سنة تجويد الأنفال

والتي دخلت في ذكريات الشخشيخة

ودمى الأطفال

سنة ترجمان العفلقية..

و التي كانت تذبح غنج الأشجار

وعمق المياه...!!

تعودت حلبجة على كتم الشكاوى الخضر،

وكانت تقول بفم محمر:

أنا ميراث خمسة آلاف خرابة

فماذا بعد النشيد الثامن لأية عبادة

ألف تجلاءات الليل..؟!

وفي ثمانين مذهب أي عشق أكتب ميلودا

وبأي شرع للجاف و الطوران

يكون امام حلبجه يى مرجعيتي

الى أي فكر كوردستاني ؟!!! أنا الحلبجة،

لم يبق لعشقي أثر في الثمانية و الثمانين

عندماطفأت عشقية عمر التفاح شفائفي

وقعت مني خمسة آلاف من مدخرات الحياة

وكل ما كنت أملك من تفاحات وردية

وسقط صياحها في حديقة محجبة

وكل ما كنت أملك من همسات رفيعة الخصر

أنكسرت في دحرجة صباح لاواعي

وكل ما أملك من ظروف مائي

أصبح قليلا أمام (شق الحجاب) لطوران

وأقفل ظله في مناظر شارع مسموم

لقد سكبوا في حرف النون أملاء نون المنام

أنا أفلست من ألتفاتة غرفة ماء

غرفة حضن و حضن و كرسي...

غرفة دعاء و مناجات و التماس...

أنا أصبحت أنفالا بآخر تزريف الانتظار

ففي ظل أي شمسية

و على فخذ أي سرير؟!!

و في أنبهار أي زقاق بكر!!

و في تحديث أية شجرة مسكونة ؟؟

أستجمع حلبجة،

و في حضن سنديانة مريض..

وخصرحديقة هزيلة،

وفزاعة مزرعة مقوقعة..

أقلع بكاء مارس المنثور من جذورها

أنظر لشهادة مدينة!!

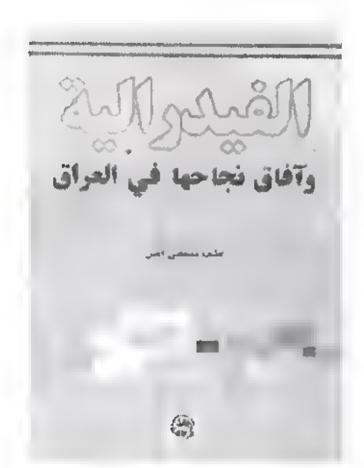
كيف حصدت الموت؟!!!!

الان،الان، أفور في وديان العاطفة

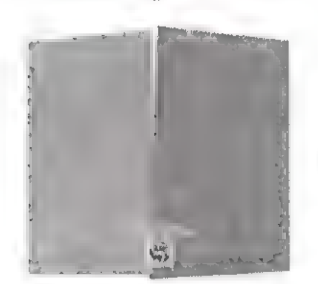
(٨٨) ابتسامة الرمان لشفاه حلبجة

الان، الان من خلال وديان السراب أتسلق..

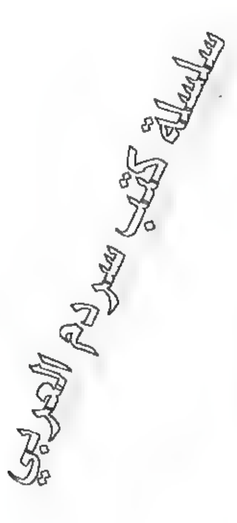
الان،الان.


الفيدرالية
وآفاق نجاحها في العراق


الشبك في العراق




زهير كاظم عبود


سلسلة كتب سردم العربي


كوردستان الجنوبية
1939-1926




الأنفال



عزرائيل

قصة: شيرزاد حسن

ترجمة: آزاد برزنجي

لست ادري هل اشكر الشيطان ام العنه لانه عرفني بعزرائيل..؟ فلولاه لما كنت اكتشف امي.. آه.. يا امي الجميلة والحنونة.. آه يا امي الخائنة.. نعم.. اماه.. انت التي خدعت اطفالك.. آثمة انت.. انت الحنونة التي كانت الملائكة تصلي على سجادتك، بل على وشاحك. لقد بعتنا من اجل ذلك الـ "عزرائيل" ادرت ظهرك لاطفالك.. بناتك واولادك الذين يكنون لك حبا وصالحت عزرائيل، التمسنا منك بعيوننا، وبخناك.. قلنا لك بالله عليك يا اماه ابتعدي عن فراشه، من الآن فصاعدا لاتنامي مع ذلك العفريت، انفاسه كأبخرة الجحيم، يا لصفرة اسنانه التي سممتها كثرة التدخين، اماه.. كيف سمحت لنفسك ان تبيعي فلذات كبدك من اجل ذلك الرجل؟..

في المرة التي فيها شبح راسك الصغير بعقب بسطاله المسمر.. حيث جرح العفريت جفنك.. فانسابت دماؤك الذكية على ذقنك الاشيم، وامتنعنا نحن عن الطعام قهرا، وانت عدت الى والدتك المطلقة مغلوبة على امرك، لم نذق شيئا ذلك المساء.. وعشرات الاماسي الاخرى.. بل مئات الاماسي مضت وستمضي.. نحن الجبناء كنا نضرب عن الطعام، كنا نختفي تحت لحافنا البالي منذ المساء، محتضنين بعضنا بعضا، كنا نملك غير لحاف واحد، حزنا على مغادرتك لم تكن اللقمة تستاغ في حلوقنا.. ولكن آه.. حينذاك كان يضربنا، يبصق علينا ويشتمنا "يا اولاد القحبة.. الا يستطيع احد منكم ان يقلي لي بيضا بالدهن؟ وما ان يبدا

بالصراخ حتى نصطف كجنود هتلر ونبدأ باعداد الطعام.. انا اجيء بالمقلاة. وشلير بالبيض، وفرهاد بالدهن، وباكيزه بالنار.. وهو يلوك الطعام بصفاقة.. نعم امي الجميلة والخائنة.. لم يكن ذاك الرجل يشعر بخجل، كنا ندعو الله ان تخنقه احدى تلك اللقم، كنا ننام جياعا وهو يلتهم اللقمة الكبيرة، كان يبصق علينا ونحن نسترق النظرات من تحت اللحاف. بعد اليوم الذي اجتث فيه شجرة التين.. بعده بخمس سنوات ولما وافت اختي "نرمين" المنية متأثرة بالسعال الديكي قلت له: "سمه.. انت السبب في موتها!" فصرخ ملء الغرفة: "هذا يعني بانني عزرائيل!" قلت حزينة: "لا.. لست بعزرائيل.. لانه هو ايضا من ملائكة الرب.. ولكن منذ اليوم الذي قطعت فيه شجرة التين لم نصاد\ف خيرا، والله لايرزقنا، وحالنا يزداد سوءا بعد سوء، نكد ونشقى ولانلقى الا الامرين!" ولكن ماجدوى كلامك يا اماه؟ لقد خنتنا وخنت نفسك وشجرة التين ايضا.. تينك المباركة.

انت التي تلتقطين صغار القطط والخطاطيف الضالة كي يرأف الله بحالنا ويزيدنا لقمة، لقد اتيت بفسيلة شجرة التين من على مرقد "وكاشة" وغرستها في باحتنا الصغيرة كي نزداد بركة، وفي اعياد الضحى تسقينها بدماء الدجاج والديوك التي كنا نذبحها كي يأكل ابناؤك من ثمارها المباركة ويتفيأوا ظلالها المقدسة. وتسقط اوراقها الميمونة على رؤوسنا.. وعسى ان يأكل هو ايضا من ثمارها ويترك المقاهي والحانات ولعب القمار ويسلك الصراط المستقيم ولا يكيل علينا الضربات ولايجرك من شعرك.. ولكننا يا اماه لم نره ابدا يأكل حتى تينة واحدة، بل انه كان يكرهها ويكرهنا، كان يقول: "حتى لو كنت على شفا الموت وقيل لي ان اكلت من تلك التينة شفيت لما اكلت.." وكنا نتمنى ان لايأكلها كي تبقى لنا.. لكنه لم يقف عند هذا الحد.. اتتذكرين.. ذاك اليوم.. كان مساء خريفيا باردا، فتح الباب راكلا اياه مقتلعا عضادتيه، بقي واقفا لوهلة عند عتبة الباب، حاملا في يده فاسا يدخل الرعب في النفوس، فأسا يشطر الشعرة شطرين، كان يتلاعب بالفأس بين يديه.. يهزه، ثم ينظر الينا ويضحك، احست الشجرة بذلك فسقطت منها عدة وريقات، سقطت كل واحدة منها على رأس طفل من اطفالك، وهمست الوريقات في آذاننا "قولوا لوالدكم الا يقتل والدتنا!" لاتقولي هذا افتراء، انت بنفسك كنت تقولين لنا: "حتى الكلاب والقطط والافاعي والحشرات والاشجار تتكلم، تحزن عند الكوارث وترقص عند الفرح.. وفي ايام الجمع يبتهلون الى الله ويسبحون باسمه.."

لانكذب يا امنا الحنونة والجبانة.. نحن لانكذب.. كانت الاوراق تبكي، وعزرائيل يضحك وفي يده الفأس، وهو يتوق لقبض روح الشجرة، فارتعشت الشجرة وارتجت يمينا ويسارا خوفا من اجلها المحتوم. ولما علمنا نحن اطفالك بأن الكارثة وشيكة الوقوع جئنا اليك وتضرعنا صامتين، ولما رأينا الخال الاحمر في عينك اليسرى قد اسود لونه كالقطران.. ايقنا بان الكارثة آتية لامحالة، وانت لاحول لك ولاقوة.. وكنت دائما ترددين "حين يعزم ذاك الـ "عزرائيل" على فعل شيء.. كأن يكسر يدا، او يدمر حائطا، او يجتث شجرة من جذورها.. لا احد يقدر ان يقف بوجهه يا اولادي.. لاتزيدوني هما فوق همي" وبعد تلك الكارثة بسبع سنين حينما انسكرت يد "شيرين" وبقيت في الفراش تئن لثلاثة اشهر.. قلت: "سمه.. انها لعنة وكاشة.. تلك من وراء مافعلت بالشجرة المقدسة".

ذاك الكافر.. اتعرفين ماذا فعل..؟ انه عفط عليك.. عفط بفمه عفطة لم يجد صداها له مكانا في غرفتنا الوحيدة والصغيرة، وانت شرعت بالبكاء وقلت متأوهة: "انك غارق في الذنوب، ان السماء لن تمسك بسوء.. بل تمس اطفالي". وبعدها بثلاث سنوات ولما رسب "محمد" في الرياضيات.. صحت: "سمه.. هذه ايضا لعنة التين". وبعدها غدت ايامنا كلها.. ولياليناوابلا من اللعنات واصبح العمر كله لعنة ابدية. لقد توسلت اليه بعينيك، والخال الاحمر في عينك اليسرى يزداد اسودادا وينتشر الى ان يشمل بياضها ايضا.. منذ ذلك اليوم وكلما حدقت في مابقي ظاهرا من جذع الشجرة كانت عينك اليسرى تغدو قطرة من القطران.

كلنا.. انا وفرهاد ومحمد وشلير وشيرين وباكيز.. ومعك شكلنا سورا حول الشجرة، ولكن دون جدوى، فقد بقيت هي تمطر اوراق البكاء. كانت تدرك ان فأسا في قبضة عزرائيل تعني النهاية، ولامحالة الكارثة واقعة، حتى انت.. كنت تعلمين بالحقيقة. انت خنتنا، ونحن نشفق عليك.. فمنذ الآن وصاعدا تحت ظلال اية شجرة ستجلسين وتحزنين وتبكين، البكاء الذي كنا نتصور انه عادة يومية لكل نساء حينا والاحياء الاخرى، نساء كل القرى والمدن البعيدةن تلك القرى والمدن التي نتمنى ان نكبر بسرعة كي نسافر اليها.. كنا نتصور ان كل امهات العالم لابد ان يبكين ولو لمرة واحدة في اليوم.

كان سياجنا الذي شكلناه نحن اطفالك الخائفين حول الشجرة هشا، ولما تقدم عزرائيل باتجاهنا لاعبا بفأسه في الهواء كدنا نموت ذعرا، فانفكت اصابعنا المتشابكة بعضها مع بعض، فنظرنا نحن الاقزام الى

عزرائيل العملاق ومقبض الفأس في يده طويل مثله، بحيث يكفي لا لقطع شجرة تين واحدة فحسب، بل لقطع مئات الاشجار.. بل غابة باكملها فاستهزأ بخوفنا وبخوف الشجرة وارتعاش اغصانها، تقدم اكثر وشمر عن ساعديه، وما ان ضربها الضربة الاولى حتى انفطر فؤادها وشرعت بالبكاء وغطت مئات الاوراق باحتنا الصغيرة، كانت الاوراق تتلألأ متطايرة في الهواء وهي تنتحب، لكن واسفاه.. متى كان عزرائيل يراف بحال فريسته..؟ لم يكن يبدو ان الفأس ينزل من فوق رأسه على جذع الشجرة، بل ينزل عليها من سماء عالية بعيدة، ورأسنا يطن من اثر ازيزه، مسكت بيديك المرتعشتين يديه الشعراوين.. تلكما اليدين اللتين كنا نخاف من عروقهما الزرقاء البارزة الغضبى، انتحبت.. نحى يديك الحنونتين بقسوة.. توسلت اليه: "لاتقطعها.. انها شجرة مقدسة، منذ ان غرسناها والخير يعمر بيتنا.." ضربة اخرى وصيحة اخرى، شظايا وجروح اخر.. ودم ابيض كالحليب.

امي المذنبة.. اولادك.. ابناؤك وبناتك لن يعذروك، قولي لنا.. كيف سمحت لنفسك ان تنامي معه ثانية، انت خدعتنا.. آنذاك كنا اطفالا مخدوعين، انت وذاك العزرائيل الذي اجتث الشجرة من جذورها كنتما تسخران من عقولنا الصغيرة الساذجة.. لا.. يا امنا الحزينة.. عديمة الوفاء.. نحن لن نغفر لك.. لن نعفو عن ذنوبك، اجتث شجرة سعادة طفولتنا الوحيدة ولم تمنعيه عن فعلته، نعم.. هذا ماحدث في الليلة التي اجتث فيها شجرة التين.. امنا الثانية.. انت كنت ترددين دائما: "هذه التينة المقدسة اختي، وهي امكم الثانية" كنا نلعب ونلهو وننام تحت ظلالها، وكانت هي كل صباح تعطي كلا منا تينة نأكلها، وقد يزيد عدد التين على عددنا، انئذ كنت توزعين مازاد عنا على اطفال حارتنا الجياع.. يا لجبنك يا اماه.. في تلك الليلة نفسها ذهبت ونمت معه، تسلل الى فراشك ولم تطرديه اماه انه لم يقطع شجرة التين، بل قطع مصدر حياتنا ونبع سعادتنا، لم نكن نقدر على شراء كيلو واحد من التين، كنت تجففين اوراقها وتغلين دقاقها ومن ثم تشربين ماءها.. كنت تقولين: "انها روح وكاشحة.. ما ان اشربها حتى انعم بالصحة والعافية" وكنت تستعملينا ايضا كدواء شاف لآلام رأسك وبطنك وظهرك، غالبا ماكنت استيقظ صباحا على صوت طائر جميل لااعرف اسمه وهو يغرز منقاره في تينة ناضجة حد التعفن ويمتص ريقها حتى الثمالة.

كان ذاك الطائر الصغير يسكرني بتغريده، فبعد ان احتلمت وتولهت بحب جارتنا "نازى" كنت اود الاستماع لغنائه الفردوسي الخلاب لكي يلهمني كلمات ارسلها لـ "نازي"، احيانا كنت احتضنها وارفعها كي تقطف تينة. وكان وجهي ينحصر في ذلك التجويف الذي لا اجرؤ ان اذكره.. اماه.. انه قتل روح وكاشة بفأسه، انه حرمني من عبير صدر نازي، وبكى فرهاد لانهدام اعشاش فواخته على الشجرة، انه حرم الى الابد من النظر الى بيوضها وصغارها، لن تحط العصافير اسرابا في باحتنا ولن يستطيع هو ان يخفي نفسه متربصا لهم بمصيدته، فلن يأكل منذ الان لحمهم المشوى اللذيذ، شيرين وباكيز كانتا تبكيان لارجوحتهما التي ذهبت ولن تعود.. انا ايضا ابكي حين اتذكر تلك الارجوحة.. حيث كانت حبيبتي "نازى" تقلد الصغار وتحب ان تلعب الارجوحة وتقول لي: "تعال وادفعني..!" آه.. يا امي الحبيبة.. اللعنة على كل الآباء.. فالهواء يرفع فستانها ويكشف عن جسدها حيث تمتزج اشعة الشمس بظلال الشجرة المقدسة، وانا.. كانت الرعشة تملأ كياني تارة وتارة اخرى اتوقد كالشرارة على ايقاع تلك الظلال الواقعة على وجهها حينا وعلى فخذيها حينا آخر.. انجدينا يا اماه.. انجدي تينك المقدسة. دواء الامك وامراضك، في همومك واحزانك، انجدي عش الفواخت وبيوضها، انجدي ارجوحة "نازى" وتينة طائر السحر الغريد.

حاولت ان تمنعيه.. وكاد ان يشطر بفأسه رأسك الى شطرين، ولكننا منعناه من ذلك.. لقد قتل الشجرة. فسيان لديه ان يقتلك ايضا، ماتت امنا تلك.. فلتبقي انت على الاقل، اقتربت منه ثانية، وكان الفأس يلمع في يديه لمعانا ذهب ببصرنا، توسلت اليه.. بكيت.. قال عزرائيل: "مريم.. هذه الشجرة لاتسمح لكرومي ان تتسامق.. هذه التينة اللعينة توهن قوة كرومي..".

قلت له حزينة: "سمه.. كرومك متيبسة..".

"لا.. ليست متيبسة، انها اصيلة، اتيت بفسيلتها من "سفين".

"من اجل اطفالك.. لاتقطع الشجرة.. انهم يحبونها اكثر من كرومك".

"وكرومي.. ماذا بها..".

"ليس بها شيء.. ولكن ارجوك لاتقطعها كي لاتنزل لعنة الاولياء علينا".

"هراء.. لا اضحي بكرومي من اجل تينكم..!"."اذن انت تصر على قطعها..؟".

"لاريب في ذلك".

"التينة مقدسة.. وقد ذكرها الله في القرآن ايضا.. لم تفعل ذلك..؟

"حتى لو ذكرها الله في كتبه الاربعة..".

"لكن الله..".

لم يسمح لك بان تنهي كلامك، نحاك جانبا وانزل الضربة الاولى على قلب الشجرة التي انت من الالم، انه لم يكن ينزل الضربات على قامة شجرتنا الحبيبة، بل كان ينزلها على قاماتنا نحن، مخطئة يا اماه.. فنحن مضربون لحد الآن، لكنك استسلمت له الليلة نفسها، خدعك بتلك الكلمات المعسولة التي كنت تسمعينها منه بعض الليالي لاغيرها. المرة التي مرضت فيها قلت: "ابنائي الاحباء.. اني على وشك الموت. عليكم تبرئة ذمتي". لم ننطق بكلمة.. لم تعرفي سبب صمتنا، لم تكوني تعرفين اننا كنا ساعتها نتذكر خطيئتك تلك.. خطيئة تلك الليلة المشؤومة، لم نكن نستطيع تبرئة ذمتك، ففاضت اعيننا بالدموع.. آه يا اماه.. مع كل ضربة فأس كانت الشظايا تتطاير نحو احضاننا.. شظية لي، واخرى لمحمد، وغيرها لفرهاد، وشيلر وشيرين وباكيز.. ثم لك انت.. كانت الشظايا تتوسل بنا وتستنجد لانقاذ حياة الشجرة.. لم نستطع.. لم نستطع، الليلة نفسها.. ليلة قطع الشجرة، كانت ليلة بلوغي.. او ليلة احتلامي كما تسمينها انت..! ولكن اي احتلام؟ اماه لقد حلمت بـ"نازى"، بعبير صدرها ونهديها الفتيين، وبشذى جسدها، لم اكشف عن السر ذاك.. وكان ذلك بمثابة انتقامي منك، لانك الليلة نفسها استسلمت له ونمت مع عزرائيل، وحين بزغ النهار، لم اكن اعلم الشكر الشيطان ام العنه لانني اكتشفت سر عزرائيل، عار لك يا اماه.. يا لاكاذيبك القبيحة، نحن نخجل من كوننا اولادك، ونخجل امام روح الشجرة، وكنت غير وفية لنا ولها، بعد الليلة التي اتاني فيه الشيطان في ثوب "نازى" وافض مضجعي حتى الفجر.. لم اسرك بالبشرى تلك.. حرمتك من ذلك الفرح، فرح بلوغي سن المراهقة، فرح توزيع الحلوى على الجيران والاقارب احتفاء بالمناسبة تلك، كنت دائما اخفي عنك ملابسي الداخلية القذرة الصفراء.. بدأت شيعرات شاربي تظهر وصوتي يغلظ.. لكن برغم ذلك بقيت محتفظا بسري ذاك.. الى ان وجدت وبعد سنتين من ذلك بقعا صفراء على فراشي، فقلت: "لا.. لن اصدق.. فابني مازال طفلا..!".

وفي الليل عندما تمددت الى جانب ذلك العزرائيل.. سمعت تأوهاتكما المخزية تتحدثان عني:

"سمه.. لقد احتلم ابنك قبل او انه..".

لم يستطع عزرائيل المتعب ان يجيبك.. فكررت: "انه مازال طفلا.. هذه ايضا لعنة التين.. لعنة وكاشة..".

لم يجب بشيء.. تنفس طويلا.. كنت ارى سيجارته المشتعلة في يده، وكنت اسمع شخيره المزعج.. سمعتك تقولين له بصوت خجل: "لن انام معك من الآن فصاعدا.. هذا حرام.. اطفالك كبروا.. من الحرام ان ننام كلنا في غرفة واحدة".

لم يجبك، واخذ نفسا قويا من سيجارته فاضاءت ماحولها لبرهة، قلت له: "فلنبن ولو غرفة صغيرة الى جانب غرفتنا هذه".

ولكن بعد ماذا يا اماه.. بعد ماذا.." اني عرفت ان ذاك العزرائيل الذي كنت تتحدثين عنه وكان ينسل الى فراشك، كان والدنا، ذاك الذي قطع رقبة شجرتنا بقسوة طاغية، وفي نفس الليلة دخلت معه الفراش دون اباء، انك بسلوكك ذاك كويت قلوبنا، ذهب عنا النوم تلك الليلة وارقتنا هموم التين والعش والبيض والفواخت والارجوحة و (نازه) وماء الاوراق الميمون الشافي لجميع الجروح. نعم.. كنت تقولين لنا: "اولادي.. بناتي وابنائي الاحياء.. بعد ان اطفيء الفانوس اريدكم الا تخرجوا برؤوسكم من تحت اللحاف، لان ملائكة السماء تنزل بالليل وتجوب كل البيوت.. عزرائيل، اسرافيل، ميكائيل، رضوان شيطان.. ابناء الشيطان والعفاريت والارواح الشريرة.. فيما نحن نائمون، هم صاحون ويقظون.. يتجولون في البيوت دونما خجل او خوف".

سالتك مرة: "اماه.. اني اسمع في بعض الليالي همسات وانفاسا متقطعة وتأوهات.. اسمع اشياء كثيرة".

"ابني.. احذر ان ترفع اللحاف م على رأسك، هو عزرائيل بعينه، انه تواق لقبض الارواح.. احيانا يمر من بيتنا.. انهعم يخترقون حتى الجدران والسقوف".

"اماه.. اذن من هو ذاك الشبح الذي اسمعه ليلا يتمشى في غرفتنا حينا ويشرب الماء حينا آخر ومن ثم ينسل الى فراشك؟".

"انه هو بعينه يا ولدي.. عزرائيل.. قد يتعب احيانا ويريد ان يأخذ سنة من النوم".

آه.. يا امنا الخادعة، ففي اليوم التالي.. لابل الليلة نفسها عرفت ان عزرائيل الذي كان يقاسمك المخدع منذ ليلة قطع شجرتنا كان والدنا بعينه.. والدنا العصبي.. ذا المزاج الدموي.. والدنا الذي قتل الشجرة لاننا نحبها.. وسفك دماءها الصفراء..

كان يجب الا تفعليها يا اماه كان يجب الا تفعليها.. اني اكتشفت خيانتك، اكتشفناها كلنا.. من ماكان بوسعه ان ينام..؟ عاد الى البيت في وقت متأخر من الليل.. فتح باب الغرفة، فانثال علينا ضوء القمر، أتى بفأسه من الباحة الى الغرفة، كان الفأس يلمع تحت الضوء الفضي، اغلق الباب من ورائه، فخرج الضوء مرة اخرى من غرفتنا، اسند الفأس الى الباب بصمت، اصابنا الهلع، حيث خشينا ان يقطع بقابنا الدقيقة كرقبة الشجرة.. بدانا نقترب اكثر من بعضنا ونتكوم تحت اللحاف، اللحاف البالي والمليء بالثقوب، قلت له ونبرتك تشبه نبرة شخص يكاد يختنق: "لم لم تنم في الحانة.." انه حينما ينفعل ويبدا بضربك وضربنا، او حتى حينما اراق دماء الشجرة، كانت الشهوة لا الدم تجري في عروقه، اني عرفت ان الشبح الذي كان يداهم غرفتنا في مئات من الليالي السابقة ويفزعنا كان ذاك العزرائيل وليس العزرائيل الحقيقي.. اذ ما الذي يفعله عزرائيل في هذا الهزيع الاخير من الليل في الحانات والمقاهي..؟ نزع سرواله بصمت، ومن ثم قلنسوته.. فيشماغه.. لم اكن ارى شيئا، بل اسمعه من تحت اللحاف، واعرف انه عزرائيل ينزع ملابسه، ثم ذهب وبدأ يبول عند باب الغرفة، وكان خرير بوله في هذا الهزيع من الليل الصامت يشبه هدير جدول في واد صغير. كنا دائما نرى مع كل صباح جديد آثار بوله عند الباب، يبدو ان عزرائيل يبول ايضا، خرجت منه ضرطة تردد صداها في الغرفة، شعرنا بخجل شديد تحت اللحاف بحيث بلل العرق ظهري، ثم بدأ وعلى مهل بالاقتراب من مخدعك، رأيتكما من عيني اليسرى من ثقب في اللحاف، لا، لا تتكريها يا امنا الجانية، كيف ابحت لنفسك ان تفعليها.. لم يتركك.. همهم ثلاث مرات: "لاتديري ظهرك الي.. يا مريم..!".

اجبت حزينة: "لم قطعت الشجرة..؟".

-"لا تديري ظهرك.. فغدا هو يوم الجمعة"

اجهشت في البكاء.. بالدموعك الحاضرة.. قلت له بصوت خانق: "لم يأكلوا حتى عشاءهم.. فلتعم عيناي..".

"لاتثيري اعصابي فاقطع جميع اشجار حارتنا.. كوني امراة طيبة واديري وجهك لي".

"سيلعننا وكاشة.. و.."

"كم كان الاطفال سعداء بها"

"غدا جمعة.. خطيئتك هذه وانت مديرة لي ظهرك اكبر من خطيئة قطعي الشجرة".

"ضحيت بتلك التينة المباركة لذاك الكرم العقيم".

"غدا.. هو الجمعة.. كوني.. امر..اة.. طي.. بة..!" يا لجبنك يا اماه.. خدعك بكلماته المعسولة، وخيم صمت قاتل ومثير للاشمئزاز على الغرفة، صمت الخيانة، صمت الفضيحة، وكان نسيم سيء النية يتلاعب باوراق التين الميتة في الباحة يكتسحها.. ويكومها في الايوان وعلى مقربة من باب غرفتنا، كان حفيفها يحفر في نفسي جروحا غائرة، ولكن اوراق كرومه اللعينة كانت تتمايل وترقص فرحة بالرياح.. بعد دقائق قليلة من بكائك بدأت تتأوهين وتزعقين.. لا.. لست انا يا اماه.. لست انا.. بل ضوء القمر الباهر هو الذي هتك سركما.. تلك الباقة من الضوء التي كانت تنسكب عليكما من الكوة الواقعة فوق باب غرفتنا، ولقد ازالت حركاته الكثيرة اللحاف من فوقكما.. آه يا اماه.. ماالذي رايته..؟ ماذا رايت..؟! وما الذي اراه..؟! الخيانة.. الخيانة.. الخيانة.. بالزفراته الدنسة، بالصفرة اسنانه التي سممتها السجائر.. خيانة ليلتك في قلبي جرح لايندمل.. شرخ عميق في روحي. كنت تبكين ويقلبك هو في مخدعك حسب هواه، خشيت ان تخرج عيني اليسرى من محجرها من هول مارأيت، خشيت ان تختنقي تحت ثقل جسد عزرائيل.. لا هذه ليست امنا.. امنا لاتحتضن عزرائيل في ضوء القمر.. لاتعانقه، امنا لاتدير ظهرها لنا.. لا.. اماه.. نحن اطفالك تلك الليلة الخائفين، كم كنا وحيدين.. امتلأت عيناي بالدموع.. ومن بين دموعي رايتكما شبحين.. سمعتهم يبكون ايضا.. كنا نضغط على حناجرنا لئلا تخرج اصواتنا.. ثم بدأنا انا ومحمد وفرهاد وشلير وباكيز نضغط على حناجرنا.. بعضنا البعض.. كنا على وشك ان نخنق بعضنا حسرة على فعلتك تلك ونموت كشجرتك، واخيرا رفع رأسه.. ومن ثم بجسمه العاري كافعى كبيرة.. ثم قال بكلمات متقطعة:

"مريم.. اسمع. بكاء.. احدهم".

اجبته: "لاشيء.. ربما يحلمون بالشجرة".

يالتلك الليلة التي لم تنته، منذ تلك الليلة.. منذ ذلك اليوم.. ابناؤك وبناتك لايجرؤن ان ينظروا الى بعضهم، يشعرون بالخجل، نحن خجلون، خجل قاتل يساورنا دوما.. امنا الطاهرة تضاجع عزرائيل، منذ تلك الليلة مرة اشكر الشيطان واخرى العنه لانه عرفني بعزرائيل.. عزرائيل الذي اختلطت انفاسه القذرة طوال ليال كثيرة بانفاس امنا النقية، ونحن نلعنه في السر، نلعنه على قتله الشجرة في ذلك المساء، نلعنه على فعلته تلك الليلة.. بالخطيئة تلك الليلة.. الخطيئة الكبرى.. ليلة الامهات الناكثات العهد، ليلة الامهات الجميلات.. الغارقات في العطف والحنان.. الغارقات في الاثم.. المليئة قلوبهن بالهموم.. الامهات الخزينات.. الحزينات.. الحزينات.

من مطبوعات دار سردم



"الراهن" ساكن وهامد
قصائد للشاعر اوكتافيوباز
ترجمة عن الانكليزية : اديب نادر



حوار مع الشاعر العربي الكبير
محمود درويش
ترجمة : جمال غمبار



مدينة تسافر إلى المجهول

حسب الله يحيى- بغداد

يسافر أبناء المدينة، مثلما تسافر الطيور... أسراباً أسرابا... أبناء المدينة... يسافرون دون رغبة...

والطيور بأسرابها تسافر، وهي تعرف أوطانا أخرى تستقبلهم بكرم... أما أبناء المدينة، فهم لايعرفون إلى أين يستقر بهم المقام وليقيموا هناك... ولكنهم اثروا السفر حتى لايظل الحزن والقلق يخيمان على حياتهم...

السفر رحلة ممتعة، تعرفنا بالناس وطبائعهم ومشاربهم ونمط تفكيرهم وأسلوب حياتهم والطبيعة التي يتآلفون معها... من أجل هذا وجد السفر... وتعددت الأوطان..

أما أن تسافر مدينة بأكملها.. فذاك أمر غريب... سمع قيصر المدينة، بأن السكان يسافرون جماعات، جماعات.. فأصدر أمراً منع بموجبه السفر...

إلا ان أبناء المدينة، لم يأبهوا بأمر القيصر، وراحوا يتسللون عبر الحدود..

ومع أن عدداً من المسافرين قد القي القبض عليهم وتم إعدامهم لمخالفتهم أمر القيصر بمنع السفر... إلا أن عيون الحدود كان حلم الجميع...

نقلت الأخبار إلى القيصر... بحذر شديد خشية غضبه..

وفوجئ أبناء المدينة بقرار جديد يمنح الناس بموجبه حرية السفر وما أن بزغت أول معالم الفجر، حتى كانت أمام دائرة السفر طوابير طويلة من الناس تعد الأوراق والصور لأنجاز معاملة السفر بعلم وموافقة القيصر..

وأمام موجات البشر التي تجمعت عند بوابة دائرة السفر، توقف السير، بعد أن قطعت الشوارع بأكداس من البشر.. سمع القيصر بأن المدينة كلها تعد نفسها للرحيل..

فكر في الأمر طويلاً، واستمع إلى رأي مستشاريه قال أحدهم للناس أموال كثيرة، يريدون أن يتمتعوا بها أنفسهم في الخارج.

قال آخر: البعض يريد استثمار أمواله في الخارج، وذلك سيعود للبلاد بفوائد ويقوي قيمة العملة النقدية المحلية..

قال ثالث: هناك عدد من الطلبة يريدون الحصول على شهادات عليا في الخارج وسيعودون إلينا بخبرات عالية.

رابع قال: السفر، يعني أن هناك حركة تجارية نشطة.

خامس أراد أن يقول(الهواء هنا فاسد) وهم يبحثون عن هواء نقي في أي مكان من العالم، إلا انه كتم قوله في آخر لحظة وحين سأله القيصر عن راية قال أنها نعمة القيصر على شعبه... نعمة تجعل الناس يسافرون للمتعة لاغير..

سأله القيصر غاضباً وهل هم لا يتمتعون هنا؟

- بالعكس... بالعكس يا سيدي القيصر.. نعم مولانا لاتعد ولا تحصى على أبنائه.. بحيث تحولت الحدائق العامة إلى معسكرات لحماية كل مواطن.. وصارت المستشفيات غير تقليدية، تجعل الكل يدعون المرض، لن المعالجة مجانية.. بل وضعت ضوابط للمعالجة وحددت أجور مرتفعة، حتى لايفكر أحد بوساوس المرض... فالكل أصحاء والحمد لله..

وتكفلت دولة مولانا القيصر بحماية الحرية الشخصية، وذلك عن طريق منح الجميع حرية أطلاق لحاهم.. ولم تعد تستورد من الخارج إلا كمية ضئيلة من أمواس الحلاقة، لئلا يجرح الشبان ذقونهم..

وجعلت لكل فرد من أفراد الأسرة حق محدود في تسلم المواد الغذائية التي يحتاجها، ذلك انه ليس من المعقول أن تنحو وتكبر فراخ الدجاج ويصبح لها وزن ولون موحد، ولا يكون للبشر هذا الكمال..

نحن دولة متحضرة... سيدي القيصر.

سر القيصر بإجابة مستشاره الخامس، وأمر له بسارة فخمة وعطايا مادية كبيرة.... فأغتاظ بقية المستشارين، وراحوا يفكرون بأساليب جديدة... تحقق لهم ما تحقق لزميلهم، نظم أحدهم قصيدة، ونشرها في الصحف وقراها في الإذاعة والتلفزيون... وألف الآخر كتاباً يفسر النهج الفكري المعمق للقيصر... وأنجز ثالث نصباً ضخماً وضع وسط المدينة بعد أن أعطى مكافأة حسنة للفنان الذي أنجز النصب..

رابع.. تبنى أبناء وبنات، وأطلق عليه أسماء أبناء القيصر اعتزازا به وتيمناً بكرمة وحسن تدبيره..

تفنن كل واحد بابتكار خاص.

فرح القيصر... بكل هذا..ولم يخب ظنهم فيه، فقد أجزل لهم العطاء واعتبرهم من أصدقائه الذين حدد لهم امتيازات خاصة بموجب القانون.

ولكن.. مع كل ما سمع ورأى، بقي القيصر قلقاً، متسائلاً عن الأسباب التي تكمن وراء هذه الموجة من السفر اليومي إلى بلدان عديدة.

وقرر أن يعرف الأسباب بنفسه..

غير شكله وملبسه، وجعل في حمايته عدد من الثقاة الشجعان الذين يأتمن دفاعهم عنه بدلاً من أنفسهم..

ووقف مع جمع من الناس الذين يعدون أنفسهم للرحيل.. ينتظر... إلا انه كلما كان يتقدم.. يجد من يسبقه يترك موقعه، ويهمل فكرة السفر..

وتعددت الرغبات..انتقلت كالعدوى... راح الكل يهمل مكانه، ويمزق أوراق يفره عجب القيصر من هذه الظاهرة الغريبة... وسأله نفسه، ربما عرفوه، واحتراما له تركوا له المكان لينجز معاملة السفر... ولكن...أذا كانوا عرفوه، فهل من المعقول إلا يحبونه ويقبلون يديه؟.

استعان بأحد مرافقيه وسأله: لماذا يغادر الناس هذا المكان... لماذا أهملوا فكرة السفر..

أجاب المرافق الأمين: احتراما لك سيدي القيصر، احتراما لتواضعك... فأنت لاتميز نفسك عن أي مواطن.. وهذا دليل على عدالتك ومساواة نفسك بالجميع. هز القيصر رأسه، وقد ارتاح للإجابة...

- بالتأكيد.. كل مواطن هو قيصر من موقع عمله ومسؤوليته، إلا أن شكاً غريباً ظل يلح عليه ويسائله، ويطلب إليه الاستمرار في التجربة...

أقترب من شباك إصدار جوازات السفر... قدم أوراقه بكل هدوء...

سأل الموظف قيصر: نحن لا نتسلم الأوراق إلا من أصحابها... فهل أنت صاحب هذه الصورة؟

قال قيصر: بكل ثقة... نعم... نعم...

تنبه موظف الجوازات إلى أن هذا الصوت يعرفه... يعرفه جيداً قبل أن ينظر إلى صاحبه... نهض على عجل، وحدق في وجه القيصر... وأنحنى:

- عفواً... عفواً سيدي القيصر... أنت تشرفنا..

- ضحك القيصر وسأل: كيف عرفتني؟

- - صوتك، صوتك يا سيدي... نبرات صوتك العندليبية...ابتسامتك، وملامح وجهك...ما أعظمك يا سيدي، أنت مثل أجدادك... تتنكر حتى تعرف هموم الناس بنفسك... دون حاجز أو وسيط..

- قال قيصر:

- -أسألك... كم عدد المسافرين يومياً..

- آلاف سيدي القيصر، هل آتيك بأرقام دقيقة لعدد المسافرين يومياً..؟

- - لا... لا..

- ماذا تعني بلا أحد..؟

- سال القيصر بحزم..أجاب الموظف بحذر..

- سيدي القيصر... ما دمت على سفر.. فلن يفكر أحد بالسفر.. أن أحداً لا يريد أن يساوي نفسه بك كيف يقال على واحد من الرعية أنه مسافر... ثم يقال معذرة يا سيدي- القيصر على سفر..

- سافر سيدي سافر... لن يزاحمك أحد على السفر... لن يسافر أحد من سكانها يريد السفر... عندئذ قرر هو الآخر... أن يبق...

وحين انتشر خبر بقاء القيصر، وأنه قد ألغى سفره...

أندفعت موجات من البشر ثانية إلى شباك الجوازات... وكل يؤمل مناه بالسفر إلى المجهول..

أحتار القيصر في اتخاذ قراراته:

مدينة ترحل بقرار منه...

مدينة يتسلل أبناؤها عبر الحدود... بقرار صادر يمنع بموجبه السفر.

مدينة تبيع كل ما تملك حتى تسافر قابلة بشروط السفر..

- قال قيصر في نفسه:

هذه مدينة خائفة نمن البرق أو الفيضان...

مدينة ضجرة من برامج التلفزيون ومن فوز فريق رياضي... ودعي كل المسؤولين لمعالجة الأمور وصدرت على الفور قرارات حاسمة تقضي بما يلي:

١- إصدار نشرة مقروءة ومسموعة ومرئية معنية بالأنواء الجوية..

٢- تحويل كل برامج التلفزيون إلى ندوات وإرشادات..

٣- إصدار أمر بإعادة المباراة وجعل الفريق الآخر يحصل على تعادل مع الفريق الخصم..

٤- والموافقة بالإجماع على زيادة الإنجاب..

وفي الصباح.. كانت الأهازيج واللافتات والهتافات تملأ الشوارع تأكيداً وتأييداً للقرارات العادلة..

واحد.. واحد فقط ظل يسأل: هل سافر القيصر...؟ لكن أحد لم يجبه على سؤاله... وإنما امتدت إليه يد خشنة... وراحت تجره مثلما الشاة..



حديقة الضفادع

قصة: ناكو كريم معروف

ترجمة: كاوه حسن محمد

بعد انتظار طويل جلسنا معا وبدأنا بسرد الحكاية، قبل رؤيته لأول مرة، كنت قد سمعت الحكاية من فم لفم، ومن الاجدر ان اقول انهم سردوها علي، يقينا ان هؤلاء الذين يقصون لي الحكاية.. كانوا يريدون ان يحكوها كما حدث، مثلما كان، مع كل هذا كنت اعرف جيدا، لا تلك النساء العجائز في زمن المجاعة ولا هؤلاء الرجال العجز الذين رجعوا خلال الحرب العالمية الاولى من جبال القفقاس، عندما كانوا ينوون ان يقصوا علي الحدث، لايعلموا عن الحدث ولا يعرفون مصدره كيف وقع واين كان؟

في كثير من الاحيان حين اصغي اليهم، كنت افهم انهم يريدون، امدادي بأدق التفاصيل كي يقنعوني كم هم صادقون في سرد الحكاية، اثنا حديثهم كنت اشعر انهم يقعون في خطأ فظيع دون ان يدركوا بذلك، لم يكن هدفي، البحث عن الحقيقة التي نسيت، بل اردت ان اعرف.. الحلم والخيال يمنح اية مكانة للحقيقة، ولانهم لم تكن لديهم اية حقيقة حين يحكونها لي كان اشبه بفاكهة لا طعم لها ولا رائحة. كأنها في ارض وثرى الاطلال، تنتظر الاخضرار مرة اخرى، او كأني ظمآن وجائع ولم يبق هناك شيئا، سوى اكل التراب.

عندما رأيته لاول مرة كان جالسا وسط الحديقة والتي كانت تسمى (حديقة الجنة). ويحكى انه.. قبل مجيء البريطانيين كانت هذه الحديقة مقبرة للذين جربوا استعمال جميع محاليل الفواكه والاعشاب الطبية والنباتات لشفاءهم من وباء الامراض، ناهيك عن الذين كانوا يواجهون رياح الشيخوخة والمنية. في ايام الاربعاء يذهب الناس الى هناك من كافة الاماكن، وفي احيان كثيرة تشاء الصدف وسط زحمة الناس، ان يظهر ملك وينادي عاليا: ايتها الارواح المقدسة.. اوهبيني روحا جديدة.

ويقال ان "في الازمنة الغابرة قبل ان تلعن تلك الارواح المقدسة، وتنزل النمل عليهم غضبا وقهرا كالمطر الاسود، عندما مر من هنا صدفة احد التجار العرب متجها نحو بلاد الفرس، بعد عودته بعدة سنين استغرب، فقبل رحيله كيف كانت الحديقة؟ لم يتغير اي شيء من عناصر ونوع الحياة، شاهدها كما هي. وكأنما الزمن لم يدرك بان هناك مكانا للحلم في الحياة لم يطأه الموت والشيخوخة".

ويقال ان: التاجر العربي الذي كان وقورا وناصعا محدثا نفسه قائلا: "يا لها من جنة خلابة.. يا له من حلم عجيب..؟!" لامعانه الجم بذلك المنظر، حتى تحول في نفس المكان الى شجرة. يقال: "في اسفل الحديقة، ومن الجانب الآخر بمسافة قليلة بمحاذاة ذلك الزقاق الذي يمر به المكفوفين فقط اثناء المساء، توجد شجرة يتغير لون اوراقها الى صفراء اكثر من مرة ليس خلال مواسم السنة، فحسب، بل بين ليلة وضحاها وخاصة في منتصف الليل كأنها بدل الاوراق تثمر نجوما..".

الى حد هذه اللحظة وحتى الارواح المقدسة لم ولن تعرف اصل هذه الشجرة من اية سماء او اي ارض جاءت، تماما كما قال لي الرجل: (اسم هذه الشجرة لم يدون في اي من الكتب التأريخية حتى (ابن النفيس) نفسه لم يذكره، كان الرجل مندهشا عندما كنت انتظره جالسا تحت اجمل الاشجار في الدنيا، شجرة من دون ان تثمر شيئا، كنت جالسا تحت تلك الشجرة التي اطلق الرجل عليها اسم (شجرة العربي).

حينما رأيته في ذلك الوقت كان جالسا، لعله كان متعبا، تعب من ذلك الدهر الذي لن يشفى منه بمئة عام من الاحلام، عندما وصلت اليه.. كان يقرأ في تلك الصحف التي تترق الى قتل الاخوة (١) ومن خلف نظاراته السوداء كان يتمعن بشغف الى الجمل والكلمات متصفحا بها، بجلوسه وانتظاره اظن انه بقي هنا ليسرد لي الحكاية، هو الوحيد الذي يستطع ان يحكيها، برغم ذلك كان هناك اناس من قبله دون ان يعرفوا سطرا واحدا من الحكاية، قضي نحبهم بكل هدوء وكأنهم لم يخلقوا، (عجيب هؤلاء كيف يموتون من دون ان يقصوا حكاية، حهاية واحدة فقط، لاغير)..!

بدون القاء التحية اتجهت نحوه، ولبضعة لحظات جلست صامتا، من غير ان يعرف من انا ولماذا ابحث عنه، من دون ان يلتفت الي اثناء تصفحه، تمتم محدثا نفسه: الكرد يحاربون بعضهم.. في سابق عهدهم كانوا هكذا ايضا..!

ووجدت هذه الفرصة سانحة لكي اقول (انا ذلك لا الطفل الذي بقيت اربعة عشر يوما داخل رحم امي ميتا، وجميعكم ظننتم بأنني ميت).

نظر الي.. وكأنه يتمعن لآخر مرة الى ميت، او كأنه لايصدق بعد ربع قرن من الزمن، ان يعود رجل ميت ويتكلم.

شعرت بان وجهه مغطى بخوف مخفي، كنت اعرف انه سوف يسألني كيف وبأية طريقة عثرت عليه، لهذا قلت له: (عدت لانني اردت ان اقول لك بأنني لست ميتا، امي قالت لي كل شيء..؟)

مرة اخرى نظر الي بارتياب، كررت عليه واضفت:

(انا ذلك الطفل الذي تركته وحيدا..).

بعد برهة محدثا نفسي:

(امي كانت تحبك.. ماكان هليك ان تتركها)

بعد فترة صمت طويل، وكأنه مشكوك من حديثي، اردف قائلا: (اعرف كل هذه الاشياء.. ولكن كيف وجدتني في الوقت الذي..)

احسست بان شكل حديثه تغير،/ وكأنه كان يتحدث امام مواجهة حتفه، واراد ان يكمل كلامه، ولكنني قاطعته واضفت:

(عن طريق الحكايات.. الحكايات هي التي اوصلتني اليك.."

تحت تلك الاشجار البالية والتي ترعرعت بذرق الطيور، رأيت بعض الطيور لعلها اصيبت بطريق الصدفة برصاص الاقتتال الكردي، باجنحتها المتكسرة ودماءها الدافئة المنهمرة التي انغمست بالاحجار الصغيرة والتراب المتوقد والحشائش الشوكية، تمتم الرجل قائلا:

(تلك الايام كانت بهذا الشكل ايضا، لكي ننسى الماء كنا نلتف حول جرح آخر..)

شعرت من حديثه، انه ينوي العودة بشكل مفاجيء الى سالف عهده، ليقنص دريئة في اعادة احياء ذكريات تلك الايام، وكمشقة عتمة الادغال جثمت فوق انفاسه وعلقمت احلامه.

في ذلك الشهر لم يتوقع ان تهب الاعاصير، وعلى حين غرة هبت رياح قوية، رياح حارة تفوح منها رائحة احتراق الشجر وعكب البحار الساخنة، ريح تلهب الحمم من العيون، كل الصور المحيطة كانت على شكل سراب بعيد، مثل حلم متقطع مفاجيء، ولم يكن هناك اي تفاوت بين المكان والالوان، في صورة عكب متارجحة في مهب الريح.

في ذلك المكان، كانت ظلال العزلة القاسية.. الشجرة الوحيدة المنسكبة علينا وتراؤى لي الرجل محلقا كالورقة.. الشجرة الوحيدة المنسكبة علينا، وترائى لي الرجل محلقا كالورقة في العاصفة، كان منهمكا في نبش اوراق ماضيه القديم، بين فترة واخرى عندما كانت عيناي مغوشة بين النور والظلام. كنت ار الرجل منشغلا في قراءة تلك الرسائل، التي كانت في زمن ما.. قبل اشعال فتيل الاقتتال الكردي ووصول اول طابع لهم والذي كانت عليه صورة خنجريين ملطخين بالدماء، كان هو ساعي البريد الوحيد في المدينة، والذي يحمل آلة التصوير متجولا من زقاق الى زقاق ومن قرية الى قرية ومن مدينة الى اخرى، ويعرف عناوين كل الذين ترسل لهم الرسائل من الاماكن النائية، كانت طبيعة الرجل بهذا الشكل، مع ارسال اية رسالة، يلتقط مع صاحبه صورة، ولهذا خلال تلك السنوات، ومن دون ان يشك به شخص ما، خبأ الكثير من الصور والرسائل، في حقيبته السوداء والتي تعتبر من ذكرياته المقدسة ومن واجبه حمايتها من الضياع.

خلال فترة وجيزة تطلعت للصور، مع قلب كل صورة من الصور كان يقول لي باستمرار (احذر.. ان لاتصبح بين يديك ترابا).

بعد فترة سألته: (غريب.. ليست فيها صورة امي!).

بدون ان يتطلع الي، اخرج من حقيبته السوداء آلة التصوير واردف قائلا ببرود: (تحطمت عدسة التصوير وسط مشاجرة الاطفال بالحجارة، وهذه هي الصورة الاخيرة؟!) مرة اخرى تمتم محدثا نفسه: "بعد ان تحطمت عدستي، اصبحت مكفوفا). في الجهة المقابلة كان هناك حوضا دائريا، لعله منذ زمن طويل لم يصب منه ماءا نقيا، مثلما يقال (المطر هو الذي يملأه) في ذلك المستنقع الصغير، كان هناك بعض الاطفال الذين ابعدوا من الاقتتال الكردي، يرمون الحجر عن قرب ويتلذذوان من تلك العلاقة مابين الحجر والماء، انهم مستغربون من صلابة الحجر والذي ليس باستطاعته جرح الماء. قفز اثنان منهم وسط الحوض كانوا يسبحون مثل (ابو ذنيبة)(٢)، وتحت اشعة شمس النهار اصبحت جلود اجسادهم وعيونهم الطحلبية تلمع كالمرآة، وفي بعض الاحيان عندما كان الاطفال يعومون تحت الماء، كان الاطفال الآخرين يصخبون، واحيانا يرشقونهم بالحجارة، في هذه الاوقات واللحظات.. كنا محظوظين لان كل شيء يدور في فلك السكون والاسئلة والتأمل، عدا نقيق الضفادع ذلك الصوت السحري، حين نسمعه في بعض الاحيان، والذي حطم هدوء وسكون ماء الحوض، يقال انه (منذ ان اندلع الاقتتال الكردي، في الليل تعودون الضفادع الى هذا المكان) والذين كانو محايدين من هذا الاقتتال، اطلقوا على اسم الحديقة (حديقة الضفادع).

بعد ان هدأ ضجيج الاطفال، لايزال الوحشة والخوف والشك طاغيا على اجواء الحديقة، امست الشمس على وشك الغروب، عندما ظهرت بقعة سحابة شاحبة فرشت مساحة الحديقة، ان الطريق العام الذي كان يمر وسط المدينة.. قد منع بشكل يومي، خصصت لسيارات الاسعاف لنقل المقتولين والمصابين، مازالت دماء المصابين المهدورة وبقع دماء المقتولين الجافة واماكن سقوط الصواريخ البعيدة المدى، بقاياها موجودة.

في هذه الاثناء عندما وصل الاقتتال الكردي الى التلال العالية وبين الصخور، فان الكثير من اشجار الحديقة كانت تحترق بكل هدوء، النسيان الذي يعتبر جزءا من الذكريات والوثائق لتلك الاحداث الغير المتوقعة، ليس في الوقت الحاضر، وليس لاول مرة يواجهون فيها الاقتتال الكردي وحسب، بل ان كل شجرة من اعماق جوراحها ومن سطوع النور وبأيادى من دماء كتبوا حكاياتهم. يقول احد العرافين. سأل ضفدع احدى الاشجار لماذا انت وحيدة..؟

اجابت الشجرة وكان عودها واغصانها مفحما:

(حكاية الكرد.. لاتنتهي..!).

من هنا وهناك.. بين اونة واخرى سمعت عدة اطلاقات رصاص، لقد دنى وقت الغروب، الرصاصات النارية(٣) كانت كنجمة الشهاب تطل في سماء السهول البعيدة للمدينة حين تجتاز حقول القمح وينتهي مطافها كجسد بارد.

في هذه اللحظات رأيت جسده الهزيل مخبئا في معطف اسود، وحقيبته السوداء على جنبه، لعله قبل مجيئي يبحث عن شيء ما، لانها كانت مكشوفة.. ان يغلقها، ومن جانبه الاخر علق مظلته التى كانت عروتها مصنوعة كالمعصال، على طرف كرسيه، في تلك الامسية كانت كل الاشياء سوداء امامي. حتى لون تلك الرصاصات اتي تنطلق بعيدا الى مكان مجهول اردت العودة ولو للحظات الى ايام الطفولة واحلامي المتمردة، بلاريب سيكون مصيري بهذا الشكل، (في كثير من الاحيان وفي مواجهة اقبح المناظر، كنت ارسم اجمل صور طفولتي في خيالي، بالضبط الآن، بدون ان اتخذ اي قرار، تأخذني الاحلام الى وسط حقول القمح لابحث عن الرصاص، عندما اجدها كنت اضعها في صفيحة معدنية او احملها معي، واذهب الى احد الزوايا واحرقها من دون ان يكشفني اي شخص وكنت اتلذذ من تلك الاصوات وطقطقتها التي كانت تحرق احشاءهم، يا له من اشتياق عندما كانت تنفجر وتصبح سوداء.. سوداء) الآن بعد مرور ربع قرن اقف امام نفس اللحظة، بتصوري اذا كان هناك اي اختلاف، فلم يكن ببالي على الاطلاق ان يأتي يوم نن الايام وواجه جرادا كبيرا بهذا الحجم، وان يثأر من كل ايام طفولتي، وهو ابي..؟!

في آخر النهار لم يتبق اي شيء، كانت الحديقة في عزلة قاتلة، لم تكن تشعر بأي صوت في بعض الاحيان ومن الجهة المقابلة.. من تلك الدروب التي كانت تؤدي الى الطرق البعيدة، نسمع صوت الاحذية وطقطقة عصا المكفوفين، الذين نجوا باعجوبة من كارثة حلبجة، وخوفا من صليل الاقتتال الكردي يسيرون بجانب الجدران، وكأن تلك القوافل تبحث عن مصيرها، ممسكين ايدي بعضهم الباردة. ومن امامهم تمشي فتاة خائفة. كأنها حبة قمح مضيئة، اوقدتها نار فجائية وتفحمت، بينما اكتسبت الفتاة نفس ايقاع خطواتهم، بين لحظة واخرى تتمعن في مرآتها المهشمة التي كانت بين يديها الصغيرة، (مثلما حكوالي لاحقا، انها الشخص الوحيد التي رأت بام عينيها الطائرات، من خلال مرآتها الصغيرة، ولكن لم يصدقها احد..!) من خلال المرآة توقف آخر انعكاس للاصيل، اشعة باهتة تضرب بؤبؤ عيني، واشعر بماء بارد يختلط مع لهيب روحي، وتهدل من عيناي، ومن وطأته اغمضت عيني، ووقعت تحت نفس شعور المكفوفين، حينما كانوا يمرون خلف الفتاة نحو مكان مجهول.

كلما ابتعدت قافلة المكفوفين، ازداد بريق المرآة الصغيرة، انهم يذهبون بعيدا، وانعطفوا نحو زقاق وتواروا عن الانظار.. ومن مستوى بصري، بعد رحيلهم لم يبق هناك شيئا كي يصبح رمزا لتأجيج احلامي وخيالي.. تمتم الرجل محدثا نفسه: (لا اعرف).

قلت له: (لا اعرف.. ترى ماذا سيبقى بعد رحيلهم!)

لم يبق شيئا.. سوى اشراقة لبريق احمر، على سيماء الرجل كشمس صغيرة متلألئة.

لعله غير منتبه الي، او انه يعلم كل شيء ولا يريد التكلم، او انه يعلم كل شيء ولكن الايام جعلته، يتلاعب لغويا في احداث الحكاية.. انه يتغافل او يتهرب من تلك الاسئلة التي تتعلق بماضيه وبتان وكأنه لايرغب ان يسمعه شخص ما، قال لي ببطء:

(انا متأكد سوف يعودون)

اجبته بتردد:

(ربما يكون هذا ايضا سحر آخر)

خلال الحديث اشار بيديه الى المكفوفين، اشارة لربما كان يحذرهم بعدم تغير مسارهم، وان لايدنوا من الاقتتال الكردي، بعد ذلك تنفس الصعداء واضاف:

(المرآة عدو الكرد)

اردت ان اكرر عليه مرة اخرى، او ان اذكره (بانني ذلك الطفل الذي بقيت اربعة عشر يوما داخل رحم امي ميتا، وجميعكم ظننتم بأنني ميت) عند ذاك وضع يده على كتفي وقال (قم لنذهب) قال لي هذا، وانهمك بجمع امتعته.. وددت لو انه يضع يديه مرة اخرى على كتفي، لانني لاول مرة احسست بنشوة الابوة.

قلت له (دعني احمل لك حقيبتك.. لانك متعب..) ظهر الليل، داخل الحديقة كانت تفوح من الاشجار رائحة الزمن الغابر، لم يكن هناك اي حس، سوى بعض المشادات الكلامية البعيدة، التي كنا نسمعها من الكرد، كأنما الرجل يستمع الى شيء غير متوقع، اضاف قائلا: (دعك من ذلك.. لتبق الحكايات على ظهري)

لم يبق لنا الكثير، للخروج من الحديقة، ونسلك ذلك الزقاق الذي يأخذنا الى البيت، عن قرب استمعنا الى صوت هشم سكون الليل، بخوف وارتباك استدرنا الى الوراء، حيث رأينا المكفوفين يستغيثوننا منادين: (من ذلك الزقاق، اقترب الاقتتال الكردي..).

قبل ان نهرب كل منا في اتجاه ونتوارى لآخر مرة، من وراءنا سمعنا نقيق الضفادع، خوفا من الاقتتال الكردي، كانوا كحظن من النجوم المنسكبة، تتلألأ تحت اشراقة شهر آب.

الهوامش:

١-اشارة الى الحرب الداخلية في كردستان العراق ١٩٩٤-١٩٩٧ المترجم.

٢-ابو ذنيبة- صغار الضفادع المترجم.

٣-او الرصاصات الضوئية- يستخدم في الجيش للاشارة والكشف الكمين- المترجم.

المصدر: حديقة الضفادع- ومجموعة قصص اخرى- السليمانية ٢٠٠٢ للقاص: اكو كريم معروف، سلسلة كتب تصدرها مؤسسة سردم.

محيي الدين زەنگەنه حاصد الجوائز المنحاز للانسان

مثري العامي

في عام ١٩٦٨ صدرت مسرحية محيي الدين زنكنه الاولى المعنونة (السر) وكانت تبشر بميلاد كاتب مسرحي واعد رفد بعدها المسرح العراقي بالعديد من المسرحيات ذات القيم الفنية العالية والمضامين الانسانية المتميزة والرؤى الفكرية الواضحة واثبت كونه كاتبا مسرحيا مرموقا منذ ذلك التأريخ وعلامة بارزة في المسرح العراقي خاصة والعربي عامة حتى الان.

اصدر محيي الدين زنكنه بعدها العديد من المسرحيات اضافة الى مجموعة من القصص القصيرة ضمتها مجموعته (كتابات تطمح ان تكون قصصا) الصادرة في بغداد عام ١٩٨٤ اضافة الى الروايات المدونه ادناه:



١-هم.. او يبقى الحب- اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٧٥.

٢-ئاسوس- مطبعة الساعة بغداد- ١٩٧٦.

٣-بحثا عن مدينة اخرى -اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٨٠.

٤-الموت سداسيا -قصة طويلة مجلة الاقلام- ت ١٩٧٠/٢.

كما ان له مساهمات كثيرة من بحوث ودراسات نقدية وأدبية ومساهمات متنوعة اخرى. وبذلك اسهم اسهاما فاعلا في دفع حركة المسرح العراقي واضحى احدى علاماته واعمدته.

يكاد محيي الدين زنكنه يكون الكاتب المسرحي العراقي الوحيد الذي لم ينقطع عن العطاء الثر للمسرح وقد ولد في مدينة كركوك عام ١٩٤٠ وتخرج

من قسم اللغة العربية في كلية الاداب-جامعة بغداد عام ١٩٦٢.

لقد قدمت مسرحياته على مدار اكثر من ربع قرن العديد من الفرق المسرحية المعروفة في مختلف محافظات العراق اضافة الى تقديمها في سوريا ولبنان ومصر والجزائر وتونس والمغرب وبعض دول الخليج العربي وترجمت بعض مسرحياته الى اللغات الاوروبية وكتبت عنه دراسات رصينة في اقطار اوربية وعربية واعتمدت مسرحياته في العديد من كليات الفنون الجميلة واقسام المسرح بالذات وكليات الاداب واقسام اللغة العربية فيها.



وتثير مسرحياته النقاشات وتعقد حولها الندوات والدراسات يشارك فيها مختلف المبدعين من ادباء وفنانين ونقاد واساتذة كما حدث مع مسرحيتي (الاشواك وتكلم ياحجر).

لقد جرب محيي الدين زنكنه كتابة المسرحية باشكالها كافة من مسرحية الفصل الواحد والثلاثة فصول ومسرحية الممثل الواحد (المونودراما) التي لم يجرب الكتابة فيها الا القليل من الادباء العرب وبذلك اغنى المسرح العربي بابداعات لايمكن تجاوزها او التغاضي عنها وترك بصماته ظاهرة دائما وعمل على تأصيل الخطاب المسرحي العراقي بأشكال عمقت جذوره باعتباره احد مبرزيه.

اصدر محيي الدين زنكنه المسرحيات ادناه:

١-السر- مطبعة الغري النجف ١٩٦٨.

٢-الجراد بغداد ١٩٧٠.

٣-السؤال او حكاية الطبيب صفوان بن لبيب وما جرى له من العجيب الغريب- وزارة الاعلام- بغداد ١٩٧٦.

٤-الاجازة بغداد ١٩٧٧.

٥-في الخمس الخامس من القرن العشرين يحدث هذا- مجلة الاقلام بغداد ١٩٧٩.

٦-اليمامة بغداد ١٩٨٠ ثم طبعها ونشرها اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٨١.

٧-مساء السلامة ايها الزنوج البيض- بغداد ١٩٨١.

وقد ضمت هذه المجموعة المسرحيات التالية:

أ-مساء السلامة ايها الزونج البيض.

ب-العلبة الحجرية.

جـ-لمن الزهور؟!

٨-صراخ الصمت لاخرس- بغداد- ١٩٨٤.

٨-الاشواك- بغداد- ١٩٨٨.

٩-تكلم ياحجر بغداد- ١٩٨٩.

١٠-كاوا دلدار- الامانة العامة للثقافة والشباب اربيل ١٩٨٩.

١١-حكاية صديقين- بغداد ١٩٨٧.

١٢-الخارس بغداد ١٩٨٧.

١٣-هل تخضر الجذوع بغداد ١٩٨٨.

١٤-مسرحيات- من فصل واحد- وزارة الاعلام- بغداد ١٩٩٤.

١٥-العقاب بغداد ١٩٩٤.

١٦-رؤيا الملك- دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد ١٩٩٩.

نال كاتبنا احترام الكتاب والمسرحيين العرب ولعله قد عرف خارج العراق اكثر مما عرف في داخله، فمسرحياته تشكل العمود الفقري في بعض عروض المسارح العربية.

ومحيي الدين زنكنه وجد اهتماما من معظم المخرجين في مختلف الاجيال وذلك يعود الى صلابة ووضوح منطلقاته الفكرية التي هي منطلقات الكاتب المتمكن الامر الذي عمل دائما على ارساء علاقة ثقة تجعل اختيار نص محيي الدين زنكنه امرا يبعث على الطمأنينة لدى المخرج(١) ومسرحية السؤال اشهر مسرحية عراقية عرفت خارج العراق فقد قدمت في مصر (الاسكندرية) عام ١٩٨٦ وفي الجزائر ١٩٨٧ وفي البحرين عام ١٩٨٨ ولقد اخرجها المنصف السويسي المخرج التونسي وقدمها ضمن المهرجان الدولي للمسرح في تونس وقمت مسرحية (لمن الزهور) التي عرضت ضمن مهرجان بغداد المسرحي الاول عام ١٩٨٧ من اخراج عزيز خيون مسرحية (لمن الزهور) يمكن اعتبارها قصيدة شفافة مرهفة ترتفع الى نوع من الاستبطان النفسي والانساني في علاقة غريبه ومعقدة بين ام وابنها يمكن ربما اصطلاحا تقاربها من (عقدة اوديب) المشهورة لكن هذا الترميز النفسي غير محصور بالمعنى مما يفسح المجال لاتساع في الحركة بين الشخصين(٢)، وفي (لمن الزهور) تحس بعلاقة يميزها اقصى الحنان واقصى الالتباس(٣).

ويرى سامي عبدالحميد المخرج العراقي المعروف ان محيي الدين زنكنه كاتب مسرحي معطاء وان مسرحية (حكاية صديقين) تعجب القاريء والفنان بعمق مضمونها وقوة تركيبها وبنائها لوضوح الرؤيا فيها، وتتميز ايضا بان كلماتها تحمل انفعالا معها مما يخلق ديناميكية خاصة(٤) وتؤكد المسرحية ان الجشع يحيل حياة الانسان الى صحراء مدهشة قاحلة لاشيء فيها سوى الوهم والسراب والصبير والرمل فتحول الانسان الى حيوان مفترس يأكل اخاه ونفسه.

اما شيخ النقاد في العراق الدكتور علي جواد الطاهر فيقول ان صفة بارزة في منهج زنكنه شرعت تغلب عليه تلك الناحية النفسية فيما يثقل على الانسان فيستحيل كابوسا. وفيما يهرب من الواقع حلما حقيقيا او حلم يقظة او فيما هو عاطفة طيبة من انسان بسيط طبيعي (جريدة الجمهورية يوم ١٩٨٥/٧/٢٧).

ان المتتبع لمسرحيات محيي الدين زنكنه يشعر ان خيطا واحدا يشد هذه المسرحيات وان هذا الخيط يثير اهتمام الانسان.. هذا الانسان المسحوق اجتماعيا وفكريا الذي يحاول التخلص من تعسفية الذين يكونون دوما اصحاب قوة غاشمة وظالمة يعمل الانسان على التخلص منها بأي شكل من الاشكال نحو الحياة الافضل والاكثر اشراقا رغم كل ما يعترضه من عقبات ومصاعب حيث ينهض من الاستعباد ليضع سجانيه محله ويعكس على الذين يقفون تجاهه ويتجاهلونه اداته وصرخاته المخيفة ومحيي الدين زنكنه منحاز للانسان وقضياه العادلة دائما.

وهو منحاز للانسان ويقف بجانبه حيث يوضح ذلك صراحة منذ صدور مسرحيته الاولى (السر)، فيقول انني حاولت ان اقف بها حيث ينبغي على الجانب الآخر المناقض معلنا عبرها باعتزاز بالغ- ايماني الذي يتجاوز نفسه رسوخا وقوة وعمقا، كل لحظة بالانسان مناضلا، مقاتلا.. بالكلمة، وعيا.. ومسؤولية.. وسلاحا.. في معركة الانسان واللانسان.

ويمكن اعتبار مسرحية (الجراد) افضل مسرحياته انها مثل هجوم الجراد الاسود المليء بالسم على مزارع الخير مما يجعل الانسان يناضل لكي يقضي على الداء الوبيل وليحصد زرعه ويتخلص من هذا الوباء اللعين الجراد.

ان مسرحية (الجراد) تمثل نضال الانسان الشجاع والمستميت من اجل القضاء على الشر والعسف الاجتماعي وتكاد تكون هذه المسرحية متقاربة من حيث المضمون مع مسرحية جان بول سارتر المشهور (الذباب) الا انها تختلف عنها في طريقة المعالجة الفكرية تماما حيث ان لكل اديب وكاتب طريقته الخاصة في التعبير عن آرائه ورؤاه الفكرية في الحياة وبناء المجتمع وتطور الانسان وخلاصه.

يقول الناقد المعروف ياسين النصير عن مسرحية (الجراد) انه يمكن القول ان مسرحية الجراد اجرأ واعمق مسرحية ظهرت لحد الان في المسرح العراقي المعاصر فهي تقدم مضمونا ثوريا عاصر ويعاصر الانسان هنا او في اي مكان الان وبعد الان، كما تقدم شكلا يجمع بين حرفية المسرح واحتياجاته داخل الشخصية(٥). في اعمال محيي الدين زنكنه الاخيرة. لمن الزهور وتكلم ياحجر- نقص واضح للنفس الانسانية المعاصرة انه يعاني من ضغوط للعالم الخارجي مع ابطاله(٦).

ومهما يكن من شيء فان مرحلة كاملة من مراحل تطورنا الاجتماعي استطاعت ان تجد عبر كاتبنا من يكشف عنها ويعبر عن شوقها وطموحها. فلقد انحل في ذات الكاتب موجود (واقعنا الاجتماعي)(٧). في متابعته لحركة هذا الصراع ونموه الدرامي يتوفر الكاتب باصالة وعمق على تقديم نماذجه ورموزه فيرينا مواقعها من الصراع.

يخطو محيي الدين زنكنه خطوات اكثر ثباتا في مجموعته (مساء السلامة ايها الزنوج البيض) حيث يلج بابا جديدا في ابداعه ويتجه نحو مسرحية الفصل الواحد التي تتطلب معرفة ومهارة عالية في كتابة المسرحية والتكنيك المسرحي وانضباطا عاليا في التعامل مع الشخصيات وحركتهم مما يجعل الكثير من كتاب المسرح يعزفون عن الولوج في هذا الباب والابداع وتتعثر خطواتهم ويكون خطابهم المسرحي بعيدا عن الوضوح.

وفي مسرحية (في الخمس الخامس من القرن العشرين يحدث هذا) يتعامل بطريقة ذكية جعلت الاحداث اكثر ارتباطا بالواقع مؤكدا في هذه المسرحية على الصراع داخل الانسان كواقع وفعل تحريضي وابراز قيم واخلاق وسلوك الكثير من النماذج البشرية.

ويعتبر محيي الدين زنكنه حاصدا للجوائز اذ ان غالبية مسرحياته قد حصلت على جوائز تقديرية فمسرحية (الجراد) حازت على جائزة الكتاب العراقي

في مهرجان المربد عام ١٩٧٠ وكذلك نالت مسرحية (في الخمس الخامس من القرن العشرين يحدث هذا) على جائزة افضل نص عراقي للموسم ١٩٧٩-١٩٨٠. كما ان المسرحية (السؤال) نالت جائزة احسن نص عراقي للموسم ١٩٧٥/١٩٧٦. كما ان مسرحيته (العلبة الحجرية) نالت جائزة احسن نص في عام ١٩٨٨، وفي عام ١٩٨٩ نالت مسرحيته (حكاية صديقين) على شهادة تقديرية من وزارة الثقافة والاعلام ببغداد كما ان مسرحية (الاشواك) نالت جائزة احسن نص مسرحي عراقي عام ١٩٨٩ وهو ماحصلت عليه مسرحية (تكلم يا حجر) عن جائزة المؤلف المتميز عام ١٩٩٠.

محيي الدين زنكنه صوت مؤطر بالوطنية وهو واحد من اكبر الاصوات المبدعة في العراق والوطن العربي(٨) انه الكاتب المنحاز للانسان والحامل لهمومه.

الهوامش:

١-جريدة الوان- بغداد تصدرها لجنة المسرح العراقي العدد ٦ في ١٢/١٠/١٩٩٧.

٢-راجع ص ٣١٧ في كتاب المسرح العربي الحديث (١٩٧٦-١٩٨٩) تأليف بول شاؤول- منشورات رياض نجيب الريس- ١٩٨٩ لندن.

٣-ص ٣١٨ المصدر اعلاه.

٤-في مقابلة نشرت مع المخرج سامي عبدالحميد في جريدة الثورة ليوم ١٠/٢/١٩٨٨.

٥-من مقدمة مسرحية (الجراد).

٦-جريدة القادسية في ١/٤/١٩٨٩.

٧و٨-لمزيد من التفاصيل راجع جريدة الوان العددان ٦، ١٢ في ١٢/١٠ و ٦/١٢/١٩٩٧ وجريدة الجمهورية ليوم ٢٧/٧/١٩٨٥.



النزعة القومية

(التغيرات، النظرية، النقد)

تأليف: اكرم ميهرداد

من مطبوعات مركز الفكر والتوعية

سليمانية - ٢٠٠٦

مونودراما..

اصطياد فأر..!!

تحسين كرمياني

﴿..غرفة(٦×٤)م،شاحبة الجدران/مروحة من طراز قديم يتدلى من منتصف السقف/مكتبة خشبية بأربع أرفف تتكدس على أرففها كتب ومجلات بلا انتظام /اسفل الأرفف ثلاثة أبواب لكومدينات مغلقة/سرير غير منتظم الفراش في نهاية الغرفة/نافذة مغلقة بدرفتين/ساعة جدارية متوقفة/صورة عائلية لشاب وسيم مع امرأة شابة تحمل طفلة/مصباح إنارة/لوحتان زيتيتان على الجدران،واحدة على الجدار المقابل للباب،الثانية على الجدار المقابل للمكتبة/طاولة كتابة عليها حفنة كتب وأوراق وقلمين حبر ومحبرة..﴾

ملاحظة : يحق لمن يروم التعامل مع النص ترتيب موجودات الغرفة وفق ما يراه ملائماً لخياله..!!

***

..(تتحرك ملاءة فوق السرير لثلاث مرات قبل أن تنزاح،يظهر وجه رجل كهل،يدعك بباطن كفيه عينيه،يمسد لحيته،ينقل نظره صوب الجدار في محاولة استيضاح الزمن)،رباه للمرة الألف نسيت أنها ما تزال خارج الخدمة،(يمد يده اليمنى، يخرج جهاز مذياع بحجم كفين من تحت الوسادة،يحرك منظم الصوت،خشخشات تتعالى،يغلق عينيه،يتضح صوت نسائي جميل،يرفع نبرته بتدوير المنظم،تتسع حدقتا عيناه،يفغر فمه،ينساب

صــوت/..اقـــصى موعـــد لتـــسلم نـــصوص المشاركين../يستقيم من إنطراحته)،لابد من متابعة الخبر،خبر سار..سار جداً.. نهاية الخبر توحي بوجود مـــسابقة أدبيـــة،نعم مـــسابقة جـــاءت في وقـــت منقذ،رباه..لم يخب ظني قط،دائما تأتي الفرص العظيمة أوقات الخريف،لا بأس طالما الفرصة مثمرة كل شيء سيسترد عافيته،الذاكرة تنشط والرغبة تستعر والروح تحلق والأمل سيورق ولو بعد حين، أنا على يقين أنها مسابقة..نعم يا رجل نعم هي ذي فرصتك النادرة مسابقة..مسابقة..(يهز رأسه ويداعب بكفه اليمين لحيته)أخيراً..أخيراً..من بعد سنين زاخرة بالمتابعة والاحتراق على نيران الوضع العام وما يجري أو بالأحرى ما جرى من ملاحم لا إنـــسانية،أشترك الـــصغير والكـــبير في تحقيـــق مآسيها،ملاحم دموية،اقشعرت لها أبدان البشر، مآس شاب لها الولدان،قبل أن ينقشع ظلام دنيانا، أخيراً يا رجل هبط في هذا الوقت الغائم بالذات أول غيث منقذ،آن للكلمة أن ترقص، الكلمة الشريفة العفيفة، الكلمة التي نامت من هول خصومها،آن للقلم.. إيه أيها القلم قم من كسلك، تناول جرعات دواء وأقذف حمم الصدق الماحقة،عري ما حصل ولا تقف كما وقفت أبان سنوات العقم، إيه يا رجل، لا..لا..من الأجدر أن تعلن من غير تباه طبعاً هويتك (يهز رأسه)نعم.. نعم.. أنت الآن حر طليق، ولى زمن التواري والتقنع،هذا زمان لا يقبل اللف والدوران، قم يا قلم وحرر ما فيك، آه.. اقصد ما فينا من تراكمات أحداث،أو بالأحرى تراكمات حقائق كانت إلى ماضٍ قريب ممنوعة،غداً(يهز كفه اليمين)أي غد أريد أن أقوله،لا..لا..ليس ثمة غد بعد الآن،جاء الغد ودفن الماضي في غياهب لحد،مرحى بربيع زاخر بمطر المبدعين وسحقاً للسنوات العجاف،تصور يا رجـــل أنهـــا قالـــت بـــصوت واضـــح،يا لـــصوتها الرنان،موسيقى أرجعتني لسنوات شجاعتي،(يرفع عقـــيرة صـــوته)هللويـــا..هللويـــا..لا يمكـــن أن أتوهم/نصوص المشاركين/مسابقة..مسابقة لا محال يـــا رجـــل،(يهـــبط مـــن الـــسرير،يتوجه صـــوب المكتبة)ياه..هي فرصتك يا رجل،فرصة حياة وشهرة عليك أن لا تفلتها هذه المرة،فيما سبق اختلسوا منك جوائز كانت أو بالأحرى أنت كنت أحق بها،كنت على يقين أنك فقدت بريق الشهرة جراء دخلاء تجاهلوا براعتك وقوة كلماتك،لا..لا..حتى نوعية كتاباتك،كنت مختلفاً،جوهرياً ومبدئياً،لم تهادن ولم تسكت،كنت دائماً تهيأ لزمن قادم لا محال،لا بأس يا رجل،جاء المطر وعليك أن تهيأ أرض خيالك للحرث والزرع،لا..لا..بل للصعق أيضاً،كانت فيما مضى المسابقات مسبوقة النتائج،تعطى للخلان،مصفقون بـــلا حيـــاء ورافعـــو أصـــوات أو بـــالأحرى أبـــواق الكذب،آه..يا رجل دع ما جرى فيما مضى وعليك أن تـــشدد علـــى مـــا سيأتي،الفرصـــة لا تـــأتي للواحـــد مـــرتين..(يـــبرك علـــى قدميـــه،يفتح باباً)مـــا هذا،لا..لا..هذا غير ممكن(يحشر كفيه داخل إحدى الكومـــدينات)غـــير معقـــول(يخـــرج نثار ورق ويبدأ بشكل متسارع إخراج ونثر ما تحتضنه كفاه،تندلق إلى الأرض خـــرم أوراق حائلـــة اللـــون)لا بـــد مـــن خطـــأ،لا..لـــيس هـــذا وقـــت مـــزاح،(ينـــدلق الـــصوت النسائي من جديد/إعلان/..)لأسمعه جيداً(ينهض

ويهرع صوب المذياع،يرفعه،/تعلن مؤسسة النعمان الثقافية عن دورتها للعام الحالي،وتستقبل النصوص الإبداعية عبر البريد الإلكتروني،نهاية الشهر القادم،تكون أقصى موعد لتسلم نصوص المشاركين../يلقي المذياع بشكل عبثي..)،لا يهم،لست بحاجة إلى وقت،ما أريده جاهزا ومنقحا، فقط أراجعه مراجعة لا تتطلب دقة، هي فرصتك، قم.. لا وقت للكلام(ينهض ويعود إلى المكتبة،يبرك ويبدأ بفتح الباب الثاني)..غير معقول،ما الذي حدث،يا الهي..عمري..ضاع عمري(يمد يديه،تنهال الخرم،يرفعها وينثرها)..ما العمل،ستة أسابيع فقط،ستة أسابيع أمامي أن أكن أو أفقد فرصة قد لا تتكرر،يا للهول،روايات وقصص وكتابات(يفتح الباب الثالث)لا..لا..لا..انتهى زمني،كل شيء بات فاسداً،نعم..نعم..كلمة فاسد تليق بكل ما كان سواء ولد أو مرّ بأعوام اليأس،سنوات الهم الجماعي والجوع الجماعي والكسل الجماعي والموت بالجملة،يا رجل دعك من الوساوس وجد حلاً لنهايتك،تحرك،حرّك مخك،عساك نسيت أو خبأت شيئاً ما من فواكه خيالك في مكان ما،دع القلق وأبحث،أي مخطوط من مخطوطاتك ستبوئك مكانة لطالما حلمت بها أو وضعتها في بالك،يقيناً يا رجل آن أوان هجماتك الإبداعية،ستذل من قزّمك أو أقصاك،سيعترف بك وهذا إن كان يمتلك قليل جرأة من همشك أو أغمطك حقوقك أو..لا..لا..ليس حقوقك يا رجل،الإبداع هو أمانة عليك وعلى من هو مؤهل لأداء الأمانات المودعة في مملكة خياله،الإبداع حقوق الفقراء وعشاق الحرية والجمال،حقوق الزمان والمكان،وقود الزمن والتاريخ والبشر،الإبداع يا رجل خبز الحياة المجاني،لا..لا..ليس حقوقك بطبيعة الحال،أنت فقط ناقل أمانة ليس غير،كونك قوّال صدق بوجه كل جائر،(ينهض ويبدأ بتقليب الكتب المتراصة على الأرفف،صوت المذياع ينساب بهدوء)هل حقاً أنا أمتلك كياني،أم أنا في لجة نوم،ليس معقولا هذا،سبع روايات هن تاريخ مرحلة،تاريخ بلاد هي بلادي،تاريخ حوادث رصدتها رغم وعورة الزمن وخطورته،كتبتها بعرق شجاعة نادرة ولوعة حرمان مدجج باليقين،كتبتها بدم لا بحبر،أين يا رجل سهر الليالي وتلصصاتك،ما خابت قط رؤاك وتأويلاتك،كنت من مكان قريب جداً تلتقط أو بالأحرى تسرق الأحداث،تنقلها من غير تسويف أو تغليف بسليفون الرمز المقيت،يا رجل حافظت على حياتك من الموت،من مشانق خانقي الجمال وعرّاب الحرية(يسقط الكتب بشكل عصبي وتوتر،تتناثر ذرات غبار)نجوت من تلصص المتلصصين وكتّاب التقارير وملفقو ملفات تغييب من ليس من أنصار الواقع أو مسانديه،يا رجل الحفاظ على الحياة في تلك الأزمنة،الحفاظ على العالم من الهجمات البربرية الجديدة،البربرية اللاغية والساحقة للإرادات الخلاقة وعشاق الغناء في الهواء الطلق،كيف حصل هذا،لابد من خلل أو من حدوث شيء فوقطبيعي(ينحني ويرجع الكتب ويراكمها بشكل غير منتظم)..لابد من حل،ليس بوسعي أن أخسر على طول المدى،الخسارات المتلاحقة تورث يباب الحياة،خسرت بما فيه الكفاية،آن أن أربح لمرة واحدة،مرة واحدة ستعوض على أقل تقدير ما

فقدت من ماء العين وعرق الجبين،ما فقدت من مال و..آه..نسيت(يضرب جبينه بكفه اليسار)نسيت..نسيت..دائماً أنسى،كانت الخسارة القاسية،خسارة قد لا تعوّض،يا لها من خسارة،أيه..يا رجل..تركتك ومضت مع عصفورتك،نعم أنا السبب على ما حصل،فلقت أعصابها وسحبتها إلى دنيا لم تكن من روادها،كانت تبغي الحياة وكنت أنت يا رجل تريد الرفوف العالية والناصعة من أرفف التاريخ،كانت معك،تكتوي وتمضي على إيقاعات رغباتك،لكن ليس للمرأة أن تمضي أكثر مما في بالها من حد فاصل،كان يجب أن تتنبأ بالذي سيحصل،نعم..نعم..أن تتنبأ،أليس الإبداع جزءا حيويا من النبوءات الحياتية،أنت قلت كل شيء عمّا ستؤول إليه الأمور،قلت في إحدى رواياتك،نهاية كل فوضى سلام،نهاية حياتنا غبار سيطمر كل كائن يمشي أو يزحف،يسبح أو يحلق،ها..أنت ترى ما الذي يجري،ظلام يدفع ظلام،والكل يتغنى بالسلام،حقاً انني خسرتها،خسارتها بمثابة خسارة رواياتي،خسارة قصصي،خسارة أشعاري وكتاباتي النقدية،لكنها لما تزل تعيش،أمّا كتاباتي غدت رماد،يا عالم رماد ذرتها سلاسل الجلادين،هم السبب طبعاً،لولا هم لكانت حمامات تحلق في دنيانا،حمامات ستسعد من يريد أن يتعلم أو ينشد أويقات ترفيه،هي الآن في مكان ما،في/سويسرا/تحديداً،معاً هما،/صديقة/سندي ونصفي البعيد،وعصفورتي/أمل/لابد أنها الآن جميلة صاحبة شهادة عالية،آه..أين انتما يا ترى،ألا تحنان لرجل كنتما ذات يوم تتدفأان به،أنت يا/صديقة/ألا اشتقت لي،ألم يحن عودك لمائي،ذهب زمان الخوف منذ سنة وانتما بلا بريد أو خبر،تعالا..تعالا..لنبدأ حياة خاصة..(/تعلن مؤسسة النعمان الثقافية../يمد يديه ويخرس المذياع)ضاع عمري،ضاعت جهودي،ضاعت أحلامي،ضاعت حمامات خيالي،أية مسابقة تأتي في خريف الحياة والرغبات،لا..لا..يا رجل مسابقات اليوم لها ذات الغايات لدى مسابقات الأمس،كلها مزالق للإغواء وجر أصحاب المواهب النادرة إلى دهاليز حياة جديدة تصب في خانات سلطات وجدت الثقافة نهراً رقراقا تروي أو تبقي غاباتهم خضراء،مسابقات اليوم غواية يا رجل،لا يفرحنك الدراهم المعدودات،ولا حفاوة الدعوات،هذا زمان لا يبذر فيه المال إلاّ من أجل سبب،السياسيون تعلموا فن الغواية بعد أحقاب من الفشل،عرفوا أن الثقافة أساس الحياة،الملوك كانوا أشطر،نعم كانوا أشطر(ينهض ويذرع الغرفة جيئة وذهابا)الملوك اشتروا ذمم فطاحل الشعراء،رؤساء قلدوهم،لكن الحياة لم تستقم،الحياة تريد الطهارة والعفة والفطرة،الحياة النظيفة الخفيفة لا تصالح من تستهويه السياسة،لا..يا رجل..أنت تهذي،عليك أن تراجع نفسك،ربما هي مسابقة من نوع جديد،ربما هم صفوة مباركة تنشد خلاص ثقافتنا من الموت،آن أن تبحث عن مخطوط نجا من عث أو فساد الزمن،أين..يا ترى أين..(يعود إلى المكتبة،يدقق الكومدينات)الآن انقصم ظهري،ولكن لا بأس لدي من الوقت ما أستطيع عمل شيء،رواية مثلاً عن..عن..يا لها من فكرة،رواية عن كاتب اكتشف بعد..بعد..خروجه من السجن مثلاً،انه أشهر من..أو

ربما يوم خروجه لا..لا..لن أقول إطلاق سراحه،بل سأقول حرره الثوريون الجدد بعدما أزاحوا الملك من عرينـه،يوم خروجـه تخطفـه فئـة مجهولـة تقـام القيامـــــة في البلد،كونـــــه يفـــــوز بجائزة/نوبل/للآداب،تتدخل الدول ويتم إطلاق سراحه مقابل قيمة الجائزة،يا لها من فكرة،ستدهش أعـضاء لجنـة فحـص النـصوص،يقيناً فكـرة ممتـازة،فكرة تنـسجم مـع مـا يجـري علـى وجـه البسيطة،هكذا أنت يا رجل،دائماً تأتي بأشياء مذهلة وسـاحرة،لا تكتـب التقليـديات ومـا هـو سـائد أو بائد،خيالك..يا له من خيال،أنت حقاً تـستحق المقام الرفيـع مـع الـصفوة المتـازة مـن كتـاب العـصور،لم لا..خيالك يأتيك بما للآخـرين مـن فلتات،لغتـك هـي لغة عصر ولغـة مجابهـة غـير خاضعة،لغة حياة،لغة اليـوم والغـد،هي ذي فرصتك،هيا..أبـدأ العمـل لـيس أمامـك وقتـاً كافيـاً،دع الوسـاوس والهـذيان وأخـرج القلم من/غمده/،أنت يا رجل عليك أن تحقق فـوزاً ولو في خريفك امتاقل..(يتجه نحو الطاولة،ينفخ الغبار ويقعد على كرسي خشبي،يسحب القلم ويقلب الأوراق المتراكمـة)لا تـتردد يـا رجل،الفكرة اختمـرت والوقـت ينقرض،أنـت الآن في الـسجن أو ربمـا تـسمع فوضـى خـارج الأسـوار،ولم لا نقـول رفـوف مناشـير تتساقط كالمطر فوق رؤوس المعتقلين،تلقيها طائرات حربيـة،يالها مـن بدايـة مقنعـة إلى حـد ما،الـسجناء يستبشرون خيراً،أو..ربما البداية مفتوحة هذه المرة عكس النهايات،يا رجل من أين تبدأ عليك أن تعطي القلم فرصة الصولة وتسمح لخيالك أن يحرر السيول المتراكمة،آه..يا للعنة،حتى أنت يـا حـبر تيبـست،وأنت يا قلم..ماذا دهاك،يبـدو أن حظـي يجافيني(ينـهض ويبـدأ بـذرع الغرفـة)لا تهـتم يـا رجل،أمامـك سـتة أسابيع،وقت ملائم وكاف، سـتة أسابيع تكفـي روايـة مـن ثمـانين صـفحة،ألم يكتـب(أدغـار والاس)رائعتـه (الخائن)في ثلاثة أيام،كل شيء ممكن في زماننا،لابـد من التركيز على حداثويتها،رواية مركزة خاليـة مـن شوائب الوصف وفائض المعلومات،رواية معـارض ظـل في زنزانة حتى مـوت أو زوال الليـل الأبـدي واكتـشف أنـه صـار مثـار جـدل الثقافـة العالمية،سـأبدأها مـن الغـد،نعم مـن الغد،سأشـتري حـبراً وأقلامـاً تليـق بالمهمـة،حتى أوراقـي يجـب اسـتبدالها،نعم..أوراقـي تمردت أيضاً،لا تنسى يا رجل،عليك أن تبدأ بتحريك الـــزمن المتوقـــف،آه..يـــا زمـــن..توقفـــت مـــذ غـادرتني/صـديقة/،زمـن لم أبـغ تحريكـك،أردت أن أحتفظ..(يتوقف أمـام الـساعة الجداريـة)لا..لا..يجب أن أحتفظ بهذا الوقت،التاسعة مـن صـباح الـسبت،أي سبت يا رجل،آه..دائماً تنـسى حتى أجل أوقاتك،لا تفرق بـين مـا هـو تـاريخي و روتيني،تتـداعى قيمـة الأشـياء في فكرك،يـا رجـل تـذكر..آه..كـان الـصباح ممطراً،قالـت بتحـد وإصـرار،قالت بمـا لا رجعـة فيه:ابق حيث أنت،أما أنا سألتحق بها لا تفوت هذه الفرصـة يـا رجـل،لنلتحق بهـا..!!،هـي اسـتثمرت واغتنمت فرصتها،أما أنـت يـا رجـل فقـدت خضرة عمـرك،آه..يـا/صديقة/ليـتني رافقتـك لكنـت الآن في وضع مختلف،هنـاك الحريـة رغـم النـوم علـى قارعـة الطرقات،كـان يمكـن أن أكـون،لا..لا..لـن أحـرك هـذا الـــزمن المتوقـــف،زمن يـــربطني بقلـــبي الشارد،بعـصفورتي المغـردة في حـدائق الغربـة،يا

زمن..عليك أن تحافظ على تحجرك ما لم يلتئم شملنا لنحركك من جديد معاً سنمد أكفنا ونرقص على نغماتك الجديدة،يا زمن عليك هذه المرة أن تبدل إيقاعاتك،نريد نغمات تليق بعصرنا،لا نريد نبضات خاوية وجارحة وكسولة،نريد ألق وهدوء،نريد(يرفع كفه اليمين ويؤشر بسبابته)نريد دقات حقيقية لك،دقات سلام ورخاء(يهبط كفه ويستدير،يمشي إلى المكتبة،يتوقف،يبرك،يمرق شيء)ماذا،شيء خطف،لحته جيداً،خرج من بين هذا الركام..(يستدير،يلمح فأراً أسفل الطاولة)فأر..أحقاً في غرفتي فأر،آه..أنك ابتلعت جهودي..(يتلفت حوله بحثاً عن شيء)..ولكن لا..لا..لان أقتله،لا..لا..لا أحبذ قتل الكائنات،سواء بسواء،المضرة والنافعة،ليس من خصالي إيذاء ما يتنفس أو يدب على البسيطة،من حقي إيذاء من ينحرف من أبناء جلدتي،ليس من حقي إيذاء من هو ليس من أبناء جلدتي،فأر..أحقاً يا رجل هذا الكائن الضئيل محارب عنيد للثقافة..(ينهض،يتحرك الفأر ويمرق إلى أسفل المكتبة،يتجه هو إلى السرير ويجلس)من أتى بك ومتى لذت بغرفتي،حسناً يا فأر لكت ما لكت،والتهمت حقوق مودوعة في درج مكتبتي،حسناً مضى ما مضى،لنعقد صفقة منتجة لي ومربحة لك،سأعطيك ما تحب،سأجلب لك الجبن،أليس الجبن بلذيذ،يا فأر حرمتني من فرصة أتت في وقتها،حرمتني من نشوة انتصار،حرمتني من فرح سهرت وتحملت ما تحملت من عاديات الدهور للسهر عليه،لكن علينا موازنة الأمور من جديد،أمامي ستة أسابيع كي أخرج من سردابي وأنقذك من الغربة والوحدة،يا فأر(يرفع نبرة صوته)إياك..إياك..أن تلعب معي لعبتك مرتين،أنا أمقت المراوغة واللعب في الخفاء،أحب الوضوح،آه..الوضوح..أنت لابد عرفت كل شيء عني..(يتحرك الفأر،يقف مذعوراً وهو يرتجف)لابد أنني أو بالأحرى ما في خيالي ولج كيانك،ستعرف كم أنا واضح وفاضح لكل خلل أو حلل اجتماعي،يا فأر..كف عن التهام ودائع الزمن في،سأعطيك ما يكفيك ويرضيك..(يصمت قليلاً،يتحرك الفأر داخل الغرفة بسرعة قصوى قبل أن يرجع لمكانه أسفل المكتبة،يهز رأسه)نعم يا لها من فكرة،فكرة..فكرة ممتازة،يقيناً لا يغضبه،فكرة ولدت كما تولد الأفكار الكبيرة،هكذا أنت يا رجل،معين خيالك أنهر دفاقة،ولكن عليّ أن أبحث عن القفص أولاً،أنا لا أظن أنني أمتلك واحدة،ربما أجد عند جاري الصندوق الرحيم، نعم.. نعم..صندوق عجيب ورحيم،شيء سار أن تتخلص من عدو لدود دون إيذائه أو استلاب روحه،سأصطاده وأنقله إلى مكان آمن،يا فأر عليك المثول للفكرة والقبول بهذا الحل المثالي والتوافقي،لا تخشى أنت ستنال حريتك في مكان مؤهل للعيش،هواء نقي وغذاء وفير وماء غير مبرمج أو نتن..(ينهض)عليّ أن أستعن بالجيران،ربما أجد لديهم ما أبغيه،نعم..يا رجل تحرك،عليك أن تتحرك،الزمن يمضي والوقت ينقرض وليس أمامك سوى أسابيع ستة،هي ذي نهاية مفرحة،أو ربما بداية للقاء جديد مع/صديقة وأمل/أستعن بالجيران،جيرانك لابد وأن لديهم القفص

الرحيم..(يخرج،ينطلق الفأر صوب الطاولة يتسلق ويبدأ العبث فوق الأوراق..)

***

..(بعد برهة من الوقت ـ يعود ثانية وبيده قفص مستطيل،يشهره بفرح)يا فأر..أين أنت يا فأر،أظهر وانظر،لا يؤذيك بطبيعة الحال،شيء مسر،يبدو أن من صنعه يحمل روح شفافة وتعاونية،روح نبيلة ورفيقة بالكائنات الأخرى،حسناً سأنصبه وأمتثل لصمت أرجو أن لا يطول،ليس ثمة وقت،عليّ أن أتحرك وأنجز ما عزمت عليه،لا..لن أسمح لهذه المسابقة أن تفلت من مخالبي،حان وقت الظهور،ولى زمن التلصص والتربص والكتابة من وراء حجاب،يا قلم كفاك نوم،لا تكن مثل أقلام الآخرين الهاجعة رغم زوال الكوابيس الخانقة وحفريات أعداءك(يتقدم من المكتبة وينصب الصندوق بعدما يعلق قطعة خبز يابسة بسنارة معقوفة داخل الصندوق يتصل بنابض ممتد إلى بوابة خشبية،يعود إلى سريره)حسناً يا فأر،آن أن نبدأ بتطبيق بنود الاتفاق،لن أحنث بوعدي،ومتى حنث كاتب رفض مهادنة الظلام والعمل مع الشياطين من أجل جاه عليل ومال ذليل،لا..لا..أطمئن،ستنال حريتك كاملة مكملة،ستجد نفسك في ملاذ آمن،وأتفرغ أنا لإنجاز ما أروم إنجازه،يا فأر..لن أبغي الثأر،عار ثم عار من يحاول إرجاع ما مضى،علينا أن نوجه أطماعنا نحو ما نراه في أفق الغد،ليس ثمة وقت لتصريفه على جراحات نزفت وتخلصنا من آلامها،العالم تحرك كثيراً ونحن نمنا طويلاً..(يخرج الفأر من أسفل طاولة الكتابة وينطلق بسرعة إلى أسفل المكتبة)ها..أنت على بعد لحظة واحدة،ربما أدق لحظات الزمن كي تكون خارج هذا السجن،نل حريتك يا فأر،ليس هناك ما هو أجمل وأنبل من الحرية،يكفي المتحرر أن يعب الهواء متى يشاء،يمشي على هواه ويأكل ما يشتهي،أو يحلم بما يحقق لذاته سروره،أنت يا فأر تبدو على ما أعتقد متوحداً مثلي،لا فرق بيننا أنت بمفردك تناضل كي تبقى،أنا أيضاً ما بوسعي لم أبخل به،ناضلت وجابهت قوى الظلام وأحابيل الهاوية،ارتضيت بالقليل وسهرت كثيراً وصمدت بشراسة رغم كهولتي،يا فأر ليس من العقلانية أن يقتص إنسان عصرنا من غريم ربما دفعته حماسة هوجاء أو عوز مضني أن يرتكب حماقة،يا فأر أنت صنوي،صدقني لن أقول هذا مجاملة أو هذياناً،ألم تضح بنفسك من أجل البشر،التجارب الختبرية أكدت أنك تحمل دما بشريا في عروقك(يظهر الفأر ويتسلق على الصندوق،يهبط ويدخل إلى الداخل،يرفع بوزه كأنه يشم رائحة خطر)حانت الفرصة يا رجل،هيا يا فأر،مد فمك،برهة واحدة وتكن حراً طليقاً،يا فأر لن أقتلك،حسناً فعلت لكت ما كان ماض قذر،هيا كل وخذ حريتك،الحرية أكذوبة بشرية،الحرية صنعت للحيوانات وأراد البشر أن يجروا تجارب على أنفسهم(يخرج الفأر،يتسلق القفص)لم يا فأر،أنت مرغوب حقاً،ربما شبعان،نعم..نعم..أنت لست بجائع،في دمك تاريخي(يهبط الفأر،يدخل ثانية،يقف عند البوابة ويرسل نظرات وجلى إليه)أنت تقول شيئاً،أفهمك يا فأر،الغريب يفهم الغريب،الغريب يجيد لغة الغريب،لا تخشى يا فأر،أنا مبدئي وصاحب

قلم لن يهادن،جعت ولم أبع كلامي،يا فأر فيك حديث(يصمت قليلاً،يزوي حاجبيه،يسحب نفساً عميقاً)آه..يبدو أنك تبغي الاعتراف بما اقترفت من ذنب،حسناً لن أقدم لائحة قانونية ضدك،لن أشكوك لأحد يا فأر،كلنا نمتهن مهنة مقدسة،أليس قراءة الكتب قرض،لا فرق بين دودة كتب وبين الذي تحمله،كلانا من القوارض،أنا أقرض من أجل إلغاء القديم والأتيان بجديد،أنت تقرض ربما بدافع إلغاء كل شيء ليس ينتمي لعالمك،أنظر يا فأر وراءك وامنحني راحة بال وهدوء من أجل مشروعي الأخير،ليس بوسعي أن أقضي النهار معك، ورائي شغل كثير،ورائي عمل مضني،قلمي يبس وحبري جف وأوراقي تهرأت،يا..(يخرج الفأر ويمرق إلى أسفل المكتبة)رباه..ما العمل،من أين جاء هذا الغريم،كيف تسلل إلى المكتبة وعاث ما عاث من خراب(يضع كفه أسفل حنكه،يبدأ بهز رأسه)ترى هل من وسيلة مناسبة للتخلص منه،أنت يا رجل تمتلك وسائل شيطانية،فكّر وجد لك حلاً ملائماً،حلاً يرضيك ويرضيه،طالما قررت أن لا تؤذي من يؤذيك،الأ الجلادون والخارجون عن القيم البشرية،البربريون الجدد،هم من يستحقون هجماتك الكلماتية،أليس من المناسب ربط بوابة الصندوق بخيط طرفه الآخر بيدي،يا لها من فكرة فكرة أنت مبتّكرها،لحظة دخوله أحرر أو لا..لا لن تحرر بل تسحب الخيط ليصطفق الباب عليه،يبدو أنها فكرة مناسبة طالما هو شبعان أو لا يرضيه الخبز اليابس،والله زمان،فأر لا يتناول إلا أطعمة إبداعية،روايات وقصص ومسرحيات ونقد،فلسفة وتراث،تاريخ وأشياء أخر،فأر سأسميه(عنتيكة)،أو من الأفضل أن تجد مفردة أنت مبتكرها،نعم..نعم..كلمة..كلمة../سوبرفأر/نعم يا رجل كلمة ملائمة تليق بهذا الفأر،قم وأبحث عن خيط بطول..بطول خمسة أمتار،أو بالأحرى ستة أمتار،نعم ستة أمتار تكفي،ولكن من أين آتي بالخيط،لا..لا..لن أذهب ثانية للجيران،ليس من المعقول أن أطلب كل شيء،يكفي تكليفهم إطعامي مثل شحاذ أو فقير بلا مدخول،آه..آه..دائماً تجد تفاسير لكل بادرة تطرأ بذهنك،يا رجل لم تخدش مشاعرك النبيلة بهكذا كلام،لم تجرح نفسك الصامدة بين الحين والحين،كل الناس بلا مدخول يؤهلهم للعيش ولو بشكل متواضع،هو الفقر شيمة بلاد العجائب والنقائض،هي خيراتنا ليست لنا،قانون تم تعميمه مذ ابتدأت الخليقة،دع عنك هذا الكلام وتفرغ لما عزمت عليه(يخرج الفأر،يقف ويرسل نظراته إليه،يهبط كفه بهدوء،يهرب الفأر ثانية،سرعان ما يمرق إلى منتصف الغرفة ويرجع مرة أخرى إلى أسفل المكتبة)لابد أنه مذعور،من حقه أن يرتبك،الفأر من الكائنات الخارقة،لابد أن منظر الصندوق أرعبه،شيء جديد أمامه،حتى كسرة الخبز ربما طعام لم يتذوقه،عليه أو بالأحرى يجب أن أمنحه فرصة للموائمة والتأقلم مع ما حصل من تغيير في المعايير داخل الغرفة،يا فأر،أنت مثلي حذر جداً،كنت مثلك أشم رائحة المتربصين باصطياد أصحاب الأحلام العريضة،كنت أتجنبهم بل أوهمهم،كانوا يحسبونني كهل في خريف العمر،كائن مهمل لن يعض إن جاز التعبير،أنت أيضاً تبدي حذراً

شديداً رغم أنني على يقين أنك جائع مثلما أنا جائع،الجائع للجائع نصير،كل وتخلص من هذا المكان الخانق،أنا على عهدي معك،لن أمسك بضر،ولم أمسك،لا..لا..أنت لم تفعل شيئاً يضرني،لكن ما كان ملوثاً بهواء زمن ليس ما كنا نرجوه،زمن جاء خلاف ما اشتهت رغباتنا،هكذا تجري الأمور بغياب الرجال الأقوياء،الذين لا يسكتون أوان الاختناقات والأزمات البشرية،رجال الثورات أين هم،لا..لا..أنتهى زمنهم،ليس هناك امرأة تنجب ما كانت النساء تنجب من معادن نقية،ولى زمن الرجال والنساء،على أية حال،هذا موضوع شائك يا فأر،ليس لدي ما أضيعه من وقت،لنبحث عن مخرج لقضيتنا،لدينا فرص متكافئة،لك فرصة الخلاص من هذا السجن،كما هي فرصتي التخلص من هذا السجن أيضاً،لابد من عمل شيء،أريد اللحاق بهما،زوجتي وابنتي،يبدو أنهما لا يرغبان العودة بعدما دب الفساد في كل شيء، الذبح في الشوارع،الدمار،الحرائق،الموت يجرف كل شيء،هيا كل كي تسدي لي خدمة لن أنساها لك،سأكتب شيئاً يليق بك،نص إبداعي يؤرخ هذا الحوار الصامت بيننا،كل يا فأر..كل..(يتحرك الفأر،يصل إلى الصندوق الرحيم،يدخل بأحتراس)آن أن ننهي اللعبة،أنت على بعد ثانية واحدة من الحرية،هيا..هيا..أنظر خلفك ولا تحدق في،آه..أنك ترتجف،يا للهول كلما تدنو لحظة الحسم،ترتجف وترجف معك أوصالي،بدني يقشعر كما بدنك،يا للتوافق،يا للانسجام،(يشم الفأر قطعة الخبز باحتراس،يخرج بسرعة لفرقعة برق ورعد)أهذا وقتك يا مطر،وما الفائدة المرجوة منك،مطر بلا فائدة،تأتي في غير أوانك،تأتي لا لتعمر الأرض بل لتفسد ما تبقى لنا،حتى أنت يا مطر،صرت لا تساندنا،(يشتد البرق والرعد وصوت هبوب ريح)يبدو أنني تعيس الحظ حقاً،سابقاً كنت أنتظر فرصة زوال الظلام،ها هو الظلام أنقشع ولا حظ يستبين في افق ما تبقى لي من حياة،يا لشقاء الحياة،يا لبؤس أجيالنا اللاهثة،(يمرق الفأر إلى نهاية الغرفة ويعود إلى أسفل المكتبة،)ألم أقل أنت مثلي،يحاصرك اليأس،لم لا تستجب لندائي كي نكسب كلانا الدست،آه..يا فأر بدأت أشعر بوهن ثقيل ينخل جسدي،وهن جديد لم أتذوقه من قبل،لم يحدث أنني شعرت بهذه الغرابة والطعم المتمرد في لساني،أهو الجوع..كلا..كلا..الجوع أعرفه،أدمنته،ليس بجوع يا فأر،أهو مشعر الموت،ربما شيء لم أتذوقه،لم أسجن كي أعرف طعم الموت البطيء،لا..لا..(ينهض،يحاول أن يتحرك،يشعر بخواء تام،ينهار،يتحسس نفسه)يا للهول،ما الذي يجري،ليس بوسع قدمي أن تحملاني،ما هذا المتد من مؤخرتي،يا ويلي،يبدو أنني في لجة حلم أو كابوس مضحك،أحقاً أنه ذنب،ها..ها..يا عالم ها..ها..أنا عندي ذنب،ذنب طويل وجميل،ما الذي يدور في هذه الغرفة أو بالأحرى في هذا اللازمن أو في هذا اللاعالم،كل شيء جائز وممكن التحقيق،أنا/إنسافأر/يا لها من كلمة،(يتحرك على أطرافه الأربعة،يذهب إلى نهاية الغرفة ويعود)يا لها من متعة أن يمشي المرء على أطرافه،على أقل تقدير يتخلص من آلام المفاصل ومعضلة أشباه الأطباء،ثم

أنه ينجو من مخالب الأشرار،نعم..نعم.. الشيء المهم أن تتخلص من مخالب الضالين،ألم نرفق بالحيوانات،نحترمهم،لا نحاول أن نؤذيهم خشية عقاب الخالق،ها..ها..ها..ها..دنيا عجيبة،بشر يلهث لقتل البشر،يبدو أننا نتبادل الأدوار حقاً،صرنا ننتهج شريعة الغاب ونتخذها دستوراً،مقابل التنازل التام لموجبات تواجدنا على البسيطة للحيوانات،(يبرز الفأر وهو يحدق بغرابة فيه)تعال..تعال يا فأر،صرنا متشابهين،تعال نلعب ونلهو على آلام الدنيا،تعال نخرج إلى الفضاء ونلهو كما يحلو لنا،آه..يا للهول ما هذا الذي بدأ يمزق أوصالي،يبدو أنه الجوع،نعم الجوع،غالباً ما يجوع المرء أوان الخوف وأوان الأزمة،جوع لا يرحم وعطش بدأ يفتت لساني،(يتحرك،برق ورعد وزخات مطر)ما لي أشعر بضمور،أشعر بذوبان،يا فأر هل أنت مثلي جوعاااااان،هل أنت مثلي عطشاااااان،آه..يبدو أنك لعنتني وأصبتني بفأريتك،ولكن لم أنت لم تصب بإنسانيتي،لم لا نتبادل الأدوار،آه..يبدو أنك ترفض هذا العرض،الإنسان في محنة عظيمة،حقاً أننا نعاني من محنة الوجود،ولم نحن موجودون بالذات،ولكن هل حقاً أنا..أنا،أم أنني لست أنا،كل شيء جائز ومتوقع وممكن في عصر المعلومات والاستنساخ،ربما أنا..أنا..ولكن ليس بمقدوري أن أعرف أنا..أنا..ربما نكتشف أعاجيب في أيامنا القادمة،أعاجيب تشيب لها الرؤوس،(يتوقف لحظة يضرب جبينه بكفه اليمين)أوه..يا رجل دائماً تنسى نفسك،دائماً تحرر أفكارك،كن في صلب قضيتك،ودع ذلك لروايتك،نعم..نعم..الرواية تحتاج لكلام كثير،هي..أسمع يا فأر تعال وخلصني من هذه الشرنقة،آه..ما هذا،ألم..ألم فضيع وغير رحيم بالمرة،وهن على وهن،جوع وعطش واضمحلال،(يزحف باتجاه المكتبة، (برق مباغت،ينقطع التيار الكهرابي)آه..الآن فقدت صلتي بالأشياء،الموعد لم يحن بعد،عليهم اللعنة،دائماً يسرقون حصتنا،تلك هي العدالة والحرية التي كنا ننشدها،كنا لا ننام ما لم نقنع أنفسنا بوهم التحرر من براثن الواقع ورثاثة الماضي،كل شيء حطم قيده وصار يبتكر قانونه الأخلاقي،آه يا فأر أنت سبب كل هذا،ماذا لو استجبت لطلبي،لكنت الآن في مكان ما وأنا ربما تفرغت من تدوين الخطوط الأساسية لروايتي،آه..أنت السبب لا محال،أنت السبب،ولكن ما باليد من حيلة خادمة،أنا لست بمؤذ للكائنات تلك هي الرحمة التي هبطت عليك يا فأر،(يتحرك،يصطدم بشيء)يبدو أنه الصندوق العجيب،أنت يا رجل سميته الصندوق الرحيم،دائماً لديك فلتات لغوية لطالما أرقت بها رفاقك،تأتي بمصطلحات غاية في الدقة والدهشة،آه..ما هذا..شيء مغري،يا له من شهي،(يتململ،يحشر نفسه داخل الصندوق،)أحقاً هذا الصندوق يسعني،أم أنني تقزمت،كل شيء وارد،قلت هذا من قبل،كل شيء تبدل،انسلخ من رداءه القديم وصار يتهلهل داخل أسمال فضفاضة،أردية لا تليق بالمكان ولا بالزمان،ما هذا..شيء له رائحة الحياة،(يمد فمه،صوت برق ورعد واصطفاق باب) ماذا عملت يا رجل،(يحاول أن يتحرك داخل القفص،يدور حول نفسه)آه..أنك

أصطدتني يا فأر،كنت أبغي اصطيادك،كنت أروم إنقاذك،ها أنت تباغتني أو بالأحرى استغليت طيبتي،لا..لا..لن اقبل بهذه اللعبة،ليس الاحتيال من شيمتي،الكتاب لا يحتالون،ليس كلهم طبعاً،هناك من أحتال كي يعيش أو ينال مناصب متحركة،كاتب مثلي قرر من البداية أن ينزف عمره من أجل الآخرين،لا من أجل تمشية أموره الشخصية،أين أنت يا فأر..أين أنت..(يخرج الفأر ويتسلق القفص،يبدأ التحرك فوقه،وسط دهشته..)..!!

***

(صوت انفتاح الباب الخارجي،وقع أقدام بشرية..)،يبدوا أنهم جاءوا،أخيراً جاءوا،لا..لا..لن أعاتبهم،ولم أعاتبهم،هم خير جار،أزالوا وحشتي وأطعموني طيلة سنوات،سأعذرهم بسبب المطر،أو بسبب حظر التجوال المفروض،من حقهم أن يتجنبوا المشاكل،الدنيا ملغومة،الواحد يجد مساقاً إلى السجن بلا سبب،جاءوا يستطلعون أحوالي،لكن ماذا لو سألوني لم أنني أحشر نفسي في هذا الصندوق،ماذا أقول لهم،حسناً سأقول البرد،البرد اللعين،(يفتح باب الغرفة،تدخل امرأتان وشاب وسيم يحمل حقائب،تخرجان مناديل ورقية تكممان أنفيهما،تمد الفتاة يدها إلى حقيبتها وتخرج زجاجة عطر،تبدأ بضخ رذاذ منعش إلى فضاء الغرفة)آه..ما الذي يجري،هل حقاً أنني في الواقع،أكاد لا أصدق،أين الجار،ومن هم هؤلاء،يبدو أن العوائل الزاحفة أو بالأحرى الهاربة من جحيم ما يجري قد استولوا على منزلي،كل شيء جائز وممكن،لا بيت مهجور،كل خربة صارت بعيون المهجرين جنة مأوى،(تؤشر الفتاة إلى الشاب سرعان ما يخرج،تتقدم المرأة من الصورة،تتقدم الفتاة وتقف لصقها،يبدأ بالصراخ)أنتم..هي..أنتم..من أنتم..كيف سمحتم لأنفسكم اغتصاب منزلي،يبدو أنهما لا يسمعان،ماذا أعمل،ليس لدي من حيلة،هي أنت أيتها المرأة السمينة،انظري،أنا..أنا..آه..كيف أوصل ندائي،وأنت أيتها الفتاة المتسربلة برداء اللاحشمة،أيتها المتحررة،يبدو أن صوتي قد تحجر،نعم لا صوت لي،لو كان لي صوت لما جرى لي ما جرى،الصوت مهم لتحديد هوية الإنسان،الصوت يعني الأمان ويعني الوطن،أنا بلا صوت،بلا صوت على ما يبدو..(يدخل الشاب الوسيم ويرافقه شابان،تؤشر الفتاة،يبدأ الشابان بنقل الموجودات إلى خارج الغرفة،تتقدم الفتاة،تقرفص أمام القفص،تحدق بذهول،تؤشر للشاب الوسيم،يتقدم ويقرفص شمالها،تتقدم المراة وتقرفص على يمينها،تند ضحكة موحدة،ضحكة تمتد وتمتد..تحتدم بصوت دوي هائل قادم من بعيد،ينهض الثلاثة ويلتحمان)يالهم من رعاديد،يبدو أنهم لم يدمنوا المفخخات والعبوات الناسفة،مساكين هذا الجيل الجديد،ألم تقل يا رجل أنتهى زمن النساء الثوريات،أو بالأحرى المنجبات المرضعات اللاتي يصنعن الأسود،(ينفك التلاحم،خوف واضح وفاضح على الملامح،تستدير الوجوه دفعة واحدة نحو القفص،تؤشر الفتاة بسبابتها،يتقدم الشاب،يخرج منديلاً ورقياً،يرفع القفص بحذر،يخطو إلى خارج الغرفة إلى خارج المنزل إلى خارج العالم..).

حوار

المفكر و السوسيولوجي العربي الكبير د.برهان غليون:

من المشروع والممكن تطبيق الفيدرالية في ما يتعلق بالمنطقة الكردية باعتبارها تضم قومية متميزة عن بقية مناطق العراق، بلغتها الخاصة وثقافتها ونمط حياة سكانها

اجرى الحوار: عدالت عبدالله



ولد برهان غليون في مدنية حمص في سوريا سنة ١٩٤٥م. تخرج من جامعة دمشق عام ٦٨، حصل على الدكتوراه في علم الاجتماع السياسي من جامعة السوربون عام ٧٥، ثم على درجة أخرى للدكتوراه في العلوم الإنسانية عام ٨٢. يعمل الآن أستاذاً في جامعة السوربون، ومديراً لمركز دراسات الشرق المعاصر الذي أسسه الفرنسيون عام ٤٦ من أجل دراسة المجتمعات العربية المعاصرة وعلاقتها بالغرب صدر له حتى الآن عشرات الكتب باللغتين العربية والفرنسية .. ولكي نطلع على آراءه حول تطورات عراق اليوم و العالم العربي و القضية الكوردية، أجرينا معه هذا اللقاء و قد قمنا بترجمته الى اللغة الكوردية لنستفيد منه القارىء الكوردي، و ها هو النص العربي للقاء و الذي تحتضنه و تبادر بمعاودة نشره مجلة سردم العربي ..

*** في مقال لك نشرته صحيفة الرأي و الذي يحمل عنوان "عندما يصبح الإحتلال تحريراً"، نجدك تنحاز ، نوعاً ما ، الى كلمة الإحتلال لوصف التواجد الأجنبي على الأراضي العراقية بينما تُعرض بنفسك لنا في مضمون المقال نفسه الإتجاهات العراقية المختلفة لتسمية ما حدث للعراق مع سقوط النظام السابق و ما بعده، و قد فسرت هذا الإختلاف بأزمة الوطنية، .ولكن لنسأل مجدداً كيف يأترى يمكن لنا أن نُعَرِّف الوطنية في وطن معين يسمى العراق ؟!، اليس من الأفضل الآن أن يُبَدَّل هذا المفهوم بمفهوم المواطنية كما يذهب اليه العالم الإجتماعي الفرنسي آلان تورين لاسيما بعد أن فقد المفهوم الأول و بسبب سياسات التهجير و التطهير العرقي والطائفي للبعث كل معانيه لدرجة تمتد آثارها و وقعها الى عهد ما بعد صدام؟**

-وجود قوات أجنبية تقوم بتسيير شؤون البلاد بدل السلطة المحلية الوطنية هو احتلال، بصرف النظر عن الظروف التي أدت إلى هذا الاحتلال وأهدافه. وقد احتلت معظم البلدان العربية بعد الحرب العالمية الأولى باسم مساعدة الشعوب على تقرير مصيرها. وسمي الاحتلال وصاية في المشرق وحماية في بعض بلدان المغرب. وكان أيضا مدعما بقرارات دولية وتحت رعاية عصبة الأمم التي اندثرت في ما بعد. بالتأكيد ما يعيشه العراق هو احتلال. لكن يمكن القول إن الذي جر هذا الاحتلال على العراق، والتدخل الأمريكي السافر في شؤونه، هو نظام الاستبداد، بسياساته الداخلية القائمة على القهر والقتل وانتهاك حقوق الانسان بصورة جماعية، وبسياساته الخارجية القائمة على الغطرسة والعدوان والاستهتار بالقيم الانسانية. ووجدت فئات عديدة من المجتمع العراقي، وفي مقدمها الكورد، لكن ليس وحدهم، فالعرب الشيعة في الوضعية نفسها تماما، أن من مصلحتهم التحالف مع الشيطان للخلاص من الظلم والقهر والعدوان، حتى لو كان داخلي الأصل والمصدر.

ولا شك أن سياسات النظام الصدامي الخرقاء قد قضت على روح الوطنية العراقية، أي الشعور بالوحدة وتضامن المصالح والأهداف والغايات بين مكونات الشعب العراقي المذهبية والقومية. وذلك لأن مصالح العديد منها أصبحت تتضارب مع بعضها البعض في مواجهة النظام وتحت سلطانه قبل أن ينفق. وكان هو نفسه قد استغل الانقسامات الداخلية ولعب عليها في سبيل البقاء والاستمرار

وتخليد السلطة القائمة. فلم يعد هناك مجال للاجماع على رأي ولا موقف. والأمر مستمر إلى حد كبير حتى الآن. وفي مكان الوطنية العراقية، أي ولاء جميع مكونات الشعب العراقي للعراق الدولة وعملهم المشترك على دعمها وتعزيز مكانتها وسيادتها وازدهارها، أصبح كل طرف يسعى إلى تحقيق أهدافه الحقيقية الخاصة به وتعزيز مصالحه خارجها أو على هامشها. وهكذا أصبحت كردستان العراق في واقع الامر دولة قائمة بذاتها، حتى لو لم تكن معلنة كدولة مستقلة، كما أن هناك مطالب قوية عند الشيعة لتحقيق مشروع مشابه تحت اسم الفيدرالية، أي الاستقلال بشؤون المناطق ذات الأغلبية الشيعية عن المناطق الأخرى وإخضاعها لأهداف ومصائر وسلطات مختلفة أو متميزة عن السلطة المركزية العراقية. لم يعد هناك ما يوحد العراقيين بشتى أصولهم ومذاهبهم حقيقة، وهذا ما أطلقت عليه اسم أزمة الوطنية العراقية. ولا أعتقد أن في الأفق بعد ما يبشر بظهور مخرج من هذه الأزمة. فليس هناك ما يمكن أن يعيد لحم المكونات الرئيسة للشعب العراقي بعد أن اتجه الكرد بشكل واضح نحو بناء قومية، وما يشبه الدولة القومية الخاصة بهم، والشيعة يطمحون إلى ما يشبه ذلك في الجنوب. ولن يغير عنف بعض المنظمات السنية من هذا التباعد المضطرد بين هذه المكونات تحت تأثير جاذبيات كبرى خارجية. وسوف تبقى الأمور معلقة بانتظار ما سيسفر عنه التحول الكبير الراهن في المنطقة، سواء في ما يتعلق بمصير القومية الكردية، أو بوضع الجمهورية الاسلامية ودورها الإقليمي أيضا. ولا يبدو أن الديمقراطية يمكن أن تشكل مركز إجماع أو أن تسد فراغ الوطنية المنفرطة. وهو ما يفسر استمرار العنف بين الطوائف والجماعات المختلفة من تحت رداء العمليات الارهابية التي تقوم بها عناصر ومجموعات أقلوية لا تمثل بالضرورة إرادة الأغلبية من الطوائف الكبرى.

وبالنسبة للوطنية، كتبت أكثر من مرة أنها ذات وجهين مترابطين ومتفاعلين. الأول هو الحفاظ على السيادة والاستقلال للدولة والمجتمع. ذلك أن دولة خاضعة لغيرها لا يمكن أن تشكل إطارا سياسيا صالحا لانبثاق إرادة شعبية سيدة ومستقلة، وبالتالي لبلورة تشريع مستمد منها يخضع له الجميع طوعا وعن اختيار. وعندما تخضع الدولة لإرادة خارجية يمتنع عليها أن تكون تعبيرا عن إرادة داخلية حقيقية، أي عن إرادة موحدة وبالتالي وطنية. بهذا المعنى الوطنية ترتبط بالسيادة والاستقلال. الوجه الثاني والأهم للوطنية، يتعلق بالمواطنية ويعني تحقيق الدولة شروط الحرية والمساواة والعدالة التي تحول الأفراد من رعايا إلى مواطنين، أي إلى رجال أحرار مسؤولين وقادرين على التعاون في بناء وتسيير الدولة والبلاد التي يعيشون فيها ويقررون بالتساوي مصيرها. وهو ما ينشيء مع الوقت أخوة في الوطنية تضاف إلى الأخوة الدينية أو الأقوامية وتتجاوزها. وكما أن الوطنية لا تنفصل عن المواطنية، لأن السلطة إذا ارتبطت بمصادر خارجية، استبدادية او اجنبية، ولم تصدر مباشرة عن إرادة شعبية، تنزع بالضرورة إلى التمييز بين المواطنين وتقديم بعضهم على بعض، حسب معايير الولاء

والخضوع والزبونية. كذلك لا تنفصل المواطنية عن الوطنية، ذلك أن السلطة التي لا تتمتع بالسيادة والاستقلال عن الدول الاجنبية تضطر بالضرورة إلى الانتقاص من حقوق الشعب وحرياته للتغطية على المصالح الخارجية التي تفرض نفسها عليها. وجميع الحكومات العميلة التي تعرفها بلداننا تنحو نحو الديكتاتورية تماما كالحكومات القومية المتطرفة التي تنكر الحقوق والحريات الفردية الأساسية باسم الدفاع عن الحقوق الجماعية في السيادة والقوة والوحدة القومية.

ولعل أصل أزمة الوطنية في البلاد العربية، وفي العديد من البلاد الأخرى أيضا، هو هذا التناقض المصطنع أو المفروض، بسبب ظروف البيئة الإقليمية والاستراتيجيات الدولية، والعداء الناجم عنه، بين قيم الوطنية المرادفة للاستقلال والسيادة العامة وقيم الوطنية المرتبطة بتنمية الحقوق والحريات الفردية والجماعية داخل الدولة نفسها. لكن يبدو لي أن ما يعيشه المشرق العربي من تحديات خارجية كبرى، بسبب وجود إسرائيل، وتعلق الدول الكبرى بأمنها وسلامتها، وكذلك بسبب وجود أهم مصادر الطاقة التي يحتاجها العالم الصناعي فيها، يؤسس لتناقض لا يكاد يمكن تجاوزه، ولهوة يصعب ردمها بين هذين المطلبين والبرنامجين. وهو وضع نادر العثور على مثيل له في مناطق أخرى من العالم. ففي العديد منها يمكن بسهولة التوفيق بين مطالب الاستقلال ومطالب التنمية الداخلية، الاقتصادية والسياسية والقانونية. بل إن فتح آفاق هذه التنمية يجعل من السهل على الحكومات التساهل في مسألة السيادة والاستقلال، وتجاوز مفاهيمهما التقليدية، ما دامت الحصيلة تحقيق مصالح أكبر مادية وسياسية للسكان. أما في البلدان العربية فلا تعني المساومة على الاستقلال فتحا لآفاق تعاون أكبر مع الدول الصناعية، ولا فرصا أكبر للتقدم والتنمية البشرية، ولكنها تتطابق مع القبول بالأمر الواقع، أي الاستسلام لأجندة السيطرة الأجنبية وما تعنيه من تثبيت للوضع القائم في فلسطين، أي للاحتلال والاستعمار الاستيطاني التوسعي، وللسيطرة السياسية والاستراتيجية الكاملة على مصير المنطقة. وهو ما لا يمكن أن ينسجم مع أي إرادة بناء دولة قانونية وسياسية تعكس الحد الادنى من إرادة مجتمعها ومصالحه. من هنا تبدو القضية الوطنية، في مطالبها الخارجية، في المشرق العربي، محددة وجوهرية، لا يمكن تجاوزها في أي محاولة لبناء دولة قانونية تحتاج للحد الأدنى من الكفاءة والشرعية والصدقية. وهو ما يفسر حساسية الشعوب العربية لهذا الوجه الخارجي من الوطنية ويسهل على الحكام الطغاة أيضا إمكانية استغلال هذه الشعوب وتركيعها واغتصاب حقوقها وحرياتها الأساسية، باسم الدفاع عن الاستقلال والسيادة والمصالح الوطنية العليا.

*** كل المؤشرات و المعطيات الحالية و التجربة التي مر بها العراق بعد زوال النظام السابق حتى يومنا هذا، تحيلنا مجدداً الى التفكير في إيجاد صيغ أخرى بديلة لتنظيم العراق سياسياً و إدارياً والسيطرة الأمنية عليه، و كلما فكرنا في ذلك لا نجد حلاً إلا القبول بنظام فدرالي، أي فدرلنة البلاد.**

ولكن ثمة مخاوف عراقية، أو بتعبير آخر مخاوف سنية (و أعتذر على طيفنة مكونات الشعب العراقي) من مثل هذا النظام، لأن السنة يعتبرونه تمهيدا لتقسيم العراق، ما هو منظورك لقيام نظام فدرالي في العراق و صحة المخاوف التي تُظهَر تجاهه؟

-ليس اسم الفيدرالية أو مفهومها بالمطلق هو الذي يدفع إلى الاختلاف ويثير مشاكل، ولكن ما تنطوي عليه الفكرة وتشير إليه بالنسبة لكل من الاطراف المنخرطة في النزاع في سياق الوضع العراقي الخصوصي الراهن. فبينما تعني الفدرالية تحرير الأطراف الكردية والشيعية من التزاماتها العميقة تجاه الدولة العراقية المركزية، وترك الآفاق مفتوحة أمام احتمالات اندماجها في وحدات سياسية أخرى، أو تعزيز ارتباطها بها، في كردستان تركيا وغيرها بالنسبة للكورد، وايران الاسلامية بالنسبة للشيعة، تعني بالنسبة للسنة تهميشا نهائيا في المعادلة العراقية. فالفدرالية تغطي مشاريع مختلفة كليا. وبينما يستطيع الكورد الرهان، وهو ما يفعلونه بالتاكيد، على مشروع قومي يتجاوز العراق أو يقف إلى جانبه، ولا يهتمون كثيرا نظرا لهذا المشروع، بمستقبل العراق كوحدة سياسية، وكما يستطيع الشيعة الرهان على مشروع الاستقلال الذاتي للمناطق الشيعية المرتبط بعلاقات وثيقة مع ايران الدولة الكبرى، وما يقدمه ذلك من منافع وفوائد مادية واستراتيجية، لا يملك السنة مشروعا آخر في العراق سوى العراق المركزي نفسه، أي العراق القديم الذي هو اليوم في طريقه للانحلال. ولذلك ما كان بإمكانهم إلا أن يجعلوا من الحفاظ على الدولة المركزية ورفض الفيدرالية مشروعهم الخاص للإبقاء على العراق والبقاء في قلب العراق وتكوين نواته الأساسية.

باختصار الفدرالية لا تطرح هنا كوسيلة تقنية لتنظيم شؤون مجتمع عراقي وطني موحد ومستقر يتحول من المركزية إلى اللامركزية، كما هو حاصل في العديد من المجتمعات الحديثة، وكما ينبغي أن يحصل في المجتمعات العربية أيضا، لإعطاء المناطق والمحليات سلطات أوسع وإمكانيات أكبر لتحقيق التنمية المحلية، ولكنها تطرح بالعكس كبديل عن العراق المركزي، وكتغطية في الواقع على انحلاله وانفصال مكوناته وانكسار لحمته الوطنية. لذلك تبدو فكرة الفدرالية وكأنها تخفي مشروع تقسيم العراق وإنهائه. وفي الظروف الراهنة ليس هناك أي شك في أن الفيدرالية الكاملة ستعمل على تسريع تجزئة العراق وتفتيته.

لذلك أنا أعتقد أنه إذا كان من المشروع والممكن تطبيق الفكرة في ما يتعلق بالمنطقة الكردية باعتبارها تضم قومية متميزة عن بقية مناطق العراق، بلغتها الخاصة وثقافتها ونمط حياة سكانها، فلا شيء يمكن أن يبرر نظاما فدراليا في المناطق العربية الأخرى سوى التسليم بالقطيعة الطائفية والقبول بمعايير التمايزات المذهبية. وإذا دخل العراق في هذا الاعتبار لن تكون هناك إمكانية في المستقبل لبناء أي دولة وطنية، أي مدنية، تفترض التعامل مع المجتمع كأفراد مواطنين، متساوين في الحقوق والواجبات، لا كجماعات طائفية أو موالين وتابعين لمذهب أو عشيرة. فلا تستقيم الطائفية مع

الدولة، ولا يمكن أن تعيش معها. فإما أن تكون الأسبقية لعلاقة الولاء لزعيم الطائفة والعشيرة، او يكون الخضوع لقانون واحد يقف أمامه الجميع، زعيم العشيرة وخادمها، متساوين وأحرار. فالدولة هي نقيض الطائفة من حيث هي تنظيم للأفراد حسب مبادىء الحرية والمسؤولية الفردية وفصل السلطات ومحاسبة المسؤولين ومساءلتهم. أما الطائفية فهي تعني الولاء للزعيم الروحي والتسليم له والطاعة لمن والاه. ولا يمكن أن يتطور في حجرها اي مفهوم للحرية الفردية الفكرية والسياسية، ولا للمسؤولية الوطنية، العامة والخاصة، ولا للقانون والمساواة بين الأفراد والمحاسبة، على قاعدة العمل والانتاج والكفاءة.

*** نلاحظ في كتابات العديد من المثقفين العراقيين و الباحثين لغة من التشاؤم إزاء مستقبل العراق، إذ أغلبهم لا يرون في ثقافة المجتمع العراقي، كإمتداد طبيعي للمجتمعات العربية والإسلامية، عناصر و بنى و تجارب معينة تساعد في تحول العراق الى مجتمع ديمقراطي- حداثي التفكير و التدبير ، أي مجتمع عقلاني خالٍ من النزعات الطائفية و القبلية/العشائرية الضيقة التي تتحكم الآن كما في السابق بقيم المجتمع سياسياً و إجتماعياً و إقتصادياً و حتى سايكولوجياً ، هل هذا يعني أن الديمقراطية و الحداثة الفكرية/العقلية و القيم الأخرى التي ساعدت مجتمعات كثيرة في تحولها التاريخي و تجاوز أزماتها و ظلماتها و بالتالي ضمان تقدمها و تحضرها، أصبحت مجرد حلم، أم أن كل هذا مرهون بوعينا بالذات و التاريخ و الواقع وبإرادتنا على التغيير؟**

-من الواضح أننا لسنا اليوم أمام عراق معافى ومتحرر من الصراعات والتناقضات والنزاعات والأوهام الدينية والقومية والقبلية، ولكن أمام عراق خرج من تحت نير الاستبداد مثخنا ومدمى، وتعرض فيه جميع السكان، بصرف النظر عن أصولهم وطوائفهم، لرضات وجروح وتنكيل وأعمال قتل بربرية، أفقدتهم ثقتهم واحدهم بالآخر، وقضت على أي معنى لتواجدهم كمجموعة سياسية، أي أفقدتهم ايمانهم بأنفسهم كجماعة وطنية. ولا يختلف هذا كثيرا عما حصل ويحصل في بعض الدول العربية الأخرى. وهذا ما يفسر مشاعر التشاؤم واليأس، الذي يتجلى أيضا في عمليات الإرهاب الإجرامية التي يقوم بها، من دون شك، قطاع من العراقيين الذين فقدوا الأمل بكل شيء، وسلموا قيادتهم لأصحاب المشاريع الإرهابية الدولية، أو استسلموا لمشاعر الانتقام والموت من دون تردد.

لكن لا ينبغي لهذا الوضع الاستثنائي الكارثي أن ينسينا بالفعل وحدة العراقيين العميقة، التي تأسست في الحقبة الوطنية، ولا أن يفقدنا الأمل بقدرة العراق على الانبثاق من رماده، كالكثير من المجتمعات التي خربت بنيانها الحروب الداخلية والخارجية ثم لم تلبث أن خرجت من تحت الأنقاض أكثر قوة وحيوية ووحدة. لكن لن يحصل هذا بين يوم وليلة. ثم إن القوى الخارجية التي تتلاعب بمصير العراق والمنطقة لا تسهل شروط انبعاث العراق من أنقاضه، وتغلبه على جروحه

وأحقاده. إنما ليس هناك أي شك في أن إمكان ولادة العراق الجديد قائمة وموجودة. ويكفي من أجل ذلك أن يدرك الجميع، ان أولئك المراهنين على مستقبل خارج العراق، أو على أشلائه، أو على مساعدات خارجية تعيد لهم عراقهم الذي مات وانتهى، أنه لا مستقبل لهم جميعا من دون العراق، وليس هناك بديل أفضل له في الأفق المنظور سوى التشتت والاحتلال وربما الاقتتال، وأن المساعدات الخارجية التي تبدو نزيهة وحريصة على مستقبل العراق، لا تسعى لنجدة العراق بقدر ما توظف فيه لتحقيق اهدافها الخاصة، أقول يكفي وصول العراقيين إلى مثل هذا الإدراك حتى يستعيد العراق حياته وثقته بنفسه وقدرته على التقدم والتفوق والعطاء. فالعراق بلد كبير وغني بكل شيء، وغني بتنوع سكانه قبل أي أن يكون غنيا بأي موارد أخرى، وهي وفيرة. إنما كي نصل إلى هذا الطور، لا بد من أن تزول الأوهام الكبيرة التي ولدت في العقود الماضية كرد فعل على الطغيان والديكتاتورية وفقدان الثقة بالنفس، وأن يدرك جميع العراقيين أن مستقبلهم ومستقبل أبنائهم مرتبط بالاستثمار في العراق وتنميته وتطويره، وليس بأي مشروع آخر، بصرف النظر عن أصولهم القومية والمذهبية. بل إن نجاحهم في إنقاذ العراق وتخليصه من كوابيسه وتحريره من توتراته العنيفة هو مدخلهم الرئيس للاستفادة من وشائج القربى التي تربطهم بما هو وراءه وخارجه. ومن أجل ليس هناك بديل عن عراقي ديمقراطي بالمعنى الكامل للكلمة، أي وطني ومواطني معا، بعيد عن الوصايات الأجنبية وخال من كل أشكال الهيمنة الأقوامية والمذهبية.

*** لنتحدث الآن عن الكورد و دورهم في معادلات المنطقة و مستقبل دول إقليمية قُسِمت عليها هذه القومية.. و لنذكر أولاً أنك من أشد المدافعين عن الديمقراطية و حقوق الإنسان، و نفهم إهتمامك الكبير أيضاً بمصير المجتمعات العربية و الوطن العربي، لدرجة أحياناً تظهر لنا بمظهر مناضل فكري يبحث نظرياً و من خلال أبحاث و كتب ودراسات عن بنية المشاكل و الأزمات و التحديات التي يواجهها العالم العربي لتقدم اليه فيما بعد أفكاراً و طروحات و مفاهيم و إنتقادات أملاً منك في تحسين أحواله أو مراجعة أوضاعه أو معالجة أزماته أو مساعدة نهوضه أو بناء حداثته غير التقليدية - الرثة ، هل يمكن أن تقدم لنا إذاً وجهة نظر حول سبل تعامل العالم العربي القويم ،لا سيما الدولتين العربيتين العراق و سوريا، مع الملف الكوردي، وبرأيك، ماهي القواسم المشتركة التي يمكن أن توحد صفوف الكورد و العرب في المنطقة و تقطع الطريق أمام أي إستغلال أجنبي للقضية الكوردية ؟**

-معك حق أن تحصر المسألة في علاقة الكرد بالعرب بسورية والعراق، فهي ليست مطروحة في العالم العربي خارجهما. ويتمتع الكورد بسمعة طيبة جدا ويحظون بعطف كبير في أوساط الرأي العام العربي عموما، بقدر ما يرتبط اسم صلاح الدين الأيوبي بهم في مخيلة العرب والمسلمين عموما. ويكاد من الصعب الحديث عن مسألة كردية في معظم أوساط الرأي العام العربي، حتى في بلد كسورية اتبعت فيه الحكومة البعثية، في عقود

ماضية سياسات إجرامية بحق الساكنة الكردية. فالكورد لا يظهرون في دمشق والمدن السورية الأخرى كما لو كانوا جسما غريبا او متميزا عن الجسم الاجتماعي العام، ولا ينظر إليهم على أنهم أقلية متميزة عن بقية أبناء الشعب السوري.

ذكرت ذلك لأقول إن السياسات العدوانية التي طبقها نظام البعث في العراق وسورية، وكان مضمونها القضاء على الهوية الكردية، أو محاصرتها بوسائل مختلفة، عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، لا تنبع من أي فكرة سلبية تسود أوساط الرأي العام العربي عن الكورد، وليس لها أي جذور او مرتكزات في الثقافة العربية، لا في الثقافة القديمة التي يغلب عليها الطابع الاسلامي الديني بالتاكيد، ولا في الثقافة الحديثة التي تكونت في عصر النهضة والتي كانت تدعو إلى الحرية والعدالة والمساواة والأخوة بين جميع الشعوب الاسلامية والعربية.

لا بل إن من الصعب أن تجد جذورا لها في الفكر القومي العربي الحديث، سواء ما أنتجه المفكرون القوميون مثل ساطع الحصري أو قسطنطين زريق أو غيرهما، او ما ارتبط بأفكار وممارسات جمال عبد الناصر الذي يمثل نموذج السياسة القومية العربية وتجسيدها، في العصر الحديث، وكان صديقا كبيرا للشعب والقضية الكرديين معا. ولن تجد أي وثيقة أو نص لأي مفكر عربي يستحق هذا الاسم تشير إلى الكورد بسلبية أو تتساهل مع حقوقهم الطبيعية، بما في ذلك مفكري حزب البعث نفسه الذي ارتكبت المجازر والاعتداءات تجاه الكورد في ظل حكمه وبغطاء منه.

ويحق لنا أن نتساءل، إذا لم يكن القضاء على الهوية الكردية وحصارها مطلبا شعبيا، أو لم يكن له أساس أو رصيد عند الرأي العام السوري والعراقي، وكان من الصعب ايجاد نصوص ذات صدقية تبرر للفاعلين فعلهم، وتجعل اضطهاد الكورد عملاً يجلب الشعبية، فمن أين جاءت سياسات الاضطهاد والظلم هذه وعلى أي أساس انبت؟

ينبغي القول أولا إن ما حصل بالنسبة للكورد هو ثمرة تفكير وتخطيط مجموعات من العكسريين وأجهزة الأمن والمخابرات، محدودي الأفق والثقافة والضمير معا، سيطروا على مقدرات البلاد في الدولتين، واستخدموها لتحقيق مآرب شخصية، وتخليد زعامات وهمية. ومارسوا في سبيل تحقيق أهدافهم وتعظيم زعمائهم وتخليد إنجازاتهم سياسات إجرامية لم يكن ضحيتها الكورد فقط وإنما جميع المكونات الوطنية والاجتماعية. وقادوا في النهاية الدول التي حكموها إلى الخراب والدمار. وربما كان الدافع الرئيسي لهم في عملهم هذا هو التعصب الناجم عن الجهل وضيق الأفق الذي جعلهم يفهمون القومية كحركة إقصائية. على غرار ما حصل ويحصل في البلدان المحيطة بهم، في تركيا وايران الشاه في ذلك الوقت، وغرار ما حصل مع القوميين المتطرفين المسمين باليعاقبة في فرنسا، في القرن التاسع عشر، والذي جعل الدولة تمارس سياسة محو منهجي للثقافات واللغات غير الرسمية، على أمل الوصول إلى أمة أكثر توحدا وتجانسا وبالتالي قوة. ولا شك أيضا أن ما شجع على ذلك هو انسداد أفق التحولات التي ارتبطت بحركة القومية

العربية نفسها، وإخفاق عملية التوحيد والعجز عن مواجهة إسرائيل. فقد بدا إخضاع الكورد وتجريدهم إذا أمكن من هويتهم هو أحد الانجازات التي يمكن للسلطات الفاشلة أن تبيعها لرأيها العام باسم القومية أو كبضاعة قومية.

لكن ذلك لا يعني أن لا مسؤولية على المثقفين والمفكرين والقادة السياسيين في ذلك. ولعل مصدر الخطأ لا يكمن في هذا المجال في ما كتب أو نشر أو قيل ضد الكورد كثقافة وشعب، ولكن في ما لم يقل وما لم يناقش في فكرنا القومي، أعني مشكلة الأقليات والجماعات القومية المتميزة عموما. فقد سيطرت فكرة الأمة العربية المعرضة للاضطهاد، او المضطهدة من قبل الدول الاستعمارية الغربية، على الأذهان إلى درجة منعت المفكرين والمثقفين والسياسيين من إمكانية النظر إلى ما يمكن أن يحصل من إضطهاد داخل هذه الأمة نفسها، ليس إزاء الأقليات الدينية والقومية فحسب، ولكن إزاء الفئات الاجتماعية وأصحاب المصالح كلهم. فلم يعد هناك احترام لأي حقوق خاصة، لا حقوق النقابات ولا الجماعات الدينية ولا القومية ولا لحقوق الأفراد انفسهم. لقد جبت الحقوق القومية، أي سيطرة الدولة والنظام القومي المتماهي معها، جميع الحقوق الأخرى.

من هذا الفراغ الخطير في النظرية القومية التي عالجت مسألة الاستعمار والأمبريالية ولم تعالج مسألة الحريات والحقوق الجماعية والفردية، أي حقوق الجماعات والأفراد، ومن الفراغ الخطير في السياسة القومية التي لم تلحظ العلاقة بين هذه الحقوق وقومية الدولة واستقلالها وسيادتها، دخل جميع الطامحين والمتسلقين على شجرة القومية وشعاراتها للحصول على مواقع سياسية لا يستحقونها، وتكوين أرصدة معنوية قومية. وبسبب هذا الفراغ لم يجدوا امامهم من يردعهم في أوساط المثقفين والرأي العام ويقول لهم إنهم بذلك يخونون الأمانة ويدمرون الأساس التي تقوم عليه الدولة نفسها. بل إن هذا الغياب قد منع الرأي العام من أن يرى ما يحصل، وهو يحصل أمامه، أي أن يفهمه ويكشف عن معناه من حيث هو اضطهاد وقهر غير مبرر وغير مقبول، لا أن يرى فيه إجراءات أمنية عادية او عقوبات رادعة ضد من غامر بالتمرد على السلطة ومد يده إلى الدول الأجنبية.

كل هذا يعيدنا إلى مأساة القومية التي تفصل بين الوطنية كدفاع ضد الهيمنة الخارجية والوطنية كتثبيت للحقوق والحريات الأساسية ووضع الضمانات الدستورية لاحترامها وممارستها.

الآن تغير الوضع كثيرا. فقد حصل الكورد في العراق على استقلال ذاتي حقيقي. ولهم برلمانهم الخاص وحياتهم السياسية والثقافية المتميزة والمستقلة. وهم يشاركون بقوة بالحكومة المركزية حيث يحتل زعيم الإتحاد الوطني الكردستاني منصب رئيس الجمهورية، إلى جانب مناصب وزارية أخرى يحتلها سياسيون كورد. ولن يكون من الممكن العودة عما تحقق في العراق. وليس هناك أي خطر يتهدد هذه الانجازات. وهذه أرضية صالحة لنقل العلاقات العربية الكردية من ساحة الصراع او التنافس إلى ساحة التعاون والشراكة الوطنية، في

العراق وخارجه: الشراكة لبناء الديمقراطية والأمن وتحقيق التنمية البشرية وتحسين شروط حياة السكان ورفع مستويات معيشتهم.

أما في سورية فلا يزال الامر معلقا. لأن نظام الحكم الأمني والمخابراتي الذي كان في أساس تفجير المشكلة الكردية لا يزال لم يتغير بعد. ولا تزال المشاكل الكبيرة التي يعاني منها الكورد، وفي مقدمها الاعتراف بحقوقهم الثقافية وإعادة الجنسية إلى جميع من حرموا منها من دون حق وبطريقة لا شرعية، وإيلاء منطقتهم ما تستحقه من عناية واهتمام في مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، قائمة كما هي منذ عدة عقود. لكن الكورد يشكلون منذ الآن مكونا أساسيا من مكونات المعارضة الديمقراطية السورية، وهم شركاء أساسيين في مشروع التغيير الديمقراطي السوري، وبالتالي في بناء النظام الجديد الذي سيولد منه. وبالإضافة إلى ما يضمنه هذا النظام، أو ينبغي أن يضمنه بالتعريف، من حقوق متساوية لجميع مواطني سورية من عرب وكرد وغيرهم، لن يطرح الاعتراف بحقوق الكورد الجماعية أي إشكال على أي حكم ديمقراطي مواطني قادم. وليس هناك شك في أن الكورد السوريين سوف يحصلون على جميع حقوقهم من دون تفريط، وليس بين قطاعات ا لرأي العام السوري من ينكر هذه الحقوق أو يخشى تحقيقها، باستثناء حفنة من أحفاد صاحب مشروع الحزام الأخضر السيء الذكر الذي أصبح اليوم نكرة حتى داخل حزبه الحاكم نفسه.

*** كيف تنظر الى كورد سوريا ، أنك توقعت ذات مرة أن يلعب الكورد دوراً نشطاً في أي تغيير سياسي مقبل في سوريا ، ماهي طبيعة هذا الدور و كيف يلتقي مع إتجاهات أخرى وطنية معارضة لسياسات سوريا الداخلية التي تنتقدها كثيراً و لا تجد فيها ما تبشر بتحول سوريا الى نظام ديمقراطي أو على الأقل تمهيد الطريق للتحول الديمقراطي ، و كيف تُقيّم دور المعارضة الكوردية في سوريا و نقاط ضعفها و قوتها؟**

-بسبب ما يعيشه الشعب الكردي عامة من نهضة قومية، احتفظ الكورد السوريون، بنشاطية سياسية أقوى بكثير مما يسم بقية مواطنيهم، سواء ما تعلق بانتشار الممارسة السياسية أو القدرة علىالتحشد الجماهيري أو بارتفاع الروح المعنوية العامة للناشطين السياسيين. وقد سمح هذا المناخ للكورد بالتحرك بديناميكية أكبر، وجعل منهم أحد أهم القوى المعارضة في سورية، إلى جانب قوى المعارضة الديمقراطية الأخرى والقوى الاسلامية. وليس من الصعب ملاحظة حضورهم الكبير في نشاطات هذه المعارضة وداخل هيئاتها الإئتلافية أيضا، وبشكل خاص في إئتلاف إعلان دمشق. وبسبب هذه النشاطية الواضحة، تعرض المكون الكردي في السنوات الثلاث الماضية للقمع والتنكيل أكثر من المكونات الاخرى، خاصة في صفوف الشباب، بدءا بإطلاق النار على المتظاهرين وانتهاءا بفصل العديد من الطلبة من جامعاتهم مرورا باتساع دائرة الاعتقالات والتعقبات التعسفية للناشطين.

هذه الحيوية السياسية التي تسم المنطقة الكردية تشكل من دون شك نقطة قوة أساسية، وتفتح للنخبة السياسية الكردية السورية أفقا واسعا للمشاركة في الحركة الديمقراطية وممارسة نفوذ كبير فيها. لكن هذا لا ينبغي بالتاكيد أن يخفي

نقاط ضعف هذه المعارضة أيضا، في شقيها الكردي والعربي معا. أعني التشتت والانقسام وتعدد الأحزاب والتنظيمات الصغيرة وعدم القدرة على العمل الجماعي الثابت والمستمر. وهو ما يفسر سيطرة الزعامات الشخصية على حساب العلاقات الموضوعية، وصعوبة التغلب على روح الخصومة والتنافس والنزاع بين الأفراد على احتلال المناصب. وهو ما يمنع من تطور روح القيادة كالتزام ومسؤولية، بدل أن تكون تكريسا لزعامات وتشريفا لشخصيات وتأكيدا لولاءات عائلية أو قبلية أو مذهبية.

ولعل السبب الأهم لهذا الوضع ضعف الثقافة السياسية عموما في بلادنا، وسيطرة نموذج العلاقات الشخصية وروح الولاء والانتماء للأفراد أكثر من الوفاء للمبادىء والقواعد والقيم والقوانين. وهو ما يرتب على المفكرين والمثقفين ومسؤولي هيئات المجتمع المدني مسؤوليات كبيرة، في إطار إعادة صوغ الوعي وأساليب العمل العمومي، الجمعي والوطني، في السنوات القليلة القادمة. لكن لا ينبغي التوقف كثيرا عند ذلك. فليس لدي أي شك في أن المجتمعات لا تستعيد حيويتها واتساقها ووحدة تفكيرها ونجاعة أساليب عملها وتنظيمها إلا من خلال الممارسة العملية. ففي كفاحها من أجل إصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية، وعملها على تجديد قواعد العمل الوطني وأنظمته معا، ستجد حركات المعارضة السورية نفسها مدفوعة لا محالة إلى إصلاح أوضاعها الداخلية وتجديد أسس تفكيرها وعملها، في الوقت نفسه.



الجريمة والعقاب

رائعة دوستويفسكي

ترجمة: رؤوف بيكرد

السليمانية- مطبعة رنج

٢٠٠٦

الفنان التشكيلي الكردي المغترب صدر الدين أمين:

-الفنان الحقيقي يولد ويموت فنانا حقيقيا، هذا ماتعلمته من الفن والحياة عموما

-فجأة وجدت نفسي غارقا في رسومات مائية وتخطيطية وزيتية عن موضوع واحد ووحيد هو كوردستان بطبيعتها الخرافية الاسطورية وبكل مافيها من جبال ووديان وغابات وبشر وحيوانات وحشرات وكل ما ينطق بالحياة والجمال





الفنان صدر الدين امين انطلق من مواليد مدينة كركوك 1963 ، حيث ولد في محلة قصا بخانة ، واكمل جميع مراحل دراسته في كركوك قبل التحاقه بأكاديمية الفنون الجميلة. أقام وشارك في عديد من المعارض داخل وخارج العراق، في الاردن وهولندا وبلجيكا وبريطانيا، اضافة الى المشاركات والمعارض العديدة التي أقامها في ولاية بنسلفينيا الأمريكية حيث اقامته الحالية. هذا الفنان كتب عنه الكثير من النقاد من الغرب والشرق، وكاد يجمع الكل على وصف اعماله الفنية بما يسمى بالفن البدائي. بيد ان هذا الوصف لا يخلع عنه صفة التعبيرية التجريدية التي تكمن في بناء اعماله الفنية، انه يبدأ بعفوية وتلقائية لانتشال اشكاله الموغلة في ذاكرة طفولته، ويبدأ يشذبها ويعقد بينها علاقات فردوسية تعيش على ارض خالية من الأحقاد والاضغان والخوف. انه يبحث عن فردوسه المفقود (كردستان) بما فيها من وديان وجبال وجداول وبشر وحيوانات واسماك وحشرات وكل ما ينطق بالحياة والجمال كما يقول الفنان نفسه، مصورا اياها بحدسية فائقة مؤسسا لعلاقات بريئة بين كائناته في عالم وسيع رحب يضم كل ما ينبض بالحياة، بمقدرة لونية عالية لا تخفى على المتلقي والمختص في آن معا، داعيا ألوانه الدافئة والباردة وتمازجاتها لترفع كاهل مفرداته بكل عفوية جاعلا جوا يقترب من الهارموني مرة ومن التضاد مرة أخرى. فاللون عند الفنان له اهمية كبيرة في ابراز عالمه واطلاق العنان لانفعالاته وتكثيف معانيها. فعلاقات مفرداته ومعانيها تكاد تخلق سلسلة مترابطة بين جميع لوحاته رغم تباين عناوينها. فكل لوحة بما تحمله من رموز وتعابير ميثولوجية تمثل قصة ما، تأخذك تداعياتها الى أحلام عالم الانسان الأول وتستمر بك بتجاربها الى حيث أحلامه الآن. ولو قدر لهذه اللوحات ان تطبع على هيئة اوراق التاروت التي تحملها العرافات الايطاليات، لكان بامكان كل متلق ان يجد فيها قصة عاشها في مكان وزمن ما او امكانية ان يعيشها في حياته اللاحقة كما يصورها الروائي المعروف إيتالو كالفينو في روايته (قلعة المصائر المشتركة). هذه المزاوجة بين الخيال والواقع والهروب من الخيال الى الواقع وبالعكس، لها مدلولاتها السايكولوجية لاكتناه الحياة. الفنان صدر الدين امين عالج كل هذا وذاك بحساسية مفرطة نابعة من صدقه مع الأشياء وتعامله التلقائي مع محيطه والحب الجامح للآخرين منذ صغره. لقد عرفته أيام الدراسة في اكاديمية الفنون الجميلة في بغداد كثير القراءة له معرفة واسعة بالمدارس الفنية قديمها وحديثها، استطاع من خلال هذه السمة وتلك الى جانب تجربته الحياتية واختياره للرموز والمفردات ذات القاسم الانساني المشترك ان يوصل خطابه البصري وعالمه الفني بما يمتلكه من تراكمات لونية وانشائية جمالية، حدسية كانت أو اكاديمية ويحفر البسيط من الرموز والمفردات قويا في ذاكرة المتلقي بنجاح باهر. أقول ان الفنان أمين لا يسعى لإيجاد لغة او روابط مشتركة بين كائناته الحية، بقدر ما يسعى لإزالة النقاب عنها والتعريف بها لإنسان اليوم الذي نسيها في غفلة تيهانه في لجة التكنولوجيا ولهاثه وراء العصرنة والمادة، وكأنه بهذا يؤسس لكتابة تعاليم بوذا بلغة بصرية تلقائية غاية في الشفافية.

*** ما هي قصتك مع الرسم، وكيف بدأت مسيرتك الفنية؟**

-يمكنني القول باني بدأت اعشق الرسم في السبعينيات من القرن الماضي، ويعود هذا العشق الى ان اغلب افراد اسرتي يمتهنون الرسم، فكان اكبرنا وهو اخي عابدين امين رساما ممتازا وهو من اوائل من تم قبوله في اكاديمية الفنون الجميلة في بغداد ولكن للاسف لم يستمر في الدراسة بل انتقل الى كلية اخرى وذلك بسبب ظروف الحياة المعيشية الصعبة اضافة الى الوضع السياسي في ذلك الوقت فقد انتقل اكبراخوتي الى صفوف البيشمركة ابان ثورة ايلول، وبذلك وضعتنا الحكومة جميعا في خانة - العصاة - المصطلح الأمي الذي كان يطلقه حزب البعث المنحل على البيشمركة الكورد المدافعين عن الحياة الحرة الكريمة والاستقلال والحرية على ارض كوردستان او (بلاد الابطال) كما كان يقول الجواهري، لذا وفجأة وجدت نفسي غارقا في رسومات مائية وتخطيطية وزيتية عن موضوع واحد ووحيد هو كوردستان بطبيعتها الخرافية الاسطورية وبكل مافيها من جبال ووديان وغابات وبشر وحيوانات وحشرات وكل ما ينطق بالحياة والجمال، فبدأنا نرسم كل شيئ يتعلق بـ (فردوسنا المفقود) كوردستان، اتذكر ان اخي عابدين كان يتقن رسم البورتريت بمهارة عالية وقد رسم عشرات البورتريتات عن الزعيم الخالد مصطفى البرزاني، وكنت اراقبه بدهشة اثناء الرسم وكان يحذرنا من رسم تلك الصورة (الخطيرة) على حد تعبيره لأن الحكومة اذا ما عرفت بالأمر فسوف تدفننا احياء، لذلك اتجهت بدوري الى رسم طبيعة كوردستان فقط اضافة الى صور الحيوانات وعلى وجه الخصوص الذئب لما في ذلك من معان ورموز لهذا المخلوق المخيف القوي الذي رافقني من خلال حكايات الكبار لنا حين كنا صغارا، وبقي الذئب حتى هذا اليوم يرافقني في اغلب اعمالي، وقتها كنت ارسم الذئب كرمز للشجاعة واليوم ارسمه كرمز للموت والهلاك والدمار والنفي كما يحدث اليوم في العراق، اشعر اليوم وانا أتأمل حالة الشخصية العراقية ان كل واحد منهم يحمل في داخله حيوانا، بعضهم يحمل حيوانات جميلة كالطيور والارانب والسناجب ...الخ، وهؤلاء من محبي الحياة وهناك.. ويا للاسف من يحمل في داخله حيوانا كاسرا ومدمرا ومخيفا كالذئاب والنمور والافاعي، انه ذلك الارهابي الذي يكره الحياة ويمجد الموت.

في الخامس الابتدائي كنت قد وصلت الى مرحلة جديدة في الرسم فبدأت ارسم لأول مرة صور الفتيات واتذكر مرة رسمت فيها فتاة كانت تدرس معنا في المدرسة، كنت متعلق بها وبجمالها أيما تعلق (طبعا انا دخلت المدرسة وعمري عشر سنوات، يعني في الابتدائية كنت مراهقا)، فرسمت تلك الفتاة وهي بتنورة قصيرة وتفاصيل اخرى، انبهروا التلاميذ حينما شاهدوا ذلك الرسم، وحدث في حينه ان قام احد التلاميذ بسرقة الرسم واخذه الى معلم الرسم وكان اسمه (جمعة ولا اتذكر اسم والده) جاءني المعلم غاضبا ونهرني امام التلاميذ

وقال بالحرف الواحد: " لو رسمت مرة اخرى مثل هذه الرسوم لقطعت يديك" هذا بدل ان يشجعني وقد استغربت جدا ومعي التلاميذ الفرحين بذلك الرسم، ولكن زال استغرابي حين علمت لاحقا ان هذا المدرس كان ذا توجه ديني وقد أعدمه نظام صدام لانتمائه لأحد الاحزاب الاسلامية آنذاك. طبعا منذ ذلك الوقت وحتى اليوم مازلت اخاف من رسم الفتيات، لقد مات ذلك المعلم لكن افكاره مازالت على قيد الحياة، بل قويت اكثر من قبل داخل المجتمع، انظر وأتامل مايجري في اكاديمية الفنون الجميلة والمعهد في بغداد واشعر بنهاية الفن العراقي هذا الفن الذي كان في طليعة الفن العربي لكن اليوم تراجع الى الخلف مئات الخطوات، واعتقد ان مستقبلا مظلما ينتظر الفنان العرقي واتمنى ان اكون مخطئا تماما، تصور ياصديقي ان بعض الرسامين من اصدقائنا (الفنانين) قد تحول الى خطيب في جامع، واخر صار وهابيا اعتزل الحياة واخر ترك الرسم رغم انه مقيم في الغرب وأبلغ عائلته في العراق ان يحرقوا كل رسوماته لانه اكتشف ان الرسم حرام اليست هذه مأساة حقيقية، وقبل ايام قرأت خبرا مثيرا وهو ان احد علماء الدين في مصر افتى بتحريم النحت وتواجد المنحوتات في البيوت او الساحات ولاحقا في المتاحف، كما حدث في متاحف ايران بتشويه رسومات الانطباعيين وتدمير الاثار في افغانستان وهلم جرا. اعود لأقول منذ ان رسمت ذلك الرسم المثير كما اعتقد معلم الرسم صرت أعرف بـ (الولد الرسام) لمن لايعرف اسمي، وصرت احمل هذا اللقب حتى اليوم. في الصف الاول المتوسط اقمت اول معرض شخصي لي في ثانوية داقوق وذلك بتشجيع كبير واهتمام من الفنان المسرحي الراحل داوود زيا الذي اعتبره اول من شجعني ونبهني الى انني ساصبح رساما لو اخلصت في الرسم، وكان يحدثني عن الفن ويزودني بكتب عن حياة الفنانين العالميين ولكن للاسف لم يستمر الحال سوى نصف عام في المدرسة فبسبب افكاره التقدمية الماركسية وشى به من وشى، وصدر بحقه امر القاء القبض عليه ولكنه في اللحظة الاخيرة هرب ولم اره بعد ذلك ابدا، وقبل سنوات مات في منفاه في السويد وقد ابلغني بذلك صديقي الكاتب التركماني المبدع (نصرت مردان) فهو كان من اصدقاء المرحوم المقربين. في المرحلة الاعدادية كنت رسام المدرسة وقد توجت انهاء الدراسة الاعدادية بالدخول الى اكاديمية الفنون الجميلة ببغداد.

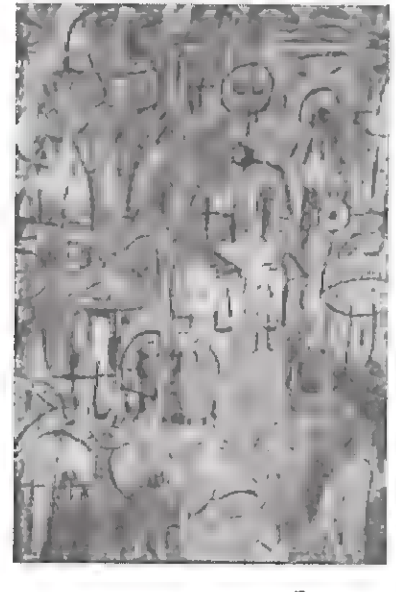
اتذكر ان مدير المدرسة في الاعدادية وهو الاستاذ عبدالرحمن عاصي الطالباني ذكر امام الطلبة في احد الأيام ان صدرالدين ياتي بالكتب الخليعة الى المدرسة رغم انه طالب جيد وهنا استغربت من كلامه وقلت له مستحيل انا افعل ذلك وقد اكتشفت في نهاية المطاف انه قد وصله خبر حول الكتلوك الجميل للنحات المبدع دارا حمه سعيد، والذي كانت فيه منحوتات عارية وكنت دائما ما أجلبه معي للمدرسة ليشاهده الطلبة وقد دافعت عن رسومات دارا امام المدير في وقتها وقلت له: هذه منحوتات وفن عالمي لفنان كردي يعيش في ايطاليا وجرنا الحديث الى عصر النهضة ومايكل انجلو، وهنا استوقفني المدير وقال لي: والله انت اما عبقري او

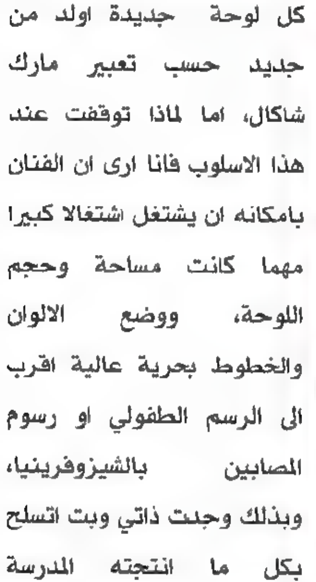
مجنون، ومنذ ذلك الوقت كان الطلبة يلقبونني بالعبقري وذلك بسبب المعلومات التي كنت امتلكها في وقت لم يفقه الأعم الأغلب من الطلبة شيئا في الفكر والثقافة والفن وكل هذا بسبب عدم وجود دروس تربية فنية حقيقية، فما زال في العراق درس الرسم هو اما درس رياضة او درس شاغر، لذلك ستبقى الامية الفنية تعيش طويلا في عموم العالم العربي. في منتصف الثمانينيات تم قبولي في اكاديمية الفنون وكان المشرف على الامتحان هو الفنان الكبير وليد شيت الذي كان نعم الاستاذ والصديق والذي تعرض للاعتقال والسجن وخرج منها بعد سنوات وكانه ليس وليد شيت ذاته والله وحده يعلم ماذا جرى له في سجون البعث الكثيرة، وفي الاكاديمية بدأت رحلتي الحقيقية في الرسم والحكاية تطول وبما انك كنت شاهدا كبيرا باعتبارك كنت تدرس معي في ذات الصف الذي كان يشرف علينا الرسام الراحل محمد صبري، في سنتي الثانية تمردت وقررت ان اترك الاكادمية امام دهشة الاصدقاء والاهل والاساتذة فقد اكتشفت ان الاكاديميات والمعاهد لاتصنع الفنانيين، كما يقول هربرت ريد، فقد اصبحت الاكاديمية كلية مغلقة للبعثيين وصارت مؤسسة حزبية وعسكرية فكان الاستاذ يدخل وهو يتمنطق بالمسدس، فانا شخصيا لا استسيغ ولا اتقبل ان يتحث الاستاذ عن فان كوخ مثلا وهو يحمل مسدس، هذا الوضع السريالي جعلني اكره الفن بدل ان احبه ووجدت نفسي في وضع مقرز وعندما شعرت بالصدمة لم اتحمل الوضع فتركت الكلية ولم اندم على ذلك سوى انني تركت بعض الاساتذة الرائعين وبعض الطلبة الفنانين، برأيي الشخصي ان الانسان الفنان يولد وهو فنان ولايمكن اطلاقا لأحد ما أن يصنع فنا لا المؤسسات ولا الجامعات ولا الاموال ولا الشهرة الزائفة، فالفنان الحقيقي يولد ويموت فنانا حقيقيا، هذا ماتعلمته من الفن والحياة عموما، يقول كاندنسكي (الرسم فن رفيع، والفن يمنح قوة تستهدف تنمية النفس الانسانية، واذا فشل الفن في ان يحقق هذا الهدف فان المسافة التي تفصلنا عن الله تفتقر لجسر يمكننا العبور عليه للسمو الانساني الارقى.

*** اي المدارس الفنية استهوتك في بداية حياتك؟ وهل تركت أثرا او نقطة انطلاق في اعمالك الفنية فيما بعد لتكوين اسلوبك الخاص في الرسم؟**

في الحقيقة لقد استهوتني في بداية حياتي الفنية ومازالت اغلب المدارس وخاصة تلك التي ظهرت ما بعد الانطباعية، كالتعبيرية والتعبيرية الالمانية والتعبيرية التجريدية مدرسة نيويورك تحديدا وثم الدادائية التي اعتبرها ثورة عظيمة في الفن، والدادائية الجديدة التي ظهرت في امريكا على يد روبرت راوشنبرغ وجاسبر جونز والوحشية وخاصة اعمال هنري ماتيس والسوريالية وخصوصا اعمال سلفادور دالي وكذلك السوريالية الغنائية ومعلمها خوان ميرو ولاننسى بول كلي واسلوبه المتفرد في الرسم الحديث وثم البدائية والتي اصبحت اكثرها قربا مني، وايضا استهوتني اعمال جماعة كوبرا وخاصة اعمال الجينسكي واسجر جورن، كل هذه المدارس بفنانيها الكبار تركت الاثر

الاعمق في اسلوبي لاحقا بشكل او باخر.. وبعد ربع قرن من الرسم والتجارب وجدت نفسي منتميا بقوة للمدرسة او الاسلوب البدائي في الرسم ووجدت ايضا ان النقاد وضعوني وصنفوني ضمن البدائية واول من اطلق علي بالبدائي هو الناقد الرسام خالد خضيرالذي اهتم بتجربتي ومتابعة ما يجد من اعمالي والكتابة عنها بين فترة واخرى، بشكل مغاير مرة تلو أخرى، وهذا ما جعاني احسب خطواتي جيدا كي لا اصل الى نهاية نفق مسدود، وانا في الحقيقة اشكر خالد خضير وكل ناقد كتب عني فانا اشعر بانهم جميعا يحاولون ان يجعلوا مني رساماً جيدا، وعندي اليوم ويب سايت او موقع شخصي باسم البدائي وذلك على الانترنيت وبامكان المشاهد والمتذوق ان يجد مئات من لوحاتي وصوري ومقالات، اضافة الى صور ولوحات فنانين بدائيين عالمين وصور اصدقائي الشخصيين، ومنذ ان اكتشفت البدائية سحرت بها ووجدت نفسي مأخوذا بعوالمه الطفولية على وجه الخصوص واكتشفت فيها تلك الخلطة السحرية الممزوجة بين الجمالي والروحي مزجا فنيا وفكريا ولأصهره في بوتقة الفكر والفن البدائي الخلاق وذلك باسلوبي الشخصي والتي هي نتاج بحث وتجربة تمتد الى ثلاثة عقود من الزمن، وقد توصلت بعد كل هذه الفترات او المراحل الفنية والزمنية بأن البدائية هي الاقرب الى روحي وفكري وفلسفتي ورؤيتي للفن والحياة واصبحت ارى الاشياء بعينين خاصتين كما لو اني في





كل لوحة جديدة اولد من جديد حسب تعبير مارك شاكال، اما لماذا توقفت عند هذا الاسلوب فانا ارى ان الفنان بامكانه ان يشتغل اشتغالا كبيرا مهما كانت مساحة وحجم اللوحة، ووضع الالوان والخطوط بحرية عالية اقرب الى الرسم الطفولي او رسوم المصابين بالشيزوفرينيا، وبذلك وجدت ذاتي وبت اتسلح بكل ما انتجته المدرسة البدائية من فكر وفن وفلسفة ورؤية ومفردات بلا بداية ولانهاية، وقد توصلت الى نتيجة ان البدائية قد احتوتني وانا احتويتها منذ ان وجدت نفسي باني مقبل على جمع كل مايتعلق بها مهما كان صغيرا او كبيرا في المعنى او الشكل كمفردة، وبدات افكر بكيفية وضع مفرداتي بشكل انيق على سطح اللوحة لاتفتقر الى العفوية التي هي من ضرورات الفكر البدائي رغم ان المتلقي يراها ويظن ان تلك المفردات واللوحة عموما قد رسمت بشكل عفوي لكنها في حقيقتها الداخلية غير ذلك، فكل شيئ موضوع بدقة كما عمل الصائغ الفنان، اذن انا اليوم رسام بدائي لكن ياترى هل سابقى على هذا الحال، لا اعتقد ذلك فانا مازلت ابحث عن لغة فنية اخرى

واعتقد باني مقبل نحو عالم اكثر دهشة وحداثة واقصد (البدائية الحديثة) هذه المدرسة الجديدة التي لم اسمع بها ولم يخطها حتى اليوم قلم ناقد او فنان من العالم الشرق اوسطي، هذا ما ابحث عنه اليوم واصبو اليه ربما ستجد مستقبلا من يطلق علي لقب - البدائي الحديث - وهذا ما اتمناه واريده يوما قريبا.

*** هل يمكن اعتبار المعارض التي اقمتها في الأردن هي البداية للدخول الى الفن العالمي، وتعرف النقاد على اسلوبك (البدائي)، وماهي اهم الأعمال التي لفتت انظار النقاد لتضعك على طريق العالمية؟**

- اود ان انوه بأني قبل ان اعرض اعمالي في الاردن كنت قد عرضتها في بلدان اوروبية وقد لفتت انظار النقاد والجمهور معا هناك، فقد كتبت عن تجربتي واقتنيت اعمالي وكانت تلك المعارض اللبنات الاساسية الاولى في عرض اعمالي لاحقا في بلدان العالم، وكل ذلك حصل بفضل ومساعدة الرسام الكردي خليل كاكيى الذي شجعني كثيرا على عرض اعمالي، وبذل جهودا كبيرة في ذلك حيث نقل اعمالي من كوردستان الى بلجيكا وهولندا تحديدا واقمنا معا سلسلة معارض مشتركة اثارت اعجاب الجمهور الاوروبي، فقد وجدوا في اعمالي اسلوبا مغايرا شكلا وجوهرا، لكن معرضي الشخصي الأول في الاردن كان له الاثر الأكبر على مسيرتي الفنية والتي حددت ملامح اسلوبي لاحقا، وكما هو معروف عالميا ان المعارض الاولى هي نوع من المغامرة فالفنان مقبل على عالم مجهول فاما ان يحالفه النجاح او الفشل، لكن يبدو ان النجاح كان قدر معرضي الاول الذي وضعني في مصاف فنانين كنت احلم دوما ان اكون اقل منهم بكثير.. فزيارتي للاردن واقامتي هناك لمدة سنتين فتحت لي افاقا جديدة في الفن والحياة، فهناك لاول مرة استنشقت هواء الحرية وانا القادم من جحيم عراق صدام، اتذكر ان احد الضباط في (طريبيل)، حيث نقطة الحدود العراقية الاردنية قد اخذ مني كل ما جلبته معي من ادوات رسم كالالوان الزيتية والفرشاة والاوراق وعندما سألني عن لوحاتي قلت له هذه ليست لوحات، بل هي رسومات اطفال وكثير منها رسومات ابنتي ميدوزا، لذلك لم يهتم بها ولم يحتجزها ويمنعها من دخول الاردن، وهكذا انطلت عليه الحيلة واخرجت اعمالي الورقية تلك التي كنت قد رسمتها في اوائل التسعينيات ومنتصف الثمانينيات وتلك هي الاعمال التي كنت قد عرضتها في معرض شخصي في المركز الثقافي الفرنسي والتي لاقت نجاحا كبيرا من حيث الاشادة بها من قبل النقاد الاردنيين والعراقيين، وحجم المقتنيات من قبل الفرنسيين الذين اقتنوا مجموعة كبيرة من اعمالي وباسعار كان قد حسدني عليها احد كبار الفنانين العراقيين، ولا اخفي عليك كانت بالنسبة لي فرحة وسعادة وانتصار كبير لتجربتي المتواضعة في الرسم، الخطوة المهمة الأخرى هي انني قد تعرفت على مجموعة كبيرة من الرسامين والنقاد والمثقفين الاردنيين الذين أكن لهم كل التقدير لجهودهم في مشاركتي معاناتي ووقوفهم بجانبي والكتابة عني بشكل رائع مثل الاخوة الفنانين والنقاد: الدكتور مازن عصفور الذي قدمني في دليل العرض والناقد محمد

العامري في جريدة الدستور والناقد حسين دعسة في جريدة الراي والشاعر تيسير النجار الذي اجرى معي حوارا طويلا ولأول مرة في حياتي، وقد نشر في جريدة الزمان، اضافة الى الاشادة من قبل الكتاب العراقيين، والقائمة طويلة وانا اكن لهم كل التقدير ولهم الفضل الكبير لما وصلت اليه اليوم، ولا انسى الموقف والجهد الكبير الذي قدمه مدير دائرة الفنون الفنان والمعماري علي ماهر الذي عرفني على الكثير من الفنانين العرب الكبار مثل مروان قصاب باشي وكمال بلاطة وكبار فناني الاردن وفنانين من ايران والهند وروسيا.. وهو الذي قدمني الى مدير المركزالثقافي الفرنسي قائلا (اقدم لك، الفنان الكردي صدرالدين وهو احد ضحايا (علي الكيمياوي) ومن احفاد الفنان الكبير محمد عارف، قالها بروحه المرحة ورغم اني اعتز بما قدمته في ذلك المعرض من اعمال ولكن لا اعتبر تلك الاعمال اهم اعمالي، ففي ذلك الوقت تركت اعمالي المهمة في العراق وخاصة الاحجام الكبيرة منها خوفا من التلف والضياع في الحدود، اما اعمالي الأهم فأنا لم ارسمها بعد وما ارسمه اليوم اعتبره مجرد تخطيطات اولية في دفتر الرسم والى الان لم احقق ولم انجز ما اصبو اليه تماما لذلك فأنا في سباق مع الزمن كي ارسم ما لم ارسمه بعد، وهذا يتطلب بذل جهد استثنائي في العمل باستمرار والدخول في تجارب فنية جديدة والقراءة والاطلاع والاهم التأمل، تلك هي الخطوات التي تجعل من الفنان فنانا عالميا. اعتقد ان الفنان الذي يريد الوصول الى العالمية هو ذلك الفنان الذي يضحي بكل شيئ نعم بكل شيئ من اجل الرسم، ولكن من يضحي بكل مغريات الحياة من اجل الرسم ؟ ذلك هو الفنان الحقيقي، انظر وتأمل واقرأ سيرة الفنانين الكبار ستكتشف ذلك، اذن لا فن كبيرا دون تضحيات كبيرة اطلاقا.

*** *خصص لك مكان عرض خاص لأعمالك في احدى* قاعات العروض الامريكية (كالري سوك شوكلي) كيف استطعت ان تحقق هذا الانجاز المميز بالنسبة لفنان كردي معاصر؟ وكيف اختاروك لهذا المكان ؟**

- وصلت الى الولايات المتحدة وفي جيبي 35 دولارا وحقيبة تحتوي على لوحاتي واحلام كبيرة في الحرية والفن، بعد اسبوع من وصولي استقبلتني صديقة امريكية وخلال لقائنا الاول شاهدت لوحاتي وبعد ايام دعتني الى منزلها الكبير للغداء ودعت مجموعة من اصدقائها بهذه المناسبة وهناك شاهد الجميع لوحاتي واثنوا عليها واعجبوا بها وبعد ايام فقط اتصلت بي هذه الصديقة وذهبنا الى قاعة (سوك شوكلي) وهي فنانة امريكية من اصول كورية استقبلتنا بحرارة وشاهدت اعمالي وبلغتني انها ستفكر بقيام معرض شخصي لي، وبعد ستة اشهر اقمت المعرض الذي حقق صدى كبيرا في المدينة التي اقيم، اذ حضر في الافتتاح جمع غفير واقتنيت لوحاتي ولأول مرة بأسعار كبيرة ونشرت عني مقالات في الصحف وظهرت احدى لوحاتي على غلاف ملحق ادبي وفني من الجريدة الرسمية للمدينة وبحجم كبير اضافة الى مقالة مطولة، ثم جاءت قناة فوكس التلفزيونية الامريكية الى شقتي واجرت معي حوارا وبثته على شكل تقرير واصبحت بين ليلة وضحاها من مشاهير مدينة

لانكستر، بعدها اتصلت بي صاحبة الكالري من مدينة اليزبيث تاون لأقيم معرضا هناك وصاحبة كالري آخر في مدينة هيرشي لأقيم معرضا مشتركا مع اخي الفنان الفوتوغرافي شمس الدين المقيم حاليا في امريكا، وهكذا توالت العروض بعد نجاح معرضي، وحاليا صار بامكاني ان اعرض في افضل القاعات اضافة الى عروض دائمة على صالة كالري سوك شوكلي والتي ستعرض لي وللمرة الثالثة معرضا جديدا منتصف عام 2007. وفي نفس الوقت توالت العروض من ولايات اخرى أهمها نيويورك، اذ حصلت على دعوات مفتوحة من ثلاث كالريات (قاعات) وانشاء الله ستسمع قريبا جدا باخبار تلك العروض في نيويورك هذه المدينة الزاخرة بـ 150 متحفا مهما، ومئات الالوف من القاعات الفنية، وكل ما احلم به اليوم ان اعرض اعمالي هناك لأن نيويورك هي المفتاح الذهبي للدخول الى عالم الفن الكبير وهذا يحتاج الى جهد كبير ومال للوصول الى هناك، ولهذا ثمن باهظ اذ على الفنان ان يعمل كثيرا ويسهر طويلا كي يحقق هكذا احلام، يقول الامريكيون: ان من يعيش ويعمل وينجح في نيويورك سيستطيع العيش والعمل والنجاح في اي مكان في العالم بسهولة.

صدرالدين مع جليل القيسي واثنين من اخوانه في اواسط السبعينيات

*** ماهو تقييمك للفن الكردي المعاصر، هل يراوح في مكانه مقارنة بالفن التشكيلي الاقليمي والعالمي، أم انه يسير نحو التعريف بمميزاته الفنية الخاصة؟**

- في الواقع وبتصوري الخاص ومن خلال متابعتي ومنذ اكثر من عقدين ونيف مما يجري في الساحة التشكيلية الكردية، بامكاني القول وبجرأة بأنه لامجال للمقارنة بين ما تسميه (بالفن الكردي) والفن العالمي هذا من ناحية ومن ناحية اخرى اقول ايضا وبكل ثقة نابعة من حقائق ووقائع انه لايوجد هنالك شيء اسمه فن كردي بمعناه الاصطلاحي وهذا لايعني اطلاقا بعدم وجود فنانين كورد، نعم هنالك فنانون كورد كثر ولكن فن قليل، ولهذا اسباب يطول شرحها ولكني سأوجز بعضا منها، فالرسم في كردستان عمره الزمني اقل من نصف قرن فيما الفن واقصد الرسم عمره في الغرب اكثر من اربعة قرون، لقد دخلت الفرشاة والكنفاس واوراق وادوات الرسم في العراق عموما في اوائل الخمسينيات مثلا، لذلك فلايمكن ان نحدد فن ما إلا بعد مرور مئة عام على الأقل على تكوينه بمعناه الاشمل، اول دفعة تخرجت من معهد الفنون الجميلة في بغداد من الرسامين الكورد كان في منتصف الستينيات من القرن الماضي، بعض الخريجين غادروا الى اوروبا ولم يعودوا، منهم من ترك الرسم ومنهم



من بقي يرسم ظلال الرسم الاوروبي الحديث، ومنهم من عاد يحمل معه خبرات وابتكارات واكتشافات الفن الى كوردستان عاد و قد اصيب بالاحباط بسبب عدم الاهتمام به سواء من الجمهور او المؤسسات، فالنحات دارا حمه سعيد وهو واحد منهم، عندما كان في ايطاليا كان نحاتا مهما ولو بقي هناك لكان اليوم نحاتا عالميا يشار له بالبنان، واليوم وهو في كردستان ليس هو دارا الذي كان في ايطاليا للأسف، حتى اليوم لايوجد ناقد متخصص بالفنون التشكيلية في كردستان وان كان فهو اما شاعر او صحفي، فبدون وجود نقاد جيدين ذوي خبرة وثقافة وفكر موسوعي شامل لايمكن ان يكون هنالك فن حديث اسوة بالغرب، لذلك وكما ارى لايوجد هناك من يستطيع تقييم الفنان بشكل أكاديمي، لذا فكل ماينتج من اعمال تظهر سطحية وعادية سواء اكان واقعيا او تعبيريا او تجريديا، الأعم الاغلب من الفنانين الكورد يهتم بالموضوع على حساب الشكل وبرأيي الشخصي ان المواضيع لاتخلق فنا عظيما بل الاشكال هي التي تخلق فنا عظيما انظر الى اعمال موندريان مثلا، ماينتج من الرسم الكردي اليوم في الاسلوب الواقعي والتعبيري اشبه ماتكون بالرسوم التوضيحية للكتب المدرسية ليس الا، واغلب ماينتج من الاعمال التجريدية بامكاني القول انها تجريدية سطحية وزائفة لاتمت بتقاليد التجريد بأي صلة، فنانو الداخل لم يعودوا يهتمون بالفن فهم مازالوا يبحثون عن لقمة العيش وهذا امر مؤلم للغاية وفنانو الخارج وخصوصا في بلدان المهجر الاوروبية نسوا الفن بعد اول راتب قبضوه من الرعاية الاجتماعية وهم يسجلون انفسهم فنانين كي يحصلوا على مورد مالي ثابت وهذا ما جعلهم كسولين وبعيدين عن الابداع والخلق الفني وهذا امر مخجل. هناك عدد كبير من الفنانين في الخارج ولكن اين نشاطاتهم واعمالهم ؟ حتى اليوم لم يشارك رسام كردي في مهرجان او بينالي مهم، ولم يفز اي فنان بأي جائزة كبيرة ومهمة ولم يعرض اي متحف عالمي مهم لوحة لرسام كوردي ولم يقتن اي عمل فني بمبلغ كبير ولم تصدر اي دار نشر عالمية معروفة كتابا عن اي رسام كردي، ربما ستردد لي اسماء فلان وفلان كلهم اعرفهم، لم يعملوا ذاك الشيء المهم، اذن كيف بامكان الرسام الكردي ان يكون فنه بمستوى الفن العالمي؟ اقول على الفنان الكردي ان يكون مخلصا للفن اولا وان يرسم كل يوم سبعة عشر ساعة كما كان يفعل (اندي ورهول) وهو يعيش في سرداب تحت الانفاق في نيويورك وينام في مرسمه في صحبة مجموعة مشردين، لا كما يفعل ويقوم به الفنان الكردي الذي ينام سبع عشرة ساعة في اليوم ويريد ان يكون فنانا عالميا.

*** كلمة اخيرة**

اشكرك جزيل الشكر لانك اخترتني لتجري معي هذا الحوار رغم ما يفصلنا من محيطات وقارات، لكني اشعر وكأننا نتحاور وجها لوجه، وفي الحقيقة هذه اول مرة يتصل بي صحفي كردي من كوردستان وهذا ما اسعدني كثيرا جدا، اعتقد انه من الضروري ان يبحث الصحفي عن الرسامين وخاصة المهمشين منهم ليسلط الضوء عليهم وثم لإيصال صوت الرسام وآرائه وافكاره وفلسفته للفن والحياة عموما الى محبي الفن والثقافة والفكر وخصوصا لأهلنا في كوردستان.

بيبلوغرافيا:

*-الفنان صدر الدين أمين من مواليد 1963 كركوك، درس الفن في أكاديمية الفنون الجميلة بغداد ، شارك في معارض داخل العراق وله مشاركات في كل من الأردن وهولندا وبلجيكا وبريطانيا، والعديد من المعارض في ولاية بنسلفانيا الأمريكية التي يقيم فيها حاليا ومنذ 2001.

المعارض الشخصية:

1999 المركز الثقافي الفرنسي. عمان .الاردن

2001 قاعة سوك شوكلي. بينسلفانيا .امريكا

2001 قاعة سكند ستوديو. بينسلفانيا. امريكا

2003 قاعة سوك شوكلي. بينسلفانيا. امريكا

المعارض الجماعية:

1989 مركز الفنون. مهرجان الواسطي. بغداد. العراق

1989قاعة اري. معرض الفن الكوردي المعاصر. اربيل. العراق

1995. مركز الانشطة الفنية. معرض ثنائي مع الفنان كاكه ى. سليوس. هولندا

1997. معــــرض مـــشترك خمـــسة فنــــانين. بروكسل. بلجيكا

1998. معــــرض مـــشترك خمـــسة فنــــانين. ديستلبيرغن. بلجيكا

1999. معهد سرفانتس الاسباني. معرض دون كيشوت. عمان. الاردن

2001. قاعة ايزرمان. معرض ثنائي مع الفنان حسام كاكائي. دوكوم. هولندا

2001. حدائق الفن. المعرض الجماعي الخامس والثلاثون لمدينة ليتز. بينسلفانيا. امريكا

2001. قاعة انتيرناشيونال ارت. كاليفورنيا. امريكا

2001. متحف بوجر هاوز. المعرض السنوي. بينسلفانيا. امريكا

2002. قاعة اليزابيث ميديل. معرض خمسة اخوة. كولم. هولندا

2002. متحف لانكستر للفنون. المعرض السنوي الاربعون. لانكستر. امريكا

2002. متحف هيرشي. معرض ثنائي مع الفنان الفوتوغرافي شمس الدين امين. هيرشي. بينسلفانيا

2003. متحف لانكستر. المعرض السنوي الحادي والاربعين. لانكستر. بينسلفانيا

2004. ايا كالري. فنانون عراقيون. لندن. بريطانيا

2004. قاعة. دي اوميغيفينك. معرض ثلاثة فنانين. هولندا

2004. متحف لانكستر. المعرض السنوي الثاني والاربعين. لانكستر . بينسلفانيا

الجوائز:

الجائزة الاولى. المعرض السنوي. متحف بوجر هاوز - بينسلفانيا. امريكا

الجائزة التقديرية. المعرض السنوي الاربعين. متحف لانكستر. بينسلفانيا. امريكا

منشورات:

نشرت لوحاته في صحف ومجلات عربية وامريكية

نشرت تخطيطاته في جريدة الزمان اللندنية للفترة من 1999 ولغاية عام 2000 بثت قناة فوكس الامريكية تقرير عنه عام 2001.

ذخائر التراث الكردي في خزائن بطرسبورغ

جودت هوشيار

تحتضن روسيا مجموعة نفيسة ونادرة من المخطوطات الكردية التي تمثل جانبا مهما من التراث الكردي وربما خير ما في هذا التراث من آثار أدبية كلاسيكية ونصوص فولكلورية ونتاجات لغوية وتأريخية وأثنوغرافية. وليس ذلك بالأمر الغريب، فقد كانت روسيا القيصرية الدولة الأوروبية الوحيدة التي لها حدود مشتركة مع كردستان وكانت السباقة الى اقامة العلاقات الوثيقة مع الكرد بسبب موقع كردستان الستراتيجي المتأخم لحدود روسيا الجنوبية ولتأمين مصالحها السياسية والعسكرية والاقتصادية ، فقد كان لموقف الكرد خلال الحروب المتكررة بين روسيا وتركيا أحيانا وايران أحيانا اخرى تأثير لايستهان به على نتائج هذه الحروب.

وبعد ضم مناطق ما وراء القفقاس الى الامبراطورية الروسية، إشتد اهتمام الروس بالكرد وبلادهم، وتجلى هذا الاهتمام في ظهور أعمال أستشراقية مهمة في روسيا عن الكرد وكردستان بحلول منتصف القرن التاسع عشر.

وكان لكل من أكاديمية العلوم الروسية والجمعية الجغرافية الروسية دور بارز في هذا المجال. ويقتضينا الإنصاف هنا أن نؤكد بأن روسيا كانت المهد الأول للكردولوجيا بمفهومها العلمي المنهجي و تحتل مكان الصدارة في هذا الميدان الى عهد قريب، حيث أن ما قدمه الكردولوجيون الروس والسوفيت من بحوث ودراسات عن لغة وأدب وتأريخ وثقافة الكرد ومن أعمال علمية ديموغرافية

وجيوبوليتيكية عن كردستان يتسم بالعمق والموضوعية من حيث النوع و يبلغ أضعاف ما قدمه المستشرقون الغربيون من حيث الكم، وقد بذل الكردولوجيون الروس الأوائل (ليرخ، فيليامينوف–زيرنوف، يكيزياروف، زابا، اوربيلي، مينورسكي، نيكيتين) جهودا" كبيرة لاستجلاء تأريخنا وثقافتنا ودراسة تراثنا واجتهدوا في التحليل ولفتوا الأنظار الى قضايا حيوية, لم يسبق لأحد في الكشف عنها وتفسيرها. وإننا ندين لهؤلاء الرواد بالكثير في مجال إثراء تراثنا الثقافي والغوص في منابعه الاصيلة وإلقاء الأضواء على جوانبه المختلفة، يدفعهم الى ذلك حب العلم والمعرفة والاعجاب بالشعب الكردي وخصاله الحميدة، التي تركت أعمق الأثر في نفوسهم. وأعتقد ان الجهد الذي بذله الكساندر زابا، لايدانيه اي جهد آخر، فقد حفظ لنا جزءا" مهما" من تراثنا الثقافي الذي شكل القاعدة الاساسية لدراسة هذا التراث على نحو منهجي من قبل الجيلين الثاني والثالث من الكورولوجيين الروس والسوفيت.

لقد عمل الكسندر زابا بصفة قنصل روسيا القيصرية في مدينتي ارضروم وسميرنا (أزمير حاليا") طيلة (٣٣) عاما" (١٨٣٦– ١٨٦٩)، حيث قام بتكليف من أكاديمية العلوم الروسية، بدراسة اللغة الكردية ولهجاتها وجمع مواد و نصوص تتعلق بأدب وفولكلور و لغة وتأريخ الكرد وكذلك المخطوطات الكردية.

لم يكن زابا مجرد رجل دبلوماسي، بل مثقفا" موسوعيا" ذا نظرة تقدمية بالنسبة الى عصره وسياسة حكومته. وكانت مهمته عسيرة، تكتنفها الصعاب، فقد كان يتعين عليه، أن يتعلم اللغة الكردية ويطلع على التراث الكردى ويختلط بالمثقفين الكرد ويشجعهم على مساعدته في انجاز المهمة التي كلف بها من قبل الأكاديمية الروسية.

وبرغم كل هذه المصاعب، استطاع زابا أن يجمع حوله مجموعة من خيرة العلماء والأدباء في كردستان الشمالية وفي مدينة أرضروم على وجه الخصوص، وفي مقدمتهم الملا محمود البايزيدي.

وتقول المستشرقة الرائدة مرجريت رودينكو (١٩٣٠ – ١٩٧٦) م نقلا" عن زابا - ان البايزيدي ولد على الأرجح في أواخر القرن الثامن عشر بين عامي (١٧٩٧ – ١٧٩٩)- وتأريخ وفاته أكثر غموضا" حيث ورد فى بعض المصادر الكردية انه توفي عام ١٨٦٠ في حين ان ثمة مخطوطات مدونة بخط يده تعود الى عام ١٨٦٧ م. وكنا اول من صحح تأريخ وفاة البايزيدى فى مقالنا المكرس لترجمة حياته واعماله.

لقد قام البايويدي بأعمال جليلة في توثيق التراث الكردي وجمع المخطوطات الكردية واستنساخها وفي تأليف عدد من الكتب باللغة الكردية عن أدب وتأريخ وأثنوغرافيا وفولكلور الكرد. وكان على مدى سنوات عديدة الساعد الأيمن لألكساندر زابا وقد اثمرت جهودهما المشتركة عن جمع مجموعة من أنفس وأندر المخطوطات الكردية الأصيلة التي تضم خير ما في التراث الكردي من آثار ادبية كلاسيكية ونتاجات لغوية وأثنوغرافية وتأريخية ونصوص فولكلورية من الأدب الشعبي الكردي.

وقد ظلت هذه المخطوطات والمخطوطات الكردية الاخرى التي جمعها المستشرقون الروس، في زوايا النسيان في خزائن مدينة بطرسبورغ (عاصمة روسيا القيصرية والتي كانت تتركز فيها الدراسات الاستشراقية في روسيا القيصرية وفيها المقر الرئيس لاكاديمية العلوم الروسية). نقول أن هذه المخطوطات بقيت حبيسة خزائن ولم يعرف بوجودها الا بعض منتسبي معهد الاستشراق أو بتعبير اكثر دقة بعض المسؤولين عن حفظها وربما كانت ستبقى كذلك لولا ان امتدت اليها يد كريمة لعالمة تدرك القيمة الفكرية العظيمة للكنوز والدور الثمينة التي تتضمنها هذه المخطوطات هي يد المستشرقة الروسية الرائدة مرجريت رودينكو، فأخرجتها الى النور ونفضت عنها غبارالسنين والاهمال والجمود، وكشفت النقاب عن محتوياتها وذلك في عام ١٩٥٧ حين نشرت دراسة قيمة تحت عنوان (مجموعة الكساندر زابا من المخطوطات الكردية) ثم أصدرت في عام ١٩٦١ كتابها الشهير (المجموعة اللينينغرادية من المخطوطات الكردية) ورودينكو هي التي لفتت أنظار الباحثين الآخرين الى وجود عدد كبير من المخطوطات الكردية في خزائن لينينغراد (بطرسبورغ حاليا") ولم تكتف رودينكو بذلك بل كرست حياتها الخصبة وطاقتها العلمية الكبيرة لتحقيق وترجمة ونشر أهم النتاجات الشعرية والنثرية التي تتضمنها هذه المخطوطات وكانت رودينكو قد حصلت على شهادة الدكتوراه (كانديدات) في عام ١٩٥٤ عن واحدة من درر التراث الكردي وهي القصة الشعرية (مم و زين) لأعظم شاعر كردي هو الشاعر والفيلسوف والمفكر الخالد أحمد خاني والذي تعتبر نتاجاته الشعرية ذروة تطور الشعر الكردي في القرن السابع عشر ورائد مدرسة أدبية متميزة ولدت بين جوانحها الشعور القومي الكردي والتطلعات القومية المشروعة للأمة الكردية

وفي عام ١٩٦٢أصدرت رودينكو كتابا" جامعا" وشاملا عن ملحمة (مم و زين) وقامت بدراسة مقارنة لنصوصها الفولكلورية والادبية وترجمتها الى اللغة الروسية مع مقدمة قيمة وتعليقات ذكية وقد اصبح هذا الكتاب مرجعا و مصدرا للباحثين الأخرين وبضمنهم الباحثين الكرد الذين تناولوا هذه القصة الشعرية بالبحث والتحليل فى السنوات اللاحقة ولم يستطع احد منهم فى حقيقة الأمر التخلص من تأثير رودينكو القوى.

وفي عام ١٩٧٣ حصلت رودينكو على شهادة الدكتوراه العليا (دكتوراه العلوم) عن القصة الشعرية (يوسف وزليخة) للشاعر الكردي الكلاسيكى سليم بن سليمان كما قامت بترجمة هذه القصة الى اللغة الروسية وكتبت مقدمة طويلة لها مع الشروح اللازمة ونشرت بعد وفاتها المبكر بمرض السرطان فى لينينغراد (بطرسبورغ حاليا) و ذلك في صيف عام ١٩٧٦.

ومن بين المخطوطات التي قامت رودينكو بتحقيقها وترجمتها الى اللغة الروسية ونشرها " (الشيخ صنعان) لفقي طيران و (ليلى ومجنون) لحارس البدليسي و (عادات وتقاليد الكرد) للملا محمود البايزيدي. "

ولها كتاب تحت عنوان (حكايات شعبية كردية) واشتركت في تحقيق وترجمة (الأغاني والقصص الملحمية الكردية) وقد صدرت هذه النتاجات المحققة والمترجمة خلال عقد الستينيات. وأسهمت رودينكو في كافة الندوات والمؤتمرات الاستشراقية داخل روسيا وخارجها وقدمت فيها دراسات قيمة عن التراث الكردي ونشرت مقالات عديدة، لعل أهمها (قصائد مجهولة لأحمد خاني) و (قصائد غير منشورة منسوبة الى الشاعر الشعبي الكردي جعفر قولي) والتي نشرت في المجلات العلمية المتخصصة وقام كاتب هذه السطور بترجمة قصائد الشاعر جعفرقولى و نشرها فى مجلة(كولان العربى) المحتجبة عن الصدور حاليا.

وجمعت رودينكو عددا" كبيرا" من الحكم الأمثال الكردية والتي نشرت ضمن كتاب (الأمثال والأقوال السائرة لشعوب الشرق الصادر في موسكو عام١٩٦١ وقد قامت رودينكو بجمع هذه الأمثال والأقوال السائرة من عدد كبير من المصادر اضافة الى جهودها الشخصية فى تسجيل ما سمعته من افواه كرد ما وراء القفقاس و اسيا الوسطى(ارمينيا، جورجيا، اذربيجان ، تركستان ،كازاخستان —الخ).كما قامت بأستجلاء كنوز تراثنا الأدبي وقدمتها مشرقة وضاءة الى ألأوساط ألأستشراقية والجماهير العريضة من القراء الروسوالسوفييت والأجانب وبذلك دحضت بأعمالها الرائدة الزعم الذي كان سائدا" في الأوساط الاستشراقية بعدم وجود أدب مدون للكرد على الرغم من اتفاق معظم الكردولوجيين بأن للكرد أدبا شعبيا شفاهيا بالغ الثراء والخصوبة.

لقد أصبحت أعمال رودينكو العلمية علامة بارزة وصفحة مضيئة في تأريخ الكوردولوجيا وفتحت الطريق أمام المستشرقين الآخرين والباحثين الكرد لولوج ميدان تحقيق مخطوطات التراث الكردي وتركت بصماتها على الدراسات اللاحقة في هذا المجال. ونظرا" لأهمية كتابها الشهير (وصف المخطوطات الكردية) وكثرة الاشارة اليه في الدراسات الكردية كمصدر لا غنى عنه للباحثين والأدباء وصعوبة الحصول عليه، حيث أنه قد طبع في عام ١٩٦١ بسبعمائة نسخة فقط للعلماء والمستشرقين ولم يخصص للجمهور العريض من القراء، فقد ارتأينا تقديم عرض شامل ووافٍ عن محتويات هذا الكتاب الثمين الذي يتضمن وصفا" علميا" دقيقا" للمخطوطات الكردية المحفوظة في خزائن بطرسبورغ.مع مانراه ضروريا من ملاحظات وتعليقات.

يتألف الكتاب من مقدمة ووصف للمخطوطات حسب النهج العلمي المعتمد في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية كما يتضمن كشافين أولهما بأسماء المؤلفين والمترجمين والناسخين وثانيهما بأسماء النتاجات الواردة في المخطوطات.

وتتحدث المؤلفة في مقدمة الكتاب عن ظروف تأليف أو استنساخ هذه المخطوطات ودور كل من الكساندر زابا والملا محمود البايزيدي في تدوينها أو الحصول عليها ونبذة عن حياتهما وآثارهما العلمية وتعاونهما المثمر على مدى سنوات طوال.

تتوزع المخطوطات الكردية في بطرسبورغ (لينينغراد) على مكتبتين هما مكتبة سالتيكوف —

شد رين الحكومية العامة (وسنشير اليها لاحقا" بعبارة – المكتبة العامة) ومكتبة معهد الاستشراق (وسنذكرها لاحقا" باسم – مكتبة الاستشراق). ففي المكتبة الاولى مجموعة نفيسة للغاية من المخطوطات التي جمعها الكسندر زابا خلال فترة عمله في تركيا بمساعدة البايزيدي وتتكون مجموعة أ. زابا من (٥٤) مخطوطة منها (٤٤) مخطوطة باللغة الكردية و (٤) مخطوطات باللغة الفارسية و (٢) مخطوطات باللغة التركية و (٣) مخطوطات باللغة الفرنسية. أما في المكتبة الثانية فثمة عدد آخر من المخطوطات الكردية منها (٣) مخطوطات مأخوذة من مجموعة أ. زابا.

أما المخطوطات الأخرى فقد قدمت الى المكتبة في أوقات مختلفة من قبل بعض المستشرقين (دورن، فيليا مينوف – زيرنوف.... الخ) ويتضمن كتاب رودينكو وصفا" شاملا" للمخطوطات الكردية في كلتا المكتبتين ويبلغ عددها الاجمالي (٨٤) مخطوطة. وتتوزع هذه المخطوطات على (٤) أقسام (الفولكلور، الأدب، اللغة، الأثنوغرافيا والتأريخ).

١-الفولكلور

يبلغ عدد المخطوطات الكردية التي تتضمن النصوص الفولكلورية الكردية أو الترجمة الى اللغة الكردية في شتى أنماط وألوان الفولكلور، (١٤) مخطوطة ويمكن تقسيمها حسب مضامينها الى ثلاث مجاميع: تتضمن المجموعة الأولى عددا" كبيرا" من القصص والحكايات الشعرية الكردية الشائعة في الفولكلور الكردي، لعل في مقدمتها قصة الحب المأساوي بين (مم و زين) وقد قامت رودينكو بمقارنة النصوص الفولكلورية لهذه القصة مع ملحمة (مم و زين) للشاعر الخالد أحمد خاني وتوصلت الى استنتاج مهم يؤكد أن النص الفولكلوري المدون في المخطوطة رقم (B2514) هو أقرب النصوص الى الى ملحمة أحمد خاني من حيث المضمون وتطور الحبكة القصصية. وكانت رودينكو أول من لفتت الأنظار الى هذه الحقيقة ضمن رسالتها لنيل شهادة الدكتوراه عام (١٩٥٤) والتي كانت بعنوان: (ملحمة الشاعر الكردي أحمد خاني (مم وزين))، حيث دافعت عن رسالتها العلمية هذه بنجاح في العام ذاته. وهي-اي الرسالة- أول بحث علمي عن ملحمة خاني الرائعة.

وفي المخطوطة نفسها عدد من الملاحم والقصائد الأخرى مثل (عمر بك وهي قصيدة طويلة على شكل ثلاثيات شعرية و تتألف من (١٨٧) بيتا وتتحدث عن المعارك التي دارت بين الأخوين عمر بك وعيسى بك من اجل الزعامة، كما تتضمن المخطوطة الحكاية الشعرية الموسومة (معارك ابراهيم خان ضد ايران) وهي ايضا ثلاثيات تتألف من (١٦٩) بيتا" من الشعر وعنوان الحكاية يدل على مضمونها. أما الحكاية الشعرية (معارك بوز بك ودرويش آغا) المؤلفة من (١٧٥) بيت شعر فهي ثلاثيات عن أحداث معركة بين زعيمين كرديين، تنتهي بمقتل بوز بك وفي المخطوطة حكاية شعرية شعبية لها معالجات أدبية عديدة وهي حكاية (الحصان الأسود) وتتألف من رباعيات شعرية يربو عدد أبياتها على (٢٤١) بيتا". وثمة فى المخطوطة قصائد وقطع شعرية أخرى.

ويلاحظ وجود ترجمة انجليزية—من عمل زابا على الأرجح- لبعض هذه الحكايات في المخطوطة المذكورة.

أما المجموعة الثانية من المخطوطات الكردية المتضمنة للنصوص الفولكلورية الكردية فأنها تتألف من عدد كبير من الأغان الكردية من السلسلة النسائية وهي أغاني عاطفية أو مرحة تنشد في الاعراس على نحو جماعي (كورالي) وكذلك السلسلة الرجالية التي تمجد البطولة والاقدام والتضحية والامتياز الحربي. وهذه الأغاني الكردية الأصيلة تمتاز بجمال كلماتها وروعة الحانها وهي معين لاينضب للفن الكردي. والمخطوطات التي تضم هذه الأغاني هي المخطوطة رقم Kurd 3 الموسومة (لاويـــزك) أي (أغـــاني البطولـــة) ولهـــا نسختان. والمخطوطة رقم Kurd5 الموسومة (بريته) أي (أغاني الاعراس) ولها نسختان أيضا". والمخطوطة رقم Kurd 49 الموسومة (كلامي كجان) أي (أغاني الفتيات).

أما المجموعة الثالثة فهي طائفة كبيرة من القصص والحكايات الشعبية والحكم والأمثال المترجمة من اللغتين الفارسية والتركية الى اللغة الكردية فالمخطوطة رقم Kurd 40 الموسومة (در المجالس) تضم ٥٨ حكاية وقصة شعبية ترجمها عن الفارسية الملا موسى الحكاري في منتصف القرن التاسع عشر بتكليف من الكساندر زابا. ومن بين هذه الحكايات والقصص الشعبية: (فرهاد وشيرين) و(يوسف وزليخة) و (الملك ضحاك) و (بطولات رستم) و (أنوشيروان و الحطاب) و (حكاية زواج جنكيزخان) وغيرها. والمخطوطة مستنسخة بخط الملا محمود البايزيدي وتوجد نسخة أخرى لهذه المخطوطة برقم Kurd 41 تتضمن الحكايات الاحدى والعشرين الاولى مستنسخة من قبل الشيخ نزار في القرن التاسع عشر، كما تتضمن المخطوطة الترجمة الفرنسية وهي منجزة من قبل الكساندر زابا. وربما كانت المخطوطة Kurd 43 أهم مخطوطة ضمن هذه المجموعة حيث تضم (٨٤) حكاية وقصة شعبية ترجمها عن اللغة الفارسية الى اللغة الكردية، الملا محمود البايزيدي وقد قام الكساندر زابا بتدوينها بالحروف اللاتينية للغة الكردية وترجمتها الى اللغة الفرنسية. وتحتوي المخطوطة على هذه النصوص جميعا" (الأصل الفارسي، الترجمة الكردية بالحروف العربية، الترجمة الكردية بالحروف اللاتينية، الترجمة الفرنسية) أضافة الى ملاحظات أ. زابا باللغة الفرنسية. وهي ثمرة تعاون رائع واحتكاك خصب للثقافات المختلفة وهذه الحالة تتكرر في عشرات المخطوطات التي تعاون على انجازها البايزيدي و زابا. والمخطوطة التي نحن بصددها الآن نسخة أصلية بخط البايزيدي أنتهى من تدوينها عام ١٨٦٨ وربما كانت هذه آخر مخطوطة خطها عالمنا الجليل. وتوجد نسخة ثانية من مخطوطة البايزيدي في المكتبة ذاتها أي المكتبة العامة.

وتشكل المخطوطة (D447) عملا" مهما" آخر من أعمال البايزيدي وهي بعنوان (ترجما ضرب مثلانة بزماني كورمانجي) أي (ترجمة الامثال الى اللغة الكردية) وتضم عددا" كبيرا" من الامثال

الكردية مترجمة من اللغة التركية وقد وردت هذه الأمثال ضمن كتاب (قواعد اللغة التركية لزوبير) وقد أنجز البايزيدي الترجمة في ١٨٥٦/١٢/٢٣ في أرضروم والمخطوطة نسخة أصيلة بخط البايزيدي. وهي دليل على ان البايزيدي كان يتابع عن كثب الأصدارات الثقافية الجديدة باللغات الأخرى التي كان يتقنها و هى العربية و الفارسية والتركية....الخ

٢-الأدب

أكبر مجموعة من المخطوطات الكردية المحفوظة في خزائن بطرسبورغ هي تلك التي تتضمن أهم الآثار الأدبية الكردية الكلاسيكية ويلاحظ ان الآثار الشعرية لكبار الشعراء الكرد تتكرر في أكثر من مخطوطة مثل (مم و زين) و (الشيخ صنعان) و(قلعة دمدم) و (حكاية الحصان الأسود) و (ليلى ومجنون) و (فرهاد وشيرين) و (خليل بك وسيريجة خانم) و (يوسف وزليخة) و (زنبيل فروش) و (حديث فقي طيران مع الساقية) وكثير غيرها. ولعل أهم هذه الآثار، القصة الشعرية (مم و زين) للشاعر الخالد أحمد خاني، حيث توجد تسع مخطوطات لهذا الاثر الكلاسيكي. وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات الشكلية الناجمة عن الحذف والاضافة أو التحوير الذي أدخله هذا الناسخ أو ذاك على النص الأصلي، الا انها ليست جوهرية ويمكن للباحث ملاحظتها بسهولة ولا تؤثر في المضمون الأساسي لهذه الملحمة الشعرية. ومما لاريب فيه ان مخطوطات (مم و زين) المحفوظة في بطرسبورغ تعد مرجعا" رئيسا" لأشهر وأعظم أثر أدبي كردي كلاسيكي... ولا نعتقد ان ثمة مكتبة أخرى في العالم، حتى في كردستان ذاتها، تحتوي على هذا العدد الكبير من النصوص للملحمة المذكورة. ويمكن قول الشيء ذاته عن نتاج آخر من نتاجات شاعرنا الخالد وهو المعجم العربي — الكردي المعروف بـ(نوبار) الذي ألفه خاني شعرا" للأطفال الكرد الذين كانوا يتعلمون اللغة العربية في المدارس الدينية الملحقة بالجوامع والمساجد، وبين مخطوطات (نوبار) نسخة فريدة وأمينة، استنسخها البايزيدي في عام ١٨٥٩ وقدمها هدية لألكساندر زابا لمناسبة مغادرته تركيا، ربما لعمل رسمي أو لقضاء إجازة، لأن من المعروف، أن زابا قد عمل في تركيا لغاية عام ١٨٦٩.

ومن الآثار الأدبية الكردية الرائعة التي تتضمنها هذه المخطوطات ، القصة الشعرية (يوسف وزليخا) للشاعر الكردي سليم بن سليمان. وهي نتاج كلاسيكي، تقول عنه رودينكو، انه وسط بين ملحمتي الشاعرين الفردوسي وجامي، من حيث أحداثها ومشاهدها ولكنها قصة شعرية أصيلة، تنم عن طاقة ابداعية وموهبة شعرية متميزة تنزع الى التجديد والتفرد ولا تنساق وراء التقليد والمحاكاة.

ويبدو سليم بن سليمان في قصته الشعرية هذه اقل التزاما"بالتقاليد الشرقية المتزمتة البالية واكثر انفتاحا" على الحياة من الشاعرين الفارسيين، ولا نجد في نتاجه تلك الغيبيات التي تطغى عادة على هذه القصة لدى الشعراء الآخرين. ولم يكن سليم بن سليمان الشاعر الكردي الوحيد الذي عالج هذه القصة شعرا"، حيث توجد في المكتبة العامة، مخطوطتان (Kurd 46 -Kurd47)،

تتضمن كلا" منهما قصة (يوسف وزليخة) للشاعر الكردي حارس البدليسي: وليست ثمة معلومات عن هذا الشاعر غير ما ذكره الكساندر زابا. ولا تستبعد رودينكو أن تكون قصة (يوسف و زليخة) للبدليسي، صياغة شعرية جديدة لقصة سليم ابن سليمان. ويبدو أن غرض البدليسي، كان تبسيط لغة النتاج وتقريبها من لغة التخاطب مع استبعاد الكلمات العربية والتركية والفارسية الدخيلة على اللغة الكردية. ولكن البدليسي أهمل الفصول الثلاث الأولى ذات الطابع الاستهلالي من قصة سليم بن سليمان ويقول الكساندر زابا في ملاحظة دونها باللغة الفرنسية على أصل المخطوطة ان الملالي الكرد كانوا يقومون بتدريس قصة البدليسي في المدارس الدينية الملحقة بالجوامع والمساجد في كردستان الشمالية وذلك بسبب ما تتصف به لغة البدليسي من بساطة ووضوح وصفاء.

أما القصة الشعرية (الشيخ صنعان) للشاعر فقي طيران فهناك أربع مخطوطات لها في المكتبة العامة تحمل الرموز:(Kurd44- Kurd25 -kurd24 - kurd23)

وفقي طيران شاعر كبير له نتاجات شعرية أخرى ماعدا (الشيخ صنعان) منها مجموعة قصائد (كولبهار) المطبوعة في يريفان وقصائد كثيرة لم تدون بعد وتنتقل عن طريق الرواة من جيل الى جيل وقد اختلطت بالشعر الشعبي بحيث اصبح من الصعب تحديد القصائد العائدة له حقا". وقد اختلف الباحثون حول تأريخ ميلاده والفترة التي عاش فيها وسنة وفاته وتقول رودينكو أن فقي طيران ولد سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ – ١٣٠٨) م في موكس التابعة لمقاطعة حكاري أو في ماكو وتوفي عام ٧٧٧هـ (١٣٧٠ -١٣٧١) م.ويرى بعض الباحثين الكرد أنه قد عاش خلال أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر دون أن يحددوا سنتي ميلاده ووفاته.

ولقد قامت رودينكو بتحقيق نصوص (الشيخ صنعان) وترجمتها الى اللغة الروسية ونشرتها في كتاب صدر عام ١٩٦٥ في موسكو. وتتضمن احدى مخطوطات (الشيخ صنعان) ملخصا" نثريا"لهذه القصة الشعرية كتبه الملا محمود البايزيدي.

وثمة قصيدة طويلة أخرى مشهورة لفقي طيران وهي (حديث فقي طيران مع الساقية) ويربو عدد أبياتها على (٩٧) بيتا" شعريا". يشكو فيها الشاعر الى الساقية معاناته في الحياة ورحيل حبيبته الغالية الى الأبد وهي – أي القصيدة – على شكل رباعيات. ومن الطريف ان احدى مخطوطات هذه القصيدة تتضمن على حواشي بعض الرسوم البيانية الغريبة وابيات شعر لا علاقة لها بنص المخطوطة. وفي ملاحظة دونها الكساندر زابا يقول فيها ان تلك الابيات الشعرية تفسير (للعبة سحرية رياضية) مبتكرة من قبل ناصرالدين طوسي (٥٩٧ هـ) (١٢٠١ – ١٢٠٢) م، كما تشير ملاحظة زابا الى الظروف التي تم فيها ابتكار هذه اللعبة.

أما المخطوطة الثانية لـ (حديث فقي طيران مع الساقية) فأنها مستنسخة من قبل (شاه نظر) في منتصف القرن التاسع عشر والمخطوطة الثالثة من قبل الملا محمود البايزيدي في أرضروم عام ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ – ١٨٦٦ م.

وتوجد ضمن مخطوطات بطرسبورغ، قصص شعرية وقصائد اخرى منسوبة لفقي طيران منها (معركة سيسبان) و (معركة قلعة دمدم) واشعار وجدانية ولكن نسبتها الى فقي طيران مايزال محل جدل بين الباحثين. بيد أن رودينكو تعتقد ان قصيدتي معركتي سيسبان ودمدم لاتعودان الى فقي طيران وهذه الحالة تتكرر مع شعراء كلاسيكيين كرد آخرين، حيث ان تفاصيل حياة ونتاجات العديد منهم يكتنفها الغموض ولم يتم التأكد منها لحد الآن. ويمكن القول عموما"، اننا اذا استثنينا ابحاث ودراسات رودينكو وبعض المستشرقين المعاصرين، فان التراث الكردي لم يدرس وفق المناهج العلمية الحديثة على نحو عميق وشامل لاستجلاء صفحاته الاكثر أهمية، ولا يتم ذلك بالجهود الفردية، بل ينبغي أن تتولى هذه المهمة مؤسسة علمية متخصصة.

وضمن مخطوطات بطرسبورغ قصة شعرية رائعة ومشهورة في التراث الكردي هي (زنبيل فروش) أي (بائع السلال) وهذه القصة تتكرر بصيغ مختلفة الى هذا الحد أو ذاك في عدد كبير من المخطوطات، سواء تلك التي كرست لهذه القصة حصرا" أو لمجاميع من النتاجات الشعرية لأكثر من شاعر واحد. فقد وردت (بائع السلال) في المخطوطات التالية (-Kurd26-Kurd27-Kurd28 Kurd36-Kurd45) وهي تروى قصة حب عارم بين زوجة اقطاعي كبير وبائع سلال بسيط. وقد نسجت حول هذه الحكاية العديد من القصص الشعرية سواء في الادب الشعبي الشفاهي أو الادب المدون. ومعظم النصوص الشعرية المدونة منسوبة الى احمد الملا باطي (٨٢٠ – ٩٠٠) هـ (١٤١٧ – ١٤١٨ م / ١٤٩٠ – ١٤٩١م) وهو من مواليد قرية باطي التابعة لمقاطعة حكاري.

ونتاج آخر من نتاجات الشاعر الملا باطي وهو (مولود) وله ثلاث مخطوطات، جميعها محفوظة في المكتبة العامة. أولى هذه المخطوطات (Kurd18) استنسخها محمد موكشي في أرضروم عام ١٢٠٦هـ / ١٧٩١ – ١٧٩٢ م. وكما هو واضح من العنوان فان هذا النتاج قصيدة أو قصة شعرية طويلة يبلغ عدد أبياتها (٥٧٦) بيتا" شعريا" وتتحدث عن السيرة النبوية الشريفة. وهي مطبوعة – استنادا" الى نسخة أخرى – في مصر عام ١٩٠٥ م.

أما المخطوطة الثانية (Kurd19) فهي بعنوان (كتاب مولود شريف) أي (كتاب المولد النبوي الشريف) وقد استنسخها البايزيدي في أرضروم عام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م – ١٨٥٨م.

والمخطوطة الثالثة (Kurd 33B) محفوظة في المكتبة ذاتها وهي بعنوان (مولود) ونصها لايختلف عن المخطوطتين السابقتين ويعتقد – استنادا" الى المعطيات الباليوغرافية – انها استنسخت في القرن الثامن عشر.

أما القصة الشعرية (ليلى ومجنون) وهي من القصص الشائعة في الآداب الشرقية ومنها الادب الكردي فان ثمة أكثر من مخطوطة تتضمن هذه القصة ومنها المخطوطة رقم (Kurd 30) من نظم الشاعر حارس البدليسي وهي من حيث أحداثها وتطور حبكتها قريبة من قصة شعرية تحمل

العنوان ذاته لنظامي كنجوي (١١٤٠م – ١٢٠٢م) ويشير البدليسي الى انه قد نظم هذه القصة الشعرية بناء" على طلب احدى الفتيات الكرديات والتي كانت قد ناشدته ترجمة قصة (مجنون ليلى) من اللغة الفارسية الى اللغة الكردية. وتتألف قصة البدليسي الشعرية من (٢٤) فصلا" وتتضمن (٥٦٤) بيتا" من الشعر.

أما المخطوطة الثانية (Kurd 31) لقصة (ليلى ومجنون) فهي قصة نثرية من تأليف الملا محمود البايزيدي وقد ألفها عام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م – ١٨٥٩م. وثمة اشارة الى أنها مترجمة من اللغة التركية. ويقول الكساندر زابا ان قصة البايزيدي النثرية ترجمة لقصة شعرية تحمل العنوان ذاته للشاعر فضولي (المتوفى عام ١٥٦٠م).

بيد أن الباحثة المدققة مرجريت رودينكو قامت كدأبها دائما"- بمقارنة قصة البايزيدي النثرية بالقصص الشعرية التي تحمل عنوان (ليلى ومجنون) في الآداب الشرقية وتوصلت الى استنتاج علمي بأن قصة البايزيدي سرد نثري لقصة البدليسي الشعرية، فقد لاحظت ان الحبكة القصصية في كلا النتاجين متشابهة وان كان البايزيدي قد حاول تنقية لغته النثرية – وهي لغة كردية صافية وقريبة من لغة التخاطب – من الكلمات الدخيلة على اللغة الكردية.

وتحتل الاحداث الدراماتيكية لمعركة قلعة دمدم البطولية – وهي احدى الصفحات المشرقة في التأريخ الكردي – مكانة بارزة في التراث الكردي وقد نسجت حولها العديد من الملاحم الشعرية لكبار الشعراء الكرد، كما انها من الموضوعات المحببة، واسعة الانتشار في الفولكلور الكردي.

ويوجد ضمن مخطوطات بطرسبورغ ما لايقل عن خمس مخطوطات تتناول احداث هذه المعركة الشهيرة، أما على نحو مستقل او الى جانب ملاحم وقصائد اخرى ومعظم الملاحم الشعرية عن (دمدم) لشعراء مجهولين ولكن في مخطوطتين من المخطوطات الخمس على الاقل أشارات الى أنها من تأليف الشاعر محمد فقي طيران (Kurd26- Kurd36) ولكن رودينكو تقول بان فقي طيران – اذا كان من مواليد القرن الرابع عشر – لايمكن أن يكون مؤلف هذه الملحمة الشعرية ، لأن معركة قلعة دمدم وقعت فى بداية القرن السابع عشر.ولنفس السبب لا يمكن ان يكون الملا باطى مؤلف هذه الملحمة كما يعتقد شاهبازيان.

وتضيف قائلة: (أن الملحمة من نظم أحد الاتباع المتأخرين لمدرسة فقي طيران الشعرية والذي وقع نتاجاته بأسم مؤسس تلك المدرسة، (وهذا تقليد معروف في الآداب الشرقية) وتعد هذه الملحمة معالجة شعرية لحكاية شعبية وتعكس نضال الشعب الكردي من اجل الاستقلال في أوال القرن السابع عشر بقيادة البطل الاسطوري (جنكزيرين) أي (ذي الكف الذهب) الذي كان زعيما" قويا" و محبوبا" من أبناء قومه و مع تعاظم قوتة وازدياد نفوذه، أخذ خصومه من اتباع الاجنبي بتأليب سيدهم الشاه عباس ضد الآمير الكردي المتحصن في قلعة منيعة ،عرفت بقلعة (دمدم). وقد حشد الشاه عباس جيشا" جرارا لغرض الهجوم على القلعة

والاستيلاء عليها و انهاء وجود الأمارة الكوردية المستقلة. وقد دارت بين الشاه عباس و جيشه المتفوق عدة و عددا" و بين الامير الكردي و قوة صغيرة من مقاتليه الشجعان رحى معركة دموية، استبسل خلالها المقاتلون الكرد في مقاومة الغزاة والدفاع عن قلعتهم الحرة المستقلة. و سجلوا صفحات خالدة من البطولة و التضحية و الفداء ، الهمت الشعراء الكرد ، ملاحم شعرية رائعة على مدى أربعة قرون.

وقد اولع الشعراء الكرد بقصة أو حكاية اخرى تتحدث عن احدى معارك المسلمين ، خلال الفتوحات الاسلامية ، و نظموا حولها العديد من الملاحم الشعرية منها (حكاية الحصان الأسود) التي دونت في مخطوطتين من مخطوطات بطرسبورغ (Kurd 36–Kurd 26) وهي منسوبة الى الشاعر علي حريري ، فيما يعتقد كل من المؤرخ الكردى أمين زكي بك و المستشرقين أ.زابا وسوتسين، أنها من تأليف فقي تيران بيد ان التوصل الى استنتاج قاطع بصدد هذا الامر ، يحتاج الى دارسة مقارنة و معمقة باستخدام الوسائل الحديثة في تحليل الاسلوب بنائيا" وهو منهج لم يكن شائعا" في زمن رودينكو و بوسع الباحثين الكرد ، استخدام التحليل البنائي لتحديد المؤلف الحقيقي لهذه الملحمة والنتاجات الاخرى التي يدور حولها الجدل منذ عقود من الزمن.

و تحتل ترجمة الآثار الادبية الفارسية الى اللغة الكردية مساحة لا بأس بها ضمن مخطوطات بطرسبورغ. فالمخطوطة المرقمة D447 المحفوظة في مكتبة الاستشراق تتضمن ترجمة نثرية للفصول الثلاثة الاول لاسكندرنامه ، التي ألفها نظامي كنجوي فى عام ١١٩١ م.

و ليست في الترجمة الكردية أشارة الى اسم المترجم ، بيد ان رودينكو كشفت لأول مرة — استنادا" الى دراسة الخطوط و الاساليب للناسخين والمترجمين الكرد الواردة اسماؤهم فى مخطوطات بطرسبورغ — ان الترجمة تمت من قبل شاه نظر في ارضروم عام ١٨٥٦م ولدى مقارنة النصين الفارسي و الكردي يتبين لنا ان المترجمين الكرد الاوائل كانوا على درجة عالية من الأمانة العلمية و كانت ترجماتهم أمينة و دقيقة . كما انهم كانوا يثبتون دوما" النصين باللغتين ، المترجم منها و المترجم اليها. و لقد قام المستشرق بيوتر ليرخ بنشر الترجمة الكردية نقلا" عن نسخة اخرى من هذه المخطوطة.

وثمة مخطوطة اخرى تحمل الرقم ذاته (D447) محفوظة في مكتبة الاستشراق ايضا" تضم هذه الترجمة وعددا" كبيرا" من الامثال التركية المترجمة تحت عنوان (ترجمة ضرب مثلانه) أي (ترجمة الأمثال).

وفي مكتبة الاستشراق كذلك مخطوطة ذات رقم (B3971) تحتوي على ترجمة (كلستان) للشاعر الفارسي سعدي الشيرازي (٥٨٠-٦٩٢) هـ / ١١٨٤ / ١١٨٥ م — ١٢٩٢ م والذي يعود تأريخ تأليفها الى عام (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ — ١٢٥٨م) . بيد ان الترجمة ناقصة حيث تحتوي على مقدمة (كلستان) اما الاشعار فقد ترجمت نثرا" ولم تفصل عن سياق النص باي شكل من الاشكال. ، هذه المخطوطة كانت من مقتنيات

المستشرق فيليامينوف- زيرنوف و تاريخ تدوينها ١٨٥٧م. وقد قام هذا المستشرق بأهدائها مع مخطوطات كردية اخرى الى معهد الاستشراق. وهذه الترجمة نشرت ايضا" من قبل المستشرق بيوتر ليرخ في حينه.

وضمن محطوطات بطرسبورغ عدة مخطوطات تتضمن قصائد عن خلق الكون و عظمة الخالق، منها المخطوطة المرقمة (B300) فى مكتبة الاستشراق وهي بنسختين متطابقتين تقريبا".

ومما يلفت النظر ان المؤلفين الكرد لم يقتصر اهتمامهم على احداث التأريخ الكردي، بل انهم سجلوا الاحداث الجسام و الوقائع التارخية فى حياة الشعوب المجاورة ايضا". فقد ألف الملا شفيع – وهو شاعر مغمور – لاتتوفر أية معلومات عن سيرة حياته و لايعرف له أي نتاج آخر – ملحمة طويلة نسبيا" تتالف من (٢٠٠) بيت شعر عن قتال نادر شاه ضد الاوزبك ، وتتضمن المخطوطة المرقمة (A744) المحفوظة في مكتبة الاستشراق هذه الملحمة وهي بلهجة كوران. و المخطوطة مستنسخة في القرن التاسع عشر ، كما يستدل على ذلك من معطيات المخطوطة.

وقد وردت هذه الملحمة ضمن مخطوطات أخرى تتضمن عدة نتاجات في آن معا" ، منها المخطوطة المرقمة (D300) في المكتبة ذاتها و التي تضم اضافة الى هذه الملحمة ، قصيدة طويلة للملا نجف وقصائد و جدانية باللهجتين الكورانية و الموكرية لشعراء كرد أخرين وقد استنسخت في القرن التاسع عشر. كما وردت ملحمة الملا شفيع ضمن بعض المخطوطات الاخرى منها المخطوطة المرقمة (D744) المحفوظة في مكتبة الاستشراق ايضا" والتي تتضمن اضافة الى ملحمة الملا شفيع عن الحرب الفارسية – الاوزبكية ، ملحمة شعرية اخرى لشاعر مجهول باللهجة الكورانية عن مأثر رستم و هو بطل لملاحم أيرانية عديدة. و عن البطل رستم أيضا" ثمة ملحمة شعرية تتكون من (٢٠٩) بيت شعر باللهجة الكورانية لمؤلف مجهول (المخطوطتان-D300-D774) المحفوظتان في مكتبة الاستشراق. و تقول رودينكو ان الكرد من قبيلتي كوران و هورمان ، يعتبرون انفسهم من أحفاد هذا البطل. و بطولات رستم من الموضوعات المحببة فى الفولكلور الكردي ولها معالجات ادبية بأقلام عدد من الشعراء و الكتاب الكرد.

وفي خزائن بطرسبورغ عدة مخطوطات كردية على شكل مجاميع أي أن كلا منها تحتوي على مجموعة من النتاجات لمؤلفين عديدين. و بعض هذه المخطوطات تضم عشرات القصائد للشعراء الكرد الكلاسيكيين ، بل ان احدى هذه المخطوطات تتألف من (٩٨) قصيدة لعدد كبير من الشعراء المشهورين و المغمورين و لعل من أهم المخطوطات من هذا الصنف ، المخطوطة المرقمة (Kurd26) المحفوظة في المكتبة العامة ر فيها قصائد. شعراء كرد و فرس و ترك لعل أهمها قصائد للشاعر الخالد احمد خاني و بينها قصيدة خاني المكرسة لحاكم بايزيد محمد بك. و قصائد للملا باطي (بائع السلال) و غيرها و قصيدة للشاعر علي حريري وأخرى للملا مقصود عصامي اضافة الي قصائد

عديدة لشعراء كرد مجهولين عن (الحصان الاسود) و(دمدم) الخ.

وضمن هذه المخطوطة قطعة نثرية كردية لشاعر مجهول يتغنى بجمال المراة و هي من الشعر المنثور أو كما اصطلح على تسميتها بـ (قصيدة النثر) مما يدل على ان هذا اللون من الشعر ، قديم في الادب الكردي.

ومن بين القصائد الفارسية في هذه المخطوطة قصيدة للشاعر الصوفي جلال الدين الرومي. اما بقية القصائد او القطع الشعرية فهي لشعراء مجهولين و في المخطوطة رقم (Kurd 27) مجموعة قصائد لشعراء كرد منهم فقي طيران و الملا باطي.

اما المخطوطة رقم(Kurd 36) فانها مخطوطة مهمة، حيث انها تحتوي على (٢٥) قصيدة لاحمد خاني و (٧) قصائد للملا باطي و الملا احمد جزيري و علي حريري و الملا مقصود عصامي ودرويشاني و رمضان (شاعر غير معروف) و مراد خان بايزيدي (١١٥٠ هـ - ١١٩٠ هـ) / ١٧٣٧ / ١٧٢٨ م — ١٧٧٧ /١٧٧٨ م. و قصيدة لشاعر مجهول عن قلعة دمدم ومن بين قصائد هذه المجموعة (زنبيل فروش) او (بائع السلال) و(الحصان الاسود)

وثمة في مكتبة الاستشراق مخطوطة كبيرة حجما" حيث تحتوي على عشرات القصائد باللغات الشرقية و هي المخطوطة رقم (E12) ولكن القطع الشعرية الكردية فيها لا تتجاوز الصفحة الواحدة وما عدا قطعة شعرية واحدة لاحمد خاني فان بقية القطع هي لشعراء كرد مغمورين او مجهولين.

٣-علم اللغة

ثمة (٩) مخطوطات قيمة و نادرة عن اللغة الكردية و قواعدها وأولى هذه المخطوطات هي مخطوطة تتضمن (الصرف العربي باللغة الكردية) لعلي الترماخي و التي كشفت رودينكو النقاب عنها لاول مرة في عام ١٩٥٧ ضمن مقالها الشهير عن مجموعة الكساندر زابا من المخطوطات الكردية والذي نشر في (المجموعة الشرقية) ، الصادرة عن مكتبة سالتيكوف شدرين العامة في بطرسبورغ باللغة الروسية وقد وصفتها رودينكو وصفا" دقيقا" في كتابها الذي نستعرضه هنا و اليها يرجع الفضل الاول في لفت انظار الدراسين الى هذه المخطوطة و الحق ان كل من تناول هذه المخطوطة بالوصف قد استعان بما توصلت اليه من استنتاجات و يقينا" انها — أي المخطوطة — كانت ستبقى طي النسيان لآن أحدا" لم يهتم بها قبل أن تتحدث رودينكو عنها على الرغم من ان الكساندر زابا قد أشار اليها في كتابة الموسوم (جامع يي رساليان وحكايتان بزمان كورمانجي) أي (جامع الرسائل والحكايات باللغة الكردية)، الذي صدر في بطرسبورغ عام ١٨٦٠، كما نشر أ. زابا في الكتاب ذاته ، المقدمة التي كتبها الملا محمود البايزيدي لهذه المخطوطة. وفي مقدمة البايزيدي التي تشغل الصفحات (٢-١٦) من المخطوطة يتحدث عن الترماخي و سيرتة الحياتية و العلمية ، كما ينوه بعلماء اللغة الذين ألفوا كتبا" في قواعد اللغة العربية قبل الترماخي.

تتكون مخطوطة الترماخي من ثلاثة أقسام. حيث يبين المؤلف في القسم الاول أهمية قواعد اللغة

و ضرورة دراستها – لانها في رأيه – مفتاح لفهم العلوم الآخرى-. و في القسم الثاني شرح لقواعد اللغة العربية و لكنه لايغطي قواعد اللغة العربية الا جزئيا". وقد اتبع المؤلف الاسلوب التقليدي في تقسيم الكلام الى اسم و حرف و فعل. أما القسم الثالث فانه مكرس لشرح قواعد اللغة الفارسية.

و مما يلفت النظر ، أن الترماخي قد أورد امثلة من اللغة الكردية لشرح قواعد اللغة الفارسية.و المخطوطة مستنسخة من قبل البايزيدي في أرضروم عام ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٨ – ١٨٥٩ م. وقد قام أ. زابا بتحويل النص الكردي الى الحروف اللاتنية و تقول رودينكو أن الترماخي ولد في قرية (ترماخ) في كردستان الشمالية وزار العديد من المراكز العلمية في (بهدينان, سوّران، الموصل ، بغداد) لتلقى أسس مجموعة من العلوم وابدى اهتماما" ملحوظا" بقواعد اللغة العربية. وقد تحدث كل من أمين زكي بك و ازيزان عن علي الترماخي. و كانت رودينكو قد أشارت في احدى دراساتها الى الرسائل المتبادلة بين أ.زابا (١٨٠٠ – ١٨٩١) م و المستشرق برنهاردت دورن (١٨٠٥ – ١٨٨١) م (و الآخير مستشرق الماني عمل لفترة طويلة في أكاديمية العلوم الروسية في بطرسبورغ) حول كيفية حصول أ. زابا على هذه المخطوطة. و قد اهتم بعض الدراسين الكرد مؤخرا" بهذه المخطوطة وهي عن قواعد اللغة العربية ، في حين ان ثمة مخطوطات ثمينة عن قواعد اللغة الكردية لم تلفت نظرهم و التي سنتطر[illegible] في الفقرات اللاحقة.

وهناك مخطوطة أخرى تتضمن شرحا" لقواعد اللغة العربية باللغة الكردية و رقمها(Kurd 18) محفوظة في المكتبة العامة و هي من تأليف الملا يونس خلقتيني ، الذي لايعرف عنه شيئا" يذكر سوى أنه ولد بعد وفاة الترماخي بفترة قصيرة. وثمة مخطوطة ثالثة (Kurd 17) في المكتبة ذاتها بقلم مؤلف مجهول تبحث في قواعد اللغة العربية باللغة الكردية بيد أن أهم مخطوطتين كورديتين عن قواعد اللغة الكردية – وليس قواعد اللغات الآخرى – موجودتان في خزائن بطرسبروغ هما من تأليف العالم الموسوعي الملا محمود البايزيدي. المخطوطة الاولى و رقمها (Kurd 7) بعنوان (رسالة تحفة النحلان في الزمان كردان) أي (كتاب هدية الصداقة للغة الكردية) وهي مخطوطة نفيسة بخط البايزيدي و قد انتهى من تأليفها في ارضروم عام ١٨٦٦ و ربما كان هذا العمل اول تدوين لقواعد اللغة الكردية من قبل عالم كُردي.

صحيح أن البايزيدي لم يشذ عن غيره من العلماء من حيث تقسيم الكلام الى حرف و اسم وفعل، حسب المنهج الذي كان سائدا" في عصره، الا أنه – و بخلاف الترماخي – يشرح قواعد اللغة الكردية معززة بأمثلة تطبيقية من اللغة ذاتها.

وفي المقدمة القصيرة التي كتبها البايزيدي يشرح السبب الذى دعاه الى تأليف هذا الكتاب المخطوط.

و للبايزيدي مخطوطة أخرى بخط يده أيضا" رقمها (Kurd46) وهي بدون عنوان وتحتوي على بعض قواعد اللغة الكردية وتصريف الأفعال فيها، دونها المؤلف في أرضروم عام ١٢٨٣هـ / (١٨٦٦ – ١٨٦٧)

م وقد قام أ. زابا بتحويل النص الكردي من الحروف العربية الى الحروف اللاتينية، كما ترجم النص الكردي الى اللغة الفرنسية.

وفي المكتبة العامة مخطوطة رقمها (Kurd48) بقلم الملا مصطفى الفها في أرضروم عام ١٨٦٠ م وتتضمن تصريف الأفعال في اللغة الكردية وفيها حوالي (٨٠٠) فعل. وقد ترجم أ. زابا هذا المخطوط الى اللغة الفرنسية، كما حول النص الكردي الى الحروف اللاتينية.

وتوجد مخطوطتان من تأليف الكساندر زابا أولاهما محفوظة في مكتبة الاستشراق ورقمها (D448) وعنوانها (هذه رسالة وبحث عن بعض الاختلافات بين اللهجات الكردية وبيان بعض القواعد العامة الضرورية). وقد تصدرت المخطوطة مقدمة طويلة (اب — ١٥اب)، تعتقد رودينكو بأنها بقلم البايزيدي. وقد ترجم الكساندر زابا هذه المقدمة الى اللغة الفرنسية. كما حول النص الكردي المدون بالحروف العربية الى الحروف اللاتينية. والمخطوطة عبارة عن معجم كردي — فرنسي مقارن بين لهجتين من لهجات اللغة الكردية وهما (حكاري) و (روندي) والمعجم مرتب حسب حروف الهجاء (من الورقة ١٧ ب الى ٤٨ ب). وقد قام أ. زابا بتحويل النصوص الكردية الى الحروف اللاتينية. اما ناسخ المخطوطة فهو شه نظر وقد انجز هذا العمل في أرضروم عام ١٨٥٨م. ويقول أ. زابا في ملاحظة ثبتها على المخطوطة: (ان الكلمات الكردية باللهجتين المذكورتين قد سجلت من افواه أشخاص كثيرين كما تتضمن اللاحظة بعض المعلومات عن قبيلتي (دوزيك و زازا) ومخطوطة أخرى من تأليف أ. زابا وهي معجم كردي — فرنسي بصيغة محاورات ورقم المخطوطة (Kurd50) وعنوانها (خبر دانا زماني كورمانجي) أي (محاورات باللغة الكردية) وهي محفوظة في المكتبة العامة. والنصوص الكردية في المعجم مدون بالحروف العربية واللاتينية. ولاشك أن هذين المعجمين من المصادر المهمة لدراسة تطور اللغة الكردية.

وتوجد في المكتبة العامة مخطوطة برقم (Kurd6) وعنوانها (صفحة صبيان) لمؤلف مجهول وهي عبارة عن كتاب ألفباء اللغة الكردية للأطفال وقد قام البايزيدي بأستنساخها في القرن التاسع عشر.

٤-الأثنوغرافيا والتأريخ

النسخة الأصلية لمخطوطة كتاب (عادات ورسومات نامه أكرادية) أي (عادات وتقاليد الكرد) للملا محمود البايزيدي محفوظة في المكتبة العامة ورقمها (Kurd34) وهي بخط البايزيدي، وقد الفها بناء على أقتراح أ. زابا في عام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨ — ١٨٥٩م. وتوجد نسخة ثانية من المخطوطة مستنسخة من قبل شه نظر في سميرنا (أزمير حاليا") في عام ١٨٦٨م. وقد قام أ. زابا بترجمة نص المخطوطة الأخيرة الى اللغة الفرنسية. كما أعاد تدوين النص الكردى بالحروف اللاتينية.

ومن الأعمال الجليلة التي قام بها البايزيدي، ترجمة الجزء الأول من كتاب (الشرفنامة) للبدليسي الى اللغة الكردية تحت عنوان (تأريخ كردستان القديم) وذلك في عام ١٢٧٥هـ (١٨٥٨ — ١٨٥٩ م) وقد

كتب البايزيدي مقدمة ضافية لهذه الترجمة تحدث فيها عن مكانة شرف خان البدليسي والاهمية الكبيرة لهذا السفر التأريخي وتطرق الى جوانب مهمة من حياة البدليسى ونشاطه السياسي والفكري. وقد حاول البايزيدي، الاقتداء بالبدليسي وتدوين تأريخ الكرد من المرحلة التي توقف عندها البدليسي ويقال أنه قد كتب حوالي ألف صفحة من كتابه الذي أطلق عليه اسم (تأريخ كردستان الحديث) وقد قام الكساندر زابا بترجمة مقدمة كتاب البايزيدي وارسله الى اكاديمية العلوم الروسية في بطرسبورغ ولكن لم يعرف شيء عن مصير كتاب البايزيدي لحد الآن وتقول المستشرقة الروسية فاسيليفا ان الكتاب موجود ضمن ارشيف أ. زابا في المكتبة العامة فى بطرسبورغ وانها لم تستطع الأطلاع الا على مقدمة الكتاب التى ترجمها أ. زابا الى اللغة الفرنسية (وتقع فى حوالى خمسين صفحة) وبعث بها فى عام ١٨٦٧ الى اكاديمية العلوم الروسية في بطرسبورغ لغرض تقييم الكتاب وكما تشير فاسيليفا فأن الكتاب يتناول التأريخ الكردى خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٧٨٦ــــ١٨٥٨م وان المقدمة تتضمن اشارات الى عناوين ابواب وفصول الكتاب.

ونعتقد ان سبب عدم العثور على مخطوطة الكتاب حتى اليوم، يرجع الى أن أحدا" لم يحاول البحث عنه. ولو خالف الحظ أحد المؤرخين الكرد واستطاع العثور على مخطوطة كتاب البايزيدي لكان ذلك كشفا" عظيما"، لأن عمل البايزيدي التأريخي متمم لكتاب (الشرفنامة) ومهما يكن فان البايزيدي قد أسدى خدمات جليلة للثقافة الكردية وكان رائدا" كبيرا" — وأكاد أقول عظيما" — في مجالات فكرية عديدة. فهو أول عالم أثنوغرافي كردي وأول مترجم للآثار الادبية الأجنبية الى اللغة الكردية وأول من كتب القصة النثرية في الادب الكردي وأول من وضع كتابا" في قواعد اللغة الكردية. والقائمة تطول اذا حاولنا تعداد المجالات التي كان فيها البايزيدي رائدا" والمجال لا يتسع هنا للأسهاب وربما سنعود الى تناول هذا الوضوع في المستقبل.

٥-كلمة أخيرة

حاولنا في الصفحات السابقة استعراض محتويات أهم المخطوطات التي وصفها المستشرقة مرجريت رودينكو في كتابها الشهير (وصف المخطوطات الكردية) وبيان أهمية كل مخطوطة مع التعليقات الضرورية حولها. لقد اصبح هذا الكتاب مرجعا" اساسيا" لكل من كتب شيئا" عن المخطوطات الكردية وتبدو بصمات رودينكو واضحة على كتابات تلامذتها من الدارسين الكرد في هذا المجال. ومما يؤسف له حقا ان بعض الدارسين الكرد الذين يصفون انفسهم بـ(الأكاديميين) حاولوا عبثا الأنتقاص من اعمال وجهود رودينكو الخلاقة و(عين الحسود فيها عود)!

وتجدر الاشارة الى ان مخطوطات كردية أخرى وردت الى بطرسبورغ (بعد وفاة مرجريت رودينكو في عام ١٩٧٦). وذلك ضمن أرشيفات عدد من المستشرقين الروس الذين أهدوا مكتباتهم الى المؤسسات الاستشراقية بينهم المستشرق البارز مينورسكي (١٨٧٧ — ١٩٦٦).

إننا في الوقت الذي نثمن فيه عاليا" الخدمات الجليلة للمستشرقة الرائدة مرجريت رودينكو، نشعر بالفراغ الكبير الذي تركته برحيلها المبكر. وما أحوجنا اليوم الى باحث كردي، يكرس كل طاقاته وجهوده من اجل مهمة جليلة، هي جمع وتحقيق ونشر المخطوطات الكردية واحياء التراث الكردي. والفراغ الذي خلفته رودينكو، لم يستطع احد أن يسده لحد الآن. وما زالت انجازاتها العلمية في هذا المجال ، هي الاكثر أهمية، على الرغم من مرور ثلاثين عاما على رحيلها.

تحية تقدير وعرفان بالجميل الى روحها الطاهرة.

من مطبوعات دار سردم



بەفرەلوك
تجارب
للشاعر دلشاد عبدالله



صفحات من حياة وليم رايش
ترجمة
اردلان عبدالله



شخصيات كردية

الشاعر والفيلسوف
احمدي خاني

(احمدي خاني) اديب ومفكر وهو اشهر شاعر كوردي على الاطلاق واعلاهم شأنا وسيرة وذكرا بين مختلف الشعراء الكورد، واكثر من كتب عنه حتى الان، وقد حظي بكل تلك الحظوة والمكانة كونه مؤسس الشعر القومي الكبير وصاحب المدرسة القومية الكبيرة في ميدان الشعر الكوردي. ويضفي على اهمية هذا الشاعر شيء اساسي كون الكورد لم يحظوا حتى الآن بكيانهم المستقل، لذلك كلما راجعوا انفسهم من النواحي الفكرية والسياسية والادبية، رأوا (خاني) ماثلا امامهم، فمنذ اكثر من ثلاثة قرون قال وكتب مايفكر به الكورد في هذا اليوم، وما يعانون منه من مشاكل داخلية وخارجية.

ولد احمد خاني ابن الشيخ الياس في العام ١٦٥٠م، في قرية (خان) بالقرب من مدينة (بيازيد) في كوردستان الشمالية، في منطقة (هكاري) التي كانت منبعا لبروز عدد كبير من العلماء والشعراء والادباء الكورد الكبار الذين يحتلون مساحة واسعة في ساحة الثقافة الكوردية واللغة والادب والتأريخ الكوردي امثال (علي الترماخي) و (فقيه طيران) (علي الحريري)، و (برتو الهكاري)، وغيرهم الكثير، واعلاهم شأنا ومنزلة هو (خاني)، الذي يقول عنه العلامة الاوربيلي: (عندما نقول ان الشاعر والكاتب قريب من شعبه ومرتبط بالشعب والجماهير، فان علينا ان نذكر تلقائيا ثلاثة شعراء وهم فردوسي الايراني، وروستا فيللي الجورجي، واحمد خاني الكوردي..).

تلقى خاني علومه الابتدائية في الكتاتيب والجوامع، ليدرس كتب الشريعة واللغة والبيان والبديع والمنطق والبلاغة، ثم تعلم في المدارس التي انتشرت في المدن الكبيرة، مثل (بيازيد) و (تبريز) و (بدليس). وقد ظهرت عليه علائم النبوغ وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره. درس (خاني) في مدرسة المرادية

ببايزيد ثم ذهب الى اروفة، واخلاط، وبدليس، ومنطقة بوتان، ثم منطقة بادينان وحتى استانبول، وقد وصل في رحلته العلمية الى بلاد الشام ومصر، متفوقا في مختلف علوم عصره، وهاضما الثقافات المختلفة من يونانية واغريقية وفارسية قديمة وعربية متميزة، اذ جمع بين الادب، لاسيما الشعر، والفقه الاسلامي والتصوف، فذاعت شهرته مقرونة بالمعروفة العميقة في الامور الادبية والفلسفية والدينية.

ثم عاد (خاني) بعد تلك الرحلة العلمية الطويلة الى (بايزيد) ليعيش فيها، ويقوم بالتدريس في احد مساجدها وينصرف للبحث والتأليف وكتابة الشعر، ويبقى في (بايزيد) لغاية وفاته في العام ١٧٠٧ م، ليظل من اعظم مفكري وشعراء شعبه الكوردي والذي لايزال فكره ماثلا للعيان حتى اليوم، ولايزال الجدل محتدما حول فكره وشعره شخصيته.

اتقن احمد خاني العربية والفارسية والتركية فضلا عن لغته الكوردية التي كان يعتز بها ويدعو الشبان الكورد الى تعلمها والكتابة بها. ومن اجل ذلك راح يفتح المدارس ويتطوع للتعليم فيها نفسه دون مقابل. ومن اجل ان يحبب العلم للطلاب، اعد لهم كتابا ليسهل عليهم التعلم سماه (نوبهارا بجوكان) اي الربيع الجديد للصغار، مجسدا بذلك حبه لشعبه ولغته القومية. وعلى الرغم من تمكنه واتقانه هذه اللغات فقد آثر ان يكتب بلغة قومه ليؤكد بذلك مساهمة الكورد في بناء الحضارة الانسانية وابرازا لشعبه ولطاقاته الفكرية، او كما يقول هو ".. ولكي لايقول احد ان الكورد عديمو المعرفة لا اصل لهم ولا اساس/ فجميع الملل لها كتبها والكورد وحدهم لا حساب لهم في هذا الميدان".

عاش احمد خاني في النصف الثاني من القرن السابع عشر الذي كان حافلا بالصراع بين الامبراطوريتين الفارسية والعثمانية للسيطرة على كوردستان وثرواتها، والذي شهد ايضا انهيار الامارات الكوردية الواحدة تلو الاخرى وآخرها امارة (تبليس)، وانصراف الأمراء والحكام الكورد الى الاقتتال الداخلي، فكتب ملحمته الخالدة (مم وزين) يدعو فيها الامراء الكورد الى الاتحاد والتعاون بدلا من الاقتتال والفرقة ويوضح لهم مرامي الامبراطوريتين العثمانية والفارسية، اذ ان كلا منهما هو احتلال كوردستان، والتمتع بمواردها وبموقعها الاستراتيجي المهم والاستفادة من الشعب الكوردي كرأس حربة ضد الامبراطورية الاخرى. ولم يكتف (خاني) بدعوة الامراء فقط للوحدة بل دعا الشعب ايضا لليقظة والتنبه والاعتماد على الذات، اذ كان يثق بطاقات شعبه الخلاقة فلم يترك فرصة الا وكان يدعو الكورد للتعلم والاتحاد والعمل، حيث كان يربط بين الازدهار السياسي والازدهار الاقتصادي والعلمي. وفضلا عن فكره القومي الثاقب كان خاني متحررا، وقف الى جانب المرأة وانصفها في شعره ودعاها الى التعلم والتحرر كما كان معاديا للظلم ويكره اللهاث وراء جمع المال ورعاته. ومن اهم مؤلفاته التي ترجمت الى العديد من اللغات العالمية:

قاموس نوبهار: وهو قاموس عربي كوردي، الفه الشاعر خاني شعرا في العام ١٦٨٣م، من اجل تمكين الطلاب الكورد من فهم وتعلم اللغة العربية لغة القرآن، كما يقول هو، وهي لغة المدارس الدينية حينذاك وحتى الآن. وقد طبع هذا القاموس عدة طبعات في تركيا وفي العراق.

ملحمة مم وزين: هي ملحمته الرائعة الذائعة الصيت، وهي تشذيب فني رائع للقصة الفولكلورية (مه مى ئالان)، التي تفنن الشاعر (خاني) في صياغتها شعرا وافرغ فيها كل ما يحمله من عقل وفكر وفلسفة وتصوف وفن وشعور قومي جياش، بحيث غدت الملحمة عنوانا زاهيا لعلو شأن الادب الكوردي القومي.

عقيدة الايمان: وهي عبارة عن (٧٢) رباعية شعرية، تعنى بالعقيدة والدين الاسلامي.

-مجموعة متفرقة من القصائد الشعرية: كانت منشورة هنا وهناك من قبل الادباء الى ان جمعها مؤخرا (اسماعيل بادي) في كتاب مستقل في العام ١٩٩٦.

وقد نشر العديد من الكتب حول فكره وفلسفته وتصوفه وشعوره القومي منها:

-د. عزالدين مصطفى رسول، (احمدي خاني شاعرا ومفكرا وفيلسوفا ومتصوفا)، بغداد ١٩٧٩.

-رشيد فندي (مناقشات حول خاني)، بغداد ١٩٨٦.

-رشيد فندي (خاني وحاجي)، دهوك ١٩٩٦.

-فرهاد شاكلي (الشعور القومي لدى خاني) باللغة الانكليزية.

-علي فتاح دزه يي (مم وزين)، اربيل ١٩٩٧.

وفي مقطع من ملحمته الخالدة (مم وزين) يقول الشاعر:

بقيت افكر في حكمة الله

وفي الكورد في دولة الدنيا

يا ترى لماذا بقوا محرومين

ولماذا بقوا بالجملة محكومين!

محطات ثقافية



حول مقال
(أضواء على القضية الكردية)
المنشور في مجلة الثقافة الجديدة

ممتاز الحيدري

"إن هذا المقال، سبق إن أرسلت إلى مجلة الثقافة الجديدة في حينه، ولكن لم ينشر، وبقي هذه السنوات الطويلة في الأرشيف، وفي الفترة الأخيرة قررت أن انشره. لكي يطلع عليه الدارسون في مجال سياسة الحزب الشيوعي العراقي. والجدير بالذكر لم يتعرض المقال إلى أي تعديل وحذف، كما كتب في حينه. وحتى فيه بعض المصطلحات كانت شائعة في حينها واليوم أصبحت من الماضي. شكرا". م. ح

نشر السيد ماجد عبد الرضا مقالا بعنوان (أضواء على القضية الكردية) في مجلة الثقافة الجديدة بعددها الرقم(٨) والمؤرخ تشرين الثاني ١٩٦٩ ألقي بعض الأضواء على القضية الكردية من وجهة نظره الخاصة (التي اعتبره طبعا وجهة نظر الحزب وحاول أن يعالج الموضوع كدراسة للقضية الكردية، ولكنه فشل في ذلك، حيث لم يأت بدراسة جديدة، بعد التطورات التي مرت على حركة التحرر الكردي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الآن، سوى تلخيص بعض المصادر واعتباره دراسة خاصة بالموضوع المشار إليه. لسنا بصدد مناقشة ماورد في المقال من أفكار واستنتاجات، فذلك يطلب دراسة مطولة للقضية الكردية في العراق ومواقف الحزب الشيوعي الخاطئة في بعض مراحل تطورها، ولكن القارئ عليه، أن يقرر لما يريد الكاتب بأن مواقف الحزب الشيوعي العراق كانت صائبة

منذ البداية وحتى الآن، ومواقف الأحزاب الكردية القومية والديمقراطية والثورية كانت خاطئة ومازالت حتى الآن.......!؟!

فإذا كان الأمر كذلك...، يتساءل المرء لماذا لم يستطيع الحزب الشيوعي أن يقود كما ينبغي الحركة التحررية الكردية حتى الآن...؟!

فأن هناك حركة مسلحة كردية تحمل طابعا قوميا. وان هناك جماهير كوردية تساهم فيها بإخلاص نابع عن شعور قومي وديمقراطي أصيل، مهما اختلفت الآراء في قيادة تلك الحركة. ولماذا أصبح دور الحزب المراقب الأحداث،التابع لتلك الحركة..؟! دون أن يكون له دور ملموس في توجيهها، ولماذا سارت الأمور بالرغم من إرادتها؟ ولماذا تمكنت أحزاب برجوازية كردية من تبني الحركة القومية الكردية وقيادتها حسب تقتضي مصالحها ووفقا لنهج تفكيرها وخط سيرها.....؟!

إن الدراسة الموضوعية، للاية قضية، تطلب انتقاد المواقف الخاطئة وتأمين المواقف الصائبة. وبهذا نعطي للدراسة المطلوبة حقها، والآ تصبح أداة للدعاية. بعيدة عن الروح العلمية، ولا نستطيع تثقيف الأعضاء والجماهير، بتجارب أخطائها، كما لا تعبر عن جدية الحزب في معالجة مواقفها الخاطئة. لاينكر أبدا بأن الحزب الشيوعي العراقي هو الحزب العراقي الوحيد التي تبنى مواقف مبدئية صائبة تجاه تفهم المسألة الكردية، بعد صراعات داخلية طويلة، كما له مواقف مشرفة يعتز بها كل ثوري كردي، يعود بالأساس، الى مبادئه الاشتراكية العلمية في تفهم المسألة القومية أولا، ودور الجماهير الكردية الكادحة في دفع الحزب للاتخاذ مواقف مبدئية صحيحة تجاه المسألة الكردية ثانيا.

لسنا في معرض الدفاع عن مواقف الأحزاب الكردية الوطنية، فأن هذه المهمة تقع على عاتقها، ولكن نقول إن في مواقف الحزب الكثير من الأخطاء والمواقف التخلفية، ولولاها لكان الحزب الشيوعي العراقي الآن يتصدر الحركة التحررية الكردية، ولكانت الأحزاب (البرجوازية) الكردية معزولة عن الميدان....!

إن الحركة التحررية الكردية في عصرنا الحاضر، حركة معادية للاستعمار والأقطاع، وكانت تتصارع فيها ومازالت تياران:-

التيار البرجوازي ذات الميول التساومية مع الأقطاع و الاستعمار والتيار الطبقي، وأعطى للحركة الثورية الكردية مضمونا طبقيا معاديا للاقطاع، وتسترشد بالاشتراكية العلمية، وتعتبر التحالف مع القوى الثورية العربية، والحزب الشيوعي العراقي، الحجر الأساس في سياستها الثورية.

وان هذين التيارين، في صراع، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، بعد انحلال حزب هيوا وتأسيس حزب رزگارى كورد، وقد عبرت عنه الصراع الداخلي، في الحزب الديمقراطي الكردي، حيث برز في الجناح التقدمي للپارتي و (بەرەی پێشکەوتن) بعد الخمسينيات، ثم توحد التيارين: (في الحزب الديمقراطي الموحد لكردستان) رغم استمرار النضال الفكري الداخلي، وبرز بشكل صارخ بعد ثورة ١٤تموز، إلى أن أنتصر التيار اليميني في ١/تموز/١٩٥٩، حيث أبعدت العناصر الثورية في قيادة البارتي.

ورغم ذلك، فالصراع بين التيارين، منذ ذلك الحين، وحتى اليوم مستمر وسيبقى إلى أن تنتصر الاشتراكية في كردستان والعراق.

كما إن التيار الثوري في الحركة التحررية الكردية وكان وما يزال حليفا ثابتا وأمنيا للحزب الشيوعي العراقي، ومتفقا معه في كثير من المواقف المبدئية (لاحظ الميثاق الثنائي المعقود بين البارتي والحزب الشيوعي بعد ثورة ١٤ تموز.

أما اعتبار الأخ ماجد عبد الرضا، بان تيار لحزب الشيوعي العراقي، هو التيار الصائب الوحيد في الحركة القومية الكردية، فأنه تشويه للواقع وتزوير لتأريخ الحركة الثورية الكردية...!

كما إن تجاهل المواقف الخاطئة للحزب التي أضررت ابلغ الضرر ودفعت العناصر البورجوازية إلى تصدر الحركة الكردية لاتخدم أي مواقف الحزب الشيوعي الحركة الثورية في العراق ولا الحزب ذاته.

وإننا نورد بعض الأمثلة الواقعية لمواقف الحزب الشيوعي الخاطئة التي انتقدت من قبل الحزب أيضا، في مراحل معينة، ولكن الأخ ماجد أراد أن يسدل عليها الستارة!

إن الميثاق الوطني الذي أصدره الرفيق فهد، أعتبر الشعب الكردي أقلية قومية كسائر الأقليات القومية كالتركمان والأرمن والآثوريين ولم يعترف به كقومية متميزة لها الشروط الأساسية التأريخية لتكوين الآمة.

مما استدعى الرفيق باسم بهاالدين نوري أن ينتقد الميثاق المذكور ويعتبر موقف الحزب في الميثاق المشار إليه موقفا انتهازيا، فأصدر ميثاقا جديدا عام ١٩٥٢، عرف فيما بعد بـ(ميثاق باسم)، حيث جاء في المادة(١٢) منه مايأتي:

" الاعتراف بحق تقرير المصير بمافيه حق الانفصال للشعب الكردي".

كما إن فهد نفسه عدل موقفه حسبما يظهر في المقالات المنشورة في جريدة الحزب، إذا اقر في عدد تشرين الثاني ١٩٤٥ في جريدة القاعدة:" بحق تقرير المصير بكل امة وقومية وأكد على حق ألانفصال للشعب الكردي والاتحاد الاختياري".

٢- أصدر الحزب بيانا حول حركة بارزان ١٩٤٥ وأعيد نشره في جريدة اتحاد الشعب (العدد٢) التاريخ ٢٠شباط ١٩٥٩ ورغم فضح الحزب المخطط الاستعمار ومطالبته بإيقاف القتال، ولكنه المطالب التي طرحها الحزب للايقاف القتال (رغم ضرورتها) فأنها كانت إجراءات لاعادة الوضع إلى السابق عهده، دون ربط القضية المثارة بالمسألة الكردية التي وجدت تعبيرا لها في هذه الحركات المسلحة، ونظرا إلى الحركة كما ينظر إلى أي صدام بين الحكومة وبين أية عشيرة عراقية إذا لم يدرك المحتوى القومي لحركة بارزان في التطبيق العملي وعزل الحركة المسلحة في بارزان عن الحركة التحررية الكردية.

٣- بعد صعود الحركة العربية التحررية (اثر الاعتداء الثلاثي وفشلها) لم يدرس تأثير ذلك على الحركة التحررية الكردية، وفي الوقت الذي كانت الدعوة إلى الوحدة والعروبة كانت تنطلق من الأحزاب العربية التقدمية ومن الجمهورية العربية المتحدة على الخصوص وكان الحزب يتجاوب معها لم يرسم الخط الصحيح لتوجيه الحركة الكردية

والاعتراف بحق الامة الكردية في الوحدة (رغم إنها هدف بعيد) والنضال من أجل التحرر الكردي (كوردايەتی) مما أدى إلى ظهور اتجاهات انعزالية في الحركة الكردية وردود فعل ضد الحركة العربية بارزا في عدم تجاوب الجماهير الكردية عام ١٩٥٦ مع الانتفاضة التي قامت في بغداد و بعض المدن الأخرى، لنصرة الشعب المصري الشقيق.

إن تصاعد الوعي القومي العربي بعد تأميم القناة أدى بدوره إلى تصاعد المد القومي الكردي في نفس الوقت، ولكن هذا المد لم يستطيع الحزب استيعابه، فتمكنت القوى الكردية الأخرى من توجيهه لصالح اتجاهاته.

٤- رغم إن الحزب قدم دراسة متكاملة عن القضية الكردية في كونفراس ١٩٥٦ (بتأثير ملموس من العناصر القيادية الكردية)، فأن قيادة الحزب وكوادره وقواعده لم تستوعب تلك الدراسة في التطبيق العملي، مما أدى اشتداد الصراع بين الحزب والپارتي، في حين كان الحزب يتقارب ويتحالف مع الأحزاب القومية العربية. أي توجه الحزب اتجاها عربيا وتجاهل الحركة التحررية الكردية. في حين كان يجب ربط الحركتين العربية والكردية من تحالف ثابت في العراق وجعلها قوة في مساندة الثورة العربية المعادية للاستعمار والاقطاع، وفي مواجهة المخططات الاستعمارية والرجعية في الوطن العربي.

٥- كان الحزب يتجاهل المشاعر القومية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ومن أبرز هذه المواقف محاولة تصفية الپارتي وتشديد الصراع مع قواعده وممارسة سياسة الحزب الواحد، (رغم وجود ميثاقين يربط الحزبين ببعضهما) إن طلاق الهتافات في المدن الكردية بالعربية وإنشاد الأناشيد العربية، واعتبار الاعتزاز بالمظاهر القومية بمثابة ميول قومية برجوازية!؟!

"في السليمانية مثلا نادت منظمة الحزب في مواجهة شعار مديرية معارف كردستان بشعار:" مديرية معارف قلياسان"!؟!

"وفي اربيل عند مجيء عبد السلام عارف نادت منظمة الحزب شعار عبد الناصر آنذاك:" لاشرقية لاغربية، هي عراقية". وفي شقلاوة، قامت عملية تخريب عند الاحتفال بالشيخ احمد البار زاني أثناء إنشاد النشيد القومي الكردي:" ئەی رەقیب......"!!

٦- عند بدء الحركة المسلحة عام ١٩٦١، وصف بالتمرد الرجعي وتجاهل المشاعر القومية لمساندة الجماهير الكردية لتلك الحركة، مما أدى إلى تبنيها من قبل الپارتي بصورة رسمية بعد تشتت التجمع العشائري في معركة دربندي خان والتجاء معظم الاقطاعيين إلى الاحتماء بعبد الكريم قاسم، ولسنا بصدد دراسة تلك الحركة وبواعثها، الا إن الحزب نفسه في ٨شباط ١٩٦٣ أعتبر التمرد المذكور، ثورة قومية تحررية....!؟ فكيف تحول التمرد الرجعي بين ليلة وضحايا إلى ثورة كردية.؟!؟

والتحق أعضاء وكوادر الحزب بالحركة المسلحة لا كثوار، بل كلاجئين..! وعملوا في أفضل الأحوال معاملة اللاجئ، وفي أسوئها قتلوا وأوقفوا وتعرضوا للاهانات والمضايقات والحصار الاقتصادي... وقد قال البارزاني بصدد قبول لجوء الشيوعيين عام ١٩٦٣

(قبلت لجوءهم، لارحمة بهم، بل رحمه بأولادهم، ولا عطفا عليهم، بل حرمة بالاتحاد السوفيتي)...!؟! ولذلك أصبح موقفه (أي موقف الحزب) صعبا..؟! أما الحقائق التي أوردها الأخ ماجد، في حق المصير، وتجزئة كردستان، والاتحاد الاختياري، فأنها أصبحت اليوم مسائل مثبوتة بها، من قبل الشيوعيين نظريا.

إن الطريق الصائب لدراسة أية قضية،هو دراستها بصورة انتقاديه، المواقف السلبية والمواقف الايجابية، واستخلاص الدروس العملية منها. أما تزكية مواقف الحزب كلها، وإدانة مواقف الأحزاب الأخرى كلها، فلن تخدم الحزب، ولا الحركة الثورية الكردية ولا الجبهة الوطنية المنشودة..!

إن تحالف الحزب الشيوعي، مع التيار الثوري في الحركة الكردية التحررية والقوى العربية التقدمية، وهو الطريق الوحيد الذي يمهد السبيل لاقرار السلم والديمقراطية الثورية في كردستان والعراق.

السلطة السياسية والكفاءات العلمية

خالد محمد خال

استاذ مساعد في جامعة السليمانية

قيل للكاتب والفيلسوف الفرنسي الخالد (فولتير) الا تبغي صولجان الحكم، فقال: كيف ابغيه وانا املك صولجان القلم.

لا اعتقد ان فولتير بحاجة الى تعريف، فهو غني عن التعريف لانه احد ابرز مفكري الثورة الفرنسية الذائعة الصيت. هذه الثورة التي اندلعت قبل اكثر من قرنين، ففتحت آفاقا رحبة للفكر الانساني كي يسمو ويزدهر وينتشر ليس فقط في فرنسا موطن الثورة بل في العالم اجمع. ان مباديء الثورة الفرنسية التي نادت بالحرية والمساواة والتسامح والاخوة الانسانية وبأن الشعب مصدر السلطات، كانت نابعة من افكار وكتابات كتاب كبار في طليعتهم (فولتير وروسو ومونتسكيو ويدرو وغيرهم). وكانت كتاباتهم فؤوسا تضرب جذوع النظام القديم من اجل تغيير الاوضاع الفاسدة التي كانت قائمة على نظام الطوائف وحقوق الاسياد ومظالم الاقطاع واستبداد الملك. فوضعت الثورة

نهاية لنمط من التفكير والمعتقدات البائدة التي كانت سائدة قبل الثورة.

قبل اكثر من مئتي عام وبنبوغ العلماء وجلال العلم، وببصيرة نافذة قلما تجد نظيرا لها رفع فولتير من شأن العلم واشاد بدوره في معظم التحولات السياسية والاجتماعية الكبرى التي حدثت وتحدث في ارجاء العالم. واعتبر مكانة الفكر والمعرفة اعلى شأنا واكثر فاعلية من جبروت السلطة الحاكمة، لان الطريق الى الوعي هو المعرفة، والمعرفة هي القوة والحق معا.

السياسي الواعي الذي ينشد النجاح لابدان يخضع عواطفه لعقله ، ويخضع عقله لارادته، ويخضع ارادته لمثله العليا التي هي بالضرورة لصالح القضية التي يسعى جاهدا لها. ان الشعور بالمرارة وحب الانتقام والتقليل من شأن الآخرين شعور خطر في العمل السياسي، فنحن في العمل السياسي لانستطيع ان نحكم عوامل الحب والكره، وانما لابد من تحكيم عامل المصلحة وهي بالتأكيد مصلحة قضية الشعب التي يسعى السياسي المخلص جاهدا لها.

مر اكثر من عشر سنوات على تشكيل اول حكومة مركزية كردية منبثقة من الشعب في كردستاننا المحررة. كان هذا الحدث الجليل في حينه املا راود مخيلة الجماهير، وطموحا قد تحقق واغنية قومية في غد افضل للجميع. ورغم كل الصعاب والازمات التي واجهت الحكومة الوليدة في مسيرتها، ومنها حداثة التجربة والصراعات السياسية المسلحة بين الاحزاب الكردستانية، وقلة الخبرات المتاحة لادارة الدولة، والامكانيات المالية المتواضعة وغيرها نقول رغم كل ذلك فقد اثبت الشعب الكردي مرة اخرى بانه في مستوى المسؤولية، وجدير بان يدير شؤون دولته بكفاءة واخلاص. قد لايختلف اثنان على ان الحكومة، اية حكومة، في الدول التي تؤمن بحرية التنظيم السياسي هي الواجهة التنفيذية والشرعية لافكار ومباديء الحزب الذي يقف وراءها، وهي بالضرورة تعبر عن سياسة واهداف ذلك الحزب الذي اتى الى السلطة عن طريق الانتخابات. ومن الطبيعي ان تحاول الحكومة المنبثقة عن الحزب تنفيذ برامج حزبها في جميع مرافق ومؤسسات الدولة وفق المناهج والخطط الموضوعة، بهدف تحسينها وتطويرها، وذلك لتقديم افضل الخدمات للمواطنين ورفع مستواهم المعيشي، هذا فضلا عن كسب عطف وثقة الجماهير على امل توسيع القاعدة الشعبية للحزب لفوزه في الانتخابات القادمة. ومن هذا المنطلق فان مسؤولية كبيرة وتأريخية تقع على كاهل الحكومة والحزب معا، نظرا للترابط الوثيق بينهما.

ان ربط مصالح الحزب بمصالح قطاعات واسعة من الشعب لتحقيق طموحاته المشروعة واهدافه القومية هو خير ضمان لنجاح اي تنظيم سياسي وديمومته في الساحة السياسية. كما ان فشل اية حكومة في كسب ثقة الشعب ورضاه لابد وان ينعكس سلبا على الحزب الذي يقف خلفها، فيكون الحزب هو الخاسر الاكبر في الساحة. ان الساحة السياسية في اي بلد في العالم ومنها كردستاننا المحررة حبلى بالمتغيرات نتيجة للصراعات السياسية

واختلاف وجهات نظر ومصالح تلك القوى السياسية. الا ان هناك قضية مصيرية في غاية الاهمية يجب ان لاتغيب عن بال احد، وهي عدم التفريط بالامن القومي الكردي على حساب المصالح الحزبية. لان ضياع ذلك هو ضياع لهذه التجربة التي هي الامل الوحيد- على الاقل في المدى المنظور- لهذه الامة التي عانت كثيرا من الاضطهاد والتعسف. كما يجب ان لانغفل باننا محاطون بدول لاتحمل نوايا طيبة تجاهنا وتحاول جاهدة افشال هذه التجربة لاسباب قد لاتخفى على احد.

ان الشعوب لاتتعب من اي تضحيات تعطيها لتحقيق اهدافها، ولكن الذي يتعبها هو ضياع هذه الاهداف. كما ان الامم لاتضحي في الحروب والثورات لكي تضع اكاليل الغار على رؤوس زعمائها، وانما تضحي الامم رجاء غد افضل.

ان ظروف ومقومات تأسيس حكومة اقليم كردستان تختلف عن بقية الحكومات الاخرى في امور كثيرة، لعل ابرزها عدم ممارسة الشعب الكردي في العراق للحكم الا في الاونة الاخيرة وفي ظروف بالغة التعقيد من حيث قلة الخبرات والكفاءات الموجودة لادارة شؤون الجهاز الحكومي على الوجه المطلوب، وقلة الموارد المالية التي بدونها يستحيل ادارة الدولة، فما ضاعفت من الصعوبات والعراقيل التي واجهت السلطة الحكومية. اضف الى ذلك اسناد غالبية الحقائب الوزارية والمناصب الحكومية الكبيرة في الدولة، وبالاخص في بداية تأسيسها، الى الكوادر الحزبية القيادية الذين لم يسبق لمعظمهم ان مارسوا تلك المهام، واعطاء دور اكبر مما يستحق الى الولاء الحزبي وتفضيل المنتمين حزبيا على غيرهم. وكان بالامكان الاستفادة على نحو فضل من اصحاب القدرات العلمية وذوى الخبرات واشراكهم في الحكم، للانتفاع من اسهاماتهم في تسيير دفة الدولة على الوجه المطلوب. ان مجمل هذه الاسباب وربما غيرها ساهم في التقليل من كفاءة الجهاز الحكومي في ادارة الدولة. ولابد ان نميز بين المعايير التي تحكم الثورة والمعايير التي تحكم الدولة. فالثورة بطبيعتها حالة فوران، والدولة بنشاتها حالة نظام، وعندما تتحول الثورة الى دولة فلابد لكل من كان يتعامل مع الثورة ان يعيد حساباته، وان يفهم بان هناك قواعد جديدة تفرض نفسها بقوة الاشياء يستوجب مراعاتها.

ان اتباع الاساليب العلمية في معالجة المعضلات المتعددة الجوانب، وسيادة العقلية المتنورة والمنظمة التي تسعى الى التحرر من التعصب ومن مخلفات الماضي سمة مميزة للجمعيات المتقدمة التي ترك العلم فيها بصماته على عقول الناس وسلوكهم اليومي في مسيرة الحياة الظافرة.

كما ان كل تقدم احرزته البشرية وبالاخص في القرون الاخيرة، انما كان مرتبطا على نحو او آخر بالعلم والتكنولوجيا. ويعود الفضل في ذلك الى وجود مجتمعات تعترف بفضل العلم واهمية العقلية العلمية وتقدم اليها كل مقومات التشجيع والانتشار.

ان القوة التي تحكم العالم اليوم ليست هي قوة السلاح وضخامة الجيوش فقط بل هي قوة العلم والتكنولوجيا وازدهار الصناعة والاقتصاد ووحدة وتماسك الشعب. كما ان للقوة اشكالا اخرى، فالثقافة

والمعرفة قوة، والذكاء والمرونة السياسة قوة. ونحن احوج مانكون الى الانتفاع من العلوم والمعارف لتوظيفها لصالح تقدم وازدهار كردستاننا العزيزة، لانها اللغة الوحيدة التي تفهمها المجتمعات المتحضرة، ويكاد يكون السبيل الوحيد للوصول الى مانصبو اليه. هذا فضلا عن المردود الايجابي للسلوك والممارسات العلمية في شحذ همم الناس وحشد طاقاتهم جميعا لخدمة قضيتنا العادلة، وفي وضع الرجل المناسب في المكان المناسب لزيادة الكفاءة الانتاجية لمؤسسات الدولة.

ان مكانة اي مجتمع في العالم لايبينها الا ذلك المجتمع نفسه، بعطائه الحضاري ومشاركته في صياغة مستقبله، ولن يتحقق ذلك مالم يتحرر المجتمع نفسه من جميع عوامل التخلف وفي مقدمتها افتقاد الحرية وعدم الشعور بالمسؤولية. ان المجتمعات تعيد صياغة مستقبلها جيلا بعد جيل بوسيلتين اساسيتين هما التعليم والتشريع.

وعلى ضوء ماتقدم فقد ان الاوان للقيادة السياسية وحكومة اقليم كردستان ان تعيدا النظر في التخصيات والكوادر الذين يشغلون المقاعد الوزارية والمناصب الهامة والحيوية لمؤسسات الاقليم، وذلك باختيار الكفوئين منهم لتطبيق مقولة (الرجل المناسب في المكان المناسب) على ان يتسم كل مسؤول منهم في مجال اختصاصه وطبيعة عمل وزارته او المؤسسة التي يراسها بسعة الصدر وبكم كبير من المعرفة والخبرات المتراكمة والنزاهة والاخلاص في انجاز العمل. وان لايكون الانتماء الحزبي وحده هو المعيار الوحيد لاختيار هؤلاء. وذلك لضمان تطوير المجتمع الكردي والنهوض به الى مستويات مرموقة للحاق بالمجتمعات المتحضرة وفاء لشعبنا الكردي المقدام الذي ضحى بكل غال ونفيس للوصول الى هذا اليوم المشهود، ولمزيد من اعلاء شأن الحزبين المناضلين الاتحاد الوطني الكردستاني والديمقراطي الكردستاني اللذين بدونهما لاستحال الوصول الى هذه المكانة المرموقة لشعب كردستان بين الاوساط العالمية.

"عدنان القيسي" ومهزلة البعث..!

معتصم سالاّيي

لما تسلم البعث السلطة في العراق لم يكن مجيئهم عن طريق الصدفة, بل كان حصيلة خطة متقنة قد وضعت ونفذت في بلد استراتيجي كالعراق من قبل القوى المتنفذة في العالم.

كانت القوى العظمى في العالم على دراية بأن العراق يعاني من فراغ سياسي وانه على اعتاب مرحلة انتقالية مقبلة, لذا بادرت تلك القوى انطلاقاً من مصالحها لمساندة ومؤازرة حزب البعث

لقطع الطريق امام الحزب الشيوعي العراقي الذي كان موالياً للأتحاد السوفيتي بشكل عمياوى، وبالأخص كان الحزب الشيوعي يتمتع بقاعدة جماهيرية عريضة، لذا كان الحزب يشكل خطراً حقيقياً على مصالح الغرب. ومما يجدر بالذكر بأن الشرق الأشتراكي والغرب الرأسمالي ان لم تتفق وجهات نظرهما في جميع مجريات الأمور في العالم، فانهما كانا على اتفاق تام في مساندة حزب البعث وتقوية جيشه وكانت لكل دولة من الدول الكبرى في العالم مصالح خاصة في سلطة البعث الشوفينية. وفي نهاية المطاف اصبحت الشعوب العراقية وبالأخص الشعب الكوردي ضحية لتلك المعادلة السياسية العالمية. انخدع السوفيت بشعارات البعث اليسارية الرنانة، والتي كانت تدعي بأنها تساند نضالات الشعوب وبالأخص الشعب الفلسطيني. ومن جانب آخر جنت دولة السوفيات ارباحاً ومكاسب مالية طائلة بمليارات الدولارات جراء بيعها للعراق اسلحة واعتدة عسكرية متنوعة. وفي نفس الوقت شاركت دولة فرنسا في تلك الغنائم اثر بيعها ايضاً للعراق الأسلحة والأعتدة لتقوية الجيش العراقي. نستطيع القول بأنها لم تبق قرية او جبل او سهل او واد في كوردستان، بمنأى عن الأسلحة الروسية او الفرنسية الفتاكة..!



الدول العظمى في العالم وخاصة في الغرب كانت تعادي حزب البعث في العلن اعلامياً، لكنها لم تبخل على العراق في الخفاء بأمداده بجميع المستلزمات التكنولوجية والأستخباراتية. استخدمت تلك الدول صدام حسين ككلب حراسة في منطقة الخليج، وبالأخص بعد حدوث الثورة الأسلامية في ايران عندما اعلن "الخميني" بأنهم ينوون تصدير نموذج الثورة الأسلامية لديهم الى العالم الأسلامي والدول المجاورة لهم. لم يجد الغرب افضل سلاح بوجه ايران غير نظام صدام حسين، اتبع الغرب سياسة مزدوجة تجاه تلك المتغيرات في المنطقة في سبيل حفظ التوازن وعدم حدوث فجوة او خلل سياسي.

فتحت الدول الخليجية خزائنها المالية بوجه العراق، مستخدمة جميع امكانياتها المالية والأقتصادية لدعم نظام صدام حسين في حربه مع ايران. نثرت الدول الخليجية مليارات الدولارات

لذلك الهدف. ومن جانب آخر كانت دماء العراقيين تسيل كالأنهار على الشريط الحدودي الفاصل بين العراق وايران في حرب عبثية لا طائل من ورائها. هناك نكتة عراقية شائعة بهذا الخصوص وهي قريبة من واقع حال تلك الفترة العصيبة التي مرت على العراقيين. وتقول النكتة بأن احد المتنفذين في احدى دول الخليج يصرح قائلاً "اننا سنحارب ايران الى آخر جندي عراقي..!".

قامت الدول الغربية بكثير من الفظاظة ببيع العراق جميع الأسلحة الفتاكة ومن ضمنها الأسلحة الكيمياوية المحظورة دولياً. لتستهدف بتلك الأسلحة الجيش الأيراني والشعب الكوردي بشكل علني. بأمكاننا القول بأن جميع الدول العظمى في العالم ساهمت بشكل فعال في خلق النظام الدكتاتوري الدموي في العراق. ونصب صدام حسين من قبلهم كمقاول لضمان مصالحهم في المنطقة. والحقيقة التي تقال ان صدام قاتل بشراسة من اجل مصالح الدول الغربية, وجاهد في نفس الوقت بكل قواه من اجل ضرب مصالح شعبه داخل العراق.

لو لم تكن مساندة ومؤازرة الدول العظمى, لما كان بأمكان شخص مدني وغير عسكري كصدام حسين ان يتربع على كرسي السلطة في العراق. هل من المعقول ان يقوم عضو مغمور في حزب البعث كصدام من الأطاحة بمفرده ومن دون المساعدة بالعديد من الجنرالات والأعضاء البارزين في الحزب ويستولي في نهاية المطاف على الحكم.!؟

نتيجة بروز ظاهرة صدام الدكتاتوري والحزب البعثي الفاشي, نستطيع ان نشخص عدداً من النقاط, ومن اهمها اصابة العراقيين بسلسلة من المحن والكوارث. ودخل البلد في العديد من الحروب العبثية الداخلية والخارجية. مما سببت في قتل وتشريد الملايين من العراقيين الأبرياء. ولكن ازاء جميع تلك المآسي التي ألمت بالعراقيين, نجد ان القوى العظمى في العالم جنت فوائد وحصلت على مصالح استراتيجية واقتصادية كبيرة ليست في العراق فحسب, بل في جميع ارجاء المنطقة. واستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية تثبيت اقدامها في المنطقة ونشر قواتها العسكرية داخل العراق وفي مياه الخليج. ومن جانب آخر تشتتت اراء ووجهات نظر الدول العربية بشكل لم يسبق له مثيل. ناهيك عن ترسيخ اقدام الدولة الأسرائيلية اكثر من ذي قبل..

عند تطرق الكاتب الألماني "برتولد بريخت" لأوضاع بلده اثناء حكم النازيين, لا ينسى ان يضع جريرة جزءا من تلك المآسي التي المت بالعالم وببلده على عاتق الشعب الألماني نفسه ايضاً, لأن الدكتاتور الأرعن هيتلر بالرغم من كونه حصيلة السياسة الدولية العامة وخلقته وتربيته الخاصة, لكنه نشأ بين الألمان وساهم ذلك الشعب في خلق ذلك الدكتاتور, الذي اشعل فتيل الحرب العالمية الثانية مما ادت تلك الحرب الكونية الى قتل اكثر من خمسين مليوناً من البشر على وجه المعمورة..

نحن في العراق نستطيع القول بأن ظهور الدكتاتورية الصدامية في العراق, يقع قسط من المسؤولية فيه على عاتق الشعب العراقي نفسه وبالأخص الشعب العربي في العراق. ولا اقول هذا

الكلام انطلاقاً من التمييز والتعصب او الولاء لطرف معين, بل واقع الحال يشير الى ذلك التوجه. ففي فترة السبعينيات من القرن المنصرم كنت طالباً في اكاديمية الفنون الجميلة في مدينة بغداد والشيء الملفت للنظر بأن الفكر الماركسي كان مسيطراً على الطلاب قاطبة. لكن بعد انهيار الثورة الكوردية في منتصف السبعينيات رأينا بأم اعيننا اختفاء الفكر الشيوعي بين الطلاب خلال مرحلة قصيرة, واصبحت الكلية مقفلة بشكل شبه تام, حيث انخرط معظم الطلاب في صفوف البعثيين بين ليلة وضحاها. لكننا نحن الطلبة الكورد حافظنا على هويتنا ولم ننتم الى حزب البعث بالرغم من التهديد والوعيد.. واذكر بعضاً من الطلبة الكورد في تلك المرحلة الجامعية امثال الدكتور فاضل الجاف وهاشم علي مندي الذي يعمل حالياً مذيعاً في اذاعة "سوا" والرسام المتمكن سمكو توفيق وغيرهم.. فياترى لماذا استطعنا نحن ان نصمد بوجه الرياح العاتية للبعث ولم يصمد غيرنا.!؟

خلال الحرب العراقية الأيرانية واثناء سوقي الى الخدمة العسكرية بقيت فترة من الزمن في قاطع "الحاج عمران". ذات يوم لجتمع بنا ضابط التوجيه السياسي "الرائد اكرم" من سكنة تكريت. قبل الأجتماع وجه الينا الكلام وامر الجنود غير البعثيين بمغادرة القاعة. اذكر جيداً انه ضمن ذلك الحشد من الجنود, خرجنا اربعة اشخاص فقط.. احد هؤلاء كنت انا مع جندي كوردي من اهالي "خانقين" بأسم "حسين علي" مع جندي آشوري من اهالي "الموصل" باسم "سرجون زيا" ورابعنا كان النائب الضابط "ناظم" والذي كان مطروداً من قبل الحزب لأسباب صحية ونفسية.. بعد انتهاء الأجتماع قال لي احد المشاركين بأنه بعد خروجي من القاعة قد استهزء بي ضابط التوجيه السياسي من وراء ظهري قائلاً باللهجة العامية: "هاي..هاي..ضمالة خريج كلية ومو بعثي..!؟" وبدوري كنت استهزيء بهم جميعاً مستفسراً في سريرتي لماذا انضوى هذا الحشد الكبير من الجنود والمراتب تحت مخالب البعث بتلك السهولة!؟ وبالأخص كان البعض منهم آتين من اقصى جنوب العراق.!

لدى تسلم البعثيون مقاليد الحكم في نهاية الستينيات من القرن المنصرم, قاموا بأعدام المئات من الضباط والمدنيين بتهمة الخيانة والتآمر. لكن الذين كانوا يعدمون او كانوا يموتون رمياً بالرصاص, كان ذنبهم الوحيد هو انهم لم يكونوا بعثيين او كانوا يعارضون سلطة البعث فقط. بعد عمليات القتل والابادة والأعدامات كانت تخرج جماهير حاشدة وغافلة بمجريات الأمور في وسط وجنوب العراق الى الشوارع تأييداً لخطوات نظام البعث..! لم تكن الجماهير على دراية بالوضع السياسي, وكانت غافلة عما تطبخ لها في الخفاء من قبل البعث. والناس القلائل الذين كانوا مطلعين على الوضع قد ابيدوا على يد جلاوزة البعث.

مع مجيء البعث الى دست السلطة كان الحقد الأسود قد اعمى بصيرتهم. وكان الحزب بحق حزباً عنصرياً وشوفينياً وطائفياً ومتآمراً على الجميع وحتى على نفسه ايضاً.. في بداية حكمهم بدأوا بحث

المـــواطنين واغـــرائهم بالمـــال لتهيئـــة الملاجـــيء والسراديب داخل بيوتهم. وعبارة "الى الملجأ" كانت تواجه المواطنين داخل الشوارع والأسواق دوماً. لذا نستطيع القول بأن الحزب قد خط لنفسه نهجاً عدوانياً وتآمرياً منذ البداية. وفي مراحل متعاقبة قاموا بأشغال فتيل مجموعة من الحروب والفتن وراحت ضحيتها الملايين من المواطنين العراقيين وغيرهم. واصيب العراقيون بنكبات ومآس لا حدود لها. وتشتت شمل العوائل العراقية وتدني المستوى المعيشي للفرد العراقي. ووصلت مستويات العلم والثقافة الى ادنى درك لها جراء السياسات الهمجية والخرقاء لحزب البعث.

وكانت سياسة الحزب وعلى رأسه صدام تبتدع في كل سنة من سنوات حكمهم الأسود بدعة جديدة لألهاء الناس وابعادهم عن التفكير في همومهم. لعدد من السنين كانوا يدعون بأنهم حريصون على مستقبل البلد, لذا لم يتوانوا في قتل واعدام الكثير من المواطنين المخلصين بحجة تطهير البلد من المتآمرين والخونة حسب زعمهم. ومن ثم ابتدعوا ما يسمى بـ"العمل الشعبي" لفترة من الزمن. وفي فترة لاحقة انتجت عقولهم المريضة شخصية "ابو طبر" وصوروا لأهالي بغداد خطورة هذا الشخص المجرم وزعموا بأنه يقتل الناس ويسفك دماءهم بالبلطة من دون أن يقوم بسرقة ممتلكاتهم.. في حقيقة الأمر لم يكن كل هذا الا فصلاً من فصول المنهج الأرهابي للبعث. وخطت سطور منهجهم الدموي بعبارات شيطانية وبشكل مبرمج ومدروس لأشغال الناس وابعادهم عن التفكير السياسي. ومن جانب آخر يعلم الكل بأن شخصية "ابو طبر" تعتبر شخصية خيالية ولا وجود لها على الأطلاق. بل كانت العصابات البعثية تداهم بيوت المعارضين لسياساتهم لأبادتهم عن بكرة ابيهم, ومن ثم الحاق تهمة الجريمة بتلك الشخصية الوهمية..!

لسنوات طوال انخدعت شرائح كثيرة من الشعب العراقي بسياسات البعث. والكثير من الشعراء والكتاب انشدوا قصائد في مدح الدكتاتور او الأشادة بحروبه العبثية وخاصة حربه العدوانية مع الجارة ايران. على سبيل المثال نجد ان شاعراً كبيراً كـ"عبدالوهاب البياتي" انساق وراء سياسات صدام الهمجية لفترة من الزمن. لم نجد الا قلة قليلة من الشعراء والكتاب بلغة الضاد في العراق لم يجرفهم التيار البعثي المسموم. ويأتي على رأس هؤلاء الكتاب الشرفاء كلاً من "جليل القيسي"و "محمد خضير"و"محيي الدين زنكنه"و "يوسف الحيدري"وغيرهم...

الم ينتهج حزب يساري كالحزب الشيوعي العراقي منهجاً موالياً لحزب البعث تحت ضغوطات الأتحاد السوفيتي.!؟ ووجدنا لاحقاً انه مع انهيار الحركة الكوردية في منتصف السبعينيات من القرن المنصرم قد تعرض الحزب الشيوعي الى عمليات الابادة الجماعية من قبل الحزب الحليف وصديق الأمس بشكل علني وعلى مرآى ومسمع من الاتحاد السوفيتي.!؟ ولم تتحرك السوفيات ولم تحتج لأن مصالحها المادية مع العراق آنذاك كانت فوق مسألة الأبادة الجماعية للحزب الشيوعي العراقي. للأسف تخندق الحزب الشيوعي العراقي مع البعث في فترة

السبعينيات ضد الكرد. واتذكر جيداً عندما كنت طالباً جامعياً في تلك الفترة في مدينة بغداد, انني لمست مدى عدائية ذلك الحزب للقضية الكوردية آنذاك. وكان الأعضاء الكورد لذلك الحزب يفتقرون الى الحس القومي تحت اليافطة الأممية المزعومة.. تضاءل تأثير الحزب الشيوعي العراقي للأسف في عموم البلد في يومنا هذا الى ابعد الحدود, حتى وصل الأمر بهم ان يحصلوا على كرسيين فقط في البرلمان العراقي. ولكننا نحن الكورد عموماً نكن لهم في الوقت الراهن الحب والمودة ونتمنى لهم النجاح الفائق. والحق يقال بأن لهم في يومنا هذا مواقف علمانية مشرفة تجاه الكورد وتجاه الشعب العراقي بشكل عام.

في ايامنا هذه نجد معادلة مغايرة لما حصلت في الماضي, فبرزت حركات سلفية متطرفة. تدعي تلك الحركات بأننا نحن الكورد لا يجوز لنا ان نلقي التحية بلغتنا الأم. ومحرم علينا ان نسمي اطفالنا باسماء كوردية.. وفي الحقيقة ان هؤلاء ينتهجون نهجاً لا قومياً بعيداً عن ارض الواقع, وان صحون فضائيات افكارهم موجهة نحو الصحراء وليست نحو جبال كوردستان...

نستطيع ان نتصفح فصلاً آخر من فصول منهج البعث الشيطانية, عندما ابتدعوا ظاهرة البطل المزعوم "عدنان القيسي" مدعين بأنه بهلوان زمانه ولا يجاريه في المصارعة في العالم أي بطل آخر..! ولفترة غير قصيرة من الزمن استطاع البعث من الهاء الشعب العراقي ببطولات ذلك البهلوان المأجور. في حقيقة الأمر نستطيع القول بأن الأمر لا يعدو كونه اكثر من مؤامرة على الشعب العراقي نفذت من قبل المخابرات العراقية وبمشاركة مخابرات الدول الغربية.. فياترى لماذا لم يقم الاعلام الغربي برفع الستار عن تلك المهزلة في ذلك الوقت..!؟ الم يكونوا على علم بتلك المؤامرة الخطيرة.!؟ وبالأخص قد جلب بالأساس ذلك الشخص من الولايات المتحدة الأمريكية.!؟

ولد عدنان القيسي في محلة المهدية بالفضل وتفوق في الرياضة واحرز بطولة العراق في المصارعة سنة "١٩٥٥" ومن ثم سافر الى الولايات المتحدة الأمريكية بالباخرة لأكمال دراسته. وتعرف خلال سفرته ببطل العالم في الملاكمة سابقاً "جاك دمبسي". وطلب مساعدته في العثور على عمل يساعده في مزاولة المصارعة واكمال الدراسة بنفس الوقت. والطريف ان "دمبسي" شجعه كثيراً لمزاولة الملاكمة.. والتحق بجامعة "هيوستن" بولاية تكساس بعد ان انتخب للعب الركبي. ويمتاز لاعبو هذه اللعبة بأجسام ضخمة وقوة جسمانية هائلة وسرعة متناهية. ولا يحتفظون بأسنانهم وعظامهم كاملة, لأنها تتعرض دائماً للكسر.! وبعد اختياره لهذه اللعبة العتيقة اعفي من نفقات الدراسة والاقامة.

ثم انتقل الى جامعة اوكلاهوما, حيث انضم هناك لفريق المصارعة وبدأ نجمه في التألق. اذ احرز عشرات البطولات وحصل على شهادة الماستير في تلك الجامعة. وبعد انهائه دراسته احترف المصارعة الحرة والتي تدعى المصارعة المطلقة او غير المقيدة. واطلق على نفسه لقب "زعيم الهنود الحمر بيلي الذئب الأبيض" وكان يرتدي ملابس الهنود الحمر

التقليدية. والطريف ان احدى المجلات الرياضية اللبنانية ادعت ان القيسي لبناني الأصل وانه من العائلة اللبنانية الفلانية ومن المدينة الفلانية.!

اعتاد عدنان القيسي ان يقيم العابه في مدينة بغداد وبعض المدن العراقية. ولأجل كسب تأييد الجماهير واستدرار عواطفهم كان يزور المراقد المعروفة في العراق. عندما جرى نزاله الأول مع المصارع "جورج كوريانكو" على ملعب الشعب, ازدحم الملعب بأكثر من ثمانين الف متفرج..! وكان رقماً قياسياً نسبة لتلك الفترة.. قبل ان يجري نزاله مع البطل "جون ليز" في مدينة كركوك, اتذكر جيداً انه زار "نادي سولاف الرياضي" في محلة امام قاسم بكركوك. وادعى بأنه ينتمي الى القومية الكوردية وكنت انذاك حاضراً بين الحشد المزدحم. فلا اعرف مدى صحة ادعائه. وهناك رأي ولا استطيع هنا ان اجزم بصحته, ويقول ذلك الادعاء بان لقب "القيسي" المعروف في العراق مأخوذ من لقب العشيرة الكوردية "قرلوسي". المتواجدين في منطقة خانقين.. ويحصل نفس الشيء مع اللقب "الونداوي" المأخوذ اصلاً من كلمة "الوني" نسبة الى النهر الذي يجري في مدينة خانقين والذي يسمى بنهر "الون" المعروف. ويحلو للبعض ان يحرف ذلك اللقب الكوردي الى "الونداوي".!؟

اتفق عدنان القيسي مع مجموعة من الرياضيين المعروفين في محلة امام قاسم لترتيب سفرة الى اقصى الشمال في العراق لاجراء مقابلة مع شخصية كوردية مشهورة. لكن تلك الشخصية امتنعت عن مواجهتهم ورجع الرهط بخيبة امل. وجه بعض الناس هنا وهناك انتقادهم لتلك الشخصية قائلين كيف يمكن لتلك الشخصية المشهورة ان يرفض مقابلة بطل مغوار كعدنان القيسي.!؟ لكن الأيام اثبتت صحة موقف تلك الشخصية الكوردية, وبطلان اراء الذين انساقوا من دون علم ودراية وراء عواطفهم البدائية..

ظاهرة عدنان القيسي رتبت اصلاص من اجل اشغال العراقيين وارباكهم والهائهم, جرت كل تلك الأمور لاخفاء نوايا البعثيين ومشاريعهم الهدامة. ففي كل الألعاب كان يخرج عدنان القيسي منتصراً على خصومه. وعادة وكانت اللعبة تنتهي بضربة قاضية من مرفق عدنان القيسي على مؤخرة رأس البطل المقابل. وكان خصمه يتهاوى في تلك الحالة على حلبة الملعب خائباً وخاسراً!

مما لا يدع مجالاً للشك بأنه قد وقع مسبقاً بروتوكولاً بين عدنان والمصارعين الذين كانوا يجرون اللعبة معه وباشراف من المخابرات العراقية والغربية. وبموجب تلك الاتفاقات والبروتوكولات كان لزاماً على المصارعين ان يخسروا في لعبتهم امام عدنان القيسي.. اراد بعض الرياضيين والمطلعين على امور الرياضة ان يميطوا اللثام عن تلك المهزلة وايضاح الأمور للجماهير, لكنهم عوقبوا من قبل البعثيين بشدة, ومن بين هؤلاء كان المعلق الرياضي المشهور "مؤيد البدري" الذي كتم صوته وابعد الى "نكرة سلمان" عقاباً له على افشائه لذلك السر الخطير.. والمعروف ان لعبة المصارعة غير معترف بها دولياً ضمن الدورات الرياضية. فوا أسفاه للشعب العراقي الذي انخدع بالبهلوان المزيف عدنان القيسي

ولسنوات عدة.. في واقع الأمر تمكن ذلك البهلوان المهرج ان يخدم مخططات البعث ويعبث بعقول وقلوب العراقيين.. في نهاية المطاف استطاع ان يجمع مالاً وفيراً من وراء العابه المزيفة ويرجع الى المكان الذي انطلق منه في الولايات المتحدة الأمريكية.. ومن ثم تلاشت شهرته وغاب اسمه في العراق والعالم واصبح في خبر كان وكأنه لم يكن وجوداً في يوم من الأيام..!

فذلكة تأريخية عن الكورد وموطنهم

اعداد: عبدالخالد صابر

عن اصل الكورد

لامبالغ فيه ان نقول، ان الشعب الكوردي قد يكون من اقدم الشعوب التي عاشت في منطقة الشرق الاوسط منذ آلاف السنين حسب المكتشفات التي عثرت عليها في الاماكن المختلفة في الدول التي يقطن فيها الكورد من قبل علماء الآثار والمنقبين وغيرهم، ومن المرجح ان يكون اقدم ذكر للشعب الكوردي قد عثر عليه في الالواح الطينية السومرية المكتشفة التي يرجع تأريخها الى الالف الثالث قبل الميلاد التي وردت فيها عبارة (ارض كاردا) التي كانت تحاذي ارض شعب (سو) الذي كان يقيم الى الجنوب من بحيرة (وان) في كردستان تركيا، والذي كانت له صلات على مايبدو بالكورتيين الدين كانوا يقطنون الجبال الممتدة الى الغرب من نفس البحيرة. ان الرأي الثاني لجذر الكلمة (كورد) يلوح كلمة كاردوخي التي ذكرها اكزنفون عام ٤٠١ قبل الميلاد، وذكر احد تلامذة (سترابو) ملاحظة هامة بخصوص هذا الاسم قائلا: انهم سموا بـ(كارداكس) وكلمة كاردا تعني الشجاع والمحب للقتال، وان المعنى الفارسي لكلمة كورد يعطي نفس معنى السابق، كما تكلم (بليني) عن الكورد ويقول (شعب كان يدعي سابقا بـ(كاردوجي) الا انه يعرف الان باسم كوردوئين كان يعيش بجوار اديابيني الذي يجري نهر دجلة الى الشمال من اراضيهم) وذكر (اسطفيان البيزنطي) الكورد بصيغة (كوردياس) كأسم لارض كوردياي، فقد قال سترابو عن الكورد (انهم يسكنون في فارس قرب جبال زاكروس بجانب ماردي)، كما ان كلا من بوليبوس وليفي وصفوهم بانهم محاربين من زماة الصخور، وورد تعليق آخر في كتاب السرياني المسمى بـ الحياة في مارخو بهالاها.

ان كارتاوا هم الـ(كوردايا) الذين يسميهم العبرانيون والكلدان باسم كوردايا، فقد اطلق

(اونكلوس) على جبل ارارات الذي رست عنده سفينة نوح اسم قاردو وفي الترجمة العربية ورد باسم قارد وفي الترجمة العبرية باسم قاردون وهي ترديد لصدى صيغة كاردنيوس التي اوردها (ديوكاسيسوس) وفي كل نسخ العهد القديم فان نفس الموقع سمي باسم كاردا واطلق على سكانه اسم (كارورديا)، فان كاردا القاطنين حول بحيرة (وان) الذين اشار اليهم السمريون، والـ(كورتي) الذين حاربوا الاشوريين في جبال ازو يحتلون نفس المقاطعة التي كان يقيم فيها الكاردوجي التي شهدت تراجع قوات اكزنفون المسماة بـ(حملة عشرة آلاف) وان المقاطعة التي وصفت بانها موطن كورديانيـ هي في الواقع امتداد (كاردوجيا- كاردوخيا) وبالضبط هي كردستان الحالية وان اكبر اتساع لها ورد بصيغة كوردوئين او كوردايا، ان عادات هذه الاقوام هي بدقة عادات متشابهة (انهم سكان جبليون شعب صلب قوي، متمسك بقيادته) ان الشبه بين كورد وكاردا وبين سليل هاتين الكلمتين هو شبه اخاذ في الواقع، وقد اشار (نولدكة) الى ان الارض التي سكنها الـ(كاردو) كانت ارضا محدودة في حين ان ارض كردستان اليوم اكثر اتساعا من حيث المساحة لذلك فانه اعتبر كلمة كورد مشتقة من كلمة كيرتي، والتي ذكر بانها تمتد امتدادا واسعا عبر فارسا وميديا، وفي الواقع عبر جميع الاراضي التي تشكل الوطن الكوردي اليوم، كما ان المنطقة المحيطة بـ(جزيرة ابن عمر) بدقة المكان الذي كان يدعى بارض (طورتوخ) وكانت منطقة الجزيرة تتعرض دوما للاغارات، كما انها كانت المدينة الوحدية في هذه الانحاء التي يؤلف الكورد معظم سكانها. وفي هذا المنوال يعتقد الدكتور (سافر استيان): ان كلمة كوتيوم قد تطورت الى شكلها الحالي بانصهار حرف بعد حرف.

واصبحت گوتى وان مثل هذا الانصهار هو قاعدة لغوية تنطبق بصورة عامة على اغلب اللغات الهندية الارية وخاصة اللغات الشرقية منها كاللغة الكوردية والارمنية والسنسكريتية واليونانية) وهناك نظرية اخرى حول اصل الكورد التي يؤيدها المستشرق المعروف (مينورسكي) فقول (ان الكورد ينحدرون عن اصل آري، الا انهم قد امتزجوا بعناصر اخرى) ومع ان هناك عدة نظريات حول اجداد الكورد، لكن النظرية المتغلبة هي تلك التي تربطهم بالميديين على اساس ان الگوتيين قد اندمجوا بالميديين بعد سقوط نينوى عام ٦١٢ ق. م الاستاذ مار) فيرى ان الكورد شعب اصيل وهم السكان الاصليون لجبال آسيا الصغرى وهنالك صلة قرابة بين الكورد والشعب الكردوخي ومن جانب الآخر يرى العالم سيدنى سميث (بان اللغة الكوردية ليست مشتقة من الفارسية او محرفة عنها بل هي مستقلة تمام الاستقلال عنها ولها تطوراتها الخاصة القديمة) وهو يرى ايضا (بان الشعب الكوردي هو من الاقوام الهندية الاوروبية قدمت الى موطنها الحالي في الوقت الذي قدم فيه الميديون الى ميديا والايرانيون الى ايران) و يرى الدكتور جاسم محمد الخلف الفخمة الكورد يرجعون جنس البحر المتوسط ومن مميزاتهم البارزة ضخانة الجسم والوجه العريض والرؤوس وينتمون الى شعوب

زاكروس المستوطنة في المنطقة الواقعة جنوب بحيرة وان) ويقول الدكتور (شاكر خصباك) (لو وجد قوم باسم الميديين لكان الكورد احفادهم) وعلى هذا القول قد بينت في السنوات الاخيرة من القرن الماضي وبعد سنوات عديدة وفي البحوث المستمرة بان شعبا باسم (ميد) قد وجد وله دور بارز في التطورات التأريخية لمناطق ايران وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى وكانت عاصمتهم (اكباتان) (همدان) الحالية الواقعة في شمال غرب ايران.

اما رأي الكاتب (منذر الموصلي) عن الكورد في كتابه (عرب وكورد) فهو "فالكورد امة متكاملة على مسرح الوجود. امة لها خصائصها الاجتماعية وعاداتها وتقاليدها وتحيا حياتها الخاصة شبه الموحدة في وطنها الواحد رغم التجزئة السياسية التي مرت بها".

موطن الكورد

لقد تعرض مركز كردستان الجغرافي الى تفسيرات عديدة، ومع ان التعبير العنصري لكلمة كوردستان يعني بصورة عامة البلاد التي يسكنها الكورد، الا ان الحدود الجغرافية لهذا الاصطلاح لم تتفق دائما والناحية العنصرية، ولعل اقدم المصادر التي ظهر فيها اصطلاح (كوردستان) هي المصادر اليونانية، فقد سمى الكتاب اليونانيون والرومانيون كوردستان باسم (كوردونيس) او گوديای، وسماه السريانيون باسم (كاردو) وكان المقصود بهذه الاسماء البلاد التي سكنها الكاردوخيون وهي تقع في الجبال بين دياربكر ونصيبين وزاخو، وان لم تكن حدودها واضحة تماما، ولم تكن تلك المنطقة تمثل جميع البلاد التي كان الكورد يسكنونها بالفعل، اما الكتاب العرب القدماء فلم يستخدموا الاسماء اليونانية في الحديث عن بلاد الكورد، بل كانوا يسمونها باسم (اقليم الجبال) كامثال الاصطخري وابن حروقل وغيرهم، وكان هذا الاقليم يشتمل على المنطقة الواقعة شمال غربي ايران حتى اورمية ممتدا من سهل العراق حتى الصحراء الايرانية الكبرى ومشتملا على منطقة الجبال جنوب شرقي اذربيجان، وكان اقليم الجبال ينطبق في الواقع على المنطقة التي اطلق عليها الكتاب اليونانيون اسم (ميديا) وقد سمى المؤرخون العرب فيما بعد نفس المنطقة باسم العراق العجمي ليميزوه عن العراق العربي ومن هؤلاء المؤرخين (الطبري والمسعودي وغيرهم) اما كلمة كوردستان كاصطلاح جغرافي فيبدوا انها ظهرت لاول مرة في القرن الثاني عشر الميلادي في عهد السلاجقة، فقد فصل السلطان سنجار القسم العربي من اقليم الجبال ووضعه تحت حكم قريبه (سليمان شاه). وكانت الولاية الجديدة تشتمل على الاراضية الممتدة بين اذربيجان ولورستان وتشتكل المدن (سنندج- سنة- ديناوار دينو، همدان، كرمنشاه..) بالاضافة الى المناطق الواقعة غرب جبال زاگروس كشهرزور وكويسنجق، ولقد استعمل المؤرخون العرب فيما بعد هذا الاصطلاح الجغرافي، وكان اول ظهوره في كتاب (نزهة القلوب، لمؤلفه (المستوفي القزويني) الذي كتب عام ٧٤٠ هجري، ويبدو ان هذا الصطلاح قد عمم فيما بعد حتى شمل جميع الامارات الاقطاعية الكوردية في تركيا وايران، وقد حدد كتاب (الشرفنامة) لمؤلفه

(الامير شرف خان البدليسي) بلاد كوردستان بالحدود التالية (ان حدود كوردستان تبدأ عند شواطيء بحر هرمز ممتدة في خط مستقيم حتى ولاية ملاطية- هي مدينة تقع في كوردستان تركيا- و (تريش) وهي مدينة في شمال حلب، وتمتد شمال هذا الخط فتشمل ولاية فارس والعراق العجمي واذربيجان وارمينيا الصغرى والكبرى- اي ولاية ادنة (كليكيا او اريفان) ويقول مينورسكي في كتابه (الكورد ملاحظات وانطباعات) (مهما كان المعنى الجغرافي لاصطلاح كوردستان، فان الثابت انه لايدل على الانتشار الحقيقي للكورد). وعن موطن الكورد في العراق يقول الاستاذ (عبدالرزاق الحسني) في كتابه (العراق قديما وحديثا) (ان كرد العراق يقطنون مدنا وقرى، تبتديء من الحدود الايرانية العراقية على خط مستقيم يمتد من جبل حمرين حتى جبل سنجار حيث يتصل بالحدود العراقية التركية السورية ويؤلفون فيه اهم اقلية قومية، وقدصانهم احتفاظهم بمعاقلهم الجبلية من غزوات العالم الخارجي). حدد المؤرخ (ماجد عبدالرضا*) موطن الكورد بالشكل التالي (في الشمال مبتدئة من جبار آرارات باتجاه مباشر نحو القسم الجنوبي من جبال زاطروس.

وبشتكوه في ايران ومن هناك بخط مستقيم الى الشمال الغربي باتجاه مدينة الموصل ومن هناك باتجاه مباشر نحو ميناء الاسكندرونة ومن ثم بخط مستقيم حتى ارضروم ومن ثم باتجاه الشرق حتى آرارات). واكد الكاتب (كاظم حيدر) في كتابه (الكورد من هم والى اين) الرأي السابق وبالتفصيل (ففي جنوب آرارات تمتد سلسلة ضخمة من الجبال تتجه جنوبا على مسافة الفي كيلومتر ثم تتشعب وتميل نحو جنوب الشرق حتى الخليج الفارسي، وتقع جبال الكرد بين آرارات وجبل جلاميرغ (جولەمیرگ)، اما شمالا فيحد جبال الكورد حتى ارمينيا وتحدها جنوبا هضبة اذربيجان، فهضاب بلاد فارس وجميع هذه الجبال هي اعلى من جبال الكورد باستثناء هضبة آذربيجان، في هذا المناخ الجبلي نشأ الكورد. اما اليوم فهم يعيشون على اراضي شائعة تبدأ قرب بغداد عند ضاحية مندلي وتمتد شمالا على طول حدود العراق وايران ثم على حدود ارمينيا واذربيجان)، ورأى المؤرخ (محمود الدرة) حدود كوردستان في كتابه (القضية الكردية (على النحو التالي (كوردستان موزعة مابين الاتحاد السوفيتي وتركية وايران والعراق وجزء يسير من سورية، ولكي تحدد الكوردية على ضوء ادق المصادر الموثوق بها، تبدأ من نقطة لكردستان في اقصى شمال شرقها متجهين نحو الغرب فالجنوب الغربي فالشرق، فالجنوب الشرقي، فالش ق مرة اخرى فالشمال حتى تلتقي بنقطة بدايتنا، حدد الباحث الكوردي السوفياتي (ش. ج. آشيريان)، في كتابه (الحركة الوطنية الديمقراطية في كردستان العراق ١٩٦١-١٩٦٨ حدود كوردستان العراق بالشكل الآتي (تشتمل مساحة كردستان العراق تقريبا على الالوية التالية: الموصل والسليمانية واربيل وكركوك او تسمى هذه الالوية في الوثائق الرسمية للحكومة – العراقية- بالمنطقة الشمالية، وانضم في عام ١٩٦٩ لواء دهوك الى المنقطة المذكورة وحسب المعطيات

الرسمية، فان مساحة هذه الالوية تقدر ٩٧،٧ الف كم٢ و ٢٣،٣٪ من مجموع مساحة العراق) وكان موطن الكورد بالنسبة لعدد من المؤرخين والمستشرقين الغرب بينت بشكل واضح، فمثلا حدد البروفيسور اليوغسلافي (بافيج) ارض كوردستان بالشكل التالي (توزيع ارض كردستان وتقسيمها جرى في المنطقة الجنوبية الشرقية من تركيا قريبا من ارمينيا في الاتحاد السوفيتي واقصى شمال سوريا وشمال العراق والقسم الشمالي الغربي من ايران، هذه الاقسام تشكل المركز المنشيء الاصلي والتقليدي لكردستان، واتساعها الذي يشمل مابين جزيرة اورمية ووان وحتى اعلى الغرب من دجلة القسم التركي، ومن الفرات الى مياه مورات وجنوبا محددا بالهلال الخصيب، اضافة الى ذلك، فنحن نصادف الكورد في منطقة الاناضول التركية وخليج الاسكندرونة وفي الشمال الشرقي المحاذي للحدود السوفياتية، ثم في شمال سوريا وفي اذربيجان الغربية وخراسان وبلوجستان الشمالية). وحدد الكاتب (منذر الموصلي) في المصدر السابق كما ذكرنا، الموقع الجغرافي لكردستان بالشكل التالي (ان كوردستان، ظلت بعيدة عن ان تكون جزءا من المنطقة العربية او الفارسية او الارمنية المحيطة بها من كل جانب لذلك ظلت منطقة جبلية متميزة عن الجوار لكنها قابعة في نفس الوقت ضمن حزام جغرافي تحيطها فيه دول خمس هي العراق وسوريا وتركيا وايران والاتحاد السوفيتي (روسيا حاليا).

*اخذ المؤلف المذكور هذا الرأي من كتاب (الجوانب الاقتصادية للمسألة الكردية (د. عبدالرحمن قاسملو) براغ ١٩٦٢.

المصادر:

١-مع الكورد. تومابوا. ت، آواز زنگنه ١٩٧٥ بغداد.

٢-الكرد والمسألة الكردية. د شاكر خصباك ١٩٥٩- بغداد.

٣-العراق قديما وحديثا. عبدالرزاق الحسني ١٩٨٢-بغداد.

٤-القضية الكردية في العراق: ماجد عبدالرضا ١٩٧٥- بيروت.

٦ الكورد ملاحظات وانطباعات مينورسكي ت. معروف خزندار ١٩٦٨- بغداد.

٧-القضية الكردية. محمود الدرة، الطبعة الثانية ١٩٦٦- بيروت.

٨-الحركة الوطنية الديمقراطية في كردستان العراق ١٩٦١-١٩٦٨ ش. ج آشيريان ١٩٧٨- بيروت.

٩-كردستان والمسألة الكردية. البروفيسور بافيج ت. برو ١٩٧٨- بيروت.

١٠-عرب وكورد، رؤية عربية للقضية الكردية. المقدم منذر الموصلي: الطبعة الاولى ١٩٨٦- بيروت.



الديمقراطية التي يحتاجها المجتمع العراقي، رؤية كردية

مهدي مجيد- حلبجة

ليس من السهل التعريف بالديمقراطية نظرا لشمولها مختلف اوجه الحياة ولتاثرها بالمعطيات التاريخية والسياسيةوالاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية.

لكن بصورة عامة (الديمقراطية:-هي أداة للحفاظ على حرية الانسان في جميع نواحي الحياة).

والفرد العراقي لم يتح له منذ تاسيس الدولة العراقية عام (١٩٢١) ان يمارس حقوقه المشروعة بحرية الا نادرا,مما أدى الى ان يعيش في حالة خوف وأحباط دائمين ,وحتى بعد تحريرالعراق,بقي في هذه الحالة المزرية,خاصة بعد أنتشار ظاهرة الارهاب والفساد الاداري في هيكل مؤسسات الدولة.

ومن وجهة نظري لايوجد شيئ أحسن من الديمقراطية لاخراجه من هذه الحالة ...لكن أي ديمقراطية ؟ الفرد العراقي يحتاج الى الديمقراطية ألتي تهدف الى تحريره من كل أشكال القمع بدأ بالاستبداد و انتهاء بالقهر ,والى أشراكه في وضع القواعد القانونبة التي تحكم العلاقات في المجتمع في شتى المجالات ,كذلك توفير شروط حياة تضمن لكل فرد الامان والبحبوحة والسعادة، أي ايجاد مجتمع تتحقق فيه المساواة عمليا في الواقع .

وليس على المستوى النظري فقط كما نراه اليوم , بحيث يصبح من حق كل فرد ان يطالب المجتمع بالحماية والضمان ازاء صعوبات الحياة .

وهذا ما يؤدي الى الاعتراف بحقوق جديدة للمواطن كحق العمل، وحق الحصول على مرتب مواز للعمل .وحق الضمان الاجتماعي، والصحي، وضمان الشيخوخة، وحق التعليم، وغيرها من الحقوق بهدف الحد من التفاوت الاجتماعي بين افراد المجتمع العراقي.

فضلا عن توسيع المشاركة الشعبية في الحكم عبر اشراك الفرد العراقي في تسيير شؤون الدولة.

الفرد العراقي بحاجة الى الديمقراطية التي تساعده لاجراء تغيرات جذرية في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والمجالات الأخرى.

الديمقراطية التي تبعث الشعور بالمسؤولية لدى المواطن وتساعد على الحوافز الشخصية ,التي تدفعه الى تأسيس مجتمع مدني مزدهر.

والديمقراطية التي تجعله يرفض مطلقا المشاريع الشوفينية وتوظيف مفردات العسكرة, وقرع طبول الخطر والحرب وتغييب الشرعية القانونية وتبني العنف وسياسة التوتر والأزمات.

وعلى المجتمع العراقي ان يستفيد من التجربة الديمقراطية في كردستان فهي فضاء سياسي قائم على التعددية السياسية والفكرية وأحترام حقوق الأنسان والمجتمع الأهلي , وهي تعبير عن انتصار الحركة الوطنية العراقية بأجمعها ,لذا فمن الواجب ان تعمل جميع القوى الوطنية العراقية على نجاح وتطوير هذه التجربة.

كما أن الوضع في كردستان يتطور يوميا بأتجاه الديمقراطية وبناء قاعدة حقيقية لعراق ديمقراطي فيدرالي ,تصان فيه كرامة الأنسان وحقوقه وعزته,ولاشك ان تحقيق ذلك هو في مصلحة جميع القوى والتيارات العراقية (الكردية، العربية، التركمانية، والكلدوأشورية).

لكن على الجميع معرفة ان الطريق نحو الديمقراطية,طريق شاق وطويل ويحتاج الى تكاتف جميع أطياف وفئات المجتمع العراقي، التكاتف من أجل تحقيق الأمان والسلام للجميع,من أجل تسهيل طريق الفرحة والسعادة الى قلوبنا,البسمة الى شفاه الأطفال، فسح بزوغ نجم الديمقراطية، الفيدرالية، الحرية للجميع.

وهذا التكاتف لايتحقق بسهولة ,لذلك هناك شروط يجب تحقيقها من أجل تسهيل الطريق أمام الديمقراطية,منها:

*أولا:أجراء مصالحة وطنية يشارك فيها جميع فئات وطوائف الشعب العراقي (الكورد,العرب,الشيعة والسنة والتركمان والكلد وأشور).

*ثانيا:بذل الجهد من أجل اعادة بناء(العراق الفيدرالي)بحيث تقسم فيه الثروات والسلطات بصورة عادلة ولاتحرم أي فئة أو طائفة من حقها المشروع.

*ثالثا:بناء دولة المؤسسات وضمان سيادة القانون وتأمين حيادة القضاء واستقلاله.

*رابعا:أحترام أرادة ومطالب المقابل، وعدم تهميش أي طائفة أو معينة وبذل الجهد لأقتلاع جذور العنصرية والطائفية وتحقيق مبدأ الفيدرالية.

وأخيرا أدعو جميع العراقيين من الذين ألتبس عليهم مفهوم المقاومة ومفهوم الارهاب، من الذين وقعوا تحت تخدير شعارات ليس الهدف من ورائها سوى تخريب مجتمعهم، قتل أخوانهم,أمهاتهم,أبائهم. الذين لم تلطخ أيديهم بدماء الأبرياء، أن يرجعوا الى وعيهم ورشدهم، أن يرجعوا للتكاتف مع أبناء مجتمعهم الذي ترعرعوا تحت ظله، لبنائه من جديد للدفع بعجلة الديمقراطية الى الأمام، من أجل ضمان مستقبل زاهر و واعد للأجيال القادمة.

يا ترى هل من أذان صاغية.

من أرشيف الفن الكوردي

كيف تأسست فرقة "سولاف" الموسيقية في مدينة كركوك

رزكار كاكه مير محمد شواني

لقد حفلت عقود الخمسينيات والستينيات والسبعينيات في مدينة كركوك العريقة بالعديد من الفرق المسرحيه والموسيقية والتي لعبت أدواراً لا يستهان بها في مجالات خدمة الفن الكوردي وأبرازه إلى حيز الوجود والتي كان لها الأثر الواضح والفعال في تنشئة هذا الفن وتأسيسه وتطويره، ففي سنة ١٩٥٨ شمرت مجموعة من الشباب عن السواعد الجد يدفعهم في عملهم حب وشغف لا حدود لهما للفن الكوردي منهم الأستاذ (عبد الاله محيي الدين) الذي كان في البداية يجيد العزف على (الناي) ثم أخذ يتدرب على آلة (الكمان) إلى أن تعلم تماماً العزف عليها.. كما ظهر فنان اخر ودخل الساحة الفنية وكان يعرف العزف على آلة (كلارنيت) وهو الفنان (رمضان زامدار) الذي يعمل في الوقت الحاضر مصوراً فوتوغرافياً في شارع الجمهورية بكركوك وهو صاحب مصور رمضان للتصوير ثم ظهر عازف آخر كان يعزف على آلة (الاكورديون) وهو الفنان صلاح عباس..

هؤلاء الثلاثة كانوا يتدربون معاً مساء كل يوم إلى أن شكلوا في سنة ١٩٥٨ فرقة صغيرة في مدينة

كركوك تحت أسم (فرقة بيكه س للموسيقى) لقد اشتركت هذه الفرقة في العديد من الحفلات الغنائية وكذلك المناسبات وكانت بالأخص تقديم بعض الأناشيد العذبة الجميلة مثل (خوايه وه تـه ن ئاواكه ى) أي (يارب عمّر هذا الوطن) و (ئه ى ره قيب) وقد انضم إليهم الفنان الموهوب عازف (العود) سردار فتاح بى به خت..

خلال عام ١٩٦٤ انضم الفنان الأستاذ (قادر مردان) إلى (فرقة بيكه س الموسيقية) وهو واحد من العازفين البارعين على آلة (الكمان) ومغن مشهور أيضاً وبخاصة في أغنيته الشهيرة (بى ئوميدي) أي (اليأس) التي سجلها بالأبيض والأسود في تلفزيون بغداد، وهبت إحساساً خاصاً للجماهير الكوردية، بعدها التحق بهم أحد العازفين الآخرين وكان يجيد العزف على آلتي (العود والكلارنيت) وهو شوكت رشيد، وهكذا يوماً بعد يوم أخذت (فرقة بيكه س) تنمو وتتوسع أمامها آفاق العمل، حيث ساهمت في معظم الحفلات الكوردية في مدن كوردستان، وكان معظم الفنانين في كوردستان ينظمون زيارات للفرقة ومن هؤلاء خالد دلير وأنور قرداغي وإبراهيم محمد وزاهر محمد وأنور طاهر وآخرون، وكذلك الفنانان جمال جلال ومحمد قدري من بغداد يحضران للمساهمة مع الفرقة في حفلاتها، كما استقطبت عدداً من المطربين أمثال عباس محمد سليمان وصابر كوردستاني وعلي عزيز وطاهر نجم وعازف الايقاع صلاح سراج..

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن (فرقة بى كه س) لم يكن لها مقر معين إلى أن تبرع الفنان (رمضان زامدار) فأجر منزلاً متواضعاً على حسابه الخاص للفرقة، وبذلك استطاع أن يسدي خدمة كبيرة للفن الكوردي.. وفي عام ١٩٦٩ تأسس نادي سولاف الرياضي في محلة إمام قاسم بكركوك وكانت الهيئة المؤسسة لهذا النادي تتكون من السادة بيروت طالباني وشيخ ستار عبد الله البرزنجي وصلاح صالح وفوزي محمد نوري وستار محمد رسول وعزيز طاهر وعدنان صابر وإسماعيل طه ونجيب صالح وأنور عبد القادر وآخرون، بينما أنظمت (فرقة بيكه س الوسيقية) إلى النادي وتغيير أسمها إلى (فرقة سولاف الموسيقية) واشتركت في عدد من الحفلات الكوردية بإعدادية شورجة كركوك ومدرسة الأيوبية في محله آخي حسين ومدرسة صلاح الدين في محلة شورجة، بعدها شاركت في العديد من الحفلات الاجتماعية والثقافية..

في سنة ١٩٧٩ خطت (فرقة سولاف الموسيقية) خطوات نحو الأمام فتطورت حتى أصبحت إحدى الفرق العاملة في محطة تلفزيون كركوك غير أن بعض أعضاءها السابقين تركوها وبقي البعض الآخر مثل قادر مردان وعبد الإله محيي الدين والمرحوم شوكت رشيد والمرحوم محمد رضا.. ولكن هذه الفرقة لم يبق لها وجود لاحقاً، لكن بعض أعضاءها مازالوا على قيد الحياة وبعضهم رحل إلى ذمة الله وأسكنهم فسيح جناته.

بقي أن نقول إن الذين ساهموا في تأسيس (فرقة سولاف الموسيقية) بكركوك استطاعوا أن يسجلوا تأريخ الفن الكوردي في هذه المدينة العريقة.. مدينة باباكركر بأحرف من نور.

محيي الدين زەنگەنە
الشهرة خارج اطار القصد

د. فاضل عبود التميمي
جامعة ديالى

لاأعرف اديبا يمقت الشهرة المصطنعة قدر الكاتب المسرحي، والقصصي والروائي: محيي الدين زنكنه. وقد لا ابالغ حين اؤكد انه يمقتها وان كانت حقا للاديب المبدع قبل ان تكون لغيره! وقد يحير الرجل في موقفه هذا حساده قبل ان يدير معجبيه.

منذ اكثر من نصف قرن والكاتب محيي الدين زنكنه يعمل بهمة مؤسسة، بصبر، وصمت، دؤوبين من دون ان تتدخل جهة ما في (الدعاية) له، او التبشير بمنطلقاته الفكرية والجمالية.. لقد انجز ليومنا هذا اربعا وثلاثين مسرحية منشورة في كتاب مستقل، او في مجلة ادبية معروفة، كلها كتبت باللغة العربية الفصحى، ترجمت منها احدى عشرة الى اللغة الكردية، مثلت كلها في عواصم الثقافة العربية: بغداد، وعمان، ودمشق، والجزائر، والمنامة، والخرطوم، وتونس، والاسكندرية، الزقازيق، والكويت، وتجاوزت المحيط العربي لتمثل في برلين، وكتبت عنها مئات المقالات، والدراسات النقدية التي عاينت متنها، وانصفت زكنه لما له من فكر انساني مميز اهله لان يكون موضوعا لدراسات جامعية قرأته عن قرب، ودراية، حتى ان جامعة ديالى اعتمدت مسرحيته المهمة (رؤيا الملك) مادة لتحليل النصوص الادبية في قسم اللغة العربية/ كلية التربية في العام الدراسي ١٩٩٩/٢٠٠٠.

اما في ابداعه القصصي والروائي فهو متألق ايضا فقد نشر الروايات الآتية: (الموت سداسيا) في مجلة الاقلام عام ١٩٧٠، ثم (هم او ويبقى الحب علامة) التي صدرت عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق عام ١٩٧٥، ثم (اسوس) عن دار الساعة في بغداد عام ١٩٧٧،

فضلا عن (بحث عن مدينة اخرى) التي صدرت عام ١٩٨٠ عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق، ولديه اكثر من رواية مخطوطة، ناهيك عن مجاميعه القصصية التي لم تصدر منها سوى مجموعته "كتابات" تطمح ان تكون قصصا التي صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ١٩٨٤ والمجموعة الثانية "الجبل والسهل" التي صدرت عام ٢٠٠٢ عن دار ئاراس اربيل، فضلا عن حصوله على عشرات الجوائز التقديرية، والشهادات من مختلف المهرجانات، واللقاءات المسرحية في العراق وخارجه.

هذا هو محيي الدين زنكنه الاديب، والانسان الذي ما ان تلتقيه حتى تكتشف مقدار التحامه في الحياة، والادب، وعندما تبادره لغرض تسجيل حوار ادبي، او لقاء ثقافي يقول بكل محبة وصدق: ماذا عساي ان اقول لك؟ انا في اول الطريق، وعندما تتحدث معه عن الانتشار والشهرة يبادرك بابتسامه غامضة تحيلك لان تتوجس منه خيفة! وما هو بالمخيف قط، ولكنه هكذا يبدو لمن لا يعرفه عن قرب.

محيي الدين زنكنه، اشهر من نار على علم في وعيه المسرحي، والادبي، ووسائل اتصاله بالخشبة السحرية، وطرائق الكتابة لها، واكاد اجزم انه وكتاب المسرح العربي: سعدالله ونوس، وكاتب ياسين، وفرحان بلبل، وممدوح عدوان، والفريد فرج، ويوسف الصائغ يشكلون قمة هرم التأليف المسرحي في الوطن العربي، وان شئنا الدقة، والانصاف فان زنكنه يتجاوز عن حق (شهرة) قسم من هذه الاسماء، ولكن لا احد يجهر بهذا لان تقاليدنا الادبية والثقافية تأبى التصريح فلا تعطي كل ذي حق حقه، تحوم حول النص ورؤياه، وعيونها ترنو باتجاه (الآخر) الذي في منجزه الابداعي يتساوق مع حركة ابداع الآخرين.

ترى لماذا يبخل النقد في حق المبدع حين يكون الاخير في اشد (الحاجة) الى كلمة حق لا يراد بها الا الحق، ولماذا يتسابق الجميع لرد الاعتبار، واحقاق الحق لهذا المبدع، ولذلك الكاتب بعد ان يكونا قد غادرا الحياة؟

يخيل لي ان الكاتب محيي الدين زنكنه في رفضه اليومي لأي شهرة تأتيه انما يمارس ضربا من الرياضة الفكرية التي تجعله محصنا ضد نزعة (تصنيع الشهرة) وامراضها النفسية ريمتاز من غيره- ممن يتوسل الشهرة- بخصيصة الانتشار خارج الاطار القصدي الذي تسعى اليه الشهرة، وهو لا يسعى الا الى تعميق مفهوماته، ووسائل اتصاله بالانسان.

الفنانة مزكين طاهر:
صوت فريد يصدح وحيدا في فضاء الغناء الكردي

دلشا يوسف
dilshayusuf@yahoo.com

حصلت الفنانة مزكين طاهر على دبلوم من المعهد العالي للموسيقى في دمشق عام ٢٠٠٤، و ادت الموسيقى التصويرية لفيلم (ابتسامة حسان) للمخرج الفرنسي فريدريك كوبيك عام ٢٠٠٣، وقدمت حفلة برعاية المركز الثقافي الإسباني في مكتب عنبر بالإضافة الى حفلة على مدرج بصرى الشام الأثري مع فرقة (لاسكالا دوميلان السيمفونية) بقيادة المايسترو(ريكاردو موتي)، في حفلتها الأخيرة بالثقافي الفرنسي أدت ألحانا لكل من (فرقة كامكار و فقي طيران وشاهين طالباني و عزيز شاروخ و يوسف برازي)، التقينا بها في السليمانية حيث كانت تتحضر لعمل مشترك مع الفنان عبد الله جمال سكرمه لتقديمه في كل من لندن و السليمانية و بداية سألتها:

* ماذا تعني كلمة السوبرانو و كيف تزاوجين بينه و بين التراث و الفلوكلور الكرديين؟

(علم السوبرانو) يعني تدريب الصوت على اسس تكنيكية لفساح المجال امام قدر أكبر من الصوت في الخروج وبدقة ، أما الأوبرا فهو ايصال الصوت الى الأخر المستمع بشكل مدروس بدون نشاز و التحكم بالصوت و النفس معا.

يعد السوبرانو طبقة من طبقات الصوت و هو خاص بالنساء و يتألف طبقات الصوت لدى النساء من عدة أقسام منها آلتو، ميتسو سوبرانو، ودراماتيك سوبرانو و السوبرانو الذي يعد من أدق أنواع هذه الطبقات الصوتية.

ان شعبنا الكردي يغني حياته بعفوية و يؤدي تاريخه غناء. هذا التاريخ المغنى بشكل تفصيلي

يجعل من الصعوبة بمكان الخوض في التراث الكردي بدون معرفة أكاديمية و مهما تمكن المؤدي غير الأكاديمي في الأداء يبقى نقصا في حق التراث والفلوكلور، و الهدف من دراستي لعلم السوبرانو هو لأتمكن من اعطاء و لو جزء بسيط من تراثنا وفلوكلورنا حقه.

★ لماذا اخترت دراسة هذا القسم بالذات و كيف كشفت هذه الخاصية في صوتك؟

انا لم أقدم في حياتي على عمل بدون اجراء دراسة عليه و التدقيق على أهميته، و كوني ترعرعت في كنف عائلة مشهورة بالفن الغنائي و منذ طفولتي و انا اصغي للقصص و الملاحم التي كانت ترويهم لي والدي ووالدتي سواء على شكل رواية او بشكل غنائي اثر ذلك على ظهور رغبة جامحة لدي للدراسة الأكاديمية لهذا الفن و الأمر الذي كنت أختلف فيه مع باقي أعضاء عائلتي الفنية هو رغبتي في دراسة هذا الفن أكاديميا لكنهم في البداية وقفوا عائقا امام تحقيق رغبتي ، حيث اضطررت للدراسة سنتين في معهد الأثار و المتاحف و بعد وصولي لمرحلة لم أعد ارغب في خداع نفسي و السيطرة على رغبتي ، قررت ان اترك الدراسة في معهد الأثار و انتقلت الى المعهد العالي للفنون الجميلة و أظن بأنه كان القرار الصائب ، بحيث اجرى في حياتي منعطفا جديدا نادرا.

★ كيف وعيت على حقيقة انك تمتلكين هذه الموهبة النادرة؟

ساعدني في ذلك متابعتي الدائمة للفن الأوبرالي العالمي من خلال القنوات التلفزيونية الفضائية، حيث قارنت قدراتي مع النتاجات الفنية و ظهر لدي دافع قوي - و لو نضج متأخرا -على دراسة هذا العلم بشكل أكاديمي.

و من الطبيعي ان كل الطلاب في البداية يتعرضون لإختبارات من قبل اخصائيين اكادميين في المعهد العالي للفنون الجميلة و هناك ظهر لهم بأن طبقة صوتي من نوع السوبرانو و تخصصي بالذت على (السوبرانو ليريك).

الفنانة مزكين مع دلشا يوسف

★ الى اي مدى حققت الفنانة مزكين طموحاتها في امتهان هذا النوع من الفن؟

في الحقيقة ما زلت في الخطوة الأولى و الأمر الذي يؤرقني جدا هو عدم وجود ميراث كردي خاص بهذا الشأن و لهذا أظنني سأكون الإنطلاقة الأولى في العمل على صنع فن السوبرانو باللغة الكردية. انه عمل شاق و طويل المدى، حيث لا يوجد منهج أكاديمي معيين لدى الكرد. و لا توجد آلات موسيقية خاصة بهذا النوع من الفن.

★انت في تجربتك هذه تعتمدين على اي نوع من التراث الغنائي الكردي؟

اعتمد على الفلوكلور الكردي و بالأخص (الغناء الصوتي) او ما يسمى بالكردية(دنكبيزي)، حيث ان مرحلة الغناء الصوتي، تعد من أغنى مراحل تاريخ الفن الغنائي الكردي، وهو فن تخصص فيه الكرد.

* تريدين ان تحصلي على اي تركيبة بعد خلطك للصوت و الموسيقا و الفولكلور؟

اريد ان احصل على تركيبة في ابهى صورة و ادعو الآخرين للدخول الى صومعة هذا الفن الراقي، لينتابهم الرعشة و الشعور بالإنتشاء، فانا لا اشعر بنفسي عند الغناء و اخرج من حقيقتي و ادخل عالم الخيال الواقعي الذي استحضر فيه الوقائع القديمة وأجسد الشخصيات الملحمية و المراحل التاريخية التي عاشت فيها، اي اخلق حالة خيالية ميتافيزيقية. هناك قصص ملحمية خيالية كثيرة غناها الكرد، مثلا في ملحمة (ممي آلان) المشهورة، يحكى ان حصان البطل (مم) و المسماة بـ(بوزي روان) اي (الأبيض الرهوان) خرج من البحار و يقطع مسافات خيالية، اي ما يشبه سرعة البرق. و كذا ملحمة (سيامند سليفي) اليتيم الذي قدر عليه العيش تحت ظلم العم و العمة، حيث يخرج مصارعا و باحثا عن القدر ليقتله. أما في ملحمة (مم و زين)، نرى العاشقان يلتقيان ببعضهما بقوة الجن. كل هذه الملاحم و ملاحم اخرى تزدحم بها التراث الغنائي الكردي من نسج الخيال و يجعل المرء ينتشي بهذا الخيال.

* كيف توظفين هذا الخيال الفولكلوري في فن السوبرانو؟

بقدر ما ادخل و اتعمق في شعاب الملحمة الفلوكلورية المغناة ، اصبح في حالة التحام كبير، اتحول الى ابطال و شخصوص الملاحم. بحيث اخرج من حقيقتي الشخصية و اذوب في شخصية البطل، لدرجة انه و في حال اذا حاول احدا ما قتلي في تلك اللحظة التي اغني فيها، فهو لن يقتلني بل سيقتل بطل الملحمة التي اغنيها.

* كيف توصفين الفولكلور الغنائي الكردي؟

غنى التراث الكوردي بالفن الغنائي الصوتي، امر لا ريب فيه.و بامكاننا ان نبحر عبر شعاب هذا الكم الهائل من من الغناء الصوتي و الإستفادة منه وتوظيف هذا الفن الراقي بإضافة المزيد من الإبداع عليه و الإرتقاء به. حيث انه يعتبر نموذجا نادرا في الشرق الأوسط و حتى في العالم أيضا. من المعروف ان هناك سمة و نمطا خاصا للأغاني العالمية، مثال الأغنية الهندية و الفارسية و العربية كل له نمطه الخاص. لكن النمط الغنائي الكردي متنوع جدا وليس له نمط واحد. حيث ان نمط الأغنية الكردية تتغير من منطقة لأخرى و لهجة لأخرى من ناحية المقامات.و يعود سبب ذلك للتلون الطبيعي الذي له تأثير مباشر على التلون الموسيقي و تنوع المقامات بين منطقة و اخرى. مثال تشتهر المناطق الشمالية من كردستان بمقام البيات وجنوب غرب كردستان فيشتهر بمقام الحجاز و البيات،أما في جنوب كردستان فالمقامات التصوفية دارجة اكثر مثل مقام (الخورشيد). تركز كل منطقة عى نوطة موسيقية خاصة بها و تأخذ منها طابعها الغنائي و هذا يعتبر سمة نادرة لدى الكورد دون الشعوب الأخرى.

* برأيك هل يمكن للكورد ان يخلقوا مدرسة اوبرالية خاصة بهم؟

ان شروط الاوبرا متوفرة جدا في الموسيقى الكردية لماذا؟ لأن هناك اغنية المونولوج، و الدويت، الكورال، و ريجيتاتيف. لكننا ما زلنا بحاجة الى علم و رياضيات موسيقية خاصة بذلك، حيث ان هذا العلم غير متوفر في الشرق الأوسط و لا عند الكرد ايضا. تكمن المشكلة في كيفية تأليف ألحان اوبرالية. و انا بنفسي اعاني من هذه المشكلة.

يلزمنا مختصين بالهارمونيك، التوزيع الموسيقي، كونتربوان و السولفيج و اركز على نقطة هامة الى جانب ذلك و هو الإعتماد على التراث الثقافي الأصيل في هذه المنطقة كشرط اساسي.

* اخيرا ما جديد الفنانة مزكين طاهر و على ماذا تخطط مستقبلا؟

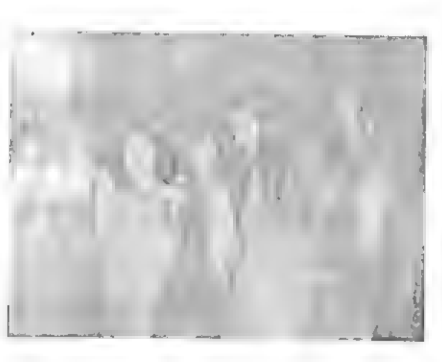
هناك عمل مع الفنان عبد الله جمال سكرمة، اتفقنا على برنامج مشترك و اعد اغاني كردية كلاسيكية و اعمال نقوم بترجمتها الى الكردية و هي مختارة بعناية. اتمنى ان ننجح في امتاع الآذان، سوف نقدم حفلة في السليمانية و اخرى في لندن في الشهر التاسع، هناك مهرجان و نحن مدعوون له..

في ذاكرة المهرجان الاول للفن الكوردي عام ١٩٧٤

اعداد: رزكار شواني

* للفترة من ١٩٧٤/٢/٢٥ ولغاية ١٩٧٤/٣/٢ نظمت مديرية الثقافة الكوردية العامة في بغداد آنذاك المهرجان الاول للفن الكوردي الذي شهدتها بغداد، وكان هذا المهرجان تظاهرة فنية رائعة عكست باقة من الفن المسرحي الكوردي الاصيل واغان عذبة ولوحات فنية جسدت تطلعات الفنانين الكورد في كوردستان..

المسرحيات الكوردية التي عرضت في المهرجان:



في اليوم الأول من المهرجان ١٩٧٤/٢/٢٥ شهدت قاعة الخلد عرض مسرحية (شاخهوانى مهزن شاخوان العظيم) اعداد واخراج غازي بامرني قدمتها فرقة السليمانية للتمثيل وقد جسد أدوار هذه المسرحية الفنانين صلاح بالابهرز وسمكو عزيز واكرم كريم ومحمد علي امين وسلام فرج وآزاد حسين ووهاب رشيد واختر كريم وجمال ريكاردو وطالب برزنجي ومحمد أمين عبد الله وعمر دلباك وعلي نوري وكمال رشيد مختار

ونوزاد حسين وحمه صالح حمه امين وبرهان عبد الكريم واحمد روناكي وجبار جباري و اميد فرج و كمال عمر وبرهان مصطفى وعثمان اسماعيل وجلال عبد الله وعبد القادر محمود ورضا احمد ودريا ويش ميشو وبرهان مجيد وجمال عارف امين..

* في اليوم الثاني من المهرجان ١٩٧٤/٢/٢٦ شهدت قاعة المسرح القومي مسرحية (ديوار-الجدار) قدمتها جمعية الفنون والاداب الكوردية-المركز العام، تأليف جان بول سارتر وترجمها واخرجها طه خليل،



شارك فيها الفنانون فؤاد محمد امين ونوزاد مجيد وطه خليل وشوان فؤاد وعبد الكريم محمد وحمه علي بروسكه و رؤوف يحيى وماجد محمد توفيق وفؤاد محمد عبد الله ودلشاد صديق وبهاء الدين نوري و علي توانا.. بعدها عرضت مسرحية(تەقینەوە-الانفجار) اعداد علي كريم واخراج سلمان فائق قدمتها فرقة جمعية الفنون والاداب الكوردية/فرع كركوك، الممثلون الذين جسدوا ادوار هذه المسرحية تألف من عبد الله بشدري وجهاد دلباك وعبد الرحمن خضر وعلي حسين ومحمد ممند غمكين وحسن جباري وجاسم محمد وخالد اسماعيل وجميل جيماو وبهرام عزيز وعثمان محمد وصباح ستار ومحمود احمد جيماو وليلى عبد الله وسركول سليمان وجوان بابير وكوضةر جلال وفرياد عبد الله وسربست علي وملا شكر خليفة وقاسم علي..

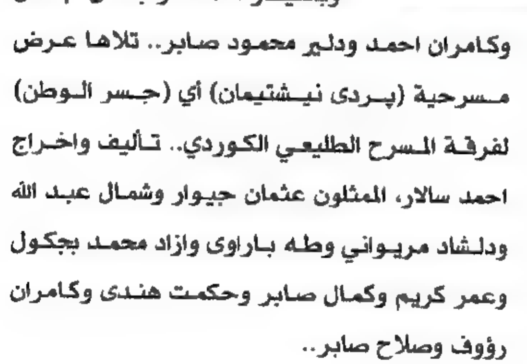
* في يوم ١٩٧٤/٢/٢٧ عرضت في قاعة المسرح القومي مسرحية (لافاو — الطوفان) قدمتها جمعية الفنون والآداب الكوردية — فرع أربيل، تأليف عبد الغني علي يحيى واخراج جتو حسن، شارك في هذه المسرحية الفنانين خليل بابه كريم وشكر الله شيخاني وسربست ميران وليلى محمد عبد الرحيم وجهاد هيراني، بعدها عرضت مسرحية (پەیکەر-التمثال) لفرقة مديرية تربية السليمانية، تأليف بول برولا وترجمها الى الكردية رؤوف حسن واخرجتها بديعة دارتاش.. والممثلون الذين شاركوا فيها هم طه خليل وجمال عبد الله وفؤاد محمد امين وعبد الكريم محمد توفيق وعمر علي امين وبديعة عبد الله دارتاش وفائق نوري سعيد وكاوه احمد ميرزا وكمال صابر وطالب برزنجي وعبد العزيز محمود وقادر مصطفى وعلي مصطفى سوراني.. كما عرضت مسرحية (بەكێ بڵێم باوكم — لمن اقول أبي) قدمتها فرقة الفنون الشعبية لاتحاد نقابات عمال السليمانية، تأليف حاج مكي عبد الله واخراج اسماعيل برزنجي، شارك في تجسيد أدوار المسرحية كل من الفنانين حاج مكي عبد الله وبرهان احمد

وعباس معروف وروؤف عبد الرحمن وكمال فرج ووهاب مصطفى وماهر علي محمد وصباح محمد رشيد ونوري باقي وعثمان علي خياط وكمال محمد كريم وكامل غريب محمد ومريوان علي وكامران احمد وعباس محمد..

* في يوم ١٩٧٤/٢/٢٨ عرضت مسرحية (گومەزێك لە دوكەڵ – قبة من الدخان) تأليف واخراج مهدى اميد قدمتها فرقة اتحاد الشبيبة الديمقراطي الكردستاني فرع كركوك.. وكان المثلون في هذه المسرحية هم كل من نجم الدين اركوازي ومحمد علي حميد وكمال حسين وعباس محمد وعبد العزيز صابر زنكنه ومعتصم محمد وعدنان محمد وفتاح محيي الدين وخالد كلي وفريدون يكتا ومحمد رضا وقنبر قرداش وسيروان جباري وسامان جباري وناظم محمد و روباك وسعدية حسين وباكزة جبار وهجران ابراهيم.. هذه المسرحية قدمت في قاعة المسرح القومي وفي نفس اليوم وبنفس القاعة عرضت مسرحية (چاوى كوردستان – عيون كوردستان) لفرقة فنون معمل سكاير السليمانية، تأليف امين ميرزا كريم واخراج عثمان جيوار، شارك في هذه المسرحية كل من المثلين حسن حسين محمد وعلي عبد الرحمن ومحمد مجيد صالح وجمال رشيد محي الدين وكمال ملا رحيم وعلي شيخ قادر وابراهيم جيوار ومحمد ظاهر محمد علي وعثمان جيوار..



* في يوم ١٩٧٤/٢/١ قدمت فرقة فنون اربيل مسرحية (لە پێناوى رووناكى) أي (من اجل النور) تأليف هوشيار سيد احمد واخراج صباح عبد الرحمن، شارك في هذه المسرحية المثلون صابر عبد الرحمن وهوشيار سيد احمد وعلي احمد وفيصل محمد وجلال احمد وعائدة مصطفى ولقمان رسول وتارا هوشيار وساكار هوشيار وكلاويز سيد موسى وفؤاد كريم وصبحي احمد وكمال محمد امين وسلام احمد وعمر علي عزيز ونوروز محمد امين وعثمان رحمك ونوزاد محمد وابو بكر محمد.. كما عرفت مسرحية (لمعان الذهب) لفرقة اتحاد الشبيبة الديمقراطي الكردستاني فرع السليمانية، تأليف عمر علي امين واخراج سمكو عزيز.. شارك في تجسيد ادوار المسرحية كل من الفنانين محمد رشيد هرس وعمر علي امين وفؤاد محمد امين وسمكو عزيز وروؤف يحيى وبختيار احمد وجمال جلال



وكامران احمد ودلير محمود صابر.. تلاها عرض مسرحية (پردى نيشتيمان) أي (جسر الوطن) لفرقة المسرح الطليعي الكوردي.. تأليف واخراج احمد سالار، المثلون عثمان جيوار وشمال عبد الله ودلشاد مريواني وطه باراوى وازاد محمد بجكول وعمر كريم وكمال صابر وحكمت هندى وكامران رؤوف وصلاح صابر..

الاوبريتات

* في يوم ١٩٧٤/٢/٢٥ شهدت قاعة الخلد لوحة راقصة لفرقة موسيقى مديرية تربية السليمانية، اعداد واخراج فريدون سعيد دارتاش والاعداد الموسيقي خالد سركار.. المطربين والمطربات الذين شاركو في اللوحة تألف من كژال عثمان وسروه علي وگولزار محمد وشنه عثمان وعثمان محمد وآواز قادر ونيشتمان عبد الله ونسرين رشيد وسامان احمد وعمر عبد الله وعلي عبد القادر وبرتو عبد العزيز و نصر الدين بهاء الدين وبكر مصطفى وكاوه حسن.. فيما شارك في الدبكات كل من كولاله رشيد وبهار رشيد وآوات علي وجنور مصطفى ونهاية رؤوف وبهار طاهر ونرمين غالب وسروه حمه صالح خبات حسيب وأحمد حمه غريب وابراهيم فتاح وسالار اسماعيل وعثمان محمد علي وصلاح محمد مجيد وكريم اسماعيل ومحمود محمد سعيد.. كما قدمت جمعية الفنون والآداب الكوردية المركز العام في نفس اليوم وبنفس القاعة اوبريت (العرس) شارك فيه العازفون شوكت رشيد ونامدار عمر وشيركو عادل وكوركيس اوراها وعلي حمه رضا و نوزاد علي محمد وهوشيار احمد ومن المطربون عثمان علي وعثمان شاربازيري محمد نركز وصلاح مجيد فيما تألف الكورس من محمد غريب و احمد محمد شوشه ومحمد حسن ورسول عبد الله وكولاله رشيد وبهاء رشيد وشاسوار عادل وسامان شوكت رشيد وديار احمد وبيان شوكت رشيد ونسرين شوكت رشيد وشونم عادل جمال..

* في يوم ١٩٧٤/٢/٢٦ قدمت فرقة مديرية تربية دهوك في قاعة الخلد اوبريت (الشموخ) تأليف احمد تاقانه واخراج فرهاد شريف، شارك في أداء هذا الاوبريت كل من محمد صالح مبارك وداود قادر عبد وجمال محمد بالطة وانترانيك كريكور ومحمد سليم امين واديب سعيد وايمن واديب سعيد وامين ماركوس واحمد زنكنه وسعيد مجيد وغالب رشيد ونجم عبد الله وعمر حسين ولميعة جلال وفائزة محمد وشيرين عبد الكريم وبرى خان عبد القادر ونهلة عبد الله.. والعازفون تألف من صلاح الدين صالح وياتون شمعون وموشي بولص دلشاد محمد سعيد وشيرزاد محمد سعيد وحكمت توفيق واسماعيل عبد القادر..

* في يوم ١٩٧٤/٢/٢٧ شهدت قاعة الخلد اوبريت (المطر) لجمعية الفنون والاداب الكردية/فرع أربيل، اعداد واخراج وتلحين عبد الواحد مرجان، شارك في ادوار الاوبريت كل من فتح الله عمر وجوهر كرمانج وسربست ميران وسردار قرداغي وشيرزاد ونجد وحسن قادر وكمال سعيد ومحسن عباس وشكر الله شيخاني وليلى محمد عبد الرحيم وماجده خليل وزيان فتح الله وليلى عبد الكريم ووصيفة محمد، وكان الكورس مؤلف من هيوا اسماعيل ومحسن وآواره وفريد زامدار وعبد الله عبد الكريم وفؤاد محمد حسين وليلى محمد عبد الكريم وزيان فتح الله وزينب محمد ووصيفة محمد وليلى عبد الكريم..

الغناء والموسيقى

* في الايـــام ٢٥ و٢٦ و١٩٧٤/٢/٢٧ قـــدمت فرقـــة بـاواجي كويـه الموسـيقية في قاعـة الخلـد فعاليـات غنائيـة وموسـيقية شـارك فيهـا المطربـون ابـراهيم صـابر وعبـد الله اسماعيـل وصـلاح محمـد وصـلاح بـشدرى، امـا العـازفون فقـد تـألفوا مـن ظـاهر محمد ابراهيم وسيامند عزت و آزاد بلال بهاء الـدين وجانـا تومـاس جانو ورزكار عبـد الكريم ومحمد اسماعيل وهمـداد رفيـق وسـردار احمـد وانـور طـاهر خـضر وجابوك شفيق ووريا احمد.. فيما تألف الكورس من نادية كريم وآواز ظاهر ونيـان جلال وخرمـان عبد الله وزيبا عبد الله وبيمان حميد وشهلا عمر وسلام عبد الله وشيركو نافع وآسو أسماعيل وقاسم فـرج الله وآرام جلال وآشتي اسماعيل وامير مصطفى وصلاح محمد وصلاح بشدرى ودلير صادق..

* في يـومي ٢٥ و١٩٧٤/٢/٢٧ بقاعـة الخلـد قـدمت فرقة فنون أربيل فعاليات غنائية وموسيقية شـارك فيها المطرب خير الله محمد، وقد تـألف العـازفون مـن منعم مظفر وجودت شاكر وفاضل ميكائيل وجمال عثمان وطلعت عـارف وعـدنان احمـد وصـلاح رفيـق ونشأت حميـد ويوسـف اسرائيل وصالح احمـد.. امـا كـورس الفرقـة فقـد تـألف مـن صـلاح نجـم الـدين ونـوزاد محمـد ونـاظم دلبنـد وعـدنان شـاكر وسـليم عبد الله وديمقراطية طه..

* في يــومي ٢٥ و٢٦ و١٩٧٤/٢/٢٧ قـــدمت فرقـــة موسيقى السليمانية بقاعـة المسرح القـومي فعاليـات غنائيـة وموسـيقية شـارك فيهـا المطربـون حـسن كرميـاني وعبـد القـادر حـسن وقـادر كابـان، امـا العـازفون فقـد كـانوا خالـد احمـد ولـيم يوحنـا وفريـدون سـعيد وانـور قرداغـي وفرانـسيس داود وعثمـان محمـد أمـين وصـلاح رؤوف وحـسين علـي صالح ومحمد أمين حسين وصباح محمد امين ونوري قرداغي وجمال كابان واديب حسين وجمال شادان والـبرت عيـسى ودلـير ابـراهيم وهـارون سـنه ومؤيـد قسطنتين وعمـر احمـد وانـور قرداغـي. فيمـا تـألف كورس الفرقة من كمال محمود وجمال محمود وانور عمـر وياسـين برزنجـي وسـلام فـرج ونبيـل شمعـون وصديق صلاح الدين ورفيق احمد وآزاد انـور وعبـد الواحد عبده وعبـد الله محمـد وحـسن احمـد وكـزال محمود وسركول علي وكلثوم احمـد وشيرين محمود ورونـاك علي صالح وكلاويز عبد الله ورونـاك توفيـق وزيان علي وتارا احمد وكزال توفيق..

* في يـوم ١٩٧٤/٢/٢٦ قـدمت جمعيـة الفنـون والاداب الكرديـة/فـرع اربيـل فعاليـات غنائيـة وموسيقية في قاعة الخلد شارك فيها المطربون يحيى مرجان ومحمد جزا وجعفر برزنجي، اما الموسيقيون فقـد تـألف مـن عبدالواحـد مرجـان وجـرجيس عـز الـدين وشـيرزاد محمـد حـسين واحمـد خـضر وسـيد احمد عبد الكريم وشيرزاد انور وكامران طه ونضال عبد الرحمن وصديق صالح ومصطفى رؤوف وجتـو حـسن ونورالـدين تقـي وفكـرت عـزت ويـونس اسماعيل وفائق ولي..

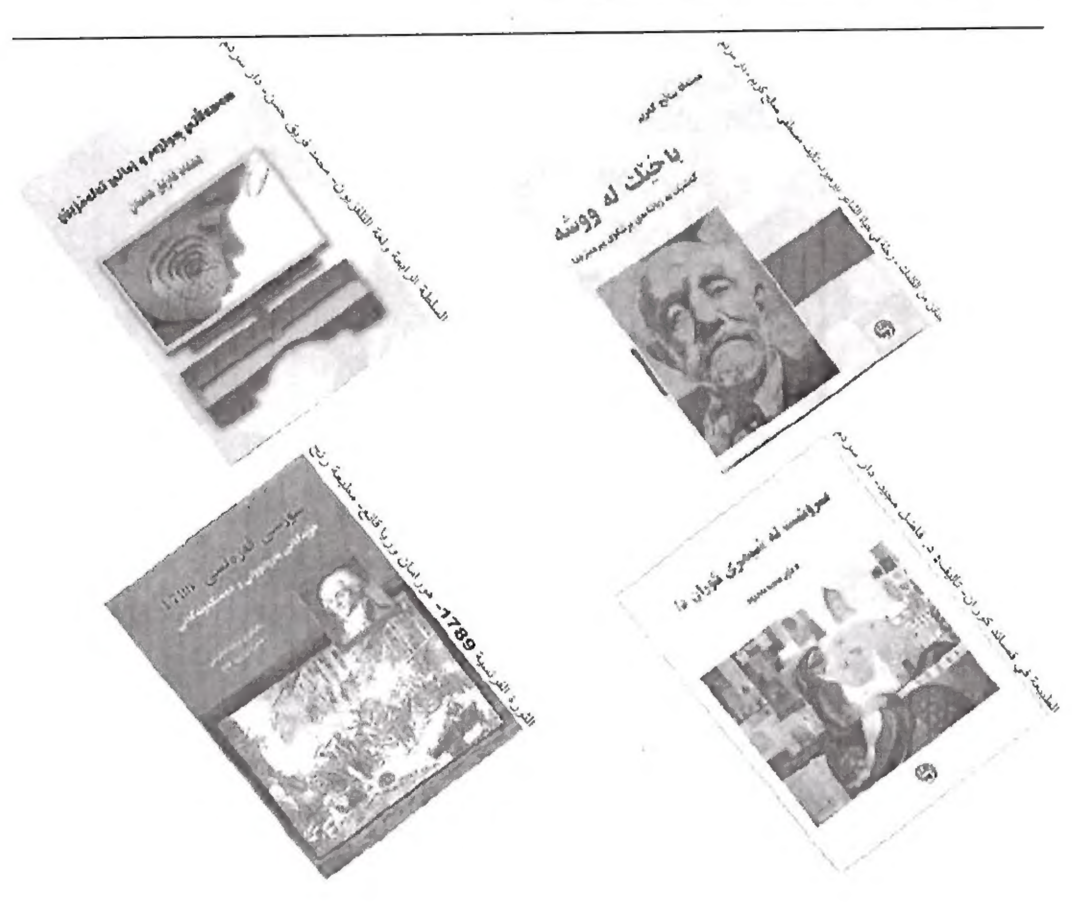
* في يـوم ١٩٧٤/٢/٢٧ قـدمت فرقـة فنـون اتحاد نقابات عمال دهوك في قاعـة الخلـد فعاليـات غنائيـة وموسيقية شارك فيهـا الموسـيقيون عـز الـدين نمـو واسماعيـل كوريـال والـبير جوجـو وقاسـم الـسنجاوي وصبري خاوكر ودلدار جميل وموشي بولص وزيـرك

عبد الله وصبرى حنا، اما الكورس فقد تألف من غانم وزكي ومحمد طيب وشرمن وعبد الله الذهب وآواز الياس وكولستان جميل وفوزية رشيد ونرمين عبد الكريم ورفيق احمد وصديق دوسلي وجورج اوراها واحمد صالح وعقيلة حسن..

معرض الفنون التشكيلية

شارك في المعرض التشكيلي للمهرجان الاول للفن الكردي الفنانون الاساتذة محمد عارف والدكتور شمس الدين فارس وعثمان خال وآزاد احمد واسماعيل خياط ولاله عبده وكامل احمد وكامل مصطفى وبروين بابان وسزا عبد الكريم وعلي جولا ونوري اسماعيل وعطا قزاز وبرهان صابر وشامل مردان وياسمين محمود البرزنجي وسليمان شاكر ودارا حمه سعيد وكوردو وهيوا اسماعيل وحمه سعيد وفؤاد علي عزيز ودارا حمه علي ومدحت وبهاء الدين..

في الختام لابد لي أن أشكر الفنان المسرحي (عبد العزيز صابر زنكنه) الذي رفدني بالصور والمعلومات القيمة عن هذا المهرجان الكوردي.



15

Vol,4 Winter 2007

SARDAM AL-ARABI

A quarterly Cultural magazine in Arabic issued by Sardam Printing & Publishing House



Sardam Printing & Publishing House
www.sardam.info

Kurdistan- Sulaimany

سعر النسخة: ١٥٠٠ دينار عراقي